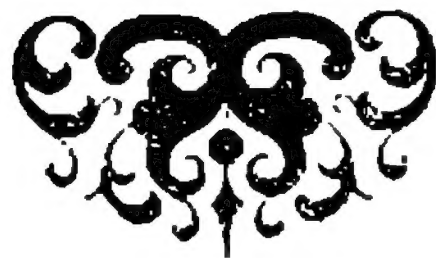
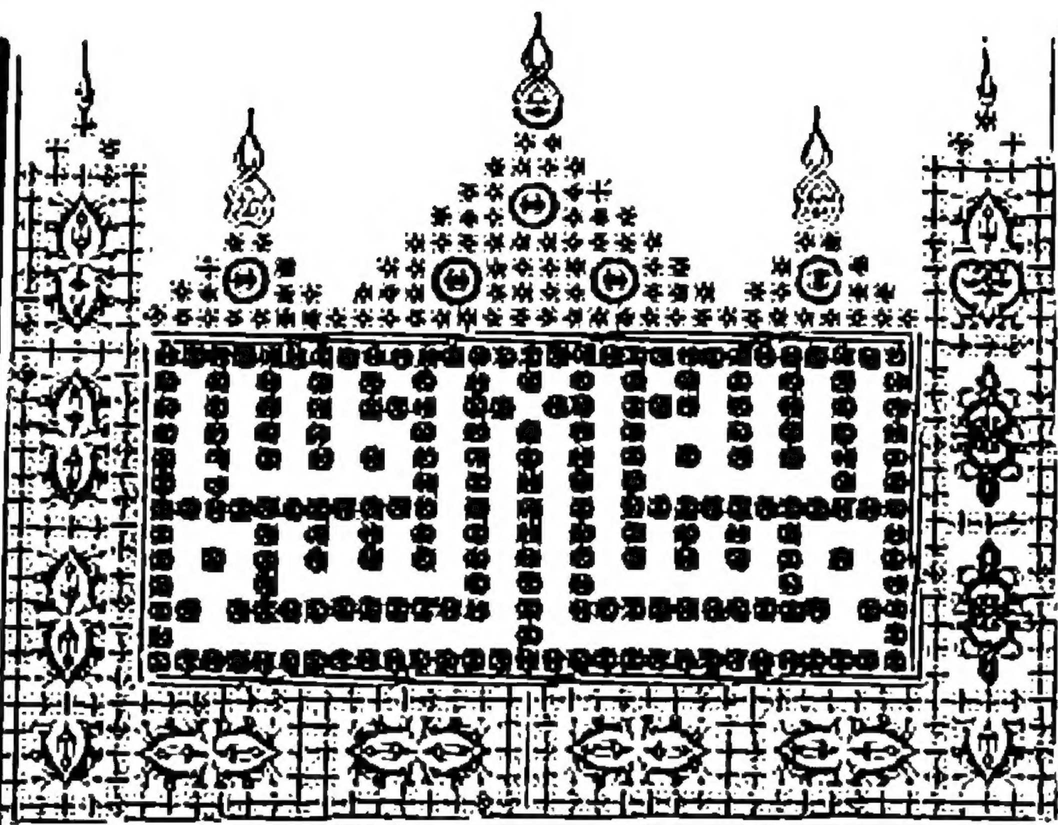
الابتهاج بنور السراج

وهو شرح العلامة المحقق الاديب الفهامة المدقق
الاريب ذى الفضل الباذخ والقدم الراسخ والمجد السنى
السيد احمد بن المامون البلغيثى العلوى الحسنى على
منظومة من صيته فى الآفاق سارى سيدى
العلامة العربى بن عبد الله بن أبى يحيى
المسارى نفعنا الله
بعلومهما
آمين



﴿فهرسة الجزء الاول من شرح الابتهاج بنور السراج للعلامة السيد أحمد بن المأمون البلغيثي﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الادب أشرف حلية وأكمل زينة ورفع بالعلم منصب من أراد به خيرا وبوّأه مكانة مكينة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أبرزها خالص الاخلاص وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي ينقذ به في كل شدة خلاص ١ الخلاص صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته الاعلام والتابعين لهم باحسان الى يوم النشر والقيام ﴿أما بعد﴾ فيقول خادم العلم والعلماء الفقير عساوكادت تملأ الارض والسماء المنادي من عظيم ذنبه يارحمة الله أغيثني أحمد بن المأمون الحسني العلوي البلغيثي كان الله له وبلغه في الدارين أمله هذا شرح يشرح ان شاء الله صدر المنصف ويكمد قلب من صدره بغمس ٢ الحسد مسدف على منظومة الفقيه الاديب البارع الاريب أبي حامد السيد العربي بن عبد الله بن أبي يحيى المساري المسماة سراج طلاب العلوم حملني عليه أني لم أرلها شرحا أصلا ولم أقف على من حرر عليها بابا ولا فصلا مع انها حرية بشرح يكون لجيدها الجيد عقدا فريدا لكونها في باب الادب جوهرا فردا ومقصدا حميدا

أهانت الدرّ حتى ماله ثمن ❊ وأرخصت قيمة الامثال والخطبا

وطالما اختلج في ضميري وضع هذا الشرح وأطوي عن كل مهم سواه الكشح وكنت أقدم رجلا وأؤخر أخرى وأرى ان ذوي الادب أولى بهذا مني وأحرى وان اللائق بمثلي طي الرأس تحت جناح الكف لشلل يد العلم مني والكف وأقول يانفس حاولت الندى من الجمرة لقد أخطأت استك الحفرة حتى استولى سلطان العزم على أرض التردد وخفرفيها اصداء التوكل على الله والاعتماد فثنيت عنان العناية نحو هذا المقصد ونويت الكمون بنيالك المرصد وقد التزمت بسط القول في هذا الشرح على قدر الامكان مع اقتناص ماتيسر من الاستطرادات والفرائد الحسان لا يحجم فيه جواد القلم بمضمار الطروس بل يقتحم رشف مدام الادب الذي تستحليه النفوس

تعترض مجتازا وكان مذكرا ❊ به عهد الهوى والشئ بالشئ يذكر

١ (قوله خلاص) هو بكسر الخاء المعجمة ومعناه الاثر وما أخلصته النار من الذهب والفضة والزبد واضافته للخلاص بفتح الخاء بمعنى التخلص والخروج من مضيق الشدائد اضافة صفة لموصوف أي الخلاص الصرف الذي لا يشوبه نوع مشقة ويحتمل غير ذلك فليحرر اه مصححه

٢ (قوله بغمس الخ) الغمس بسكون الميم وفتحها مع فتح الغين فيهما مصدر غمس اليوم كفرح اذا اشتد واسود وأظلم والباء للسببية والجار والمجرور متعلق بقوله مسدف بصيغة اسم الفاعل من أسدف كأكرم من قولهم أسدف الليل اذا اشتدت ظلمته اه مصححه

وقد

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا وقال عبد الله بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب علما واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم فلهذا الانثنينى فى هذا الشرح واتضاع ضيق المقام بل طالقاعنان اليراع حيث يستعذب المقام

طورا يمانى اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

وغير خفى أن نفس الاديب تواقة والى السروح فى منتزهات الادب مشتاقة

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص * أو ينثنى عن لذيذ الزاد منهوم

واللبيب يستروح تبديل الاوطان ويستحلى تجدد الاهواء والازمان

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

فالتنقلات مستلذة ولكل جديد لذة

لكل جديد لذة غير أننى * وجدت جديد الموت غير لذيذ

ومن معناه فما الجديد الموت بابشر لذة * وكل جديد تستلذ طرائقه

والله أرجو أن يتفضل باتمام هذا المرام ويسهل أسباب ذلك فى أحسن نظام انه ولى التوفيق والهادى الى أهدى طريق وأعتذر ان يقف عليه من ذوى الالباب بحداثة السن وانقطاع الاسباب

فان تجد عيبا فسد الخللا * فجل من لا عيب فيه وعلا

وقد قال بعضهم المتصفح فى الكتاب أبصر لمواضع الزلل من منشئه

لست شيأ ولم أكن بعض شئ * غير أن الكريم جاد وأعطى

وحبانى من فضله بهبات * وعلى العيب بالمكارم غطى

على ان الانسان من حيث هو لا يسلم من الخطا ولا بد أن تقصر به الخطا قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقد حكم سبحانه على غير كتابه بالاختلاف وقال ابن عباس رضى الله عنهما كل يؤخذ من قوله ويترك الا النبى صلى الله عليه وسلم ذكره السيوطى آخر كتابه اتمو ذج اللبيب وهو أصل قولهم كل كلام يؤخذ منه ويرد الا ما صح لنا عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال المزنى قرأت كتاب الرسالة على الشافعى ثمانين مرة فما من مرة الا وكان يقف على خطا او يقول هيه أبى الله أن يكون كتاب صحيحا غير كتابه اه وقال العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى المنن ومما من الله تعالى به على عدم انتعاب سرى فى تحرير كتاب من مؤلفاتى لعلمى بأن البشر ولو بالغ فى كتابه وحرره أشد تحرير فلا بد من نسيانه شرطا للمسئلة مثلا فى بعض الاوقات أو اطلاقه كما فى محل التفصيل قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولذلك قال الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه ما صنفت قط كتابا عن تدبير ولا عن روية انما أكتبه بحسب ما يلهمنى الله تعالى على يد ملك الالهام وربما ذكرت مسئلة مع غير جنسها بحسب الالهام كما فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فانه تعالى ذكرها بين آيات طلاق وعدة تتقدمها وتتأخرها اه فاعلم يا أخى ان السبب فى كون البشر لا يسلم كلامه من التناقض غالبا عدم اليقظة الدائمة ووقوعه فى الغفلة والسهو فما كل وقت يمكنه أن يستحضر جميع توابع تلك المسئلة وربما ترجح عنده فى وقت ما لم يترجح عنده فى وقت آخر وكان سيدى أحمد الزاهد رحمه الله تعالى يقول من الادب أن لا يجهد العبد فى تحرير كتاب هروبا من مضاهاة كلام الله عز وجل ما أمكن وحتى يجد من بعده فى كلامه ما يحتاج الى الحل مثلا فيشرحه أو يعمل عليه حاشية فمن فعل ذلك فهو أبعد من الزهو والعجب انتهى كلام الشعرانى نفعنا الله به وبعلومه وأحواله

من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط ذاك محمد الذى * عليه جبريل هبط

البيت لابى العتاهية اه مؤلفه

وقال ابن عبدوس النيسابوري كما نقله أبو عبد الله سيدي محمد الزرقاني أول شرحه على المواهب لا أعلم في الدنيا كتابا سلم لمؤلفه ولم يتتبعه من يليه اهـ ولو رأى شرحي ناظم الاصل لقال اتخذتني داهي أريك القمر وتريني السهى ولكن المرء بنيته يربح وبحسن طويته ينجح قل كل يعمل على شاكلته وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلا وحسبنا الله وكفى بالله وكيلا ﴿وسميته الابتهاج بنور السراج﴾ فالله تعالى أسأل أن يكسيه حلة القبول ويجعله من العمل المقبول بمنه وكرمه آمين

قال الناظم رحمه الله معرفا بنفسه ليحصل الوثوق بما في نظمه لانه من قبيل المنقولات في الجملة وبعض ما ذكره فيه ظاهر بحسب العقل ودليله في نفسه وعلى كل حال فتعريف المؤلفين بأنفسهم لا يخرج عن الحسن والكمال فلهذا عرف الناظم بنفسه فقال

﴿يقول العبد الفقي هو في دجانومه ساري العربي بن عبد الله بن أبي يحيي المساري لطف الله به في الدارين وأزال عن قلبه كل دنس ورين﴾ هكذا هو موجود في نسخ هذا النظم وظاهر أنه من وضعه حيث لم يذكر فيه وصفا يقتضي تعظيمه فقوله يقول فعل مضارع أصله يقول بضم الواو نقلت حركة الواو للساكن قبلها فبقيت الواو ساكنة والمضارع هنا للاستقبال على الظاهر الاقرب ﴿فان قيل﴾ اذا كان المضارع للاستقبال يكون هو والمحكي به وعدا بالموعود به ودعوى أنه قاله ثانيا تحقيقا للوعد كمن قال سأقول غدا سبحان الله فانه لا يصدق وعده الا اذا أعادها غدا ولا يكفيه الوعد عن الموعود به مستبعدة جدا لانه لا تظهر فائدة لكون الناظم يقوله ثانيا وقد حصل المقصود بابرازه للوجود ﴿فالجواب كما قال المحقق الهلالي﴾ أنا ان قلنا لا بد في معمول القول من تعدده حقيقة بأن يقع في كلام آخر سابقا على الحكاية بالماضي ولاحقا في الحكاية بالمستقبل حسبما ذهب اليه العبادي فمعمول الفعل في هذا ونحوه محذوف والتقدير يقول فلان ما سيذكر بعد وحينئذ يكون المذكور بعده مستأنفا وهو الموعود به تحقيقا للوعد وان اكتفينا بالتعدد الاعتباري كما أجاب به بعضهم كان المذكور بعد القول من تمام الوعد محكيا به الموعود به من حيث كونه معمولا للقول ويكون هو بعينه تصديقا للوعد من حيث ذاته من غير نظر لكونه معمولا للقول وذلك لحصول الغرض به اهـ وهو واضح وبه تعلم ما في كلام الشيخ الطيب بن كيران في شرح المرشد حيث منع صحة الاستقبالية ويحتمل كون المضارع للحال ﴿فان قلت﴾ كون الناظم قائلا لهذا النظم في حال اخباره بذلك متنافيان لا ٔنه لا اجتماع لفظين في آن واحد وهما لفظ النظم ولفظ يقول الذي حصل به الاخبار بأنه متكلم بذلك النظم في الحال وذلك محال لاستحالة اجتماع المثلين كاستحالة اجتماع الضدين ﴿فالجواب﴾ كما قاله المحقق الشيخ الطيب بن كيران في شرح المرشد بأنه يمكن أن يكون زور النظم في نفسه وتكلم به كلاما نفسيا ثم أخبر بلسانه بأنه قائل له في نفسه حال الاخبار فحصل بذلك ابرازه للعيان (قال) ويمكن أن يقال أي في الجواب عن السؤال انه جرد من نفسه شخصا مسمى باسمه وفرضه متكلما بهذا النظم فأخبر عنه حين تكلم به أنه قائل له في الحال ويكون الاتيان بالفاعل اسما ظاهرا في قوله العبد في محله وليس معدولا اليه عن الضمير وأما على الجواب الاول فالاصل أقول على ان الفاعل ضمير المتكلم فعدل عنه الى الظاهر ليعرفه من يقف على كتابه بعد فان الضمير انما يفيد تمييز مسماه عند حضوره ويحتمل أن يكون المضارع بمعنى الماضي بناء على ان قوله يقول العبد متأخر عن النظم وعدل الى المضارع لاحضار صورة قائليته لهذا النظم العجيب البديع وهذا الاحتمال بعيد والاحتمال الاول أقرب وأظهر كما مر وعليه اقتصر العلامة الهلالي في شرح خطبة الشيخ خليل رحمهما الله تعالى والعبد فاعل بيقول وهو يطلق على أربعة أضرب (الاول) عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذي يصح بيعه

(قوله مستأنفا) يعني أو بدل مفصل من مجمل اهـ مؤلفه

(الثانى) عبد بالايجاد وذلك ليس الا لله واياه قصد بقوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا (الثالث) عبد بالعبودية أى مملوكية للمولى ليس سببها الايجاد بل اظهار التذلل له ويكون ذلك فى جانب الله وغيره ومنه قوله تعالى واذكر عبدنا أيوب وقوله سبحان الذى أسرى بعبده (الرابع) عبد الدنيا وأعراضها وهو المعتكف على خدمتها وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم وقولهم عبد بطنه قاله العلامة الخرشى تبعا للشنوانى واعتراض المحقق الهلالى عليها بأن هذه المعانى ترجع لمعنى واحد وهو المملوك غير متجه لان تلك الاضرب تفصيل لهذا المعنى العام والله أعلم ويصح أن يريد الناظم بالعبد المعنى الثانى أو الثالث كما هو واضح ويصح أن يريد المعنى الرابع تواضعا بجعل نفسه غير قائم بشكر مولاها بتلاهيها بالدنيا وحظوظها وفى نسخة يقول العبد الفقير فالفقير صفة للعبد وهو فعيل بمعنى فاعل كما فى المصباح فهو صفة مشبهة أو صيغة مبالغة مشتق من الفقر وهو الاحتياج وقوله الذى صفة لما قبله وقوله هو مبتدأ وسارى اسم فاعل من سرى يسرى اذا ذهب ليلا خبره وفى دجا متعلق بالخبر ودجا مضاف الى نومه والضمير يعود على العبد والجملة الاسمية صلة الموصول والدجا الظلمة والليل والمراد بالنوم الغفلة شبهها به لعدم الاهتداء مع وجود كل واضافة الدجا الى النوم من اضافة المشبه به للمشبه أى فى غفلته التى هى كالظلمة بجامع عدم الاهتداء مع كل وقوله العربى بدل من العبد أو عطف بيان عليه وهو اسم الناظم رحمه الله تعالى وهو فى الاصل اسم منسوب الى العرب فيكون بفتح الراء ثم نقل الى العلمية فهو علم منقول ويجرى على الالسنة بسكون الراء تخفيفا لكثرة الاستعمال والله أعلم وقوله ابن عبد الله برفع ابن نعت للعربى أو عطف بيان عليه وهو مضاف لعبد الله الذى هو علم على والد الناظم وابن الثانى بالخفض نعت أو عطف بيان لعبد الله وقوله أبى يحيى مضاف اليه ابن الثانى وهو علم على جد الناظم هكذا فى جميع النسخ تسمية أبيه عبد الله وهو كذلك فى تقاييد وقفت عليها بخطوط قديمة نسب له فيها شعر أو كلام والذى للعلامة الاديب المحقق الاريب أبى الربيع سيدى سليمان الحوات فى كتابه الروضة المقصودة انه العربى بن يعقوب فيحتمل انه نسبه لواحد من أجداده الاعلين والله أعلم وقوله السارى بتشديد السين المهملة نسبة الى بنى سارة قبيلة معروفة من قبائل الجبال بقرب وزان فالنسب الى عجز العلم على القاعدة فى النسبة الى العلم المبدوء بابن أو باب أو ام ﴿واعلم﴾ انى فحصت الفحص الشديد بجهد جهيد عن تواريخ المتأخرين فلم أجد أحدا منهم ذكر ترجمة الناظم رحمه الله غير انه حصل لى اليقين بأنه من تلامذة شيخ الشيوخ العلامة سيدى التاودى بن سودة رحمه الله تعالى وكان الناظم رحمه الله مولى خطة القضاء فى نواحى مقامه ووطنه وكان معاصرا للعلامة الرهونى وقد وقعت له معه قضايا ولطائف منها ما ذكره فى حاشيته على الزرقانى عند قول المصنف فى باب البيوع لا ككلب صيد ونصه ﴿غريبة﴾ حكم بعض قضاة العصر فى كلب مأذون فى اتخاذه قتله رجل بأن الواجب فيه شاة وسط قيمتها سبع أواق وذلك وسط المحرم سنة أربع ومائتين وألف أو فى آخر ذى الحجة قبله وكان هذا القاضى عن نطق به العلم والعدالة فقبض مالك الكلب نسخة من ذلك الحكم وأتى بها الى فوجدته مع بعض أعيان علماء فاس حفظها الله وأهلها من كل باس فأطلعته على ذلك فأنكره غاية فكتبت بأن الحكم غير صواب وان الواجب فى الكلب قيمته ثم كتبت بعد ذلك أبياتا لذلك القاضى انبساطا واستدعاء لنظمه البديع لكونه من أظرف أهل الادب باتفاق الجميع فقلت

يا أيها الخل الاديب الماهر * هذا الذى للصواب عدل قادر
أجب لما أبديته فى القتل * للكلب من تضمينه بالعدل
أى وسط من الشياه قيمته * سبع أواق أرنا ما حكمته

(قوله على الالسنة) لعل المراد ألسنة أهل المغرب والا فالجارى على ألسنة غيرهم كأهل مصر بفتح الراء على أصل صيغة النسب اه مصححه

ترجمة الناظم

لما رأيناقط من قد سطره * هل ابن عاصم الكبير ذكره
أو صاحبا الصحاح والقاموس * وقيت كل ضرر وبوس
وبادرت بالجواب عزما * وأحسن السياق فيه حزما

وأشرت بقولي هل ابن عاصم الخ الى حكاية مستظرفة كانت وقعت له زمن الشباب سئل عن مسئلة فأجاب عنها بشئ فاستغربه بعض القضاة فأنشأ في ذلك أبياتا ارتجالا فقال له ان هذه الابيات فقال له لابن عاصم فقال له ما رأيناها في ابن عاصم فقال له هذا ابن عاصم الكبير وذكر في تلك الابيات نسبة ما قاله للصحاح والقاموس تركت ذلك خشية الاطالة فأجابني بما نصه

ياعالما في الوقت صار صدرا * في شامخ العلياء لاح بدرا
لازلت للحكام بالمرصاد * تردهم لطرق الرشاد
بعد السلام الماطر الاذيال * عليك في البكور والآصال
فقيمة الكلب الذي رأيت * فيها هو الذي به حكمت
ان ابن عرضون على ابن عاصم * قد قالها وكان خير حاكم
وقالها منها لا حدا * لها بذاك لاتجاوز حدا
وقوله اتبعت يابدر الكمال * خوفا من البدعة اذهي ضلال
ولاتخل أني أخط خطا * غير الذي أراه قبلي خطا
ومايكون خارج الطروس * يوجد في الصحاح والقاموس
وسلام مني على ابن أحمدا * وابن التهامي الذكي الامجدا

(فأجبته بقولي)

ياأيها الخل الاريب * لازلت للخير تصيب
أما علمت قولهم * فشر علم الغريب
ان الذي حكيته * عن ابن عرضون المنيب
قد قلت فيه انه * ليس بجد ياحبيب
مع انه مخالف * قاعدة ليست تغيب
عنك وهي المقوم * قيمته حين أصيب
في الكلب جاء نص صريح * لغير ما حبر مصيب
قيمته فيه تجب * اذا بدا له غصيب
وهي لنفع تتبع * من غير ريب يا لريب
ثم الكلاب تختلف * من غير شك ياأديب
فكيف يعقل الذي * قال فراقب الرقيب
واجتنب الغث وخذ * كل سمين وعجيب
واسلك سبيل من مضى * من أهل عدل بالبيب
واخش الهلك ورا * عجين في الرمس تغيب
أثبت من رب رؤف * أفضل ما به يثيب
ونلت من رحمته * أخراك أوفر نصيب
كذاك في الدنيا لمن * يسمى براكب النجيب

صلى عليه ربنا * مادام لله مجيب اهـ

وقد ذكر العلامة الاديب سيدي سليمان الحوات في كتابه الروضة المقصوده والحلل الممدوده في مآثر بني سوده في ترجمة العلامة سيدي أحمد ابن الشيخ التاودي مانصه ومن ذلك أي مما خوطب به صاحب الترجمة في القضايا والمسائل قول الشاعر المفلق أبي حامد العربي بن يعقوب المساري

الى الفقيه العالم العلامه * الماهر المنتقد الفهامه
بحر العلوم الزاخر التيار * مما حوت كفؤاله أقطار
من ازدهت فاس به وافتخرت * وانتظمت أمداحها وانتشرت
من ورث المجد وحصل الشرف * وفاق أهل العصر من كل طرف
ذاك الذي خصاله معهوده * مولاي أحمد الرضا ابن سوده
عليك مني ألف آلاف سلام * ورحمات الله تترى بالدوام
ماقام من أحدث جاره الضرر * يشكو الى الحاكم مامنه صدر
هذا واني على ماتدري * من خالص الود ونشر الشكر
ونشر مدحكم بكل نادي * وفي المحافل به أنادي
وكل من يسمع حلوذ كركا * يقول لي قصرت زد في شكركا
والحمد ان كان بلا نهايه * لا يبلغ المدح له لغايه
ثمة ان سألت عني فضلا * فالحمد لله على ما أولى
أخوض في بحر من المواهب * ضاقت بناعن شكرها المذاهب
ثم اليك المشتكي بجار * لطخ خدي بدمع جار
أراد أن يحدث فوق الأروى * طرازحاكه وتلك بلوى
فان يكن ذاك بعرف فاس * عيبا شهيرا دون ماالتباس
فانهه مولاي عن استعماله * ليستريح القلب من أهواله
وان يكن ليس به من باس * بفعله ثم جميع الناس
فخله ينشئه انشاء * ولا يدع مراده ان شاء
وان أبى ولج في الخصام * ولم يؤب عن ذلك المرام
فولدي محمد وكيلي * على الكثير وعلى القليل
اليه فوضت كماشاء فعل * خاصم أو وكل كل محتمل
على يشهد بذا من عرفا * خطي ونظمي المنتقى المقتفى
وكاتب الحروف عبد الباري * العربي المذنب المساري
في نصف شعبان بعام عشره * ومائتين بعد ألف حرره

(وقوله أيضا)

ياماجدا فاق القريب بان فضله * وعالما لم يرقه مثله
يا ابن الاماجد السراة الفضلا * ياماهرا فاق جميع النبلا
ياسيدي وسندي وعمدتي * مولاي أحمد الرضا ابن سودة
من غيره في العدل ليس يرتضى * ذاك الذي حل خطة القضا
بعد السلام العاطر الأذيال * يفشاك في البكور والآصال

فاعـلم بأن حامل الكتاب * رسـومه ضـل به الخطاب
فلا تحوجه الى التكليف * واقبل خطابنا بلا تعريف
واعن بنا وابسط ردا القبول * واخفض جناحك لذا الرسول
فالله يبـقى بدركم أخا تمام * محكما من السعود والسلام
وكتب الحروف عبد البارى * العربى الناظم السارى اه

وقد كتب لابنه بنظم يوصيه فيه بالاجتهاد فى طلب العلم وترك ما يشغل عنه سنذكره ان شاء الله عند قوله فى هذه المنظومة فاصبر على الجوع الخ * ووجدت فى تقييد بخط جيد قديم ما نصه ومما كتب به اليه القاضى الاديب أبو عبد الله محمد العربى المسارى ما نصه الى الهمام الذى ألقت اليه المعالى زمامها وصيرته الفصحاء أمامها وامامها الذى أحيا رسم الادب بعد اندثاره ونظم عقد جواهره بعد انتثاره البحر الزاخر الذى أرانا سبق الاواخر الجامع بين جزالة المبنى ورشاقة الالفاظ والمعنى حتى حير العقول ببديع سحره وأعجز الفحول بباهر نظمه ونثره ونزه الالباب فى الالفاظ المهذبه والمعانى الدقيقة المستعذبه الذى ببدائع وشى طرازه تتزخرف المحافل وبمديحه فى الآفاق سارت الرفاق والقوافل الذى جرّ ذيول النسيان على كل ذى فصاحة وبيان فلو شافهه ابن مقله لغرقت منه بالدمع المقله أو عاصره ابن بسام لما فرح ثغره بابتسام أو لو هبت نسمات فكره على ابن الخطيب لاستحقر دونها نفح كل طيب أو لو جاور جريرا والفرزدق لقالا والله انه لأرق وأحذق

رقت شمائله وراقت واغتدت * فى الالطف ألطف من نسيم فى سحر
كل له أضحى مقرا مذعنا * بالسبق فى الغايات فهو كمن سحر
أخلاقه بالمعنيين استخدمت * بالرغم كل سميذع شهم أغر
ان رام نثرا أو نظاما كفه * خلت الجواهر قد نثرن على زهر
واذا تحدث خلت عقد لآلئ * من ثغره البسام أشرق وانتثر
لا ينثنى عنه فراغا حازم * ان التلاقى معه غنم مغتبر
لولا اشتغالى بالقضا وصروفه * ما كان لى عن باب فضله من مفر
لا تهجروا منى ومن نسيانه * واعذرونى فالقضا يعمى البصر

ذلك السعد المطول والعضد الذى عليه فى البلاغة المعول والكشاف الذى بأسرار بلاغته أغنى عن المصباح والمفتاح الذى فى بيان فنونه لم يحتج الى تلخيص ولا ايضاح الاديب الذى دوّخ أرباب المعقول والمنقول وقال حتى لم يدع لقائل من مقول ذو الذهن الثاقب والرأى السديد الصائب والذكر المستنير الوقاد للذى كل عويص له طائع منقاد من لا يجارى فى مضمار ولا يدانى فى اظهار ولا اضمار الفقيه الناسك الذى هو بعرى الهداية آخذ وماسك يعسوب الانوار وكنز اللطائف وكعبة المعارف التى انتفع باستلامها كم من مشتاق طائف ذو المحبة الصافيه والحلة الضافيه والوداد الثابت القواعد والجمال الذى يستقبل الكواعب والقواعد الذى ببديع مدحه تحلى قرطاسى المقرون ذكره بأنفاسى أبو الافراح سيدى عبد الواحد الفاسى قرب الله لى مزارك وجعلنى غير بعيد عمن زارك وسلام عليكم ما انهملت دموع مشتاق وحن للزيارة قلبه وتاق الخ * ووجدت أيضا بالخط المذكور ما نصه وحياتكم يا أهل فاس البالى * لا زلتمو يا سادتى من بالى
أبدا أحن الى سماع حديثكم * وأسائل الرفقا على أميال
لا ينثنى ذكراكم من خاطرى * فخروقه صحت بلا اعلال

(قوله اليه) أى الى سيدى عبد الواحد الفاسى كما يعلم من آخر كلامه اه مؤلفه

(قوله فضله) يقرأ بسكون الهاء للضرورة الوزن اه مصححه

(قوله دوّخ) أى أذلهم وغلبهم اه مؤلفه

في كل حين تعتريني هزة * من شوقكم فتزيدني أهوال
ماهبت الرياح من تلقائكم * الا وزاد الشوق في إقبال
كيف السلو عن ارض فاس بعدما * قد نلت فيها غاية الآمال
وشرفت في الاقطار منذ حللتها * وغدوت حلف جلالة وكمال
وبها شبابي كان غضا ناعما * يمشي ويصبح ساحب الاذيال
ياحسن هاتيك المعاهد والربا * كم قد غدوت عن ظبية وغزال
كم روضة فيها قطفت ورودها * والحارس الطرود ذو إعوال
وأنا كما حكم الغرام على ألا * أثني عناني عن ظبا الاطلال
كم من فروع قد هصرت قوامها * والاصل بين سواعد الاقوال
وكم اجتمعنا ثم جمع لامة * باضافة وتناسب الاحوال
واليوم يا أسفي قد درت ربوعها * وبقيت مكتئبا كسيف البال
لولا القضا ما كان لي عن أرضها * طول المدى هيهات من ترحال
ياأهل فاس حبكم سكن الحشا * فالعيش لي هنا بغير وصال
فوحقكم لا زلتم من خاطري * مادامت الحركات في أوصال
وعليكمو مني سلام عاطر * ماغنت الاطيار في الآصال

وكتب يوم الثالث من جمادى الثانية عام ألف ومائة وتسعة وتسعين العربي بن عبد الله الساري لطف الله به اهـ (وللناظم أيضا) كما نقلت من خطه بواسطة

دعوا اللوم لا أصغي لقولة قائل * فلي شغل بالناعمات العقائل
بمن مهجتي غيداء قامة قدها * تريك انتقاصا في الرماح العوامل
بوجنتها ورد نظيم ولحظها * يحقق ما قد قيل في سحر بابل
ومبسمها الدري عقد لآلئ * اذا ابتسمت أزرت بزهر الخمائل
وريقتها صهباء اذا ما رشفتها * رأيت اختلالا في الملوك الاوائل
٣ ولامتها اللعساء حمرة لونها * بها اسودت الايام في عين عاذل
وجيد لها منه الظباء توحشت * فغارت وغابت في سراب الجاهل
ورمانتا النهدين عنها ٢ لا تسل * على صدرها قد قامتا باءوائل
وخصر لها يشكو لرقة حاله * بانقال الردف وافر متكامل
وذو هضب بين الشعاب مخيم * ربا نائما في سوح تلك السواحل
وساق كبلور ترى المخ جاريا * بداخله يغني حبيس الخلاخل
لقد كملت أخلاقها وتناسقت * فلا تسمعن فيها مقالة قائل

وله أيضا مذيلا لقول القائل

(ولما رأت وجدي وما بي من الاسا * وحر النوى والبين كالصب ماطره)

بقوله

رثت لي وجادت بالوصال تعطفا * وقالت لك البشرى أتيت لزائره
فعانق وقبل وافعلن ماتريده * ولست لدى شخص سواك بحاضره
ولم أستطع رد الجواب لعنتي * ورحت جريح القلب والعين ساهره

ولا يخفى ان البيت المذيل لابد له من تمام يتم به الكلام وكأن الناظم صرف جواب لما لما اقتضاه منه

بوصل همزة ارض للوزن اهـ مؤلفه

٣ مراده اللمى الذي يطلق على الشفة مجازا والا فحقيقة اللمى هي حمرة الشفة فسبق وهم الناظم رحمه الله لامة وليست اللامة لغة في اللمى فلو قال لما هاغدت لعساء الخ لسلم من هذا الغلط اهـ مؤلفه

٢ (قوله عنها) يقرأ باسقاط الحرف الدال على التثنية واختلاس حركة الميم لاستقامة الوزن اهـ مصححه

المال وله أيضا مولاى يا مولاى هذا العيد جا * والقلب منه حلف حزن وشجا
لادرهم لا نصفه فى الكيس * قدعمنى الفقر بلا تلبيس
وما به الفؤاد ذاب غما * وشمل الحزن به وعما
ان العباد كلهم قد اشتروا * اكباشهم لعيدهم كما اشتهوا
وكل دار كبشها قد بعبعا * وجدرانها بذاك زعزعا
ومنزلى بينهم أخو بكم * بذا عليه عدم المال حكم
نجد على محبك المسارى * من ذكره قد شاع فى الاقطار

تكميله

بما ليتنى من كبش سمين * للعم لون كشل الياسمين
وان تردزوال حزنى أجمعه * فزد لنا قيمة الابزار معه
والله يبقيك على طول الدوام * تعطى لنا كبشا سمينا كل عام

﴿ووجدت﴾ فى بعض المجاميع بخط بعض الافاضل المعروفين بالاعتناء بالتقييد والتحصيل رحمه الله تعالى ما نصه ومن رسالة بعث بها الفقيه الاديب البارع الاريب سيدى العربى بن عبد الله المسارى صداعا لبعض اخوانه اعلم أنه بدا لى فى رأيك وهن وتقصير حيث قدمت الصغير على الكبير أوما علمت ان الكبير أوفر متاعا وأمكن انتفاعا وأكبر وقرا وأجمل صبرا وأوفى عهدا وأصدق وعدا وأضعف تهمة وأقوى رأفة ورحمة التذ بالهوى وطرب وبالكأس الذى قد شربت بها قد شرب عبر ذلك النهر وعرف كيف تقلبات الدهر يستحيى من المعرة وكان قد جبل على المبرة لا يخاف ولا يسترب من عاذل ولا رقيب حرف الوشاة عنده تهدم وانهار واستوى عنده الليل والنهار حسن الطلعة متقن لطرائف الصنعة ليس فى رياضته تعب ولا يلحقك من أجله شغب واسم الشارة يفهم المراد بأدنى اشارة يشهد معك فى الزعازع ويدفع عنك كل منازع ومن أين للصغير أن يقوى قوته أو يضاهى سطوته ولله در القائل

وابن اللبون اذا مالز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

والصغير صعب فى اقتناصه مشوه الخلطة لانتقاصه مقوت المتبوع والتابع مشار اليه بالاصابع وهو مع ذلك أنقض عهدا وأكذب وعدا وأقل حياء وأكثر التواء والتهمة معه قوية جدا كادت أن توجب حدا وكثيرا ما يرى لنعمك كالجاحد ولا يصبر على طعام واحد يميل مع كل ريح ولا يترك صاحبه يستريح كثير اللهج بالمن الذى يفسد السلوى والمن يذهب كل مذهب ولا يحاشى ويده مع كل رقيب وواشى نفور شرود كثير الهجر والصدود لا يلحق له غرض كمن به مرض على انه أقرب للانخداع وأحسن للاستمتاع وأشد ملاءمة للطباع وأقرب معالجة للانطباع وأطيب زرعا وأخصب مرعى وأنور خدا وأملس قدا وأرفع قدرا وأعذب نغرا وأقوم ساقا وأنعم اعتناقا وأشهى رضابا وأحلى عتابا وأقل أذى وأضيق منفذا يتربى على يديك ويقنع عما لديك اذا أمرته ائتمر واذا نهرته انتهر أخف حركة وأعين بركة وأسرع مؤالفة وأتم ملاطفة وأهون عشرة وأليق بشرة * وأما الكبير فقد خلقت رقعته وابتلت بقعته وانقرضت دولته وذهبت صولته ونسخ الظلام ضياءه وسلب حسنه وبهاءه وهدم قصوره العالية وتركها أطلالا بالية وهو مع ذلك أقسى قلبا وأعصى صلبا وأحد غضبا وأسرع عتبا وأوسع ثقبا الى ما فيه من التملق والتبرج والتزين لكل خاطر والتدحرج مع انه لا تؤمن بوائق سطوته ولا ينجى من مصادمة قلوته فدعه ولا تبالى فليس الروض الانف (٣) مثل الطلل البالى وربما

الطباع مفرد كالطبع وجمعه طبع ككتاب وكتب خلاف ما يتوهمه الكثير من أنه جمع طبع اه مؤلفه

(٣) الروض الانف بضمتين هو الذى لم يرعه أحد اه

انعكس الامر وذهبت المفاضلة وظن انه فاعل أو تم مفاعلة فحقق الامر وافهم والمؤمن لا يقع مواقع التهم على ان كلا منهما خاسر الصفقة مذموم الرفقة ساقط الحجة مطموس المحجة ومن تبعهما على الآخرة لا خلاق له في الآخرة ﴿فان قلت﴾ لم يزل الهوى وحب الملاح عجيبة في أهل النفوس المعتدلة المزاج التي صفت وامتزج الهوى بلحمها ودمها أتم امتزاج وقد تطابقت موافق ذلك رائق الاشعار ولم يكن في ذلك بينهم بأس ولا عار وأنت أراك قد هدمت ما شيدوه وأطلقت ما قيدوه ﴿قلت﴾ نعم كان ذلك كذلك لما كان ذلك الفعل الخبيث غير مقصود بالذات ولا معدودا من أهم اللذات وأما الآن فصار عتبة الوصيد وبيت القصيد واتخذها اصحابها تجارة لا يرد تجارة عنه مع المال أين ما رآه حل السراويل ومال فالصواب ترك التعريج عليهم وعدم الميل بالكلية اليهم ومن غلبه الهوى وفي قعر بحاره هوى فليحترمنها الاهم والمؤمن لا يقصد مواقع التهم • وبالجملة فليس الطنين كدوي الرعد ولا المطول كالمختصر لو كان لي مهلك سعد فاسمع يا أخي وحقق نظر العين في ذم ومدح النوعين لتعلم أن الحريري له خلف وأن ليس البلغاء الا من قد سلف

مدح وذم وذات الشيء واحدة • ان البيان يرى الظلماء كالنور

ومن املائه كتبت أواسط ربيع الثاني عام ألف ومائة وسبعة وتسعين اه والمراد ببعض اخوانه الذي خاطبه بهذه المقامة هو العلامة الاديب أبو محمد سيدي عبد القادر بن شقرون الفاسي • وسبب ذلك كما وجدته في تقييد آخر أن الناظم رحمه الله استعار منه شرح المقنع فأرسل اليه الشرح الصغير وكتب معه وانما بعثت اليك الصغير لما اعلم من ميلك اليه وانحياشك بشراشرك وقلبك عليه فأجابه الناظم بهذه المقامة • ووجدت بالخط المذكور أيضا ما نصه وللفقيه الاديب البارع الاريب سيدي العربي ابن عبد الله المساري لبعض الاخوان

أيا صاحبي قد مسني بعدكم وحش • وفارقني نومي وما لذ لي عيش
ولكنني قد ردني عنكم فتى • تحبونه طبعا تسمونه ديش
له منزل بين الشعاب ممنع • ولوعته في كل قلب لها نقش
اذا ما رآه الصالحون تجردوا • وقاموا احفاة تراعى عقلهم طيش
يلاقي رماح الطعن لم يخش طعنها • ويرجع عنها ليس في جسمه خدش
يمكن للطلاب ما يشتهونه • وبالضرب في الاركان غيظه ينفش
له تخضع الاشراف والناس جملة • فان ذكروا الا الى صوبه يعشوا
ومن أعجب الاشياء جرحه سالم • وليس به جرح وليس به نبش
ويحكم في الحكام لا يتقيهم • وان ملكوا قهرا وكان لهم بطش
وكم بركة لاقي وحذاقامة • وكم نزهة أسدى يهز لها العرش
وان نثرت أشعاره زاد غبطة • وفي وصله تعطى الحمولة والفرش
وكل ابن أنثى ماله عنه من غنى • مدى العمر حتى يستقل به النعش
فخدمته عنكم تعوق كاتبي • فخذ عذر صب ليس يهزمه جيش

فأجابه الفقيه سيدي عبد القادر بن شقرون

أيا سائلا عن وصل محبوب نائش • وكيف يلاقيه امرؤ ومعه وحش
تذلل وقبل والمس النهد قابضا • على السطح حتى يستطير لها الدهش
فعانق ودغدغ خصرها واطرحن لها • على الصدر منك الخد يهنالك العيش

ما أحسن هذا الجواب لقد أصاب به صوب الصواب ومن معناه انه قيل لاعرابي ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم قال نعم كان الحب في القلب فانتقل الى المعدة ان أطعمته شيأ أحبها والا فلا كان الرجل يحب المرأة فيطيف بدارها حولا ويفرح ان رأى من رآها وان ظفر بها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار وانه اليوم يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فاذا اجتمعا لم يشكوا حبا ولم ينشد شعرا ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد اه مؤلفه

(قوله غيظه) يقرأ باختلاس حركة الضمير لاستقامة الوزن ومثله قوله جرحه سالم في تاليه اه مصححه

الحمولة من الابل ما يطيق الحمل والفرش صغارها ومنه قوله تعالى حمولة وفرشا اه مؤلفه

فحين شذ طرفو فيها بالطائفة * ولا تنظيم امثل ماينطح الكبش له

﴿قلت﴾ ولا يخفى ما فى هذا الجواب من عدم المطابقة للمجاب عنه اذ الناظم لم يسأل عن كيفية العمل والناظم أيضا نظم بديع فى آداب القضاة وجدته بخط بعض المعاصرين له ممن شاركه فى الاخذ عن العلامة الشيخ التاودى بن سودة رحم الله الجميع سماه حديقة القضاة قال فى آخره

وحين تمت جملة الابيات * سميتها حديقة القضاة
حوت من الاتقان غاية الامل * مما عليه مجلس الحكم اشتمل
غالب ما بين الخصوم يحصل * يبينه فيها بلفظ يسهل

وأولها

الحمد لله الذى قضاؤه * عم بنا بفضل ما يشاؤه

الى أن قال

بعد فالقصد بذى الابيات * ذكر بيان أدب القضاة
وشرح صنعة القضا على التمام * كما حوت ذاك الدفاتر الضخام
وذاك لما أن فشا فى الناس * جهل القضاة دونما التباس
حتى لقد ولى ذاك الغمر * من لا له مع الدهاة ذكر
وليس يعرف سقيما من صحيح * ولا يميز جميلا من قبيح
وربما وهى هذا التكثير * قضى بلا علم وغير تحرير
مالت به الاطماع عن أهدى سنن * وباع أخراه بدون ما ثمن
يخاف ان عدل هم العزل * فيركب الربا بدون هزل
ان جاءه كبير قوم غلبه * على الصغير دونه فى المرتبه
يا ويله قدم خوف المربوب * على الذى رباه عكس المطلوب
أليس ان العبد ليس يقدر * الا على ما قدر المقتدر
بيده التقديم والتأخير * ما للعبيد معه تدبير
فانصره ينصرك كما فى الآيه * ولا تخف من غيره اذايه الخ

وهى قصيدة بديعة أتى فيها على جل آداب القاضى وبيان الحكم فى جملة من المسائل وقال فى آخرها

ومن أبى استحسان ذى الابيات * فذا عليه بالمطولات
واعط منها المثل من * هولنا كنت من ابناء الزمن
مع اعترافى أننى أخو قصور * اذ لست من أهل القرى ولا القصور
مع ابتلائى وامتحانى بالقضا * فى زمن خيره تم وانقضى ٣

﴿ووجدت﴾ فى بعض المجاميع بخط بعض الاعيان من بنى سودة مرثية للناظم رثى بها شيخه العلامة الشيخ التاودى بن سودة رحمه الله تعالى وهى

دهينا برزء لا يقاومه صبر * وعم البرايا كل قلب به جمر
وأظلمت الدنيا وزال بهاؤها * وزلزلت الاجبال واستعظم الامر
ومزقت الاكباد حزنا ووحشة * وعطلت الاسواق واستحكم الذعر
وأصبح وجه الارض أغبر كاسفا * فليس لعين لم ترق دمعها عذر ٤
بكته العذارى فى الخدور وأعولت * جهارا وكانت من شمائلها الستر
وكيف وقد مات ابن سودة بعدما * أمنا به من كل ما يحدث الدهر
فقد كان حصنا للضعيف ومأمنا * وغيثا وغوثا للذى مسه ضر

٣ يقرأ باختلاس الحركة لضرورة الوزن اه مصححه

٤ هذا الشطر مضمن من بيت ظنه للمعرى من قصيدة وهو كذا فليجل الخطب وليجهد الدهر فليس لعين الخ اه مؤلفه

وكان

وكان عليماً عاملاً متصدراً * به حصل الفخر الذي عنده فخر
فلا علم الا من لديه اقتباسه * لذلك في كل البلاد له ذكر
فمن لاصول الشرع يحيي رسومها * لقد طويت من بعد ما انها انشر
ومن لحديث المصطفى يعتني به * ويبقيه بين الناس ثغره يفتر ٣
ومن للمعاني الرائقات يسوسها * ويبرزها حتى يحيط بها الفكر
ومن يقصد الاطفال في اليتم ان بدت * لهم شدة من بعضها يقصم الظهر
ومن للغريم والارامل بعده * اذا أزمة حلت وضاق بها صدر
ومن لطويل الليل يحييه قانتا * ومستغفرا حتى يلوح له الفجر
ومن للصيام والهواجر وقدها * تذوب به الحصبا وينفلق الصخر
ومن يعتق انثى الرقيق زهادة * ويغنيه حتى ما يطوف به فقر
ومن ذا يجير المال الى طرقاتنا * ويرشدنا للايمان عمنا عمر
ومن ذا له يشكو المصاب بنكبة * ويرجع منها سالما ما به كسر
ومن ذا يشاوره الذي حار لبه * ولم يدر ما قد حل هل خير ام شر
ومن يلتقي الاخوان والثغر باسم * وينسيهمو في الاهل والبؤس معتر
ومن ذا يداوي النفس من علل الهوى * وينقذها من موبقات لها مكر
ومن لذوي الحاجات يجبر كسرهم * ويوليهمو مالا يحيط به حصر
فما كان الا طود جود ونجدة * عزائمه في الجود ما منها اقطار
ومن من ومن من يحصي فضائله التي * اذا كتبت يفني باحصائها البحر
أيا نخبة الاخوان صرت لجنة * ونحن بنار الحزن ليس لها قعر
ذهبت الى دار السلامة والهنا * وحورها أنوار طاعتكم مهر
تطير على أنوارها تجتني المنا * وفوقك من أثوابها حلل خضر
أمولاي من أوصيت يصلح حالنا * ويوقفنا في العدل ان راعنا جور
فما ظننا تنسى وتتركنا سدى * فما كان من أوصافك شيمتك الغدر
حييت حميدا ثم مت معظما * على كل حال لا يفارقك الشكر
٣ فما بقعة الا غدت فرحابه * تود لو انها لجثته قبر
فلو كان كل الموت مثل مماته * لكان نرى أن لا يطول بنا العمر
بني سودة صبرا على ما أصابكم * فان الرزايا السود يزكو بها الاجر
ولو كان يفدى بالنفوس لما ثوى * ولكن ما لا يفتدى أمره إمر
على انه والحمد لله فيكم * سراة يطيب النظام فيهم والنثر
لهم همة قعساء والشرف الذي * سما في السموات العلا دونه النسر
فقيلك أبا العباس للناس غنية * تصول بك الامصار والنجد والغور
وفضل أبي بكر شهير وذائع * فلم يخل منهم صاح بحر ولا بر
فلا زلتمو في ظل عز مخلد * وأمداحكم في الدوح يشدو بها الطير اه

ومراده بأبي العباس وأبي بكر ولدا المرثي رحم الله جميعهم ورحمنا معهم آمين وغير خفي على من مارس علم القريض ان الناظم رحمه الله فيه بحر عروض فلله دره من أديب عبر بأبدع العبارات عما شا

٣ يقرأ أيضا بالاختلاس كما من نظائره اه مصححه

(قوله فما بقعة الخ) لا يخفى ما فيه فلو قيل بدله فما موضع الا غدا فرحابه يود اشتياقا لو انه القبر لكان أنسب وأقوم اه

وضرب له بأوفى سهم فى غنيمة القريض والانشا وقد كان يلقب بالاديب لما حازمن هذه الصناعة أوفر نصيب ولعمرى ان وجود مثله فى أبناء الجبال لمستغرب عادة وحق أن يقال فيه انه فخر البدو على الحضر فى هذه المادة

(شعر)

تلك آثارنا تدل علينا • فانظروا بعدنا الى الآثار

(غيره)

معارف دلتنا عليها المآثر • ولا عدل أزكى من شهود الدفاتر

فعنوانه فى الفضل باد بها لمن • رآها بشكر فائق غير فاتر

والظن به رحمه الله ان له من الاشعار ما يستحق أن يجمع فى ديوان لان شعره سهل المأخذ عذب المورد حليف البيان وذلك دليل الكثرة وعنوان الشهرة غير أن سكنى البادية من أسباب ضياع العلم وخمود الفهم كما قال الامام مالك للامام الشافعى رضى الله عنهما من وصيته له لما أراد أن يرحل بعد الاخذ عنه لاتسكن البادية فيضيع علمك ولو كان الناظم رحمه الله من ساكنى الحواضر لجليت عرائس فكره فى غرف الخواطر واطرزت صحف التواريخ بديباج ذكره وقرطت الآذان بلؤلؤ شعره ولم أقف له على تاريخ ميلاد ولا ارتحال لدار المعاد بيد أن التواريخ الموقعة عقب ما وقفت عليه عام من مراسلاته تدل على انه كان فى أيام السلطان أبى الربيع مولانا سليمان قدس الله روحه فى أعلا جنانه وقد وجدت عقب نسخة من نسخ هذه المنظومة ما نصه قال مؤلفه وكان الفراغ منه ضحوة يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الثانية عام خمسة وثمانين ومائة وألف اه وأخبرنى بعض الاشياخ الطاعنين فى السن انه سمع ممن أدرك زمانه انه مدح السلطان المذكور بقصائد طنانه وكان يصله عليها بالصلات العديدة والعوائد السديدة رحم الله الجميع بجاه النبى الشفيع • وقول الناظم (لطف الله) فعل وفاعل و (به) متعلق به والضمير المجرور يعود على العبد أو على البدل ومعنى لطف رفق والله علم على ذات مولانا الواجب الوجود الموصوف بالصفات المنزه عن الآفات الذى لاشريك له فى المخلوقات واتفقوا على انه أعرف المعارف وان كان علما انفرد به سبحانه وقال هل تعلم له سميا وهو عربى ونطق غير العرب به من توافق اللغات مرتجل جامد عند المحققين وقيل مشتق وعليه جمهور النحاة ﴿واعترض﴾ الاشتقاق على من قال به بأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له ﴿وأجيب﴾ بأنا لانعنى بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه ان أحدهما تولد من الآخر وانما معناه ان أحدهما متضمن للآخر وزاد عليه بأمر فافهمه واسم الجلالة هو اسم الله الاعظم كما قال جماعة لانه الاصل فى الاسماء الحسنى لان سائر الاسماء تضاف اليه وعدم اجابة الدعاء به لكثير لفقد شروط الدعاء التى منها أكل الحلال الصرف وحفظ اللسان والفرج وقوله (فى الدارين) متعلق بالفعل والمراد بالدارين دار الدنيا ودار الآخرة (وأزال) معطوف على لطف و (عن قلبه) متعلق بأزال والضمير المضاف اليه قلب عائد على ما عاد عليه الاول والقلب الفؤاد وقيل الفؤاد أخص وسيأتى الكلام عليه عند قول الناظم فى آداب الاقراء • وان ترى القلوب حينا فاترة • الخ و (كل) مفعول بأزال و (دنس) أى وسخ مضاف اليه كل والمراد بالدنس الدنس المعنوى وهو ما يستولى على القلب من الغفلة والقساوة بسبب الاستغراق فى أعراض الدنيا والاشتغال بما سوى الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان للقلوب صدأ كصدإ الحديد وجلاؤها الاستغفار قال العلقمى فى تفسير الصدإ هو أن يركبها الرين بمباشرة المعاصى والآثام فيذهب بجلائها كما يعلو الصدأ وجه المرآة والسيف وغيرهما اه (ورين) معطوف

على دنس عطف مرادف ففى القاموس الرين الدنس وران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب اه أو المراد بالرين الغلبة أى أزال عن قلبه كل دنس وغلبة للذنوب والله أعلم والمحكى بيقول هو قول الناظم

* حمدا لمن يسر أنواع العلوم * الى آخر الرجز فمجموع تلك الجمل فى محل نصب على المفعولية بيقول فيكون النظم كله جملة واحدة لان المحكى فى قوة المفرد وهكذا حكم كل جملة وقعت بعد القول المجرد من معنى الظن فان كان بمعنى الظن عمل فى مفرداتها نحو تقول زيدا قائما ومنه قوله

علام تقول الرمح يثقل عاتقى * اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

وقوله متى تقول القلص الرواسما * يدنين أم قاسم وقاسما

وقوله أجهالا تقول بنى لؤى * لعمر أبيك أم متجاهلينا

ومثل القول فى نصبه للمفرد الحقيقى اذا كان بمعنى الظن ما يجرى مجراه كقوله تعالى ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا لان النداء شبيه بالقول ومذهب البصريين أن العامل فيه قول مقدر واستدل ابن مالك لصحة مذهبهم بأنه قد جاء القول مصرحا به فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وقوله جل وعلا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب فدل على صحة التقدير عند عدم التصريح فتبين مما مر أن القول وما تصرف منه اذا لم يكن بمعنى الظن أو ما يجرى مجراه ينصب الجمل الصريحة وقد نصوا على انه ينصب المفرد فى مواضع خمسة * الاول أن يؤدى معنى الجملة كقلت كلاما أو شعرا أو قصيدة * الثانى أن يؤدى معنى المفرد كقلت كلمة أو لفظة * الثالث أن يؤدى معناهما معا كقلت لفظا فانه يعبر به عن زيد قائم وعن زيد فقط * الرابع أن يراد به لفظه كقال فلان زيدا اذا تكلم به مرفوعا * الخامس أن لا يكون واحدا مما ذكر فيجب أن يقدر معه ما يكون به جملة كقوله تعالى قال سلام أى عليكم وتأمل والله أعلم * قال الناظم رحمه الله تعالى

(١) ﴿حمدا لمن يسر أنواع العلوم * تفضلا منه لأرباب الفهوم﴾

افتتح رحمه الله نظمه بحمد الله تعالى اقتداء بالقرآن المبين وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم رواه أبو داود وغيره وحسنه ابن الصلاح وأورده السيوطى فى الجامع الصغير عن أبى هريرة بلفظ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع قال المناوى والعزيزى وسنده حسن ونص على حسنه أيضا السبكى فى الطبقات الكبرى وورد مثله فى البسملة أورده السيوطى فى الجامع عن أبى هريرة بلفظ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع قال العزيزى وسنده حسن اه وفيه روايات غير هذه * وما ورد من التعارض بين الحديثين أجيب عنه بأجوبة * منها ان حديث البسملة محمول على الابتداء الحقيقى وحديث الحمدلة على الابتداء الاضافى ولم يعكس لان القرآن مبين لكيفية العمل ولان البسملة تتضمن الحمد فهى كالاعم والحمد كالاخص والاخص يؤخر فى الذكر عن الاعم ولان حديث البسملة أقوى لانه اختلف فيه هل هو صحيح أو حسن وأما حديث الحمدلة فهو حسن قولا واحدا وان عبر عنه الحاكم بالصحة لكن مراده بها الحسن اذ كثيرا ما يطلق الحسن عليه وما اختلف فيه بالحسن أو الصحة أقوى مما قيل فيه حسن فقط بل قال العلامة سيدى بدر الدين فى شرحه على المرشد ان حديث البسملة تلقته الائمة بالقبول حتى كاد لشهرته أن يبلغ حد التواتر اه * ومنها أن يحمل الابتداء فيهما على الاعم من الحقيقى والاضافى * ومنها أن يحمل الابتداء فيهما على العرفى الذى يعتبر ممتدا من حين الشروع فى الشئ الى حين الاخذ فى المقصود منه وغير خفى مغايرة هذا الجواب للذى قبله * ومنها أن يؤخذ الحديثين من حيث عمومهما أى كونهما ذكرا بدليل حديث كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكر الله الخ قال المناوى فى شرح الجامع والمراد بالحمد

ماهو أعم من لفظه فلا تعارض بين رواية الحمد والبسملة اهـ فيحمل المقيدان على المطلق ﴿فان قلت﴾ المعهود المكس كما تقرر في علم الاصول ﴿فالجواب﴾ ان محل ذلك المعهود اذا تعارض مقيد واحد مع مطلق كما في آيتي الظهار والقتل فان آية الظهار فيها الرقبة مطلقة عن التقييد بالايمان وآية القتل فيها التقييد به فحملت المطلقة على المقيدة وأما حيث كان مقيدان ومطلق واتحد المحل المقيد فيه كما هنا فيحمل المقيدان على المطلق ولهذا اكتفى الناظم عن البسملة بالحمدلة ويحتمل أنه بدأ بالبسملة أيضا وهو الظن به والله أعلم ✽ ثم ان الناس أطالوا في تعريف الحمد لغة وعرفا واستطردوا الشكر فعرفوه كذلك ولا بد من الاشارة باختصار لما وقع عليه انفصال المحققين في ذلك أما الحمد لغة فهو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري حقيقة أو حكما فضيلة أو فاضلة على جهة التعظيم والتبجيل ولا بد من قيد الاختياري في المحمود عليه خلافا لمن استصوب حذفه وعلل بما يرد عليه فقولنا الوصف أي الكلام جنس في الحد يشمل كل وصف قبيحا كان أو مليحا ﴿وقلت﴾ وانما فسرت الوصف بالكلام ليشمل التعريف حمد الله القديم فلا حاجة للتكلف الذي ادعاه بعضهم من ان التعريف خاص بالحمد الذي وقع في أول التأليف وهو حادث ولا للعدول عن هذا التعريف الى غيره مما يشمل الحمد القديم غاية الامر أن كلامنا لا يصدر الا من اللسان وكلامه تعالى منزه عن ذلك فاعرفه ثم وجدت العلامة الدسوقي في حواشي مختصر السعد أفاد ما قلناه وأجاب عن ايرادات وردت عليه بما هو ظاهر فالحمد لله على الوفاق وقولنا بالجميل مخرج للوصف بالقبيح كزيد بخيل فليس حمدا ويخرج أيضا ما ليس جميلا ولا قبيحا كمجرد الاخبار اذا كان اللفظ لا يقتضي في نفسه جميلا نحو زيد تميمي أو حجازي أو نابي أو مصري مثلا ويخرج أيضا للتهكم نحو ذق انك أنت العزيز الكريم لان هذا اللفظ لم يقصد المتكلم به المدح والمراد من الالفاظ ما قصده المتكلم بها هذا الذي حققه العلامة الهلالي رحمه الله تعالى خلافا لمن أخرج التهكم بقولهم على جهة التعظيم وقولنا على الجميل مخرج لمن مدح شخصا لحوف منه لا لجميل فيه وقولنا الاختياري مخرج للمدح فان الجميل الباعث فيه على المدح لا يتقيد بكونه اختياريا بل يكون تارة اختياريا وتارة جبليا خلقيا فالحمد أخص من المدح والمدح أعم منه باطلاق على التحقيق كما هو صريح كلام المصباح في مادة المدح ونقله الشيخ مرتضى في شرح القاموس ومال اليه خلافا لما عليه الزمخشري في الفائق ومن تبعه من ترادف الحمد والمدح وكلامه في الكشاف يحتمل الترادف لا صريح اذ قال الحمد والمدح أخوان فقوله اخوان يحتمل ان المعنى مترادفان كما يدل عليه كلامه في الفائق ويحتمل ان المعنى انهما اخوان في الاشتقاق الكبير أو الاكبر ويرجح هذا الحمل كما قال السيد في حواشي الكشاف أمران أحدهما أن الزمخشري كثيرا ما يطلق الاخوة على ذلك ثانيهما ان الحمد مخصوص بالاختياري والمدح يعمه وغيره قال السيد رحمه الله المذهب الجمهور من ان المدح أعم من الحمد لا مغاير له وعليه فتنبه لذلك والله أعلم وقولنا حقيقة أو حكما اطلاق في المحمود عليه لادخال الثناء على الصفة القديمة لانها وان لم تكن اختيارية حقيقة لما يلزم من حدوثها لكنها منشأ لأفعال اختيارية وقولنا فضيلة أو فاضلة اطلاق في المحمود عليه أيضا أي سواء كانت الصفة المحمود عليها غير متعدية وهي الفضيلة أو متعدية وهي الفاضلة لكن الحمد على الفضيلة كالشجاعة مثلا هو باعتبار ما ينشأ عنها من اقدام اختياري كالاقدام على المهالك نظير ما مر في صفات الله وقولنا على جهة التعظيم والتبجيل قيد لا بد منه خلافا لبعضهم خرج به ما اذا وصفت شخصا بالجميل على الجميل لكن لم يخطر ببالك تعظيمه بل قصدت مجرد الاخبار لكن اللفظ مقتض في نفسه للتجميل كقولك زيد حسن أو عالم مثلا هذا الذي ظهر لنا في الاخراج بهذه القيود وبعضهم تعسف بعضها وزعم الاستغناء عنه بما قبله ولكن التحقيق ما ذكرنا

مبحث الحمد لغة وعرفا

وهو

وهو الذى تلخص لنا بعد التأمل والتروى أياما بل أزمنة وأعواما مع تكرار المذاكرة مع أهل العلم في ذلك والله الموفق على ان السيد رحمه الله ذكر فى حواشيه على المطول عند الكلام على تعريف العلم أن المقصود من قيود التعريفات شرح الماهيات والاحترازات تابعة له فلا بأس أن يقع فى قيود التعريفات ما يصح به الاحتراز عن جميع المحترزات قال لكن المناسب حينئذ أن يتأخر هذا القيد عما عداه اه ولما ذكر البرزلى حد ابن عرفة للبيع واعتراضه على ابن عبد السلام وعلى غيره قال مانصه ظاهر هذه الاعتراضات تدل على طلب علم حقيقة الشئ وماهيته فى هذا الباب وغيره مع أن حقائق الاشياء لا يعلمها الا الله فهو المحيط بها من جميع الجهات فهو العالم بما يخصها والمطلوب فى معرفة الحقائق الشرعية وغيرها انما هو تمييزها من حيث الجملة عما يشاركها فى بعض حقائقها حتى يخرج منها ما يسرى الى النفس دخوله مثل أن يقال ما الانسان فيقال منتصب القامة فيحصل له تمييزه عن بقية الحيوانات التى يسرع الى النفس دخولها فى الانسان لا عن كل حقيقة لانه يدخل فيه الحائط والعمود وكل منتصب القامة لكن لما كان غير مقصود بهذا الكلام لم يقع الاحتراز منه قال بعض حذاق المنطقيين وهذا المعنى كثيرا ما يقع من حكماء المتقدمين لان قصدهم التنبيه على ما يحسن به التمييز فى النفس ولو بأدنى خاصية فيعترض عليهم المتأخرون لاعتقادهم أنهم يأتون بالحقائق التى تشتمل على جميع الذاتيات وهم لا يقصدون ذلك لانه لا يعلم حقائق الاشياء الا الله سبحانه فكل من عرف البيع ونحوه بما عرفه به انما هو تصور معرفة الماهية من حيث الجملة لا من جميع جهاتها والله أعلم اه كلام البرزلى بنقل العلامة التسولى صدر باب البيوع من شرح التحفة وقد وقفت على كلام البرزلى نفسه فاعقل هذه القاعدة لعلك تستريح بها وتريح ولا تعجم بعد على اعتراض قول صحيح بفهم قبيح وذهن شحيح ❊ والحمد عرفا أى فى عرف الصوفية فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره سواء كان الفعل قولا باللسان أو اعتقادا بالجنان أو خدمة بالاركان فبان بهذا مغايرة الحمد لغة له عرفا خلافا لمن وهم فقال انهما مترادفان وعلل بما رده عليه والتحقيق أن الحمد المأمور به فى الحديث هو اللغوى لا العرفى لانه طارئ بعد ١ كما قال العلقمى وبين الحمدين عموم وخصوص من وجه لان الاول خاص المورد عام المتعلق بفتح اللام أى المحمود عليه الذى هو الباعث على الحمد ووجه عمومه أنا قلنا فيه سواء كان فضيلة أو فاضلة والثانى بالعكس لا ناقلنا فيه منعما على الحامد والانعام متعلقه والشكر لغة هو الحمد عرفا وعرفا أى فى عرف الصوفية وعرف الشرع ٢ صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله وعن ذلك أفصح الجنيد لما سأله السرى السقطى عن حقيقة الشكر فقال أن لا يعصى الله بنعمه فقال له شيخه أخاف أن يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد فما زالت متخوفا من تلك الكلمة من ذلك اليوم وهذا هو الشكر المأمور به فى الكتاب والسنة لا قول الشخص بلسانه الشكر لله نعم هو بعض المأمور به فهذا أخص من الثلاثة قبله فالنسب المعتبرة ثلاث فقط وهى نسبة الحمد لغة له عرفا وتقدم انها العموم الوجهى ونسبة الشكر عرفا للحمد لغة وهى العموم بالاطلاق ونسبة الشكر عرفا للحمد عرفا وهى العموم بالاطلاق أيضا وان كانت عند البسط ستا باعتبار نسبة الشكر لغة الى كل واحد من الثلاثة لكن النسبة التى بين الحمد عرفا والشكر لغة هى الترادف وهو من النسب اللفظية والنسبة اللفظية غير معتبرة عندهم ونسبة الحمد لغة الى الشكر لغة هى نسبة الحمد لغة اليه عرفا فلا تعد لتكررها ونسبة الشكر عرفا الى الحمد عرفا هى عين نسبة الشكر عرفا الى الحمد لغة فهى مكررة أيضا كذا قال جمع من المحققين رادين على من جعلها ستا ﴿قلت﴾ وتأمل قولهم ان الترادف غير معتبر عندهم أى عند المناطقة مع أنهم عدوه من جملة النسب كما فى كتب

١ وقد يقال فى هذا التوجيه انه لا يصح الا لو كان المراد اصطلاح طائفة مخصوصة مع ان المراد العرف العام فهو أمر قديم قاله الدسوقى فى حواشى مختصر السعد قلت وفيه نظر لا يخفى لما علمت ان المراد بالعرف عرف الصوفية والله أعلم اه مؤلفه

٢ لانه مأمور به فى القرآن الذى جاء الشرع به اه مؤلفه

القوم سلمنا انه من النسب اللفظية لكن مراد ناهنا مطلق النسب لفظية كانت أو معنوية وهذا مراد من اعتبر هذه النسبة وأما النسبتان المكررتان فلا يضر تكرارهما اذ المقصود نسبة الامور الاربعة بعضها الى بعض على ان نسبة الشكر عرفا والحمد عرفا مكررة أيضا مع نسبة الشكر عرفا والحمد لغة فكان من حق من حذف المكرر والترادف أن يعدها اثنتين لا غير وذلك غير صحيح كما علمت ولو صح الاكتفاء بالنسب بعضها عن بعض لاكتفوا بتعريف بعض الحقائق عما يساويه و يرادفه فتأمل والله أعلم (قول الناظم حمدا) هو مصدر مبين للنوع أى حمدا عظيما فالتنوين فيه للتعظيم وليس مؤكدا فلذا ساغ حذف عامله ويحتمل أن يكون مؤكدا وحذف عامله بناء على مذهب سيبويه والخليل من اجتماع الحذف والتأكيد خلافا لابن مالك ، وقوله يسر أى هيأ وسهل والعلوم جمع علم وهو يطلق بازاء معان ثلاثة القواعد والادراك والملكة ويصح ارادة كل من الثلاثة هنا والمعنى الاول أظهر وأنسب بقوله أنواع والتفضل الاعطاء من غير توقع ثواب لا دنيوى ولا أخروى وبهذا المعنى خاص بالله تعالى وهو مصدر منصوب على أنه مفعول له أو على الحال أى ذا تفضل على حد ما قالوا فى قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه من ان ايمانا واحتسابا اما مفعول لاجله واما حال وان كان مجىء الحال مصدرا مع كثرته موقوفا على السماع على مذهب الجمهور لكن يؤول على حذف مضاف أو غير ذلك انظر تقييدنا على هذا الحديث ومنه متعلق بالمصدر وضميره عائد على ماوقعت عليه من وقوله لارباب متعلق بالفعل وهو جمع رب بمعنى صاحب قيل انه صفة مشبهة وزنه فعل ثم أدغم وقيل وزنه فاعل ثم حذفت الالف لكثرة الاستعمال ورد بانه خلاف الاصل وقيل انه مصدر بمعنى فاعل كعدل وصوم وحيث يحلى لفظ رب بالالف واللام يختص بالله تعالى وأما المضاف فيطلق عليه تعالى وعلى غيره قال الله تعالى ارجع الى ربك فيسقى ربه خمرا ومنه كلام الناظم ولا يرد على الاول قول الجاهلية للملك من الناس الرب لانه من تعنتهم فى الكفر ولا يرد على الثانى قوله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين لا يقل أحدكم ربى وليقل سيدى أو مولاى لان النهى للتنزيه فقط وأما المجرد من أل والاضافة فانه خاص بالله تعالى أيضا كما هو مفاد قول البيضاوى فى تفسيره ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك ومقتضى قول القرطبى فى تفسيره متى دخلت الالف واللام على رب اختص بالله تعالى لانها للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اه أن المجرد من أل والاضافة يطلق على غير الله والذى يصار اليه كما قال بعضهم هو الاول وهو ظاهر والله أعلم وفى لفظ رب خصوصية لا توجد فى غيره من أسمائه تعالى وهى انك اذا قرأته طردا كان من أسمائه تعالى وان قلبته كان من أسمائه تعالى ثم ان صاحب هو أحد اطلاقات رب المجموعة فى قول بعضهم

قريب محيط مالك ومدبر ◦ مرب كثير الخير والمولى للنعم
وخالقنا المعبود جابر كسرنا ◦ ومصلحنا والصاحب الثابت القدم
وجامعنا والسيد احفظ فهذه ◦ معان أتت للرب فادع لمن نظم

والفهوم جمع فهم بمعنى الادراك وجمعه باعتبار أنواعه وأفراده ﴿واعلم﴾ ان فى قول الناظم العلوم والفهوم التذييل وقد وقع فى كلام الناظم مرارا وهو زيادة سبب خفيف آخر الجزء وقد استعمله المتأخرون فى الرجز التام ولم يذكره العروضيون بل ظاهر كلامهم منعه وهل هذا يسمى تذييلا نوعا أو هو خارج عن حد التذييل وعلى تسليم انه يسمى تذييلا فالتذييل لا يدخل الرجز قاله العلامة الصبان وغيره ﴿وقلت﴾ ومراده بالرجز الذى لا يدخله التذييل عند الاقدمين هو الرجز التام والا فقد دخل الرجز المقطوع فى كلام الاقدمين على سبيل الشذوذ كقول العجاج

(قوله وهو زيادة سبب خفيف الخ) هو ظاهر والصواب أن يقال وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع كما فى متن الكافى اه مصححه

والمرء

والمرء يبليه بلاء السربال ● تعاقب الاهلال بعد الاهلال

بناء على ان هذا البيت من الرجز وقال العيني انه من السريع (وقات) يعني من السريع المشطور الموقوف والبيت محتمل للبحرين معا كما يسلم ذلك من له المام بفن العروض خلافا لمن عين فيه أحد البحرين غير ان الاقرب انه رجز لان الشطر في الشعر قليل بالنسبة للتمام وأيضا الغالب على الحاجز هو الرجز وكقول رؤبة على ما عند الجوهري أو رجل من بني الحرث على ما عند العيني

يا حكم بن المنذر بن الجارود ● سرادق المجد عليك ممدود

بل رأيت التذييل في بحر الكامل التام مستعملا في كلام أبي حفص الفاسي في بيتين انظرهما عند قول الناظم فيما يأتي ● وبعد ذا النصب على متن الخليل ● الخ وكذلك في كلام غيره من المتأخرين وقد استعمل مسلم بن الوليد في الطويل التذييل في قوله

سل الناس اني سائل الله وحده ● وصائن عرضي عن فلان وعن فلان

هكذا ذكره عنه ابن عبد ربه في العقد الفريد ولما كنت نظمت قصيدتي التي أولها

جد المسير أحاديا قطر الركاب ● ولتقصد قصادا الحي نهج الصواب

ناقشني بعض الاصحاب في استعمال التذييل في بحر الكامل التام فأجبته بتسليم ان ذلك خارج عن حد التذييل المصطلح عليه عند العروضيين لكن المتأخرون تساهلوا في ذلك وأوقفته عليه في كلامهم ثم الاولى اجتنابه ثم لم أعد بعد الى استعماله الا فيما يجوز فيه (والمعنى) الحمد لله الذي هيأ أنواع العلوم لاصحاب الادراكات على حالة التفضل والاحسان أي لا على سبيل الوجوب خلافا للمعتزلة الموجبين عليه تعالى فعل الصلاح والاصلح والى الرد عليهم أشار اللقاني في الجوهرة بقوله

وقولهم ان الصلاح واجب ● عليه زور ما عليه واجب

ولا يخفى ما في البيت من براعة الاستهلال لان مضمون هذا النظم آداب تعلم أصحاب الفهوم أنواع العلم وآداب تعليمه ● ثم قال الناظم

﴿وجعل التقوى أساس الخير ● والهتك للحرم رأس الشر﴾

الواو للعطف وجعل عطف على يسر من عطف الجمل فهو محمود عليه أيضا والتقوى فعلى من الوقاية وهي الصيانة فتاؤها عن واو وواوها عن ياء والاساس الاصل وحقيقة التقوى أي في عرف الشرع التحرز بطاعة الله عن معصيته قاله القشيري في رسالته وعرفت أيضا بانها صيانة النفس ظاهرا وباطنا عن مخالفة أمر مولاها في المأمورات والمنهيات وعرفت أيضا بانها عبارة عما يقي الانسان بنفسه عما يضرها في الآخرة قال ابن جزي في تفسيره ودرجاتها خمس أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الاسلام وأن يتقي المعاصي وذلك مقام التوبة وأن يتقي الشبهات وذلك مقام الورع وأن يتقي المباح وذلك مقام الزهد وأن يتقي خطور غير الله على قلبه وذلك مقام المراقبة اه قال بعض المحققين ولعل المراد بخطور غير الله على قلبه اشتغال قلبه بغير الله لا مجرد الخطور بغير اشتغال به اه ثم قال ابن جزي وفوائدها المستنبطة من القرآن خمس عشرة الهدى لقوله تعالى هدى للمتقين والنصرة لقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والولاية لقوله والله ولي المتقين والمحبة لقوله تعالى ان الله يحب المتقين والمعرفة لقوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا والمخرج من الهم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وتيسير الامور لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا وغفران الذنوب واعظام الاجور لقوله تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا وتقبل الاعمال لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والفلاح لقوله تعالى واتقوا الله لعلكم

حقيقة التقوى ودرجاتها

فوائد التقوى

تفعلون والبشرى لقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودخول الجنة لقوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم والنجاة من النار لقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ثم قال والبواعث عليها عشرة خوف العقاب في الدارين ورجاء الثواب فيهما وخوف الحساب والحياء وهو مقام المراقبة والشكر والعلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والتعظيم وهو مقام الهيبة وصدق المحبة لقول القائل

البواعث على التقوى

تعصى الاله وأنت تظهر حبه ● هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ● ان المحب لمن يحب مطيع

وقول الناظم وجعل التقوى أساس الخير اشارة الى ان التقوى جماع الخيرات كما قال صلى الله عليه وسلم من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة أخرجه أبو الشيخ عن عائشة وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ذكر المفسرون ان هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر العدو ابنا له فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل ذلك فبينما هو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وقيل انه أصاب ابلا ومتاعا وكانت الابل خمسين وقيل مائة وكانت الغنم أربعة آلاف شاة ● وفي معنى الآية أقوال فقيل وهو لابن عباس رضي الله عنهما ومن يتق الله ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل وهو لابن مسعود ومسروق رضي الله عنهما ان المخرج علمه بأن ما أصابه من عطاء أو منع من قبل الله وان الله رازقه وهو معطيه ومانعه وقيل وهو للربيع يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل وهو للحسن مخرجا عما نهاه الله وقيل وهو للحسين بن فضل ومن يتق الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب وقيل وهو لسهل ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدعة ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل وهو لعمر بن عثمان ومن يتق الله عند حدود الله ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة وقيل وهو لابن السائب ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقيل وهو الصحيح وقول جماعة انه عام فان الله يجعل للمتقي مخرجا من كل ما يضيق على غير المتقي في كل شدة وقد جعل الله التقوى خير زاد فقال وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتيكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة ثم قرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى الله أهاب الله منه كل شئ ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شئ وفي حديث آخر من خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال صلى الله عليه وسلم من حديث أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح واتق الله حيثما كنت وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله بين الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فأنصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب ● وكتب عمر لابنه رضي الله عنهما أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه

فضل التقوى

ومن أقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينك وجلاء قلبك * ولما ولى علي رضي الله عنه بعث رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهل لك الدنيا والآخرة الا بالتقوى * وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال أوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * وقال له رجل يريد الحج أوصني فقال اتق الله ومن اتقى الله فلا وحشة عليه * وفي منهاج العارفين أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصني بوصية قال أوصيك بوصية رب العالمين للاولين والآخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله * وكان بعض السادات يدور في المجالس ويقول من سره أن تدوم له العافية فليتق الله * وقال الاعمش من كان رأس ماله التقوى كلت الالسنة عن وصف ربحه * وقال الشيخ زروق كان بعض السلف يوصيني ويقول التقوى عز والعلم كنز وترك الشر حرز * وقال سيدنا علي رضي الله عنه من قصيدة تنسب له

فعليك تقوى الله فالزمها تفز * ان التقي هو البهي الاهيب

﴿ولبعضهم﴾

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

﴿ولقد أجاد القائل﴾

ولدتك أمك باكيا مستصرخا * والناس حولك يضحكون سرورا

فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا

﴿ولبعضهم﴾

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

﴿ولابي الدرداء رضي الله تعالى عنه﴾

يود المرء لو يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

ودخل شخص غيضة كثيرة الاشجار وقال لو خلوت هنا بمعصية من كان يراني فسمع هاتفا بصوت ملأ الغيضة ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * وراود شخص اعرابية فقال لها انه لا يرانا الا الكواكب فقالت له فأين مكوكبها وقال ربيعة بن مالك السعدي

اني رأيت الامر أرشده * تقوى الاله وشره الاثم

﴿وقال الاخطل﴾

والناس همهم الحياة ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

﴿وقال الاعشى﴾

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان أرصدا

﴿وقال زيادة بن زيد العذري﴾

وان التقى خير المتاع وانما * نصيب الفتى من ماله ما تمتعا

وقد ذكر الله تعالى خصلة التقى فى كتابه مايقرب من مائتى مرة وذلك دليل تعظيمها فليشمر العاقل فيها عن ساعد جده وليعمل فى تحصيلها بغاية جهده رزقنا الله تقاه وجعلنا ممن حفظه ووقاه * وقول الناظم والهتك معطوف على أول مفعولى جعل وحرم جمع حرمة ورأس الشر أى منشأه ورأس كل شئ مابه قوامه ووجوده (والمعنى) وجعل الله التقوى رأس كل خير وهتك حرمة المنهيات والمأمورات رأس كل شر وضير وهتك حرمة المنهيات يكون بالاقدام عليها وارتكابها وهتك حرمة المأمورات يكون بتركها والتهاون بها رزقنا الله المحافظة على الحرمة بجاه نبى الرحمة صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع الامة ﴿واعلم﴾ أن فى بيت الناظم من عيب القافية سناد الردف . والردف عبارة عن واو أو ياء تكون قبل الروى فاذا أتى الشاعر بأحدهما قبل الروى يجب عليه التزامه وعدم العدول به عن محله والواو كالياء فى كون احداهما تكون معاقبة للاخرى فى القصيدة الواحدة فلو قال الناظم والهتك للحرم رأس الضير * لسلم من ذلك غير أن أنواع السناد كلها جائزة للمولدين كما فى سعود المطالع ووقع فى كلام الاقدمين أيضا ومنه قوله

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه

﴿قال الناظم﴾

---

(٤) ﴿ثم صلاتنا على خير البشر * ماشاع مدحه فى الارض وانتشر﴾

ثم للعطف الترتيبى الرتبى لان الثناء على الله تعالى سابق فى الرتبة على الثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم وجملة صلاتنا على خير البشر خبرية لفظا انشائية معنى معطوفة على جملة الحمد وخير البشر صار علما على نبينا صلى الله عليه وسلم وكونه خير البشر معلوم من الدين بالضرورة فيجب اعتقاده ولا مفهوم للبشر أى الانسان وسمى بشرا لبدو بشرته أى جلده بل هو صلى الله عليه وسلم أفضل العالمين من انس وجن وملائكة بالاجماع حتى من المعتزلة نقل الاجماع الفخر الرازى والآمدى وغيرهما وهو صلى الله عليه وسلم مستثنى من الخلاف فى تفضيل الانبياء على الملائكة أو العكس قال المقرى

وانعقد الاجماع أن المصطفى * أفضل خلق الله والخلاف انتفى
وما انتحى الكشاف فى التكوير * خلاف اجماع ذوى التنوير

والمراد بما انتحى صاحب الكشاف ماقاله فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وهذه الاوصاف لجبريل ثم وصف الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون اذ قال مانصه وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وماصاحبكم بمجنون اه وهذا الكلام لايصدر الا عن غير موفق عياذا بالله وقد انفرد بهذا القول حتى عن المعتزلة وهو باطل ولهذا قال بعض العلماء جهل الزمخشرى مذهبه فقد أجمع المعتزلة على استثناء المصطفى صلى الله عليه وسلم من الخلاف اه قال الزرقانى فى شرح المواهب نعم زعم أى الزمخشرى أن طائفة منهم أى من المعتزلة كالرمانى خرقوا الاجماع فتبعهم اه ويرد عليه بانه اذا وصف الخادم بصفات جليلة فمابالك بمخدومه وجبريل عليه السلام خادم للنبى صلى الله عليه وسلم ففى الآية من ادماج مدحه صلى الله عليه وسلم مالا يخفى أشار له الطيبى فى حواشى الكشاف وقال ابن المنير فى الانتصاف مانصه ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه أى الزمخشرى هذا التفسير المنطوى على التقصير فى حق

البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام وقد اتبع الزمخشري هواه في تمهيد أصول مذهبه الفاسد وأخذها أعلى الاصل والفرع جميعا اه ثم بين ان الجم الغفير من المفسرين على ان المراد بالرسول في الآية نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى ان المراد جبريل فلا دليل فيما استدل به الزمخشري ثم تنزل للرد عليه وناظره على ان الآية سيقت للرد على من وصفه صلى الله عليه وسلم بالجنون فاقتصر فيها على المراد من الرد على أولئك الضالين كما في البيضاوي والقرآن مشحون بعد صفاته صلى الله عليه وسلم الكريمة وأحواله الرفيعة العظيمة بما يدل قطعا على انه أفضل من الكون كله علوه وسفله وقد ورد أنه لما نزل جبريل بقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت بثناء الله علي بقوله رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وقد سئل الولي الاشهر سيدي عبد العزيز الدباغ كما في الابريز عن غط جبريل له عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات حين نزل عليه في ابتداء الوحي باقرأ باسم ربك فأجاب بقوله الضمة الاولى ليتوسل به الى الله تبارك وتعالى في حصول الرضا الابدي له الذي لا سخط بعده والضمة الثانية ليدخل أي جبريل في جاه النبي صلى الله عليه وسلم ويلوذ بحماه الشريف والضمة الثالثة ليكون من أمته الشريفة اه وسئل أيضا رضي الله عنه عن كلام صاحب الاحياء في باب التفكر حيث قال ان سيدنا جبريل أعلم من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال رضي الله عنه لو عاش سيدنا جبريل مائة ألف عام الى مائة ألف عام الى ما لا نهاية له ما أدرك ربعا من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ولا من علمه بربه تعالى وكيف يمكن أن يكون سيدنا جبريل أعلم وهو انما خلق من نور النبي صلى الله عليه وسلم فهو وجميع الملائكة بعض نوره صلى الله عليه وسلم وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه صلى الله عليه وسلم وقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم مع حبيبه عز وجل حيث لا جبريل ولا غيره فاستمد صلى الله عليه وسلم اذ ذاك ما يليق بعظمة الكريم وجلاله مع حبيبه صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك بمدة مديدة جعل الله تعالى يخلق من نوره الكريم جبريل وغيره من الملائكة عليهم السلام اه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنا سيد الناس يوم القيامة الحديث وروى الدارمي عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال حسن غريب وله أيضا من رواية أبي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال حسن صحيح غريب وروى الترمذي والدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم الى غير هذا من الاحاديث الكثيرة والآثار الغزيرة مما هو قاطع بأنه صلى الله عليه وسلم أفضل العالمين وسيد النبيين والمرسلين ورحم الله البوصيري اذ قال

لا تقس بالنبي في الفضل خلقا * فهو البحر والانام اضاء
كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء

وأما من يليه صلى الله عليه وسلم في الفضل فقال السيوطي في الكوكب الساطع

يليه ابراهيم ثم موسى * ونوح والروح الكريم عيسى
وهم أولو العزم فرسل الانام * فالانبياء فالملائك الكرام

غير أنه يقتضي بحسب ظاهره أن موسى ونوحا وعيسى في مرتبة واحدة وهم بعد مرتبة ابراهيم والصواب ان موسى فقط هو الذي بعد ابراهيم ثم يلي موسى عيسى ثم يلي عيسى نوح عليهم السلام قاله السيوطي في شرح نظمه المذكور ومثله لغيره والله أعلم ﴿تنبيه﴾ قال العارف أبو زيد الفاسي في حواشي الصغرى وهذا التفضيل من الله تعالى لا بسبب زيادة كمالاته كما أو كيفا عن كمالاتهم وان جزمنا بتلك الزيادة ومن أين لنا أسباب التفضيل حتى ندعي ذلك على ان الله تعالى هو الذي وهب لهم تلك الزيادة هذا الذي ارتضاه جماعة من العلماء النقاد وذكره ابن عباد في رسائله الكبرى والشيخ السنوسي في شرح صغرى الصغرى وقال انه كلام أهل التحقيق من أئمة الكلام فاعرفه انتهى كلام العارف ونقل العلامة سيدي الطالب بن الحاج في حواشي ميارة عن ابن عباد كلاما نحو هذا قال فيه ولا زلت أستثقل قولهم حال نبينا صلى الله عليه وسلم كذا وحال غيره من الانبياء كذا وشتان ما بين الحالتين لما يقتضيه ذلك من حط المفضل عليه ثم قال والمنعين حمل كلام الائمة على قصد مجرد التنبيه وبيان ما اقتضته حكمة الله تعالى واختياره من جمع الخصائص كلها والكرامات بأسرها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون عنصر الفضائل ومددا لكل كامل وحينئذ فلا حرج في ذلك ولا استثقال أصلا وذلك كالشرح لاسمه الجامع والتفسير لقوله تعالى ورفع بعضهم درجات وان قصد حط المفضل عليه فيخشى أن يكون كفرا لا أنه مستثقل فقط فكيف ينطق بأوائك الائمة نعم يجب أن يتحفظ هنا في العبارة وينبغي أن يتلطف فيها ما أمكن والله أعلم اهـ وهو ظاهر ﴿فائدة﴾ سئل ابن عبد السلام هل يمكن بحسب القدرة أن يخلق الله تعالى أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأجاب انه ممكن الا انه لم يقع أي ولا يقع فبلغ ذلك معاصره الشيخ الفقيه أبا الحسن بن منتصر فكتب الى ابن عبد السلام يا حمدليت أمك لم تلدك وليتها اذ ولدتك لم تتعلم وليتك اذ تعلمت لم تتكلم فقال ابن عبد السلام ما للرابطين والدخول في الفضول ﴿قلت﴾ والصواب مع ابن عبد السلام لانه علق الامكان بالقدرة وهذا لا يشك فيه موحد والا لزم عجزه تعالى عن ذلك نعم لا يقع ذلك من حيث الحكمة وهذا نظير ما نقل عن الغزالي من قوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي بحسب الحكمة والا فهو تعالى قادر على خلق أفضل من هذا العالم بمراتب نعم الحكمة اقتضت وجود هذا العالم المخصوص وللناس في كلام الغزالي هذا كلام طويل جدا وهم فيه على ثلاث فرق منهم من قال انه من كلامه وفهمه على ما ذكرناه وهو الاصوب الذي عليه جماعة من أرباب القدم الراسخ ولهم في الجواب عن ذلك عبارات ومنهم من أثبته من كلامه واعترضه عليه ومنهم من قال انه مكذوب عليه وعليه انفصل العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي ونقل أجوبة الفرقة الاولى ورد ها ونقضها عروة عروة انظر كلامه أواخر كتاب الابريز والله أعلم ﴿تنبيه﴾ تقدم ان نبينا صلى الله عليه وسلم مستثنى من الخلاف في تفضيل الانبياء على الملائكة أو العكس والخلاف في هذه المسئلة شهير وفيها أقوال ثلاثة قيل الانبياء أفضل وقيل بالعكس وقيل بالوقف والاول هو الصواب وقول جمهور أهل السنة ويدل له قوله تعالى ان الله اصطفى آدم الى العالمين والقول الثاني للمعتزلة وقال به بعض أهل

السنة

السنة كالباقلانى وأبى اسحق الاسفراينى والحاكم والحليمى وأبى شامة وابن حزم والرازى فى بعض كتبه كتفسيره فكثيرا ما يرجح فيه هذا القول بوجوه لا تخلو عن بحث ونظر واستدلوا بأنه قد اطرد فى الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذلك الا لتقدمهم فى الشرف والرتبة (والجواب) كما قال السعد أن ذلك لتقدمهم فى الوجود أو لان وجودهم أخفى فالايمان بهم أقوى وبالتقديم أولى واستدل له الزمخشرى كما فى الكشاف بقوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فقال ما نصه أى ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى طبقتهم ﴿فان قلت﴾ من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه ﴿قلت﴾ من حيث ان علم المعانى لا يقتضى غيره وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم فى رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون عن العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة اهـ ونقل هذا الاستدلال مختصرا بمعناه الامام العكبرى فى شرحه لديوان المتنبى ولم يجب عليه وغيره لا ثق به ذلك وقد أجاب عنه البيضاوى بثلاثة أجوبة السالم منها ما صدر به من ان الآية مسوقة للرد على عبدة المسيح والملائكة قال فلا يتجه ما استدل به الزمخشرى قال الشهاب الخفاجى فى حواشى البيضاوى ورد هذا الجواب بأن هذا لا ينفى فوقية الثانى كما هو مقتضى علم المعانى ولا ورود له لانه يعلم من التقرير رده لان المقصود بالذات أمر المسيح فلذا قدم ولو سلم انه لا ينفى الفوقية فهو لا يثبتها كما اذا قلت ما فعل هذا زيد ولا عمرو وهو يكفى لدفع حجة الخصم وأما كون السياق والسباق يخالفه فليس بشئ لان المجيب قال انه ادماج واستطراد اهـ وأما الجوابان الاخيران اللذان عند البيضاوى فقد بحث فيهما الشهاب وقال الجواب الحق هو ما فى صدر الكلام أى لانه وان بحث فيه لكن أجاب عنه وانفصل على استحسانه كما تقدم وأما العلامة أبو العباس أحمد بن المنير فى الانتصاف فانه قال بعدما أطال ولكن الحق أولى من المراء ثم قرر وجه ما للزمخشرى ثم قال وما أشك ان سياق الآية يقتضى تقديم الادنى وتأخير الاعلى ثم قال ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة وكانت الادلة على تفضيل الانبياء عتيدة عند المعتقد لذلك جمع بين الآية وتلك الادلة بحمل التفضيل فى الآية على غير محل الخلاف وذلك أن تفضيل الملائكة فى القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لان المقصود الرد على النصارى فى اعتقادهم الوهية عيسى عليه السلام مستندين الى كونه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك أن يقال هذا الذى صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثارا كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته واقدار الله له ان اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة اذن بهذا الاعتبار لا خلاف انهم أقوى وأبطش وان خوارقهم أكثر وانما الخلاف فى التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات فى دار الجزاء وليس فى الآية عليه دليل ولما كان أكثر ما لبس على النصارى فى ألوهية عيسى كونه مخلوقا أى موجودا من غير أب أنبأنا الله تعالى ان هذا الموجود من غير أب لا يستنكف عن عبادة الله بل ولا الملائكة المخلوقون من غير أب ولا أم فيكون تأخير ذكرهم لان خلقهم أغرب من خلق عيسى الى آخر كلام ابن المنير وهو كلام ظاهر حسن جدا أظهر من جواب البيضاوى وقد نقلت لك بعضه بلفظه لوضوح عبارته وقد أحسن

الشبراوى فى حاشية الاربعين النووية فى اختصاره مقتصرا عليه ولم ينسبه لابن المنير اذ قال ان المقصود من الآية الرد على النصارى حيث استعظموا المسيح عن العبودية لاثباتهم له بنوة الله بسبب كونه مجردا عن الاب ويحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فرد عليهم بأنه لا يستنكف من ذلك ولا من هو أعلى منه فى هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم ويقدرون باذن الله على أفعال أقوى وأعجب من ابراء ذلك فالترقى والعلو انما هو فى أمر التجرد واظهار الآثار القوية لا فى مطلق الشرف والكمال فلا دلالة فى الآية على أفضلية الملائكة ولو خواصهم على الانبياء ﴿قلت﴾ وبهذا أيضا يجاب عن قوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك الآية فقد استدل الرازى بهذه الآية على تفضيل الملائكة على البشر قائلا لانه انما يستدل بحال الاعلى على حال الادون فيقال هؤلاء الاقوام ان استكبروا عن طاعة فلان فالاكابر يخدمونه ويعترفون بتقدمه اه فيقال فى الجواب عن الاستدلال بالآية ان الافضلية انما هى فى هذا الامر الخاص الذى هو المواظبة على العبادة وعدم الفتور عنها ولا يلزم من ذلك التفضيل فى أكثرية الثواب التى هى محل الخلاف والله أعلم ﴿لطيفة تعضد هذا القول الثانى على ما قيل﴾ قال فى نفح الطيب حدث أبو البركات قال كنت ببجاية بمجلس ناصر الدين المشدالى أيام قراءتى عليه وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه هل الملائكة أفضل أم الانبياء فقلت الدليل على ان الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم لبعض حتى قال لى بعضهم استند باسيدنا كأنه يقول استند الى حائط ليزول هوس رأسك وكانت عبارتهم فى ذلك وكل منهم يقول لى نحو ذلك از راء وقال الشيخ ناصر الدين أبصر فانهم يقولون لك الحق وكانت لغته ان يقول أبصر قال فقلت أتقولون ان الله أمر الملائكة بالسجود أمر ابتلاء واختبار قالوا نعم قلت أفيختبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه قالوا لا فان ذلك من شأن العبد قبل أن يؤمر بل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود للعبد فاذا ثبت فذلك الملائكة لو أمرت بالسجود لافضل منها لكان بمنزلة العبد اذا أمر بالسجود لسيده قال فكأنما ألقمتهم حجرا اه واعترضه بعض المحققين بانا لا نسلم ان أمرهم بالسجود كان للاختبار بل تكرمة لآدم بدليل ما حكى الله عن ابليس فى قوله أرأيتك هذا الذى كرمت على ﴿قلت﴾ الصواب عندى انه تكرمة واختبار باعتبارين مختلفين انظر وجهه فى تأليفنا مجلى الاسرار والحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق * والقول الثالث فى مسئلة التفضيل بين الانبياء والملائكة هو الوقف وهو المختار عند كثير من العلماء لتعارض الادلة فان القطع بأفضلية أحد الفريقين فيه خطر ولا يعدل بالسلامة شئ ونحو هذا ما روى عن عبد الله بن وهب أنه سئل عن ذلك فى مجلس درسه فأخذ نعله وخرج وقال يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين على ان جماعة صرحوا بأن هذه المسئلة ليست من باب العقائد بل من باب ما ينفع علمه ولا يضر جهله قال البيهقى والامر فى هذه المسئلة سهل وليس فيه الا معرفة الشئ على ما هو عليه وقال السبكى لو أقام الانسان مدة عمره لم يخطر بباله مسئلة التفضيل بين الملائكة والانبياء لم يسأله الله عن ذلك واستشكله العلامة الشيخ جسوس فى شرح توحيد الرسالة بما صرح به البكى من انها مسئلة علمية اعتقادية يطلب فيها القطع ﴿قلت﴾ والبكى صرح بذلك فى شرحه لعقيدة ابن الحاجب بل صرح بذلك ابن الحاجب نفسه فيها اذ قال عطفا على ما يجب اعتقاده وانهم أفضل من الملائكة على الاصح اه ثم ان محل الخلاف بين جمهور أهل السنة وبين المعتزلة انما هو فى الملائكة السماوية العلوية ولا نزاع ان الانبياء أفضل من الملائكة السفلية الارضية نبه عليه الكمال فى حواشى المحلى نقلا عن صاحب المواقف ﴿قلت﴾ لكن حكاية الاتفاق على تفضيلهم على الملائكة السفلية انما هو على طريقة كما يعلم من شرح البكى خلاف ما يوهمه كلام

مكرر ملك

الكمال والله أعلم وعلى القول الاول الذى هو الصواب ومذهب الجمهور يبقى التفضيل بين الملائكة وماسوى الانبياء من البشر وخلاصة الامر فى ذلك ان خواص الملائكة وهم الاربعة المقربون جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل سلام الله عليهم أفضل مماسوى الانبياء من البشر والصحابة والمتقون من الامة أفضل من عوام الملائكة وهم غير الاربعة ثم التفضيل حيث قيل به يكون بكثرة الثواب كامرت الاشارة اليه فى كلام ابن المنير ويوافقه ماقاله الفغران الخلاف فى التفضيل بمعنى أيهما أكثر ثوابا على الطاعة وفى كلام اللقانى مايفيد ان الملائكة يثابون على القول بأنهم مكلفون والله تعالى أعلم (قول الناظم ماشاع الخ) ما ظرفية مصدرية تسبك مدخولها بمصدر أى مدة شيوع مدحه صلى الله عليه وسلم وانتشاره فى الارض ومدحه صلى الله عليه وسلم باق دائم فى الدنيا والآخرة وصلاة الناظم عليه صلى الله عليه وسلم كذلك وليس المقصود تأبيد الصلاة بمدة دوام الارض فقط ومثل هذا قوله تعالى وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض على احتمال ان المراد سماء الدنيا وأرضها قال المفسرون وأهل المعانى فى هذه الآية ان المقصود منها التأبيد على عادة العرب يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار يعنون أبدا ويحتمل ان المراد بالسموات والارض فى الآية سموات الآخرة وأرضها ودليل ان الآخرة لها سموات وأرض قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ومايظلهم اما سماء يخلقها الله لهم أو يظلهم العرش وكل ماأظلك فهو سماء (وقول الناظم فى الارض) ليس المراد به التقييد بل لكون المصلى ممن هو متعيش فى الارض لان مدحه صلى الله عليه وسلم شائع ومنتشر فى الارض والسماء والكون كله والارض معروفة وهى اسم جمع أو جمع لا واحد له فلم يسمع أرضة وتجمع الارض على أرضين بفتح الراء وقد تسكن شذوذا وأرضات وأروض وأراضى خلافا للحريرى فى درة الغواص حيث أنكر الاخير وهى مشتقة من أرضت القرحة اذا اتسعت فسميت أرضا لاتساعها ولا عبرة بقول من قال سميت أرضا لانها ترض بالاقدام لان الرض مضعف الضاد ولا همزة فيه ﴿فوائد الاولى﴾ الاصح ان الارضين سبع لقوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن أى فى العدد لا فى الهيئة والشكل فقط بدليل الآية الاخرى سبع سموات طباقا وفى أخرى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا فأفاد أن لفظ طباقا فى الآية الاولى مراد وان لم يذكر فتكون المثلية فى الارض كذلك ومن ثم قال الداودى المالكى فى شرح البخارى فيه دلالة على أن الارضين بعضها فوق بعض مثل السموات اه فهى سبع طباق بين كل طبقة كما بين السماء والارض خلافا للضحاك الذى زعم انه لا فتق فيها وانها متجاورة ونقل هذا القول عن بعض المتكلمين أيضا وحكى ابن التين عن بعضهم ان الارض واحدة قال الحافظ ابن حجر واهله القول بالتجاور والا فيكون صريحا فى المخالفة اه ويدل أيضا لكونها سبع طباق الحديث المتفق على صحته من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين وزعم ان المراد من سبع أقاليم خروج عن الظاهر لغير دليل ولا وجه لتحمل شبر لم يأخذه ظلما بخلاف طباق الارض فانها تابعة ملكا وغصبا وحديث البيهقى اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن وانما أفردت الارض فى القرآن لاتحاد جنسها وهو التراب بخلاف السموات فان أجناسها مختلفة كما وردت بذلك الآثار وذكر بعضهم ان الحكمة فى افرادها فى القرآن ثقل جمعها لفظا والارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها ودفن الانبياء فيها وهى مهبط الوحى والملائكة قاله فى كشف الاسرار وأفضل السموات سماء الدنيا لقوله تعالى ولقد زينا السماء

الدنيا بمصابيح قاله بعضهم قال الحافظ السيوطي قلت ورد الاثر بخلافه خرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها اه والله أعلم ﴿الثانية﴾ الارض خلقت قبل السماء على التحقيق كما دلت عليه ظواهر آيات قرآنية كقوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله ثم استوى الى السماء وأما قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فالدحو غير الخلق بل هو البسط فخلق الارض سابق بأصله على السماء ثم بعد خلق السماء دحيت الارض أي بسطت هذا هو الذي عليه ابن عطية في تفسيره وغيره وجزم به المحققون وأجاب به الحافظ السيوطي لما سئل عن المسئلة ونص السؤال

يا عالم العصر لا زالت أناملكم * تهمي وجودكم نام مدى الزمن
فقد سمعت خصاما بين طائفة * من الافاضل أهل العلم واللسن
في الارض هل خلقت قبل السماء هل * بالعكس جا أثر يا نزهة الزمن ٢
فمنهم قال ان الارض منشأة * بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا * الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفي من مشكل وأبن * نجاك ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

﴿ونص الجواب﴾

الحمد لله ذي الافضال والمنن * ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قد خلقت قبل السماء كما * قد قصه الله في حم فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات أتى * فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
ذا الحبر أعني ابن عباس أجاب بذا * لما أتاه به قوم ذوو لسن
وابن السيوطي قد خط الجواب لكي * ينجو من النار والآثام والفتن

٢ فيه ايطاء كما لا يخفى اه مؤلفه

﴿الثالثة﴾ الارض وردت في القرآن لمعان (الاول) أرض الجنة كقوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض يعني أرض الجنة (الثاني) الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الارض المقدسة (الثالث) أرض المدينة خاصة كقوله تعالى في العنكبوت يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة يعني أرض المدينة (الرابع) أرض مكة خاصة كقوله تعالى في الرعد أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها يعني بذهاب العلماء (الخامس) أرض مصر كقوله تعالى في يوسف اجعلني على خزائن الارض وكذلك قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر وقد عبر عن مصر بالارض في القرآن عشر مرات كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما (السادس) أرض العرب كقوله تعالى أو ينفوا من الارض وكقوله تعالى في الكهف ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يعني أرض العرب (السابع) جميع الارضين كلها كقوله تعالى في هود وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهذا الاخير هو المراد في كلام الناظم * وعطف النشر على شاع من عطف المرادف وفي نسخة * من منه في الخلق شاع والنشر * وعليها فالخلق بمعنى المخلوق والمراد الجنس فيشمل أهل الارض والسماء ومن فيهما * ثم ان الناظم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله تعالى عملا بقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة ذكره السيوطي في الجامع

من رواية الرهاوي عن أبي هريرة قال الرهاوي وهو غريب تفرد بذكر الصلاة فيه اسمعيل بن أبي زياد وهو ضعيف جدا لا يعتبر بروايته ولا بزيادته ﴿قلت﴾ والحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال بشروط وان كان منها أن لا يشتد ضعفه لكن اعتضد هنا بأحاديث الترغيب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول الأمور وآخرها كقوله صلى الله عليه وسلم اجعلوني في أول الدعاء وفي آخر الدعاء وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء محجوب عن الله تعالى حتى يصلى على محمد وأهل بيته أخرجه أبو الشيخ والبيهقي عن علي الى غير هذا من الأحاديث وهي كثيرة يعضد بعضها بعضا ثم ان ههنا فوائد نفيسة أردت ذكرها هنا مجملة على سبيل الاشارة بطرف خفي وان شئت اشباع الكلام عليها فعليك بتأليفنا مجلي الأسرار والحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق فان مبناه على هذه الفوائد ﴿الفائدة الأولى في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم﴾ يكفيك في فضلها أن الله تولاها بنفسه جل جلاله ولا توجد عبادة من العبادات أمرنا بها تعالى بعد ان أخبرنا أنه فعلها هو وملائكته الا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال بعضهم وما شرفه الله تعالى به من صلاته عليه أفضل مما شرف به آدم من أمر الملائكة بالسجود له لانه لا جائز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك السجود على ان سجود الملائكة لآدم هو في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم كما قاله المحققون لانهم انما سجدوا للنور المحمدي المودع في آدم وأما الأحاديث الواردة في فضلها فيضيق بنا هذا المقام عن ذكر بعضها ويكفيك ما ورد فيها من قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات ومن صلى علي عشر مرات صلى الله عليه مائة مرة ومن صلى علي مائة مرة صلى الله عليه ألف مرة ومن صلى علي ألف مرة حرم الله جسده على النار وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة وأدخله الجنة وجاءت صلواته علي نورا يوم القيامة على الصراط مسيرة خمسمائة عام وأعطاه الله بكل صلاة صلاها قصرا في الجنة قل ذلك أو كثر قال ابن عطاء الله من صلى الله عليه مرة واحدة كفاه هم الدنيا والآخرة فكيف بمن صلى عليه عشرا وفي الحديث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجوا حجة الفريضة فانها أعظم من عشرين غزوة في سبيل الله وان غزوة في سبيل الله أعظم من عشرين حجة وان الصلاة علي أعظم من ذلك كله اهـ نقله في المعيار من جواب لبعض العلماء حيث سئل هل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من صدقة الفرض فأجاب بأنها أفضل منها واستدل له بما تقدم من ان الله أمر بها بعدما أخبر انه فعلها هو وملائكته وليس لنا عبادة مثلها ثم ساق الحديث ﴿الفائدة الثانية في ثمراتها ونتائجها﴾ اعلم أن ذلك كثير جدا لا ينضبط بالحصر ويكفيك انها مجربات لقضاء الحوائج وتكثير الأرزاق ووقي الهموم والتخلص من الشدائد وقيامها مقام الشيخ المربي كما نص عليه جماعة كالسنوسي والشيخ زروق وأبي العباس أحمد بن موسى اليمني وأبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي شيخ سيدي زروق وغيرهم رضي الله عنهم ﴿الفائدة الثالثة في معناها﴾ اعلم ان في ذلك أقوالا وتفاسير مختلفة باختلاف من صدرت منه الصلاة والذي استظهره ابن هشام في المغني تبعا للسهيلي أن الصلاة بمعنى واحد وهو العطف ثم ان العطف بالنسبة الى الله الرحمة والى الملائكة الاستغفار والى الآدميين دعاء بعضهم لبعض أي وكذا من الجن كما زاده الشيخ زاده لكن ما استظهره ابن هشام انتقد عليه فيه بما يطول ذكره هنا والصواب كما في حاشية العلامة ابن الطيب على القاموس أن معنى الصلاة حقيقة هو الدعاء وباقي معانيها مجازية والله أعلم ﴿الفائدة الرابعة في رد قول من قال في الصلاة على الانبياء تصلية﴾ قد منع العلماء من استعمال لفظ التصلية في الصلاة على الانبياء لان التصلية هي الاحراق فاطلاقها ايهام وهم وأجاز

أي الواجبة والا فالتطوع لا يفضل الفرض اهـ مؤلفه

بعضهم ذلك لعدم القصد لكن الاولى للمؤمن الخروج عن هذه الورطة التى يظن بمرتكبها السوء ﴿الفائدة الخامسة فى وقت مشروعيتها﴾ شرعت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة كما نقله الحافظ فى الفتح عن الهروى وقيل ليلة الاسراء ﴿الفائدة السادسة فى حكمة مشروعيتها﴾ حكمة مشروعية الصلاة على الانبياء كما قال ابن عطاء الله ان روح الانسان ضعيفة عن حمل ما يلقى اليها من الانوار الالهية فاذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم انعكس اليه من الانوار الفائضة على روح النبى ما يتقوى به على ذلك وأيضا ليكون للانسان يد عند نبيه يكافئه بها يوم القيامة وأيضا ليتقرب الانسان الى الله تعالى بالصلاة على أفضل خلقه ﴿الفائدة السابعة فى حكمها﴾ اعلم ان الاجماع على وجوبها ولا عبرة بالمخالف القائل بالسنية وانما الاختلاف فى وقت الوجوب على أقوال عشرة ذكرها فى المواهب والصواب عندى انها تسعة فقط فذهب الجمهور من علماء مذهبنا الى انها واجبة مرة فى العمر وجوب الفروع وما جرى من الخلاف فى الصلاة يجرى فى السلام لوجوبه أيضا ورأيت بعض الحنفية صرح بأنه غير واجب قال وأما قوله تعالى وسلموا فالمراد به الانقياد له ﴿قلت﴾ وهو بعيد جدا لانه تأويل مخالف للظاهر بلا دليل والاجماع على انه لا يجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يصلى على نفسه وهل كان يصلى على نفسه فى صلاته بطريق الاستحسان توقف لعدم تصريح الائمة بذلك ﴿الفائدة الثامنة﴾ فى حكم الصلاة على باقى الانبياء وعلى آله وصحبه تبعا له وحكم افرادهم بها ﴿ أما الصلاة على سائر الانبياء استقلالا فجرى فيها خلاف مذهب مالك وجمهور العلماء الجواز وأما تبعا فالاجماع على الجواز وأما الصلاة على آله وصحبه صلى الله عليه وسلم استقلالا ففيها خلاف أيضا فقيل ممنوعة وقيل مكروهة وقيل خلاف الاولى وقيل جائزة وعلى الجواز فانما يقصد بها الدعاء لانها بمعنى التعظيم خاصة بالانبياء وأما تبعا فالاجماع على جوازها كما حكى الاجماع النووى والمراد بالجواز الاذن الصادق بالاستحباب اذ الصلاة على آله وصحبه مستحبة مرغب فيها لان محبتهم من آثار محبته صلى الله عليه وسلم التى هى أساس الايمان وليست الصلاة على الآل والصحب واجبة ﴿الفائدة التاسعة﴾ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أرجى فى باب القبول من سائر الاعمال فالظن القوى انها مقبولة من المصلى ولا سبيل للقطع بذلك اذ لا نص عليه خلافا لبعضهم ﴿الفائدة العاشرة﴾ يرجى لثواب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أن لا يؤخذ فى التبعات يوم القيامة رجاء أقوى منه فى سائر الاعمال ولا يقطع بذلك لعدم النص وما اشتهر من حديث عرضت على أعمال أمتى فوجدت منها المقبول والمردود الا الصلاة على ضعفه ابن حجر والسيوطى والسمهودى ولا يقطع بذلك الا فى الايمان اذ هو الذى ورد فيه النص انه لا يؤخذ فى التبعات ﴿الفائدة الحادية عشرة﴾ هل ينتفع صلى الله عليه وسلم بصلاتنا عليه قيل نعم وقيل لا ووفق بين القولين بأن الاول اخبار عن كرم الله تعالى وعدم تناهى افضاله والثانى تنبيه على الادب فى القصد وقدح فى هذا التوفيق بما ذكرناه فى غير هذا الكتاب فلا ينبغى للمؤمن أن يقصد نفعه صلى الله عليه وسلم وهناك مرتبة أعلى وهى أن يقصد امتثال أمره تعالى فى الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ﴿الفائدة الثانية عشرة﴾ هل يجوز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة فى المسئلة ثلاثة أقوال المنع مطلقا والجواز مطلقا ثالثها وهو الحق التفصيل بين وقوع الرحمة تبعا للصلاة فالجواز وبين افرادها فالمنع ﴿الفائدة الثالثة عشرة﴾ هل يجوز افراد الصلاة عن السلام وعكسه نسب النووى والشيخ زروق كراهة الافراد لجمهور العلماء ويدل لذلك قرنهما فى الآية الكريمة عند الامر بهما فهذا القول هو مذهب الجمهور ومذهب الاكثر وبالغ ابن حجر الهيتمى فى الانتصار له حتى حكى الاجماع عليه وذهب بعضهم الى الجواز وهو مذهب الحافظ العسقلانى والسخاوى وابن الجوزى

والاجهورى

والاجهوري وكنت استظهرت من عندي في تجلي الاسرار أن محل الخلاف في نبينا صلى الله عليه وسلم وأما غيره فيجوز الافراد فيهم باتفاق ثم وجدت ذلك منصوصا في كتاب لبعض المتأخرين من الحنفية سماه روضة الانوار وجامع الاسرار في فضل التعمير في السر والاذكار ﴿الفائدة الرابعة عشرة في سر تقديم الصلاة على السلام﴾ سر ذلك كما قاله بعضهم ان الصلاة خاصة بالانبياء ولا تجوز على غيرهم الا تبعا بخلاف السلام والتخصيص يؤذن بالافضلية ولان السلام هو زيادة التكرمة والانعام على التكرمة والانعام الحاصلين من الصلاة والزيادة على الشئ فرع ذلك الشئ ولان السلام تحية مشتركة فلو قدم لم يحصل التمييز له صلى الله عليه وسلم ابتداء فتقدمت التحية الخاصة ليحصل التمييز ثم جيء بالتحية المشتركة ليشارك صلى الله عليه وسلم ويخص ﴿الفائدة الخامسة عشرة﴾ هل يزيد المصلي التوكيد الذي هو تسليما حكى ابن عرفة في تفسيره عن شيخه ابن عبد السلام عدم الزيادة وذهب الزبيدي الى الزيادة مستدلا بالآية وهو مذهب الحافظ ابن كثير وهو الظاهر والخلاف انما هو في الاولوية لا في الوجوب ﴿الفائدة السادسة عشرة﴾ من قال اللهم صل على محمد عدد كذا هل يحصل له ثواب من صلى ذلك العدد تفصيلا اختلف في ذلك على أربعة أقوال قيل له ثواب من صلى ذلك العدد تفصيلا وهو المناسب لكرم الله تعالى وتدل عليه ظواهر الحديث وغيره وقيل له أقل منه وأكثر من مرة واحدة وهو الذي قاله ابن عرفة واستظهره جماعة وقيل ليس له الا ثواب مرة واحدة وقيل بالتفصيل بين أن يكون الباعث على تعليقه الصلاة بذلك العدد هو عجزه عن العدد التفصيلي وتضرره بذلك فيحصل له ثواب ذلك تفصيلا وبين أن يكون الباعث الشغل والعمل فلا وهذا القول للشيخ زروق والله أعلم ﴿الفائدة السابعة عشرة﴾ هل يزاد لفظ المولى والسيد في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك ثلاثة أقوال الاتيان بذلك مطلقا وهو الصواب وعدم الاتيان به مطلقا والتفصيل بين ما ورد من الكيفيات عن الشارع مجردا من السيادة كصلاة التشهد في الصلاة فلا يؤتى بها وبين غير الوارد فيؤتى بها والله أعلم وهذا الخلاف يجري في ذكره صلى الله عليه وسلم ولو في غير الصلاة عليه ويستثنى من ذلك ما تعبد به كالقرآن والاذان والاقامة كما في أول نوازل الهلالي اذ قال بعد أن حث على زيادة السيادة عند ذكره صلى الله عليه وسلم وهذا في غير الالفاظ التعبدية كالاذان والاقامة وفي غير الحكاية كأن تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد فهنا يجب الاقتصار على الوارد لئلا ينسب له صلى الله عليه وسلم ما لم يقله كما يجب ذلك في نحو محمد رسول الله الخ لاجتماع التعبد والحكاية معا في القرآن العظيم فاذا أردت انشاء الطلب لا الحكاية قلت اللهم صل على سيدنا محمد وآله الخ اه ﴿قلت﴾ وهو ظاهر ولا عبرة بفعل من يأمر اليوم المؤذن بزيادة السيادة في الاقامة ممن يسم نفسه بالعلم حتى آل أمره الى ان المؤذن تركها يوما بحضرته فقطع عليه الاقامة وأمره باعادتها او أكثر من توبيخه وتقريعه فلا حول ولا قوة الا بالله من الجهل المركب الذي ليس له دواء نسأل الله التوفيق والحفظ من داء الجهل آمين ﴿الفائدة الثامنة عشرة في كيفيات صلوات جامعة حاوية لفوائد نافعة﴾ رأيت أن أقتصر هنا على كيفية واحدة روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقينا كعب بن أبي عجرة رضي الله عنه فقال ألا أهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الينا فقلنا يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد قال في المواهب وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها على انها

أفضل كيفيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف شخص أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتى بذلك كذا صوّبه النووى فى الروضة اهـ ووجهه السبكى كما قال الزرقانى فى شرح المواهب بأن من أتى بها فقد صلى على النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة المطلوبة بيقين وكان له الجزاء الوارد فى أحاديث الصلاة بيقين وكل من جاء بلفظ غيرها فهو من اتيانه بالصلاة المطلوبة فى شك لانهم قالوا كيف نصلى عليك فقال قولوا فجعل الصلاة عليه منهم هى قول هذا اهـ والله أعلم * ثم قال الناظم

٦) ﴿ والآل والصحب وكل تال * ماغرد القمرى فى الآصال ﴾

الآل وما بعده معطوف بالواو على خير البشر وأتى بالصلاة على آله صلى الله عليه وسلم وصحبه بعد الصلاة عليه لان محبتهم من آثار محبته صلى الله عليه وسلم لقوله الله الله فى أصحابى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم وقوله اياكم والصلاة البتراء قالوا وما الصلاة البتراء قال أن تصلوا على دون آلى وقدم الآل على الصحب لمزية قربهم منه صلى الله عليه وسلم قرب رحم والصحابة رضوان الله عليهم يحبون تقديم الآل عليهم لما ذكر وبين الآل والصحب عموم وخصوص من وجه يجتمعان فى نحو على رضى الله عنه وتنفرد الصحبة فى نحو الصديق رضى الله عنه وتنفرد الآلية فى نحو زين العابدين رضى الله عنه وآله صلى الله عليه وسلم هم أقاربه المؤمنون من بنى هاشم فقط وهو المشهور أو والمطلب على قول قال الحطاب الذى عليه مالك وأكثر أصحابه انهم بنو هاشم فقط وما ذكره خليل هو قول عزاه فى الاكمال لبعض شيوخ المالكية وذكره الرجراجى ولم يعزه اهـ وهذا على ان نسخة خليل والمطلب بالعطف بالواو وأما على نسخة لا وهى الصحيحة فهو ماش على المشهور هذا تعريف الآل فى باب الزكاة وأما فى باب المدح فينبغى أن يفسر بأتقياء الامة لقوله صلى الله عليه وسلم آل محمد كل تقى وهو حديث ضعيف وأما ما اشتهر من حديث أنا جد كل تقى فموضوع كما قال الجلال السيوطى فى فتاويه وأما فى باب الدعاء كما هنا فينبغى أن يفسر بجميع الامة ولو العصاة منهم لان الدعاء مهما عم وجبت اجابته ثم ينبغى أن يحمل الآل فى كلام الناظم على أقاربه صلى الله عليه وسلم أو على أتقياء أمته لان التعميم فى جميع المؤمنين مأخوذ من قوله وكل تال وأصل آل أول على مذهب الكسائى واقتصر عليه فى القاموس تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وقيل أصله أهل قلبت الهاء همزة ثم الهمزة ألفا واقتصر عليه الزمخشرى وتصغيره على أهيل وأويل يشهد للقولين معا وهو مشتق من آل يؤول اذا رجع اليك بقرابة ونحوها قال العلامة الاشمونى ولا يضاف الآل الا لمن له شرف من العقلاء الذكور اهـ أى فلا يقال آل مكة وآل فاطمة وآل الحجام وأما قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وقوله تعالى أدخلوا آل فرعون فله شرف دنيوى واستصوب بعضهم انه تهكم وفى القاموس ان اضافته لما فيه شرف غالبة فقط ونقل النسائى عن الكسائى أنه يقال آل فلانة قال العلامة سيدى يوسف الفاسى فى شرح التثبيت نقلا عن الحلوانى خص الآل بالاشراف والاهل بالارذال يقال آل السلطان وأهل الاسكاف ونقل مثله عن الاخفش وحمله ﴿قلت﴾ ظاهره ان التفريق لغوى وانظره مع ما فى القاموس ونصه أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه ثم قال وللنبى صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصهره على رضى الله تعالى عنه أو نساؤه والرجال الذين هم آله ولكل نبى أمته اهـ ثم ان أل الداخلة على الآل والصحب فى كلام الناظم عوض عن المضاف اليه وهو الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز اضافة الآل الى الضمير خلافا للكسائى والزبيدى وأبى جعفر بن النحاس حيث قالوا ان اضافته الى الضمير من لحن العامة والصحب اسم جمع لصاحب عند سيبويه وقولهم اسم الجمع لا واحد له من لفظه هو

باعتبار

الصحابة و

باعتبار الغالب وجمع عند الاخفش وبه جزم الجوهري كركب وراكب ❁ والمراد بالصاحب الصحابي وهو في عرف المحدثين من اجتمع مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك روى عنه أم لا طال اجتماعه به أم لا رآه أم لا ليدخل ابن أم مكتوم الاعمى أحد مؤذنيه صلى الله عليه وسلم ونحوه من العميان ولا بد من زيادة ومات على ذلك ليخرج من ارتد بعد اجتماعه به صلى الله عليه وسلم ومات على ردته كعبد الله بن خطل وذهب الجلال المحلي الى عده من الصحابة قائلا لانه كان يسمى قبل الردة صحابيا ويكفي ذلك في صحة التعريف اذ لا يشترط فيه الاحتراز عن المنافي العارض ولذلك لم يحترز واقي تعريف المؤمن عن الردة العارضة لبعض أفراده ومن زاد من متأخري المحدثين كالعراقي في التعريف ومات مؤمنا للاحتراز عمن ذكر أراد تعريف من يسمى صحابيا بعد انقراض الصحابة لا مطلقا والالزمه أن لا يسمى الشخص صحابيا حال حياته ولا يقول بذلك أحد وان كان ما أراده ليس من شأن التعريف اهـ قال الكمال بن أبي شريف على قوله والالزمه أن لا يسمى الشخص صحابيا حال حياته يقال عليه يكفي في نفي لزوم ما ذكره ارادة تعريف من يسمى صحابيا بعد موته وان لم ينقرض الصحابة وأنت اذا حققت ما يأتي في قوله أي ابن السبكي السعيد من كتب في الازل سعيدا والشقي عكسه علمت أن ثبوت اسم الصحابي في الحياة على ما هو مقصود التعريف من اثبات شرف الصحبة مشروط بالوفاة على الاسلام وظهر أن الحق التزام أن الشخص لا يسمى صحابيا بهذا الاعتبار الا اذا علم موته على الاسلام وموته على الاسلام قد يعلم قبل وقوعه باخبار الصادق عليه السلام كما في المبشرين بالجنة وقد يعلم بعد وقوعه باستصحاب حكم الاسلام حيث لم يطرأ ما ينافيه اهـ وعلى ما للكمال عول جمع من المحققين كالتتائي والقسطلاني وابن حجر في النخبة والاشموني في شرح نظمه لجمع الجوامع قائلا بعد كلام وأما قول شيخنا الامام المحلي انه كان يسمى قبل الردة صحابيا فمسلم لكن باعتبار العرف العام وأما باعتبار العرف الخاص فلا اهـ وهذا كلام في غاية التحقيق كما قاله سيدي يوسف الفاسي في شرح التثبيت ﴿قلت﴾ وأجاب بعض أشياخ شيوخنا عن قول المحلي لا يشترط فيه الاحتراز الخ بأن هذا رسم وقع بعد عصر الصحابة لتمييزهم فيشترط فيه ذلك اهـ وأما من ارتد منهم ثم رجع الى الاسلام كعبد الله بن أبي سرح فجزم الحطاب في شرح المختصر بصحبته وصححه ابن حجر ونصه والصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الاسلام ولو تخللت ردته على الاصح اهـ وكذلك صححه القسطلاني في المواهب قائلا لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك من الصحابة واستظهر التتائي عدم صحبته قائلا لان الردة محبطة بمجردها اهـ ومحل هذا الخلاف ان لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه للاسلام أما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم ولقيه كعبد الله بن أبي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام كما في المواهب وزيد في التعريف روى عنه أم لا الخ للرد على من يشترط الرواية والاطالة الاتي والاجتماع نظرا في الاطالة للعرف وفي الرواية الى انها المقصود الاعظم من صحبة النبي لتبليغ الاحكام وعلى بعضهم حيث يشترط الرواية فقط وعلى بعضهم حيث يشترط الاطالة فقط وعلى قول ابن المسيب لا يعد صحابيا الا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين وضعف باخراج جمع من الصحابة كجرير البجلي ولا خلاف انه من الصحابة وقد عقد البخاري له ترجمة في فضائل الصحابة من الصحيح وءاذ كر يدخل في حد الصحابي من حنكه النبي صلى الله عليه وسلم أو مسه من الصبيان وقيل انما لهم الرؤية دون الصحبة لفوات شرط آخر وهو قصد الصحبة وعلى الاول فهل يشترط في الصبي أن يكون بحيث يميز ما رأى وهو الذي جزم به الشيخ زكرياء الانصاري وهو ظاهر كلام الكمال أو لا يشترط وهو الذي ارتضاه ابن حجر قائلا وهو الذي يدل عليه عمل من صنف في الصحابة

هو العلامة الشارك العراقي رحمه

فانهم ذكروا محمد بن أبي بكر الصديق وهو انما ولد قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وأيام في حجة الوداع اه وهل يشترط في اللاقي أن يكون بعد البعثة وبه جزم العلقمي والشيخ زكرياء وفي كلام ابن حجر مايدل عليه ويدل له انهم ترجموا لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة كابراهيم وعبدالله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم أم لا يشترط وهو ظاهر صنيع جماعة حيث عدوا زيد بن عمرو بن نفيل وبحيرا الراهب بفتح فكسر وألف بعد الراء من الصحابة والمراد باللقي المتعارف بين الناس وهو اللقي في الحياة على وجه الارض فيخرج من رآه صلى الله عليه وسلم بعد موته وقبل دفنه ويخرج من يجتمع به من الاولياء بعد موته صلى الله عليه وسلم يقظة ويخرج من لقيه ليلة الاسراء من الانبياء والملائكة وأما عيسى بن مريم عليهما السلام فهو من الصحابة لانه اجتمع به صلى الله عليه وسلم في الارض وقد أشار جماعة من الائمة كالسبكي وغيره الى انه مع بقائه على نبوته معدود من هذه الامة وكان اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم في غير ليلة الاسراء مرات منها بمكة كما أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن أنس وقال الذهبي انه آخر الصحابة موتا وقد ألغز فيه السبكي بقوله

من باتفاق جميع الخلق أفضل من ❁ كل الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى ❁ من أمة المصطفى المختار من مضر

﴿وأجاب عنه بعضهم بقوله﴾

ذاك ابن مريم روح الله لما رأى ❁ نبينا المصطفى في أحسن الصور
فوق السموات ليلا عندما اجتمعا ❁ كذاك عند طواف البيت والحجر

قال في روح البيان ولا وجه لتخصيص عيسى فانه عليه السلام كما اجتمع بذلك الاجتماع كذلك الخضر والياس اجتمعا به اجتماعا متعارفا اه وخرج بقيد اللاقي من كان موجودا في حياته وآمن به ولم يلاقه كأويس القرني وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه من التابعين كما أخرجه الحاكم عن علي مرفوعا خير التابعين أويس ❁ بقي شئ آخر هل يدخل في حد الصحابي من اجتمع به صلى الله عليه وسلم من أولاد الكفار ومات قبل ان يعتبر الكفر فيه لانه ولد على الفطرة أم لا لانه محكوم بكفره تبعا لكفر أبيه وهو الظاهر قاله بعض المحققين في حواش له على شرح اللقاني على خطبة الشيخ خليل وبقولنا في التعريف مؤمنا يخرج من اجتمع به كافرا ومات على كفره وكذلك من اجتمع به كافرا ثم أسلم بعد موته صلى الله عليه وسلم كرسول قيصر فقد جزم العلقمي بخروجه وقولنا بمحمد صلى الله عليه وسلم يخرج من لقيه مؤمنا بغيره من الانبياء وقد علمت مما سلف ان الصحيح عدم اشتراط طول الصحبة به صلى الله عليه وسلم وهذا بخلاف التابعي مع الصحابي فلابد من طول صحبته به على ما استظهروه وقيل لا يشترط أيضا قال الكمال بن أبي شريف وهو الذي عليه أكثر أهل الحديث ورجحه ابن الصلاح والنووي وغيرهما ﴿قلت﴾ واستدل له بعض أشياخنا في الجملة بقوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن رأى من رآني حيث اكتفى صلى الله عليه وسلم في التابعي بمجرد الرؤية والفرق على الاول ان الاجتماع به صلى الله عليه وسلم ولو لحظة يحصل من الانوار والمعارف مالا يدخل تحت حصر بخلاف غيره والله أعلم ﴿تنبيه﴾ اختلف هل تختص الصحبة بالآدمي أم تعم الجن فالذي رجحه القسطلاني في المواهب انها تعمهم قال لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على بعضهم ولم يستند في ذلك الى حجة اه وأما الملائكة فيتوقف عدهم في الصحابة على ثبوت البعثة اليهم وفي ذلك خلاف بين الائمة شهير اذكره في المواهب في الكلام على خصائصه صلى الله عليه وسلم والاكثر على انه غير مبعوث اليهم ونقل عليه

[illegible]لامة الدراكة البركة سيدى [illegible] أطال الله بقاءه [illegible]ل تختص الصحبة [illegible]م [illegible] الجن

الاجماع

الاجماع الرازي والنسفي ونقله عنهما المحلي في شرح جمع الجوامع وسلمه لكن اعترض حكاية الاجماع الكمال بن أبي شريف في حواشي المحلي والمحققون على انه مبعوث اليهم لانه صلى الله عليه وسلم جاء بشيرا ونذيرا للعالمين بنص الآية وهم داخلون في العالم قطعا وفي حديث مسلم وأرسلت الى الخلق كافة والمراد بالخلق المخلوق فيدخل الملائكة ورجحه السبكي والبارزي وابن حزم والسيوطي قال الاخير ولم أقف على انذار في القرآن للملائكة سوى هذه الآية يعني قوله تعالى ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم قال الزرقاني في شرح المواهب والحكمة في ذلك واضحة لان غالب المعاصي راجعة الى البطن والفرج وذلك ممتنع عليهم من حيث الخلقة فاستغنى عن انذارهم فيه اهـ وللسيوطي تأليف في هذه المسئلة سماه تزيين الارائك في ارسال النبي عليه السلام الى الملائك انتصر فيه للقول ببعثته صلى الله عليه وسلم الى الملائكة واستدل لذلك بأدلة عشرة فانظره وللسبكي أيضا تأليف سماه الدلالة في عموم الرسالة والذي اختاره الكمال في هذه المسئلة هو الوقف وعدم الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين والله تعالى أعلم (قول الناظم وكل تال) أي كل تابع للنبي صلى الله عليه وسلم أي فيما جاء به عن الله تعالى من الشرائع بالتسليم والاذعان فيشمل جميع المؤمنين (وقوله ماغرد القمري) ما مصدرية ظرفية أي مدة تغريد القمري والقمري نسبة الى قمر جمع قمرية بالضم ضرب من الحمام ونص القاموس والقمرية بالضم ضرب من الحمام والجمع قماري وقمر والانثى قمرية والذكر ساق حر اهـ المراد منه وقوله والجمع قماري بكسر الراء غير مصروف وفتحها بعضهم وله وجه قاله الشيخ مرتضى في شرح القاموس وقال الجوهري والقمري منسوب الى طير قمر اهـ قال في شرح القاموس وقيل ان الياء في قمري للمبالغة وقيل للنسبة واختلف فقيل الى جبل أو موضع أو غير ذلك كما حققه شيخنا في شرح الكافية اهـ وفي المصباح والقمري من الفواخت منسوب الى طير قمر وقال ابن سيده القمري طائر صغير من الحمام والانثى قمرية وجمعه قماري وقمر اهـ وقال الكمال الدميري في حياة الحيوان ان القمري طائر مشهور وكنيته أبو زكريا وأبو طلحة وهو حسن الصوت والانثى قمرية والذكر ساق حر والجمع قماري غير مصروف اهـ وانما قيل للذكر ساق حر لان حكاية صوته ساق حر أو لان الساق الحمام والحر فرخه قاله في القاموس في مادة ساق ولله در سعيد بن المبارك النحوي اذ يقول

أرى الفضل مناح التأخر أهله ◉ وجهل الفتى يسعى له في التقدم
كذاك أرى الخفاش يخبأ قبحه ◉ ويحتبس القمري حسن الترنم

﴿قلت﴾ انظر هذا النوع من الحمام المسمى بالقمري ما هو فانا لا نعرف في المغرب ما يسمى بهذا الاسم الخاص تعيينا والاقرب انه النوع المسمى باليمام لانه الذي ينطبق عليه الاوصاف التي في أشعارهم غير ان الشيخ داود الانطاكي في التذكرة ذكر ترجمة كل من القمري واليمام على حدتها فدل على تغايرهما فانظره وأهل مصر يطلقونه على الفاختة والذي لابن منظور في كتابه نثار الازهار في الليل والنهار ان الفاختة نوع من القماري لا انها هي فقط ونصه والفاختة جنس من القماري الا انه بين لا عتيق له اهـ وقد ترجم صاحب حياة الحيوان وصاحب عجائب المخلوقات وغيرهما لكل من الفاختة والقمري على حدته فدل على تغايرهما والله أعلم ﴿فائدة﴾ كان الامام الشافعي رضي الله عنه جالسا بين يدي الامام مالك رضي الله عنه فجاء رجل فقال له اني أبيع القماري واني بعت في يومي هذا قمريا فرده المشتري وقال قمريك لا يصيح فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح فقال له الامام مالك طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها وكان الامام الشافعي يومئذ ابن أربع عشرة سنة فقال لذلك الرجل أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته فقال لا بل صياحه فقال لا طلاق عليك فعلم بذلك الامام فقال ياغلام من أين لك

هـذا قال لا نك حدثني عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله ان أبا جهم ومعاوية خطباني فقال صلى الله عليه وسلم أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يضع عصاه على المجاز والعرب تجعل أغلب النعمان كمداومته ولما كان صياح قمري هـذا أكثر من سكوته جعلته كصاحبه داعيا فتعجب مالك من احتجاج صوته الهأفت فقد آن لك أن تفتي فأدني من ذلك السن ولابن الفارض قدس سره ملغزا في قري

مااسم لطير شطره بلدة * في الشرق من تصحيفها مشربي
ومابقي تصحيف مقلوبه * مضعفا قوم من المغـــــرب

مـــل فى الحمام

﴿فصل﴾ قد كثر في كلام العرب والادباء مدح الحمام على العموم واستلذاذ صوته سيما في فصل الربيع الذي هو بكل مسرة موسوم فمنهم من يرى سجعه بكاء يبعث على الشجا ومنهم من يعده غناء يكون به الصب من نيل الوصل في رجا والرأي ان ذلك على حسب ما كمن في فؤاد السامع وعليه يرى موافقة ذلك الساجع ولهذا قال المنازي

شجي قلب الخلي فقال غنى * وبرح بالشجي فقال ناحا

وسبقه الى هذا محمد بن يزيد بن مسلمة اذ قال من قصيدة

غناء يروع المنصتين وتارة * بكاء كما يبكي الحميم حميم

وقد أردت أن ألم ببعض ذلك توفية بحق المقام وتلذذا بالاقامة بهذا المقام ﴿وروى﴾ أن عليا رضي الله عنه اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال له اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها رواه ابن عساكر وقال غريب جدا وسنده ضعيف وروى عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام المقاصيص في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر الى الحمام الاحمر والاترج وكان ابراهيم بن يسار يعجب بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن المنظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها وتكثر لديك معونتها فهي للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم في الصحراء وتعود عليك بالسراء وبأنس الوحيد بحركتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهي ناطقة وينفر عنك وهي داجنة وفي طباعها السكون الى الناس واستئناس بهم وهي طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى مفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اشتياقهما على المحبة ان طار اطارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد تصيدها سباع الطير الاجحيلة قال ابن منظور في كتابه نثار الازهار نقلا عن الجاحظ في كتاب الطير ومن مناقب الحمام حبه للناس وأنس الناس به وجميع طبقات الامم تحبه وتتخذه ثم ذكر لفظ الحمام ٣ فقال يبتدئ الذكر بالدعاء والطرد وتبتدئ الانثى بالتأني والاستدعاء ثم ترتفع ٤ وتتشكل ثم تمكن وتمنع وتجيب وتصرف بوجهها ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويحدث لهما من الغزل والقبل والمص والرشف والغنج والخيلاء ومن اعطاء التقبيل حظه كله وادخال الفم في جوف الفم وذلك هو التطاعم هذا مع ارسالها جناحيها وكنفيها على الارض وهو مع تدريجها وتنقيلها ومع تنفجه وتنفخه مع ما يعتريه من الحكة والتدلي والتنفش ثم الذي يرى من كسحه بذنبه وارتفاعه بصدره وضربه بجناحيه وفرحه ومرحه بسقطه والفراغ من شهوته ثم انه يعتريه ذلك في الوقت الذي يعتري فيه أنشط الناس وتلك خصلة يفوق بها جميع الحيوان من الانسان فمن دونه انظر تمام كلامه فقد ذكر من عجيب طبائع الحمام ما يتعجب منه ويطول بنا ذكره وبعضه في حياة الحيوان والعرب تقول ان نوحا أرسل الحمام والغراب من

٣ ... له مؤلفه

٤ ... فى أى تغضب اه

السفينة لما استقرت على الجودي ليأتيه بخبر الماء فلم يرجع الغراب فدعا عليه فصقلت رجلاه وتندر منه الناس وبرجعت الحمامة فدعا لها فتزينت بالطوق عن سائر الطير قال جهم بن خلف

وقد شاقني نوح قمرية ٭ طروب المشي هتوف الضحى
مطوقة كسيت زينة ٭ بدعوة نوح لها اذ دعا
فلم أر باكية مثلها ٭ تبكي ودمعتها لا ترى

﴿وقال أيضا﴾

فان سجعت ورقاء في رونق الضحى ٭ على الايك حاء العلاط صدوح
مطوقة طوقا من الريش لا ترى ٭ لنائحة طوقا سواها يبوح
وأسعدنها بالنوح من كل جانب ٭ صواحب في أعلى الاراك تصيح
فهاج أناسا بالفراق مروع ٭ بصوت يمل القلب وهو صحيح
وكدت من الشوق المبرح اذ بكت ٭ بأسرار ليلى في الفؤاد أبوح

﴿وقال عدي بن الرقاع ٢﴾

وبما شجاني انني كنت نائما ٭ أعلل من فرط الجوى بالتبسم
الى أن بكت ورقاء في رونق الضحى ٭ تردد مبكاها بحسن الترنم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ٭ لسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ٭ بكاها فقلت الفضل للمتقدم

﴿وقال أبو صخر الهذلي﴾

ولما دعت ٣غورية الايك سجعت ٭ فسجع دمعي يستهل ويستمري
يذكرني شجوي دعاء حمامة ٭ ويبعث لوعات الصبابة في صدري
بكت حزنا رزء٤ الهديل وشفني ٭ فراق حبيب ضاق عن فقده صدري

(وذكر) أن مجنون بني عامر نام تحت شجرة فغردت حمامة فانتبه وقال

لقد هتفت في جنح ليل حمامة ٭ على فنن ٥ تدعو واني لنائم
فقلت اعتذارا عند ذاك وانني ٭ لنفسي فيما قد رأيت للائم
أأزعم اني عاشق ذو صبابة ٭ بليلى ولا أبكي وتبكي البهائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا ٭ لما سبقتني بالبكاء الحمائم

﴿قلت﴾ وقد وقع لي قريب من وقوع الحافر على الحافر مع المجنون في بيته الاخير وذلك اني كنت أتذاكر يوما مع بعض الادباء أهل الذوق والذكاء فجرى بيننا ذكر المطالع الرفيعة والافتتاحات البديعة فانشدته قول ظهير الدين الباخرزي في مطلع قصيدة

يذكرني وجدي الحمام اذا غنى ٭ لان كلينا في الهوى يعشق الغصنا

فتمايل عند سماعه هذا البيت وتعجب من هذا التعليل الذي كادت رقته تحيي الميت وقال لي ما أظن أحدا من أهل زماننا ينسج على هذا المنوال أو يسمح له تذييل على هذا المثال فذيلت البيت متوخيا ذلك النمط وقلت ما هو بالنسبة لقول أرباب الادب سقط

ألست ترى اني اذا أنّت أنينها ٭ وان صدحت أبكي لشجوي الذي عنا
تهيج لي الاشواق والذكر والاسى ٭ وتضرم في قلبي بتغريدها حزنا
فأعجب لي ما هيجت لي حمامة ٭ من الوجد والتبريح في قلبي المضنى

١ حمامة ... اسود ... من الحمام ... عنقها كالفـ ... شديدة ... مؤلفه
٢ في القاموس ... عدي بن الر ... مؤلفه
٣ ضمير دعت ... والغورية ... أي القمر ... المتف ... السدر ... تناسبها ... أي الـ ... البيضاء ... سجعت ... الداعية ... فاعل دعت ... بدل منه ... مؤلفه
٤ الرزء بالضم ... والهديل ... الحمام أو ... نوح عليه ... أو صاده جارح ... من حمام ... عليه وكل من ... هذا له ...
٥ الفنن محركة ... أفنان ... مؤلفه

كذبت وحق الحب لو كنت عاشقا * لما شاقني ذا الحمام ولاحنا

﴿وقال شقيق بن سليك ١﴾

ولم ابك حتى هيجتني حمامة * تغني حمام الورق فاستخرجت وجدي
وقد هيجت مني حمامة ايكة * من الوجد شوقا كنت أكتمه جهدي
تنادي هديلا فوق أخضر ناعم * لوقت ربيع باكر في ثرى جعد ٢
فقلت تعالي نبك من ذكر ما خلا * ونذكر منه ما نسر وما نبدي
فان تسعديني نبك دمعتنا معا * والا فاني سوف أسعفها ٣ وحدي

﴿وقال جحدر ٤﴾

وكنت قد اندملت ٥ فهاج شوقي * بكاء حمامتين ٦ تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمي * على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى * وفي الغرب اغتراب غير دان

﴿وقال آخر﴾

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة * فاني الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني * وكدت بأسراري لهن أبين
فلم تر عيني مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

﴿قلت﴾ وليس يبتدع بكاؤها بلا دمع مهراق من هموع الآماق ولله در ابن المعتز اذ قال معتذرا عن ذلك بألطف مقال

وبكيت من حزن لنوح حمامة * دعت الهديل فظل غير مجيبها
ناحت وتحنا غير ان بكاءنا * بعيوننا وبكاؤها بقلوبها

وألطف من هذا في الاعتذار قول من أبدى منتخب الأعذار

وآلفة التغريد قاسمتها الهوى * فكان عليها النوح والدمع من عيني
وعارضتها بالنوح حتى تشبهت * بالني يلبس الطوق في موضع العقد

وقد أبدى ابن حجة وجها آخر لامساك عبرتها مع كون لوعتها اذ قال

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعي بعد فرقة حبه
أنكي به لما سمعت تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

﴿وقال الهذلي﴾

ألا يا حمام الايك إلفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فانني * بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكي والفؤاد قريح

﴿وقال آخر﴾

دعاني الهوى والشوق لما ترنمت * على الايك من بين الغصون طروب
تجاوبها ورق أرعن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب
ألا يا حمام الايك مالك باكيا * أفارقت إلفا أم جفاك حبيب

﴿وقال آخر﴾

الام على فيض الدموع وانني * بفيض الدموع الجاريات جدير

أيبكى حمام الايك من فقد إلفه * وأحبس دمعى اننى لصبور

﴿وقال حميد بن ثور﴾

وماهاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
بكت شجوه[٢] تكلى قد أصيب حميمها * مخافة بين يترك الحبل أجذما ٣
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

﴿وقال آخر﴾

رويدك يا قمرى لست بمضمر * من الشوق الا دون ما أنا مضمر

وقال الغازى وقد اجتاز بسوق باب الطاق ببغداد حيث يباع الطير فسمع حمامة تلحن فى قفص فاشتراها وأرسلها وقال

ناحت مطوقة بباب الطاق * فجرى سوابق دمعى المهراق
حنت الى أرض الحجاز بحرقة * تشجى فؤاد الهائم المشتاق
ان الحمائم لم تزل بحنينها * قدما تبكى أعين العشاق
كانت تفرخ فى الاراك وربما * كانت تفرخ فى فروع الساق
تمس الفراق وجذ حبل وتينه * وسقاه من سود الاساود ساقى
ياويحه ما باله قمرية * لم تدر ما بغداد فى الآفاق
فأتى الفراق بها العراق فأصبحت * بعد الاراك تنوح فى الاسواق
فشريتها لما سمعت حنينها * وعلى الحمامة عدت بالاطلاق
فى مثل ما بك ياحمامة فاسألى * من فك أسرك أن يفك وثاقى

﴿وقال سليمان بن حيان﴾

وهتوف ورقاء أرقت العيـ * ـن وزادت خبل الفؤاد خبالا
ذات طوق من الزبرجد يحكى * صفو عيش عنا تولى فزالا
أيقظتنى والصبح قد خالط الليـ * ـل كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنما خضبوها * بدموعى أو خاضت الجريالا ٤

﴿وقال المعتمد بن عباد﴾

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى ٥ على إلفها الدهر
وناحت وباحت فاستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يبوح به سر
فمالى لا أبكى أم القلب صخرة * وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها فقد غيره * وأبكى لآلاف عديدهم كثر

﴿وقال ابن عبد ربه﴾

ويهتاج قلبى كلما كان ساكنا * دعاء حمام لم تبت بوكون ٦
وان ارتياحى من بكاء حمامة * كذى شجن داويته بشجون
كأن حمام الايك لما تجاوبت * حزين بكى من رحمة لحزين

وقد تلطف ابن قرمان ملشاه فى البيت الثانى من قوله

ومما شجانى هاتف يبعث الاسى * يهيج من قلبى ومن خفقانه
يكاد القضيب اللدن ٧ بدمشق شدوه * فيشغله بالميس ٨ عن طيرانه

وقد سرى بنا القلم فى ميدان هذا المسلك البهيج مما يستحليه من هو فى طرق الطرف منتهج وما أجدر

١ الترح [redacted] وهو الهم [redacted] اه م[redacted]
٢ شجوه أى [redacted]
مطالق[redacted] المعنى والن[redacted] ولدها [redacted] مؤلفه
٣ أى أقط[redacted]
٤ الجريال [redacted] وجر[redacted] العصفر[redacted]
٥ أخـ[redacted] القامو[redacted]
٦ وكون جمع [redacted] الطائر [redacted] مؤلفه
٧ اللدن [redacted] اللين من [redacted] بضم اللا[redacted] اه مؤلفه
٨ الميس [redacted] ميسا أى تـ[redacted]

حديقة هذا الفصل بأن يسقى منتهاها بالعذب المعين من قول محيى الدين عبد الله بن رشيد الدين

نسب الناس للحمامة شجوا ٭ وأراها فى الشجو ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت العيـ ـن وغنت وما الحزين كذلك

﴿فرع﴾ اختلف العلماء فى جواز حبس الطيور وأنواع الحمام فى الاقفاص لحسن لونها أو صوتها والمشهور المنع قال الشيخ عبد الباقى الزرقانى عند قول الشيخ خليل فى باب الذكاة وحرم اصطياد مأكول لا بنية الذكاة مانصه بل بلا نية أصلا أو بنية فرجة عليه كغزال أو بحبسه بقفص ولو لذكر الله كدرة وقرى اهـ وأيده محشوه وبعضهم أخذ الجواز من قول المدونة اذا حل رجل قفص طائر ضمن ومن حديث يا أبا عمير مافعل النغير ولا حجة فى ذلك أما كلام المدونة فقال الابى فى شرح مسلم على حديث عذبت امرأة فى هرة لا حجة فيه لانه كلام خرج فى جواب السائل ولم ينصب لبيان الحكم فى الاتخاذ قال والاظهر المنع لانه سجن لها ولو سرحت لذهبت ولا فرق بين سجن آدمى أو طير ﴿فان قلت﴾ لو منع سيد عبده الخروج وأجرى عليه النفقة جاز وكذلك اتخاذ الاطيار فى الاقفاص ﴿قلت﴾ ليس مثله وانما مثله لو سجن السيد عبده لا لوجه لان اتخاذ الطير فى الاقفاص انما هو لوجوه لم يشهد الشرع باعتبارها اهـ بتقديم وتأخير ونقله ابن الشاط وسلمه وأما الحديث فرد ابن ناجى الاستدلال به قائلا ان الشيوخ قيدوا الحديث بغير التعذيب وحبس الطير فى الاقفاص السنين المتطاولة تعذيب له أشد العذاب واستحسنه أبو مهدى ورد الاستدلال بالحديث أيضا الابى ونصه فى المحل المذكور ولا يحتج للجواز بحديث النغير وقال ان لعب الصبيان أشد من اتخاذهم فى الاقفاص لان حديث النغير قضية عين سيما وقد كان بحضرته صلى الله عليه وسلم الذى تنتفى معه الموانع كلها اهـ منه بلفظه ونقله ابن الشاط وسلمه ونقل الكمال الدميرى عن ابن عقيل الحنبلى انه منع من ذلك وجعله سفها وتعذيبا لقول أبى الدرداء رضى الله عنه تجىء العصافير يوم القيامة تتعلق بالعبد الذى كان يحبسها فى القفص عن طلب أرزاقها وتقول يارب عذبنى فى الدنيا اهـ ﴿قلت﴾ لا يخفى ان قول أبى الدرداء هذا حكمه الرفع وقال فى روح البيان ولا يجوز حبس البلبل والطوطى والقمرى ونحوها فى القفص أى اذا كان الحبس لاجل اللهو واللعب وأما اذا كان لا لاجل الانتفاع كحبس الدجاج والبط والاوز ونحوها للتسمين أو لئلا تضر بالجيران فهو جائز اهـ ﴿قلت﴾ وكذلك حبس الحمام للانتفاع بأولاده فهو جائز قطعا وكذلك كل ما كان لمنفعة شرعية وبما تقدم تعلم ضعف مانقله الشيخ جسوس فى شرح الشمائل عن المناوى ونصه على حديث النغير وفيه جواز حبس الطير فى نحو قفص لسماع صوته أو رؤية لونه اذا أحسن القيام به وقص جناح الطير اذ لا يخلو حال طير أبى عمير من واحد منهما وأيهما كان الواقع التحق به الآخر فى الحكم اهـ ومثله مافى الابى عن بعضهم ونصه وقد كان جماعة من الشيوخ يتخذونه حكى ابن عبد السلام عن ابن زيتون انه كان يتخذ العصافير فى الاقفاص لسماع نغماتها فاذا مضت لها أظنه قال ستة أشهر أطلقها ثم قال والاظهر المنع كما قدمناه اهـ منه ﴿قلت﴾ وكذلك رأيت بعض المشهورين بالولاية ممن أخذت عنه بمكناسة الزيتون يتخذها فى الاقفاص لذلك وأخبرونا أن مولانا عبد القادر العلمى دفين مكناسة كان يتخذها لذلك أيضا وحكم شراته لغير منفعة شرعية الحرمة أيضا ولا معنى لتنظير الزرقانى فى ذلك كما قاله محشيه البنانى وسلمه من بعده فان وقع ونزل وصيد أو اشترى وحبس فالصواب ان تسريحه جائز خلافا للشيخ الرهونى حيث استظهر المنع قائلا لانه من اضاعة المال فقد اعترضه شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله محمد جنون فى اختصاره مستدلا بقول الابى مانصه ولا يكون اطلاق الطيور من اضاعة المال لانه قصد به الخير وما قصد به الخير فليس من اضاعة المال كالصدقة ولا يبعد أن يكون له فى اطلاقه أجر

حكم حبس الطيور في الاقفاص

والاعمال

والاعمال بالنيات اه ونقله ابن الشاط فى حاشية مسلم وسلمه اه كلام شيخنا وهذا هو الذى انفصل عليه الشيخ البنانى عند قول الشيخ خليل وحرم اصطياد مأكول الخ خلاف ما له من المنع عند قوله وما صاده محرم أو صيد له ميتة ثم انما قدمناه من ان الصواب ان تسريحه بعد امساكه جائز ينبغى أن يقيد بغير طير لا رفيق له وأما الطيور التى لا رفيق لها كالفواخت عندنا والعصافير المسماة بالسكر فانه ان سرحت قتلتها الطيور فالظاهر وان لم أره لاحد ان تسريحها حينئذ حرام لما ذكرنا لا لانه من السائبة كما زعم الزرقانى نعم امساكه أولا أو الاتيان به من محله أو شراؤه معصية تجب منها التوبة والاستغفار والله أعلم (وقول الناظم فى الآصال) هو جمع أصيل كشهيد وأشهاد والاصيل الوقت الذى بين العصر والغروب ويجمع أيضا على أصل كقضيب وقضب وأصلان بالضم كبعير وبعران وأصائل كربيب وربائب وما ذكرناه من ان الآصال والاصل جمع أصيل هو الذى فى القاموس والصحاح والمختار والمصباح ونقل الشيخ مرتضى فى شرح القاموس عن الصلاح الصفدى فى تذكرته أن الآصال جمع أصل بضمتين لا جمع أصيل وان أصلا مفرد كأصيل لا جمع أى وان كان أصل يكون جمعا أيضا واستدل الشيخ مرتضى على ان أصلا بضمتين مفرد بقول الاعشى

يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

وذكر النسفى والخطيب فى تفسيرهما عند قوله تعالى بالغدو والآصال ان الآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل فهو عندهما جمع الجمع ومثله للرازى ولم أر للغويين ما يوافقه وللبيضاوى والجمل فى حواشى الجلالين فى الآية المذكورة وغيرها اما يوافق ما فى القاموس وغيره من انه جمع أصيل ولكن الصواب ما فى شرح القاموس من أن الآصال جمع أصل المفرد لا جمع أصيل لما فى الاساس من أن أصلا مفرد ولما فى الكشاف من أن الآصال جمع أصل كعنق ولان جمع فعيل على أفعال ليس بقياسى كما ذكره النحاة وهو الذى حققه المحقق الشهاب فى حواشى البيضاوى والله تعالى أعلم ولبعضهم فى اسم أصيل

الهى اجمع بن أهواء شملى * ومتعنى بهم زمنا طويلا
وحى منازلا قد عشت دهرا * أواصل بكرة فيها أصيلا

﴿ثم قال الناظم﴾

٦ ﴿وبعد فالقصد بذا المنظوم * تنبيه عين طالب العلوم﴾

لما فرغ رحمه الله تعالى من الخطبة انتقل الى بيان المقصود من هذا النظم فبعد لفظ يؤتى به للانتقال من أسلوب لآخر مغاير له والاصل مهما يكن من شئ بعد ما تقدم من الحمد والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وآله الخ فالقصد ثم أقيمت أما مقام اسم الشرط وفعله ومتعلقه وليس المراد أنها بمعناها اذ لا كانت اسما لفعلا معا وهو لا يعقل ثم أقيمت الواو مقام أما وخصت بذلك من بين سائر حروف العطف لانها أم الباب ولانها اختصت بأشياء من بين حروف العطف فناسب أن تختص بالنيابة عن أما ولانهما اشتركا فى ان كلا منهما ورد للاستئناف ويستعمل هذا الظرف مع أما والواو معا عند بعضهم ومع احداهما دون الاخرى قاله الحطاب فى شرح المختصر ورده الخرشى فى كبيره بأنه تبع فيه ابن أبى شريف وغيره قال والمختار عدم الجمع بينهما كما قاله الكستلى على شرح عقائد النسفى اه * وبعد ظرف مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة لفظا ونية معنى المضاف اليه ويصح كونه ظرف زمان باعتبار النطق ومكان باعتبار الرقم والصواب فى علة بنائه شبهه بأحرف الجواب كنعم وبلى فى الاستغناء بها عما بعدها وبنى على حركة لدفع التقاء الساكنين وليعلم أن له اصالة فى الاعراب وبنى على خصوص الضم لتكمل له جميع الحركات ولتخالف حركة بنائه حركة اعرابه ويصح أن يكون الظرف معربا بالنصب على نية المضاف معت وبه

اليه وانما لم يبن في هذه الحالة لان اللفظ المنوي كالثابت فلم يوجد الاستغناء الذي هو علة البناء أجاز هذا الوجه هشام وقال ابن النحاس انه غير معروف أي من كلام العرب وان كان صحيحا والصحيح ان هذا الظرف من متعلقات الجزاء لاطلاق الشرط حينئذ وعدم تقييده بهذه البعدية بخلاف ما اذا جعل متعلقا بالشرط والمعلق على شيء مطلق أقوى تحققا من المعلق على مقيد ولان تقييد القول المجعول جزاء بهذه البعدية أدل على امتثال طلب البدء بالحمدلة من تقييد الشرط بها أشار له المحقق الصبان وانما اقترنا في الجزاء أقول لوجوب اقتران الجواب بالنسبة للشرط وكون الناظم قصد بهذا النظام ايقاظ عين طالب العلم أمر ماض واقع قبل شروعه في التأليف رأسا فكيف يعلق على أمر مستقبل وهو الشرط (فان قلت) قدم شرح الاشموني وغيره عند قول ابن مالك وحذف ذي الفا قل في نثر الخ بوجوب حذف الفاء مع حذف القول فاما أن يقال الصواب حذف الفاء أو لا يقدر القول (فالجواب) ان ذلك غير متفق عليه ففي المغني والهمع حكاية قول بوجوب ذكر الفاء في الاختيار حتى مع حذف القول وان الجزاء في قوله تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا قول محذوف أي فيقال لهم ذوقوا (تنبيهان * الاول) قال العلامة المشارك سيدي محمد بن عبد الباقي الزرقاني في أول شرح المواهب وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يقول أما بعد في خطبه وشبهها كما روى ذلك أربعون صحابيا كما أفاده الرهاوي في أربعينه المتباينة الاسانيد وما أدري ما وجه اقتصار كثير من على الظرف كالمصنف يعني القسطلاني ولا يكفي الاعتذار بأن المدار عليه أور وما للاختصار لان المطلوب اتباع ما جاءت به السنة لا سيما والاطناب مطلوب في الخطب وكون المدار عليه يحتاج لوحي يسفر عنه اهـ وقال بعض الشافعية يستحب الاتيان بها في الخطب والمكاتبات اقتداء بالمصطفى عليه الصلاة والسلام اهـ نقله الخرشي أول شرحه على المختصر وهو مذهبنا أيضا (الثاني) اختلف في أول من نطق بأما بعد أي بعد آدم عليه السلام كما في حاشية ابن الحاج على ميارة فقيل داود عليه السلام وهو فصل الخطاب الذي أوتي وهذا أقرب وعليه جمهور المفسرين وورد ذلك في حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قال أما بعد داود وهو فصل الخطاب وقال ابن الاثير الذي أجمع عليه المحققون وعلماء البيان أن فصل الخطاب هو أما بعد لان المتكلم يفتتح كلامه في أمر ذي شان بذكر الله تعالى وتحميده فاذا أراد أن ينتقل الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد اهـ ولا يعارضه أن داود أعجمي كما استشكله صاحب روح البيان لانه نطق بمرادفها وقيل كعب وقيل يعرب وقيل قس وقيل سحبان وائل بالاضافة الذي كان في الجاهلية لا سحبان بن وائل الذي كان في زمن معاوية بخلاف ما وقع للحطاب وغيره من شروح خليل قاله ابن التلمساني في حاشية الشفا ومثل ما للحطاب في توهم انه سحبان بن وائل للعلامة الهلالي في شرح الخطبة فاحتاج للاعتراض ولا يدل قول سحبان بن وائل

لقد علم الحي اليمانون أنني * اذا قلت أما بعد أني خطيبها

على أنه أول من قالها وقيل يعقوب وقيل أيوب وقد أشار الى هذه الاقوال رضي الدين الغزي بقوله

جرى الخلف أما بعد من كان بادئا * بها سبع أقوال وداود أقرب
لفصل خطاب ثم يعقوب قسهم * فسحبان أيوب فكعب فيعرب

وفي غرائب مالك للدارقطني أن يعقوب أول من قالها قال الحافظ ابن حجر فان ثبت وقلنا ان قحطان من ذرية اسمعيل فيعقوب أول من قالها مطلقا وان قلنا ان قحطان قبل ابراهيم فيعرب أول من قالها اهـ نقله في شرح المواهب (قول الناظم فالقصد) هو بمعنى المقصود كقوله تعالى هذا خلق الله أي مخلوقه (وقوله

بذا المنظوم) الاشارة الى محسوس موجود فى الاعيان ان أخر هذه الخطبة على النظم والا فالاشارة الى مقدر فى الذهن ﴿قلت﴾ هكذا تواطأ عليه الناس فى مثل هذا التركيب والمتعين عندى هو الاحتمال الثانى الذى هو تقدم الخطبة والا فيفوت الابتداء بالحمدلة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى والله أعلم ● والمنظوم اسم مفعول من النظم وهو لغة مطلق الجمع من نظمت العقد مثلا اذا جمعت جواهره على وجه يستحسن واصطلاحا الكلام الموزون الذى قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية والوزن تساوى قسمين عددا وترتيبا فقولنا الكلام جنس خرج عنه المفرد والمركب الموزون الذى لا فائدة له وقوله الموزون فصل خرج به المنثور وقولنا الذى قصد وزنه فصل ثان خرج به الكلام الموزون من غير قصد كما وقع ذلك فى آيات من كتاب الله وكلمات من كلمات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الآيات فقد وقعت بحور الشعر كلها فى القرآن وبحور الشعر خمسة عشر مجموعة فى قول بعضهم

طويل مديد والبسيط ووافر ● وكاملهم هزج ورجز مع الرمل
سريع ومنسرح خفيف مضارع ● ومقتضب مجتث متقارب كمل

ومحكن ناظم هذين البيتين عين هزج ورجز وحاء منسرح وتاء متقارب وجيم مجتث وحذف تنوينه ضرورة لان ذلك من ضرورات الشعر المجموعة فى قول الزمخشرى

ضرورة الشعر عشر عد جملتها ● مد وقصر وتخفيف وتشديد
وصل وقطع وتحريك وتسكنة ● ومنع صرف وصرف تم تعديد

والبحور الخمسة عشر هى التى استقرأها الخليل من كلام العرب وزاد عليه الاخفش بحرا آخر سماه المتدارك بفتح الراء وكسرها لاستدراكه على الخليل ويسمى بغير هذا الاسم أيضا فمن الطويل الواقع فى القرآن فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن المديد واصنع الفلك بأعيننا ومن البسيط فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم ومن الوافر ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ومنه أيضا ويعلم ما جرحتم بالنهار ومن الكامل تاما صلوا عليه وسلموا تسليما ومجزوا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ومن الهزج فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا ﴿قلت﴾ هكذا أورده اليفرنى فى شرح التوشيح وغير خفى أن أجزاء الهزج مفاعيلن ست مرات الا انه لم يستعمل غالبا الا مجزوا فيصير مفاعيلن أربع مرات أما عروضه فهى واحدة تامة ولها ضربان أحدهما تام مثلها وثانيهما محذوف اذا علمت هذا فالآية الممثل بها اذا وزنتها وجدت آخر العروض منها وقوله وجه بشرط تنوينه أو اشباع هائه وضربها محذوف ولا يضر حذف الياء من يأت لانها فى مقابلة النون من مفاعيلن فقد دخله الكف وهو ظاهر لمن له أدنى المام بفن العروض والصواب فى المثال قوله وقالوا حسبنا الله ومن الرجز دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ومن الرمل مجزوا وجفان كالجواب وقدور راسيات ومنه أيضا لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومن السريع قال فاخطبك يا سامرى ومنه أيضا أو كالذى مر على قرية ومنه أيضا يأيها الناس اتقوا ربكم ومن المنسرح انا خلقنا الانسان من نطفة ومن الخفيف أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم قال اليفرنى فى شرح التوشيح كذا أورده صاحب المفتاح اه ﴿قلت﴾ اغتبر أمنه لانه منكسر بزيادة لام ذلك نعم لو وجدت قراءة بدون لام لصح التمثيل حينئذ وأما الالف التى بعد الراء من أرأيت فانها قرئت بالهمز وعليه يصح التمثيل والصواب فى التمثيل ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ومنه أيضا لا يكادون يفقهون حديثا ومنه أيضا ان قارون كان من قوم موسى ومن المضارع يوم التنادى يوم تولون مدبرين كذا قال اليفرنى ﴿قلت﴾ وغير خفى ان أجزاء المضارع مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن مرتين وفاع لاتن فيه مفروق الوتد ولا يستعمل الا مجزوا فيصير مفاعيلن فاع لاتن

النظم لغة

التمثيل للبحور من القرآن

(قوله منه الذى منه ... ويصح قوله اليتيم ... مؤلفه

والكف وهو حذف السابع لازم فى أول أجزائه وهو مفاعيلن والآية لا تتزن على هذا كله وواضح جلى والصواب التمثيل بقوله ألم يأتكم نذير ومن المقتضب فى قلوبهم مرض ومن المجتث نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم ومن المتقارب وأملى لهم ان كيدى متين واعترض ابن مرزوق اخراجهم المركبات القرآنية بقولهم فى حد النظم قصدوزنه بانه يستحيل عليه تعالى الذهول والغفلة فلا يصح اخراجها والذى يصح اخراجه بقولهم قصدوزنه مااتفق وزنه من كلام من يجوز عليه ذلك ورده جماعة من المحققين قال العلامة الصبان ويمكن دفع هذا الاعتراض بان المراد بقصدوزنه فى التعريف أنه قصد على وجه كونه غير نثر وكذا قال العلامة الصباعى فى قوله قصدوزنه أى قصد قائله الشعرية * وأما كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم فنها قوله فى غزوة حنين

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فانه من مجزوّ الرجز ونقل ابن القطاع اجماع العلماء على انه من كلامه صلى الله عليه وسلم ونقله النووى فى شرح مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم

تفاءل بما تهوى تنله فقلما * يقال لشئ كان الا تحققا

فانه من الطويل أخرج الحاكم والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا تفاءل بما تهوى الخ قالت عائشة لم يقل تحققا أى وانما قال تحقق لئلا يعرب به فيصير شعرا لوضعفه البيهقى بأن فى اسناده مجهولا وقال الذهبى انه حديث باطل وعلى تقدير صحته فالظاهر انه من كلام العرب وتمثل صلى الله عليه وسلم به وقوله صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

فانه من الرجز وكذا لا يكون شعرا ما وقع من متكلم موزونا لم يقصد وزنه كما يتفق حتى للعوام وما جهل قصد قائله الوزن لا يحمل على الشعر الا اذا تكرر كبيتين فأكثر لدلالة القرينة حينئذ على قصد الوزن فيكون شعرا فهذا النوع مما لم يقصد وزنه لا يسمى شعرا قال ابن رشيق فى العمدة كل ما كان من هذا النحو انما يقال له متزن لا موزون أى عرض على الوزن فاتزن ﴿تنبيه﴾ محل كون ماذكر متزنا لا موزونا مالم يقع فى مقام الاقتباس والا فهو شعر لوقوعه فى كلام من يقصد الشعر ﴿فرع﴾ حكم الاقتباس من الآية والحديث عند مالك رضى الله عنه المنع مطلقا كالبعضهم وللمتأخرين من الشافعية انه جائز وقد انتصر المحقق ابن حجر الهيتمى فى شرحه للهمزية للجواز حتى حكى الاجماع عليه وجهل من منعه فانه قال وخلاصة المحقق منه انه مجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء قاطبة فى خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم بالمنصوص والمنقول فقد استعمله النبى صلى الله عليه وسلم فى غير ما حديث له والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا فى كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه يرده استعمال مالك رضى الله عنه ونص على جوازه وفى شرح مجمع البحرين لابن الساعاتى التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين أن يزاد على لفظ القرآن أو ينقص منه أو يغير اعرابه وأن لا اه كلام ابن حجر وممن نص من المالكية أيضا على جوازه ابن رشيق فى شرح الموطأ والباقلانى كما فى شرح المواهب للزرقانى قال السيوطى وروى الخطيب البغدادى وغيره بالاسناد عن مالك أنه كان يستعمله وهذا أكبر حجة على من زعم ان مذهب مالك تحريمه وأما مذهبنا فأجمع أئمته على جوازه والاحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم فمن نسب الى مذهبنا تحريمه فقد فشر وأبان انه أجهل الجاهلين اه ﴿قلت﴾ وله أى السيوطى تأليف فى المسئلة سماه رفع الالباس وكشف الالتباس فى ضرب المثل من القرآن والاقتباس وهو من التآليف التى

ضمنها

اقتباس من القرآن وما يتبع ذلك ومثله

ضمنها كتابه الحاوي للفتاوي انتصر في التأليف المذكور للجواز بكلام الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ثم قال أخيرا وكيف يجحده مطلع على كتب هؤلاء القوم فانها محشوة به نثرا ونظما فصار معلوم السبيل علما وجزما اه وذلك قاض بغلطه فيما أورده في عقود الجمان حيث قال

قلت وأما حكمه في الشرع * فمالك مشتدد في المنع
وليس فيه عندنا صراحه * لكن يحيي النووي أباحه
في النثر وعظا دون نظم مطلقا * والشرف المقرى فيه حققا
جوازه في الزهد والوعظ وفي * مدح النبي ولو بنظم فاقتفي
وتاجنا السبكي جوازه نصر * اذ التميمي الجليل قد شعر
وقد رأيت الرافعي استعمله * وغيره من صلحاء كمله اه

قال في شرح المواهب بعد ما نقل اتفاق المالكية والشافعية على جوازه غير أنهم كرهوه في الشعر خاصة اه ثم ان محل الجواز مالم يشتمل على سوء أدب والا فيمنع فمن الجائز قول بعضهم

أقول لمقلته حين ناما * وسحر النوم في الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

﴿وقول الشاب الظريف﴾

وطرفه الساحران * شككتم في أمره
يريد أن يخرجكم * من أرضكم بسحره

﴿وقول الآخر﴾

تجرد للحمام عن قشر لؤلؤ * وألبس من ثوب الملاحة ملبوسا
وقد جرد الموسى لتزيين رأسه * فقلت لقد أوتيت سؤلك ياموسى

﴿وقول الآخر﴾

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره
أسكنتهم في مقلتي * فاذاهم بالساهره

﴿وقول الآخر﴾

ان دمعت عيني فمن أجلها * بكى على حالي من لا بكى
أوقعني انسانها في الهوى * ياأيها الانسان ما غرّكا

﴿وقول الآخر﴾

قالت لنا سود عيون الظبا * وهي تسل البيض في المعركه
ياعصبة العشق تنحوا ولا * تلقوا بأيديكم الى التهلكه

﴿وقول ابن نباتة وقد أحسن في مدح نجم الدين﴾

اذا العلماء اتخذوا أعلامًا * فهم بضيائك يسترشدون
فأحسن بهم في دياجي السطور * وقياما وبالنجم هم يهتدون

(وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني كما نسبه له ابن حجة والسيوطي)

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكمو * حتى يخوضوا في حديث غيره

(ومن لطائف هذا الباب) قول محيي الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم • جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم ياليتنى • كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

﴿وقول ابن نباتة﴾

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه • وأسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه • ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

(ومن الاقتباس من الحديث) وقد عده الامام النابلسى فى شرح بديعيته من الجائز قول ابن عباد

قال لى ان رقيبى • سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنة حفت بالمكاره

﴿وقول ابن نباتة﴾

والقلب قد أسكن الله الحبيب به • فما الملام على حال يجليه
لا يخشى بيت قلبى غزو لائمه • فان للبيت ربا سوف يحميه

﴿وقول الآخر﴾

اذا رأيت عارضا مسلسلا • فى وجنة كجنة يا عاذلى
فاعلم يقينا أننى من أمة • تقاد للجنة بالسلاسل

﴿وقول الصاحب بن عباد﴾

أقول وقد رأيت له سحابا • من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل • حوالينا الصدود ولا علينا

﴿وقول شمس الدين الموصلى﴾

ومنكر قتل شهيد الورى • ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده • والريح ريح المسك من خاله

﴿ومن الاقتباس الجائز المرغوب من القرآن﴾ قول الشيخ برهان الدين الباعونى

قالوا الحبيب اشرأب • للبسط والانس جاءت
فقلت ردا عليهم • بئس الشراب وساءت

(وقول الامام أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى الشافعى)

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف • ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله فى آياته • ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

﴿وقول الآخر﴾

أيها السائل قوما • ما لهم فى الخير مذهب
اترك الناس جميعا • والى ربك فارغب

﴿وقول الآخر﴾

أيها المعطون مما • كرهوا الدنيا يلون
لن تنالوا البر حتى • تنفقوا مما تحبون

ومن هذا النوع المرغوب فى الاقتباس من الحديث قول الامام النابلسى

اجمل اذا املت خلا • ولا يريبك ذلك
وقل لكل جهول • نعم الادام الخل

﴿وقوله أيضا﴾

قابل بشكرك من قلت عطيته ٭ فى الناس أو كثرت واستبق ايناسا
ولا تكن ساخطا منهم على أحد ٭ لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

﴿وأما الاقتباس الممنوع اتفاقا﴾ فنحو قول أبى نواس

خط فى الارداف سطر ٭ من بديع الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى ٭ تنفقوا مما تحبون

﴿وقول الآخر﴾

أوحى الى عشاقه طرفه ٭ هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه ٭ لمثل ذا فليعمل العاملون

﴿ومما ينخرط فى سلك الممنوع أيضا قول بعضهم﴾

ياباعلا علم الحساب حبالة ٭ فى صيد ظبى ساحر الالباب
ان كنت تبغى بالحساب وصاله ٭ فالله يرزقنا بغير حساب

﴿وقول الآخر﴾

قلت وقد أوردنى حبه ٭ مواردا ليس لها مصدر
أفسدت دنياى ولا دين لى ٭ تفسده فاصدع بما تؤمر

وقد أقر هذا الشاعر بأنه لا دين له فلا حاجة للرد عليه ٭ ومن الاقتباس الذى لا يشك فى منعه مع انجذاب قائله تورية عجيبة فى صنعه قوله فى شخص اسمه فضل الله وأستغفر الله من تسطير ما بلغ من الفحش منتهاه

من الناس من يؤتى بطوع ومنهم ٭ بكره ومنهم من بنالك اذا انتشى
ومنهم من يؤتى على كل حالة ٭ وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

وقد ذكرنا لك الانواع الثلاثة أعنى الجائز والمرغوب والممنوع ٭ وقد يقع الاقتباس من مسائل الفقه (ومنه قول الامام الشافعى رضى الله عنه)

خذوا بدمى هذا الغزال فانه ٭ رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى أنا عبده ٭ وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

(ومنه قول القاضى عبد الوهاب المالكى)

يزرع وردا ناضرا ناظرى ٭ فى وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتى قطفه ٭ والحكم أن الزرع للزارع

ويقع الاقتباس أيضا من فن المنطق (ومنه قول الشاب الظريف)

للمنطقيين أشتكى أبدا ٭ عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فأبى ٭ أن نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما لنا أبدا ٭ مانعة الجمع والخلو معا

﴿وقول بعضهم﴾

مقلتاه الرقيب كيف غدت ٭ عند لقاء الحبيب منفصله
تمنعنا الجمع والخلو معا ٭ وانما ذاك حكم منفصله

وفى هاتين القطعتين بحث انظره فى شرح بديعية ابن حجة ويقع أيضا من علم الجدل ٭ ومنه قول الشاب الظريف

لحاظك ياهذا كورقبالها ٭ كلازم وامثل الارامل تنزل

وما بال برهان العذار مسلما ❊ ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندى أن الشمس بالصحو آذنت ❊ وسكرى أراه من محالك يقبل

﴿وأما الاقتباس من فن النحو﴾ فقد اتسع مجالهم فيه حتى أخرجوه الى التوجيه ومنه قول البهاء زهير

يا أيها الناس فدته أقبلت ❊ بالله كونى ألف الوصل

﴿وقول الآخر﴾

وما زال هذا الدهر يلحن فى الورى ❊ فيرفع مجرورا ويخفض مبتدا

﴿ومنه قول ابن العفيف﴾

يا ساكنا قلبى المعنى ❊ وليس فيه سواك ثانى
لأى شئ كسرت قلبى ❊ وما التقى فيه ساكنان

وهذان البيتان مع لطافتهما فيهما بحث انظره فى شرح بديعية ابن حجة غير أنهم نصوا على أن الشعر تواردة لا تفرك (ومن ألطف هذا الباب قول ابن الوردى)

وأغيد يسألنى ❊ ما المبتدا والخبر مثلهما لى مسرعا ❊ فقلت أنت القمر

ويقع الاقتباس أيضا من علم العروض كقول القائل

وبقلبى من الجفاء مديد ❊ وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى أن ❊ قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف فى الاقتباس من القرآن والحديث والفقه والمنطق والجدل والنحو والعروض وأمثلتها كثيرة مبسوطة فى دواوينها الشهيرة اقتطفناها من روضها الناضر ما يسر الخاطر ويقر الناظر

﴿تنبيه﴾ لا يضر فى الاقتباس بعض التغيير للمقتبس بحيث يعلم منه الاقتباس كقول بعضهم فى محبوب له اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى ❊ وذلك للمحبوب مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة ❊ وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وأخذت اسم المقول فيه هذان البيتان من قوله وما ضر ابراهيم الخ ويحتمل أن يكون فى قوله ابراهيم جناس معنوى فيكون أراد وما ضر الخليل فلا يتعين حينئذ أن يكون اسم المقول فيه ابراهيم ❊ ومن التغيير اليسير للمقتبس قولى

ذا الخال فى خد الحبيب الذى ❊ جرعنى كأس الهوى والقلق
انسان عينى سرقت نظرة ❊ من خده الابهى الشهى فاحترق
شاهد ذا الهوى على خده ❊ كم رق بالشهب حين استرق

﴿رجع الى بقية الكلام على تعريف النظم﴾ وقولنا فارتبط لمعنى وقافية احتراز عما لا معنى له من الكلام الموزون ومن الموزون غير المقفى أى غير المساوى عروضه ضربه فى الوزن الخاص والروى هذا هو المراد بالتقفية فى التعريف لا ما فهم الصبان حيث قال وقد حذفنا قيد مقفى تبعا للدمامينى ليدخل فى التعريف ما هو شعر اتفاقا كالبيت الواحد وكالمشتمل على عيب الاكفاء أو عيب الاجازة اه ﴿لا يقال﴾ ان ما لم يساو ضربه عروضه فى الوزن خرج بقولنا الموزون ﴿لانا نقول﴾ الخارج بقولنا موزون ما ليس موزونا على واحد من البحور الخمسة عشر أو الستة عشر والخارج بقولنا وقافية ما كان ضربه وعروضه مختلفين بالوزن كما لو كان أحدهما طويلا والآخر بسيطا مثلا فانه يصدق عليه أنه موزون لكن ليس على وزن خاص ❊ وهذا النظم الذى قصدنا شرحه بعون الله تعالى من بحر الرجز التام وهو من قبيل المشطور على التحقيق فكل شطر بيت فهو على هذا مثلث للدائرة مركب من بحر الرجز

مستفعلن

مستفعلن ثلاث مرات وقيل انه من قبيل التام وعليه فهو مسدس الدائرة مركب من مستفعلن ست مرات ﴿فان قلت﴾ يلزم على القول بأنه مسدس الدائرة اختلال شرط التقفية ﴿قلت﴾ قد علمت ان التقفية بمعنى اتحاد القافية غير شرط فى مسمى الشعر لئلا يخرج ما هو شعر اتفاقا كما مر فتدبر قال الخليل سمى الرجز رجزا لاضطرابه والعرب تسمى الناقة التى ترتعش فخذاها رجزاء كحمراء وانما كان مضطربا لانه يجوز حذف حرفين من كل جزء منه ويكثر فيه دخول العلل والزحافات والشطر والنهك والجزء فهو أكثر الابحر تغييرا فلا يثبت على حالة واحدة أولان فى كل جزء منه سببين خفيفين فيكون فيه حركة فسكون وقال ابن دريد سمى رجزا لتقارب أجزائه وقلة حروفه ومن ثم قد يطلق الرجز على كل شعر قلت حروفه وقصرت بيوته وقيل لان أكثر ما يستعمل العرب منه المشطور الذى على ثلاثة أجزاء فشبه بالراجز من الابل وهو الذى تشد احدى رجليه فيبقى على ثلاث قوائم والرجز حيث كان تاما هو من بحور الشعر اتفاقا وانما خالف الاخفش فى المشطور والمنهوك منه فذهب الى انه ليس بشعر بل سجع هذا الذى نقله عنه الدمامينى والدمنهورى خلافا للابيارى فى سعود المطالع حيث نسب للاخفش القول بعدم شعرية الرجز مطلقا واتفق الاخفش والخليل وأكثر العروضيين على أن ما كان على جزء واحد ليس بشعر بل سجع وخالفهم الزجاج وجعل من الشعر نحو قول القائل

موسى القمر * غيث زخر * يحيى البشر

﴿فائدتان * الاولى﴾ اشتهر أن أول من قال الشعر آدم عليه السلام رثى ولده هابيل بقوله

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه الصبيح

هكذا اشتهر بين جماعة من المفسرين ورده الزمخشرى والرازى والخطيب والجمل عند قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه الآية وكذلك رده العلامة الابيارى فى كتابه النوافح وأشار المرد أيضا فى كتابه سعود المطالع ورده أيضا جماعة غير من ذكرنا لقول ابن عباس رضى الله عنهما من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء عليهم السلام كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الزمخشرى ويروى أنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وقد صح أن الانبياء عليهم السلام معصومون عن الشعر اه قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قاله فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المتعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة اه ولبعضهم

والانبياء كلهم قد عصموا * من قول شعر كيف كان فاعلموا
وما نرى لبعضهم منه كذب * بحت كمرثية آدم انتخب

﴿الثانية﴾ أول من نطق بالشعر كما فى حسن المحاضرة هو يعرب بن قحطان وأول من تروى له ثلاثون بيتا من الشعر مهلهل حكاه ثعلب عن الاصمعى (وقول الناظم تنبيه عن طالب العلوم) أى ايقاظه من غفلته عن آدابه ورتبته * ثم قال الناظم

(٦) ﴿وذاك أننى رأيت القوما * فى بحرها لا يحسنون عوما﴾

الواو للاستئناف وذاك مبتدأ وهو اشارة للقصد وأننى بفتح الهمزة لوقوعها موقع التعليل فلام التعليل مقدرة قبلها على أن متعلقة بمحذوف خبر ذاك ويحتمل أن تكون الاشارة راجعة الى المنظوم ويكون اسم الاشارة فى محل نصب بفعل محذوف والتقدير ونظمت ذاك المنظوم لاننى الخ ورأى بصرية وتاء المتكلم فاعل برأى والقوم مفعولها وجملة لا يحسنون عوما حال من المفعول وفى بحرها متعلق بعوما والضمير المضاف اليه بحر يعود على العلوم فى البيت قبله والقوم اسم جمع لا واحد له من لفظه بل من

معناه كرجل وامرئ وهو يذكر ويؤنث لان أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم قال تعالى وكذب به قومك فذكر وقال تعالى كذبت قوم نوح فأنث ويجمع على أقوام وجمع الجمع أقاوم وأقاويم وأقائم وهو خاص بالرجال دون النساء قال تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال سبحانه ولا نساء من نساء وفى الحديث فليسبح القوم وليصفق النساء وقال زهير وما أدرى وسوف إخال أدرى ٭ أقوم آل حصن أم نساء

وقال الفخر الرازى فى الآية القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم كصوم جمع صائم والقائم بالامور هم الرجال فعلى هذا القوم الرجال لا النساء اه وتأمله فان صريحه أنه جمع له واحد من لفظه وقد صرح جمع بأنه اسم جمع لا واحد له من لفظه قال الصاغانى وربما دخل النساء تبعا لان قوم كل نبى نساء ورجال اه وقيل القوم يقع على الرجال والنساء معا وبه صدر فى القاموس لكن لم يذكره الجوهرى فى الصحاح ولا صاحب المصباح ولا غيرهما والآية والحديث والشعر يدل على قصره على الرجال والله أعلم وقوم الرجل أقرباؤه والذين يجتمعون معه فى جد واحد وقد يطلق على الاجانب توسعا ومنه قوله تعالى يا قوم اتبعوا المرسلين على أن القائل كان مقيما بين أولئك ولم يكونوا ذوى قرابة ٭ والبحر خلاف البر قال سمى به لعمقه واتساعه والجمع أبحر وبحار وبحور وكل نهر عظيم بحر وفى القاموس البحر الماء الكثير أو الملح فقط اه والفرق بين البحر والنهر ان كل نهر ذى ماء فهو بحر بشرط أن يكون جاريا كدجلة والفرات والنيل وما أشبهها من الانهار الكبار وأما البحر الكبير الذى هو مغيض للمياه فلا يكون ماؤه الا ملحا أجاجا ولا يكون ماؤه الا راكدا قاله بعضهم ﴿فائدة﴾ عن وهب بن منبه أن البحار المعروفة سبعة بحر النهر وبحر السند وبحر الشام وبحر افريقية وبحر أندلس وبحر الصين وبحر الروم اه وأما غير المعروفة فلا تحصر فقد ورد ان فى السماء بحرا وتحت الارض بحرا بل بحورا وفيما بين السماء والارض بحرا وان بحرنا هذا ازقة حوت وانه فى نقرة ابهام ملك حكاه ابن الطلاع فى غرائب الحديث وعن وهب بن منبه أيضا ان الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الارض فى البحار فاذا لا يزيد ماء البحر فاذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة والله أعلم ولصالح بن شريف الرندى يصف عظمة البحر

البحر أعظم مما أنت تحسبه ٭ من لم ير البحر يوما لم ير العجبا
طام له حبب طاف على زرق ٭ مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

﴿ولبعضهم وقد أحسن وأجاد﴾

انظر الى البحر ما أحلى شمائله ٭ يأتى الى الشط طورا ثم ينعطف
كأنه ملك جاءت عساكره ٭ تقبل الارض طورا ثم تنصرف

ولقد برع بعضهم اذ قال فى بعض الرؤساء وقد ركب البحر

ولما امتطى البحر ابتهلت تضرعا ٭ الى الله يا مجرى السحاب بلطفه
جعلت الندى فى كفه مثل موجه ٭ فسلمه واجعل موجه مثل كفه

وللشهاب المنصورى ملغزا فى البحر مخاطبا ابن شادى الناصرى

يا ناصرى فيما أحاول والذى ٭ فاق الورى من شاعر أو كاتب
ما زائر أحيانك منه بطلعة ٭ راقتك ذات عوارض وشوارب
البسط منه يجتلى ورضابه ٭ حلو الترشف لذة للشارب
ويريك وجها مستنيرا ماله ٭ عين هناك وماله من حاجب

الكلام فى البحر

فانهض اليه وغص بشكر بحره * لتفوز منه بدر معنى راسب
لازلت ترقى متنه متنزها * بأجل مركوب وأفضل راكب

﴿وأحسن منه قوله ملغزا فيه﴾

ياجر علم أذعنت * لنبله أهل الادب
ما اسم ثلاثى به * ترى العجائب والعجب
له اتساع باهر * حير كل من حسب
وتشتهى رؤيته * لانها تنفى الكرب
لكن يخاف شره * اذا المتشاط وانقلب
فكم أباد من أتى * اليه يأمل الطلب
وقلبه رحب ينيل * كل شخص ما طلب
وان قلعت عينه * بر ففارق العطب
وان تصحفه غدا * من كل غادة يجب
وان سبرت لفظه * سبر أديب منتخب
فالربع فيه قد بدا * وعالم عند العرب
ومن عجيب أمره * أنبه كل عجب
ان فات ما هو أقل * نم فقد رمت الارب

ولا بد فى سلوك البحر من سفينة وعلى ذكره واللغز فيه تذكرت قول بعضهم ملغزا فيها

وجارية تمشى وليس لها رجل * وتحمل كالانثى وليس لها بعل
اذا عطشت عاشت وعاش جنينها * وان شربت ماتت وضاع لها الحمل

وقول آخر يخاطب الشهاب المنصورى

يا الوذعيا قد حوى * سيوف فهم ماضيه
أين لنا جامدة * ترى كعين جاريه
وهى التى لم تدراذ * تبدو لنا فى ماهيه

﴿فأجابه﴾

أيا كريما صيده * أسد البديع الضاريه
سألت عن جارية * عن اللباس عاريه
عين رأت بقاءها * كل الجهات دانيه
تصحيفها سفينة * بكرم اولها اليه
أضحى السماك فوقها * وهى عليه عاليه
فى القتل لا يلزمها * لا قود ولا ديه
فاعجب لها جامدة * سائلة فى الماهيه

حكم ركوب ﴿فرع﴾ حكم ركوب البحر من حيث هو أنه جائز بلا خلاف اليوم وان اختلف فيه نظر السلف فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لاجرم يحرم لولا الحج والجهاد لضربت من يركبه بالدرة ثم منع ركوبه ورجع عن ذلك بعد مدة وكذلك وقع لعثمان ومعاوية رضى الله عنهم ثم استقر الاجماع على

يمنع ركوب البحر فى أحوال جواز ركوبه من حيث هو * ثم انه ممنوع فى خمسة أحوال ﴿أولها﴾ اذا أدى لترك الفرائض أو نقصها فقد قال مالك فى الذى يبعد فلا يصلى أيركب حيث لا يصلى ويل لمن ترك الصلاة ﴿الثانى﴾ ان خيف فيه من الغرق بسبب ارتجاجه فانه لا يجوز ركوبه لانه من الالقاء للتهلكة قالوا وذلك من دخول الشمس فى العقرب الى آخر الشتاء ﴿الثالث﴾ اذا خيف فيه الاسر واستهلاك العدو للنفس أو المال فلا يجوز ركوبه بخلاف ما اذا كان آمنا معهم ﴿الرابع﴾ اذا أدى ركوبه للدخول تحت أحكامهم والتذلل لهم ومشاهدة منكرهم مع الامن على النفس والمال وهذه حالة المسلمين اليوم فى الركوب وقد أجراها بعض العلماء على مسئلة التجارة لارض العدو والمشهور فيها الكراهة وهى من قبيل الجائز وعليه

يحمل ركوب الأئمة والعلماء والصالحين معهم وكأنهم استخفوا الكراهة في مقابلة تحصيل الواجب الذي هو الحج وما في معناه ﴿الخامس﴾ إذا خيف بركوبه ظهور عورة كركوب امرأة في مركب صغير لا يقع لها فيه سترة فقد منع ذلك حتى في حجها الا ان تختص بموضع في مركب كبير على المشهور قاله الشيخ زروق في شرحه لحزب البحر للإمام الشاذلي رضي الله عنهما ونفعنا بهما آمين ولبعضهم من قصيدة يحذر من ركوبه

وان دعت حاجة يوما الى سفر * اياك والبحر لا تركبه قد خطرا
ما فيه مستغرب الاسلامة * أسفاره غرر اياك والغررا
اذا ترامت جبال الموج والتطمت * في البحر لا حيلة تبقي اذا كدرا
ويحمد الكلب فوق البر راكبه * والكلب من جوعه يستلحس الدبرا
وكم أسير عدو الدين علكه * يبكي عليه الصفا في البحر قد أسرا
البر سافر مع الجم الغفير وقل * لا سرح الله من في بحركم سفرا
واطلب من الله لطفا في مفاوزه * وكن على حذر من كل ما حذرا
وكن على خالق المخلوق متكلا * سبحانه من إله ما أراد جرى

(وقول الناظم يحسنون) مضارع أحسن الرباعي بمعنى أتقن والعوم السباحة وفي الكلام استعارة تصريحية أعني في قوله بحر شبهت مسائل العلم بالبحر بجامع الاتساع والكثرة في كل ثم حذف المشبه واقتصر على المشبه به والقرينة اضافة البحر لضمير العلوم والعوم ترشيح ويحتمل أن يكون في الكلام استعارة بالكناية أعني في الضمير العائد على العلوم شبهت العلوم بالسفن بجامع أن كلا ينجي ثم حذف المشبه به واقتصر على المشبه والبحر قرينة والعوم ترشيح ويحتمل أن يكون في الكلام استعارة تصريحية كالأول لكن في قوله عوما شبه تعاطي العلوم بالعوم بجامع المشقة والاحتياج الى الحذر في كل ثم حذف المشبه واقتصر على المشبه به والقرينة اضافة بحر لضمير العلوم والبحر ترشيح (والمعنى) أن الحامل له على هذا النظم أنه رأى القوم أي طلبة العلم والعلماء لا يتقنون الآداب المطلوبة منهم فأراد تنبيههم على ذلك عسى أن يتقنوا ما هنالك وفقنا الله لما فيه رضاه وجعلنا ممن أطاعه وأرضاه آمين ولا يخفى ما بين قوم وعوم من الجناس اللاحق * ثم قال الناظم

(٦) ﴿راموا اصلاح الدين من عين الفساد * وحاولوا النفاق من سوق الكساد﴾

راموا أي أرادوا وضميره عائد على القوم والجملة حال أخرى من القوم على حذف الواو العاطفة لها على ما قبلها ويحتمل ان الجملة استئنافية لبيان عدم احسانهم تعاطي العلوم وهذا أقرب والصلاح ضد الفساد والدين له معان كما في القاموس الاصلاح والعبادة والطاعة والتوحيد والملة والورع والجزاء والعادة والمواظب من الامطار أو اللين منها والذل والداء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والملك والحكم والسيرة والتدبير والمعصية والاكراه ومن الامطار ما يتعاهد موضعا فصار له كالعادة والحال والقضاء واسم لجميع ما يتعبد الله عز وجل وهذا الاخير هو المناسب هنا في كلام الناظم ومنه حديث البخاري ومسلم وغيرهما في سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ثم لما سأله عنها وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم وذهب جبريل قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم ومن عين متعلق براموا أو بصلاح والأول أقرب ومن هنا للابتداء لانها كما تقع لابتداء الزمان تقع لابتداء غيره كما في المغني والابتداء هو أحد معانيها السبعة عشر ستأتي ان شاء الله منظومة وعين الشيء ذاته والفساد ضد الرشاد وحاولوا أي أرادوا معطوف على راموا والنفاق بفتح النون

الرواج من نفق البيع نفاقا راج والسوق معروفة تذكر وتؤنث والكساد ضد النفاق ففيه الطباق كما في الشطر قبله أيضا واضافة سوق الى الكساد متضمنة لاسناد الكساد للسوق أى حاولوا النفاق من السوق الكاسدة ونسب الكساد الى السلعة أيضا فيقال سلعة كاسدة وظاهر كلام الزمخشرى في الاساس أن نسبة الكساد اليهما معا حقيقة لا مجاز في الاول كما قد يتوهم (والمعنى) ان القوم الذين رأيتهم على الحالة المارة من انهم لا يحسنون عوما في بحر العلوم رأيت حالهم أيضا أنهم أرادوا أن يصلحوا دينهم من عين الفساد وأرادوا الرواج من سوق كاسد وهذا غاية الجهل الجالب لاعظم المفاسد وغير خفى ما بين الكساد والفساد من الجناس اللاحق ثم قال الناظم

٤) ﴿ونقصوا من بعدما قد زادوا * وسافروا وما تلاهم زاد﴾

نقصوا أى قلوا وضميره للقوم أيضا والجملة معطوفة بالواو على راموا في البيت قبله ومن بعد متعلق بنقصوا وما ظرفية مصدرية تسبك مدخولها بمصدر أى من بعد زيادتهم وسافروا معطوف على راموا أيضا والسفر لغة قطع المسافة مأخوذ من الاسفار ومنه أسفرت المرأة عن وجهها أظهرته وأسفر الصبح ظهر لان السفر لمشقته يسفر عن أخلاق الرجال وقوله وما تلاهم الواو للحال وما نافية وتلاهم أى تبعهم فعل ماض فاعله زاد وضمير المفعول المقدم على الفاعل عائد على القوم أيضا والزاد طعام المسافر وجملة قوله وما تلاهم زاد في محل نصب حال من فاعل سافروا (والمعنى) أن القوم أى طلبة العلم نقص عددهم من بعد زيادته وسافروا والبلاد هم من بعد ما طلبوا العلم مدة وما تبعهم زاد والمراد بالزاد هنا العلم الذى سافروا لاجله ففى لفظ زاد استعارة تصريحية لا يخفى تقريرها وقرينتها مقامية والمراد أنهم لم يحصلوا ما سافروا لاجله لعدم أدبهم وتركهم حسن السيرة التى أمر الشارع بارتكابها ويحتمل أن المعنى نقصوا معنى وان زادوا حسا فلعدم احرازهم آداب الطلب نقصوا معنى وان زادوا حسا فسافروا للدار الآخرة بلا زاد وذلك منشأ العطب وهذا أولى لعمومه وشموله لكل من يطلب العلم ببلاده أو سافر لاجله والله أعلم ﴿واعلم﴾ أن السفر للعلم الشرعى هو من أفضل الاعمال وأزكاها قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ففى الآية من الحض على السفر للعلم ما لا يخفى وقال الامام المواق في سنن المهتدين ما نصه قال سحنون فمن فيه أهلية للعلم تعين عليه الخروج في طلب العلم قال الشهاب الدين لا يستأذن مثل هذا أبويه بخلاف الجهاد قال لان الحاضر يقوم مقام غيره في الجهاد بخلاف العلم اذ ليس كل أحد أهلا له يعنى العلم الذى هو فرض كفاية وهو العلم الذى لا يتعلق بالانسان في خاصته انتهى كلام المواق وفى العهود المحمدية للعارف الشعرانى نفعنا الله به ما نصه أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم نجد أحدا نتعلم منه العلم الشرعى في بلادنا أن نسافر الى بلد فيه العلم وهى هجرة واجبة علينا اذا لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وهذا العهد قد أخل به كثير من الخلق وماتوا على جهلهم مع أن العلماء في بلادهم وربما كانوا جيرانا لهم اهـ وقال الامام الغزالى رحمه الله تعالى في الاحياء بعد ما قسم السفر الى أقسام ما نصه القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا ثم قال وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبى لو سافر رجل الى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الانصارى يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وكل مذكور في العلم محصل له من زمن الصحابة الى زماننا هذا لم يحصل العلم الا بالسفر اهـ وفى كتاب العلم من صحيح البخارى باب الخروج في طلب العلم ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى

السفر

عبد الله بن أنيس في حديث واحد ثم ساق حديث سفر موسى لاخذ العلم عن الخضر عليهما السلام والحديث الذي رحل اليه جابر هو قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الله تبارك وتعالى العباد أو قال الناس وأومأ بيده الى الشام عراة بهما غرلا قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شئ فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ويسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغي لاحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطالبه بمظلمة حتى اللطمة قال أي عبد الله بن أنيس قلنا له كيف وانما نأتي الله عراة حفاة غرلا قال بالحسنات والسيئات أخرجه البخاري في المظالم بلفظ ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت الحديث وقال الغزالي في محل آخر من الاحياء والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم اهـ ويروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم اطلب العلم حتى تخلق نعلاك وتنكسر عصاك وقد سافر أهل الاندلس من حاضرتهم الى الحجاز حتى أخذوا العلم عن الامام مالك وكذلك أهل مصر وغيرهم وقد نظم بعضهم ستة آداب أكيدة لطالب العلم وذكر منها الغربة في السفر فقال

أخي لن تنال العلم الا بستة ❊ سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص وافتقار وغربة ❊ وتلقين أستاذ وطول زمان

وللامام الشافعي رضي الله عنه في السفر والغربة عن الاوطان في طلب العلم

سأطلب علما أو أموت ببلدة ❊ يقل بها قطر الدموع على قبري
وليس اكتساب العلم يا نفس فاعلمي ❊ بميراث آباء كرام ولا صهر
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ❊ ليطلب علما بالتجلد والصبر
فان نال علما عاش في الناس سيدا ❊ وان مات قال الناس بالغ في العذر

ولبعضهم من قصيدة ناصحة

والعلم فاطلبه واعلم أن طالبه ❊ في سعيه من رجال سعيهم شكرا
وارحل لاقصى الاراضي في تطلبه ❊ حرصا على أخذه عمن قرا ودرى
واقصد به وجه رب الناس كلهم ❊ واعمل به مخلصا لله مصطبرا
ولا تكن عالما علما بلا عمل ❊ كغرسة نورها لم ينعقد ثمرا

وسيقول الناظم واطلب العلم ولو بالصين الخ على ان في السفر من حيث هو فوائد تكسب المحامد ثم ان من الناس من هو له مادح ومنهم من هو بالنهي عنه صادع وصادح ❊ وقد أردت أن ألم هنا بذكر طرف من كلا الطريقين وايراد نبذة من كلام كل من الفريقين وينبغي أن يكون كلام المادحين في الاول لانه هو الذي عليه المعول فأقول

﴿فصل﴾ في مدح السفر وفوائده وغرره وعوائده قد مدح الله المسافرين فقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وأمر جل اسمه بالسفر فقال فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقال جل وعلا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وقال تعالى أولم يسيروا في الارض فينظروا وأخرج البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس وأبو نعيم والطبراني في الاوسط والقضاعي وغيرهم عن ابن عمر سافروا تصحوا وتغنموا وفي هذا الحديث روايات مختلفة وفي التوراة يا ابن آدم جدد سفرا أجدد لك رزقا وقال موسى عليه السلام لا تلوموا السفر فاني أدركت فيه ما لم يدركه أحد يريد أن الله كلمه وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر في كفاية

مدح السفر وفوائده

لانك

لابل تحل كل يوم فى محلة لم تحلها او تعاشر قوما لم تعاشرهم وفى بعض الآثار ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وللمتنبى

وما بلد الانسان غير الموافق * وما أهله الادنون غير الاصادق

﴿وقال أيضا﴾

اذا لم أجد فى بلدة ما أريده * فعندى لاخرى غربة وركائب

وللقاضى أبى محمد عبد الوهاب المالكى صاحب التلقين

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل فى الاسفار هم وغربة * وقطع فيافى وارتكاب شدائد

فموت الفتى خير له من مقامه * بأرض عدو بين واش وحاسد

﴿وقال أبو تمام﴾

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

﴿وقال ابن قلاقس﴾

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا

والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا

وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

﴿وقال أيضا﴾

ان مقام المرء فى بيته * مثل مقام الميت فى لحده

فواصل الرحلة نحو الغنى * فالسيف لا يقطع فى غمده

والنار لا يحرق مشبوبها * الا اذا ما طار من زنده

وقد أحسن أبو الفضل التميمى فى قوله

دعنى أسير فى البلاد ملتمسا * فضلة مال ان لم يعز زانا

فبيدق الرخ وهو أيسرما * فى الدست ان سار صار فرزانا

وابن قلاقس اذ قال من معناه

والصغير الحقير يسمو به السير فيغدو له الكبير الجليل

فرزق البيدق التنقل حتى انحط عنه فى قيمة الدست فيل

﴿ومن معناه لآخر﴾

أما ترى بيدق الشطرنج أكسبه * حسن التنقل فيها فوق رتبته

﴿وقال الطغرائى فى لاميته﴾

يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعيش عند رسيم الاينق الذلل

فادرأ بها فى نحور البيد جافلة * معارضات مثانى اللجم بالجدل

ان العلا حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث ان العز فى النقل

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

﴿ولبعضهم﴾

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا

﴿وقال آخر﴾

واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وسارع التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

﴿وقال آخر﴾

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

﴿وقال حاتم الطائى﴾

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخبار خرق المكاسب

﴿وقال قيس بن الخطيم﴾

ولم أر كامرئ يدنو لضيم * له فى الارض سير واستواء
ومابعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الا عناء

﴿وقال بعضهم﴾

اذا كنت فى أرض يذلك أهلها * ولم تك ذا عز بها فتغرب
لان رسول الله لم يستقم له * بمكة حال فاستقام بيثرب

﴿وقال الفرزدق﴾

وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنت كبلادى

﴿وقال الصلاح الصفدى﴾

سافر تنل رتب المفاخر والعلا * كالدر سار فصار فى التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى * مافارقته معرة النقصان

﴿ولبعضهم﴾

فلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى للقصور
فمحالفو أوطانهم * أمثال سكان القبور
لولا التغرب ماارتقت * درر البحور الى النحور

ووجد بخط العارف بالله سيدى ابن عباد على ظهر شرحه للحكم هذا البيت

لا يدرك المرء فى أوطانه شرفا * حتى يكيل تراب الارض بالقدم

(وقال بعض الحكماء) السفر أحد أسباب المعاش التى بها قوامه ونظامه لان الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا فى أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض ومن فضله أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار مايزيده علما ويفيده فهما (وقيل) الاسفار تزيد علما بقدرة الله وحكمته وتدعو الى شكر نعمته (وقيل) السفر يسمع العجائب ويكسب التجارب ويفتح المذاهب ويجلب المكاسب (وقيل) السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويسلى الاحزان ويطرد الاسقام ويشهى الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر (وقال ابن المعتز) أشقى من المسافر الى الامل من قعد فى الناس عن العمل (وقال بعضهم) من آثر السفر على القعود فلا يبعد أن يعود مورق العود (وقال أيضا) وربما أسفر السفر عن الظفر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر (وتقول العامة) كلب جوال خير من أسد رابض (وقال الحريرى فى المقامة التاسعة الاسكندرية) أخوض الغمار لا قطف

الثمار وأقتحم الاخطار الى أدرك الاوطار (ومن الكلام النوابغ) كم لأيدى الركاب من أيادفى الرقاب وقد أطال هذا الفريق فى مدح هذه الطريق وفيما سلف مقنع فى هذا المنزع

ذم السفر

﴿فصل فى ذم السفر وما فيه من الغرر﴾ ذكر السيوطى فى الجامع الصغير من رواية الامام مالك والامام أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى أحدكم نهمته من وجهه فليعجل الرجوع الى أهله وأخرجه أيضا البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة أيضا قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وفيه كراهية التغرب عن الاهل لغير حاجة واستحباب استعجال الرجوع ولاسيما من يخشى عليهم الضيعة ولما فى الاقامة فى الاهل من الراحة المعينة على صلاح للدين وللدنيا اه ﴿فان قلت﴾ هذا الحديث يعارضه الحديث المتقدم فى مدح السفر وهو قوله صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا الخ ﴿قلت﴾ أجاب ابن بطال بأنه لا يلزم من الصحة بالسفر لما فيه من الرياضة أن لا يكون قطعة من العذاب لما فيه من المشقة فصار كالدواء المر المعقب للصحة نقله الحافظ ابن حجر ٭ وقيل لبعض الحكماء السفر قطعة من العذاب قال لا بل العذاب قطعة من السفر وروى عن عائشة رضى الله عنها وأنظمه من قال

ان العذاب قطعة من السفر ٭ يارب فاردد فى الى ربق الحضر

(قال العلقمى) سئل امام الحرمين حين جلس موضع أبيه لم كان السفر قطعة من العذاب فأجاب على الفور لان فيه فراق الاحباب اه وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وعثاء السفر ووعثاء السفر مشقته وفى الحديث المرفوع ان المسافر ومتاعه على قلت الا ما وقى الله والقلت الهلاك وفعله من باب ضرب ﴿قلت﴾ هكذا أورده حديثا أبو نصر المقدسى فى كتابه اللطائف والظرائف ولم يذكره السيوطى فى الجامع وقال الامام محمد بن أبى بكر الرازى فى كتابه مختار الصحاح بعد ما ذكره من كلام بعض العرب ما نصه قلت وهكذا رواه الازهرى أيضا ولا أعرف أحدا من أئمة اللغة رويه حديثا كما رواه بعض الفقهاء فى كتبهم اه وساقه الغزالى فى الاحياء على وجه ينبئ أنه غير حديث والله أعلم وكان الحجاج يقول لولا فرحة الاياب ما عذبت أعدائى الا بالسفر وكان بعض الحكماء يقول السفر والسقم والقتال ثلاثة لثلاث السفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال ينبت المنايا (وقيل) السفر متعب مكرب والحديث يقصره ويسلى كربه (ويقال) خمسة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم والمصاب والشيخ (وقال بعضهم) رب سفر كنصيبه يريد رب سفر كسقر وقال القاضى عياض رحمه الله

تقاعد عن الاسفار ان كنت طالبا ٭ نجاة ففى الاسفار سبع عوائق
تشوق اخوان وفقد أحبة ٭ وأعظمها يا صاح سكنى الفنادق
وكثرة ايحاش وقلة مؤنس ٭ وتبديد أموال وخيفة سارق
فان قيل فى الاسفار كسب معيشة ٭ وعلم وآداب وصحبة وامق
فقل كان ذا دهر تقادم عصره ٭ وأعقبه دهر شديد المضايق
فهذا مقالى والسلام مؤبدا ٭ وجرب ففى التجريب علم الحقائق

﴿وقال النابغة﴾

خلى فى ديارك ان قوما ٭ متى يدعوا ديارهم يهونوا

﴿وقال العتابى﴾

فيا ابن أبى لا تقترب ان غربتى ٭ سقتنى بكف الضيم ماء الحناظل

﴿وقال آخر﴾

ومن ينأ عن دار العشيرة لم يزل * عليه رعود جمة و بروق

﴿وقال البستي﴾

لا يعدم المرء كنا يستكن به * ومتعة بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

وفى هذين البيتين ما لا يخفى على العارف بفن العروض لان البسيط التام يلزم خبن ضربه وعروضه فلا يجوز أصلا استعمال فاعلن فى آخر ضربه وعروضه تاما كما هو مقرر وقد أتى بالاطناب أهل هذا الباب وما مر من الكلام كاف فى هذا المقام وأنشد يعقوب بن السكيت فى كتاب معانى الشعر من تأليفه

لبنى فى المسافرين حباتى * لا لحب المسير والترحال

غير خمس تطيح منهن ست * وثلاثين لا اعتريبالى

يعنى خمس صلوات تسقط منهن بالقصر ست ركعات والثلاثون شهر رمضان لان المسافر لا يجب عليه الصوم فى السفر ﴿قلت﴾ وأنت بالبديهة تعلم أن السفر يمدح من جهة ويذم من جهة فلم يرد مدح المادح وذم الذام على محل واحد فلا خلاف فى المعنى والله أعلم وأما السفر عند أهل العرفان والكمال فهو ما أشار اليه من قال

ألا أيها العانى برحلة جسمه * يدور على الاكوان فى تيه حيرة

ترحل الى سر بذلك يا فتى * فأنت هو المقصود من كل رحلة

﴿آخر﴾

ما أحسن الضحك للجارى بغير فم * ورؤية غاب عنها هيكل البصر

كن ظاعنا ظاهرا والسر مرتحل * فالسير من دون رجل أحسن السفر

﴿تنبيه﴾ ما مر من مدح السفر وذمه انما هو من حيث عوارضه وأما من حيث غايته وما يقصد به فهو أقسام مذموم ومحمود ومباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج الفرض والى مندوب كزيارة الاولياء والعلماء وزيارة مشاهدهم والمباح كالسفر لطلب المال من وجه حلال وكالسفر لمعرفة الارض والبلدان وقد يصير هذا القسم مندوبا بالنية كما اذا قصد بطلب المال صيانة وجهه عن ذل السؤال ورعاية ستر المروءة على الاهل والعيال وكما اذا قصد بمعرفة الارض والبلدان التفكر فى قدرته تعالى انظر بسط الكلام على هذه الاقسام فى الاحياء للغزالى رحمه الله ﴿فائدة﴾ قد أطال الناس فى آداب السفر وخصوها بالتأليف وتلخيص ذلك كما قال شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله جنون فى الاختصار لحاشية الشيخ الرهونى رحمهما الله انه يتعين على المسافر خمسة أمور (الاول) النظر فى حكم سفره فان كان مأذونا فيه أقدم والا فلا (الثانى) أن يستخير الله عز وجل ويستشير فيه أهل المعرفة به ما لم يكن واجبا عينا فى الحال فلا استخارة ولا استشارة (الثالث) أن يتعلم ما يلزمه فى سفره من أحكام التيمم والقبلة والجمع والقصر ونحو ذلك (الرابع) أن يتخير صاحبا يقاصد الخير رفيقا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه ويعزم على انصافه واتباعه الا فيما بان غيه (الخامس) أن يستعمل الآداب المروية فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلماء الامة منها أن لا يخرج من بيته حتى لا يبقى عليه شئ يمكنه أداؤه من دين أو نفقة أو رد مظلمة فمنه صلى الله عليه وسلم رد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة أو غير ذلك اذ لعله لا يرجع ويكتب وصيته ويوصى بما لا بد له منه ويترك لاهله كفايتهم قدر وسعه والا فلهم من لا يضيع ودائعه ويستودع كبيرهم وصغيرهم بعزم صحيح وقلب صادق عالما أنه تعالى أرحم بهم منه فاذا حقق هذا وتحققه صلى ركعتين عند خروجه ليحفظ فى أهله حتى يرجع اليهم كما ورد فى الحديث ثم يقرأ آية الكرسى اثرهما فانه

أمان

أمانه حتى يرجع اليهم ثم يقول اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت ويستحب لمن ودعه أن يدعو له بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك زودك الله التقوى ووجهك للخير حيث كنت (وورد أيضا) أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وأمانته (قال الغزالي) ويستحب له أن يبتدئ بالخروج بكرة يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن أبيه قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الا يوم الخميس وانظر ما يقال من الاذكار في ابتداء السفر وفي أثنائه وفي الرجوع منه في الحصن اه كلام شيخنا رحمه الله (فوائد) ومن المجرب لحفظ المسافر حتى يرجع سالما لوطنه أن يكتب على جدار بيته باصبعه وهو لا يرى ما يكتب بأن يستدبره قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أفادني به بعض أشياخي وأفاد أيضا أن مما جرب لذلك أن يكتب الانسان في بطاقة لا اله الا الله ويكتب في أخرى محمد رسول الله ثم يترك احداهما في منزله لاهله ويصحب الاخرى معه ويحافظ كل على التي عنده فان من خاصيتهما أنهما لا بد أن يجتمعا ثم وقفت على هذا في رحلة العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني قال ما نصه قلت وعن بعض مشايخنا أن مما تأكد عند السفر أن يكتب في بطاقتين احداهما لا اله الا الله وفي أخرى محمد رسول الله ثم يدفع الاولى لاهله يحافظون عليها وعملك هو الثانية يحافظ عليها فانه يعود لاهله لا محالة واذا تعذرت البطاقة كتب بكفه ثم يكف أهله وقد جرب ذلك اه فقيد بكونه يدفع التي فيها لا اله الا الله لاهله ويترك الاخرى عنده وذكر ذلك أيضا الامام اليوسي في رحلته عن شيخه الشيخ ابراهيم المأموني على نحو ما ذكرنا أولا من غير تقييد ثم قال قلت وكان هذا تلميح من قوله تعالى في الحديث القدسي لا أذكر الا ذكرت معي فاذا اجتمعت البطاقتان اجتمع من هما عنده وهو المقصود اه ولبعضهم وقد أراد سفرا

أستودع الله أولادي وأمهم ٭ والدين والمال والآباء والجسدا
والعلم والجاه والاخوان كلهم ٭ والصحب والصهر والجيران والبلدا
وكل ما أنعم الباري علي به ٭ فهو الحفيظ لما استودعته أبدا

وقد كنت زدت عليها عند سفري للحج قولي

نرجوه يحفظنا حتى نؤب الى ٭ أوطاننا نلمن القصد والرشدا
بجاه خير الورى أزكى الخلائق من ٭ لا أرتجي لمرادي غيره أحدا
عليه مع آله أزكى التحية ما ٭ نال المؤمل من جدواه ما قصدا

ولا يخفى ما بين قول الناظم زادوا وزاد من الجناس اللفظي ثم قال

(١) ﴿كثر جهلهم وساؤا الادبا ٭ على الشيوخ ثم راموا الطلبا﴾

كثر جهلهم جملة من فعل وفاعل معطوفة على جملة راموا بحذف العاطف وهو لغة ومنه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد أي وقلت لا أجد وجواب اذا قوله تولوا الخ ولك أن لا تقدر حرف العطف وتجعل الجملة حالا أخرى من القوم في قوله رأيت القوم والمآل واحد اذ هي على الاحتمال الاول معطوفة على الحال فتكون حالا أيضا والضمير المضاف اليه جهل يعود على القوم والجهل قسمان جهل بسيط وجهل مركب فالاول هو عدم العلم عما من شأنه العلم والثاني تصور المعلوم على خلاف ما هو عليه وهو أقبح من الاول وبقولهم في تعريف الاول عما من شأنه العلم يخرج من ليس شأنه العلم كالحائط والدابة وبه يعلم ما في قول القائل يهجو الحكيم توما

قال حمار الحكيم توما ٭ لو أنصفوني ما كنت أركب
لانني جاهل بسيط ٭ وراكبي جاهل مركب

حيث وصف الحمار بالجهل قاله بعضهم وأجاب العلامة الفنرى بأن المراد بجهل الحمار عدم انتفاعه لان الجهل يستلزم عدم الانتفاع فذكر الملزوم وأراد اللازم على ان الامر فى هذا سهل وقد قالوا الشعر نوارة لا تفرك ويقولهم عدم العلم أى اليقين يخرج الشك أى مطلق التردد فانه جهل وفى المثل كفى بالشك جهلا وقول الناظم وساؤا الادب على الشيوخ جملة من فعل وفاعل ومفعول ومتعلق معطوفة على الجملة قبلها والادب يطلق على ثلاثة اطلاقات الاول ما طبع عليه الانسان فى جبلته ويسمى طبيعيا والثانى ما يكتسبه المرء بالحفظ والتذكر ويسمى كسبيا وهذا مولد حدث فى الاسلام كما قاله الشهاب الخفاجى فى حواشيه على البيضاوى والثالث ما حفظ الانفاس ويسمى صوفيا مثال الاول كالكرم والجود وحسن الخلق والشجاعة وتعظيم أهل الخير والعلم ومثال الثانى كالنحو واللغة والشعر والاخبار وغيرها من العلوم المجموعة فى قول بعضهم

يطلق على ثلاثة معان

صرف بيان معانى النحو قافيـــة * شعر عروض اشتقاق الخط انشاء
محاضرات وثانى عشرها اللغـــة * تلك العلوم لها الآداب أسماء

وقد يطلق الادب فى العرف ويراد به هذا القسم وقد يطلق على الشعر فقط ومثال الثالث كالمراقبة لله وطاعته باجتناب نواهيه وامتثال أوامره فيعرف بأنه الاخذ بمكارم الاخلاق أو يقال هو استعمال ما يحمد قولا وفعلا أو يقال هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك أو يقال هو الوقوف مع المستحسنات والاول من هذه الاقسام هو مراد الناظم ويصح ارادة الثالث أيضا لان من امتثال أوامر الله ملازمة الادب مع الاشياخ ومن اجتناب نواهيه اجتناب الاساءة لهم وزاد بعضهم على هذه الاقسام الثلاثة قسما رابعا سماه شرعيا ومثاله آداب الطعام والشراب والسفر والنوم واليقظة جسماه ومقرر فى علم الفقه وهذا القسم مراد أيضا فى كلام الناظم باعتبار شموله له والافراد الناظم ما هو أعم وقال ابن ليون الآداب أربعة أدب لسان وأدب جنان وأدب زمان وأدب اعيان فأدب اللسان الفصاحة والبلاغة وذكر ما صدر عن أربابهما وأدب الجنان الانقياد والسهولة وايثار التدبير بهما وأدب الزمان سيرة كبراء أهله فى مخاطباتهم وتصرفاتهم وحفظ أخبارهم وأدب الاعيان ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة فى الاخلاق والاقوال والافعال * والشيوخ جمع شيخ وله جموع أخرى ذكرها صاحب المختار وجمعها العلامة السجاعى بقوله

مشايخ مشيوخاء مشيخة كذا * شيوخ وأشياخ وشيخان فاعلما
ومع شيخة جمع لشيخ وصغرا * بضم وكسر فى شييخ لتفهما

قوله فى الجمع الثالث مشيخة هو بفتح الميم والياء بوزن متربة كما فى المختار وقوله فى السادس شيخان هو بكسر الشين بوزن غلمان وقوله فى السابع شيخة يقرأ بسكون الياء للوزن وهو بكسر الشين وفتح الياء بوزن عنبة كما فى المختار ولا يقرأ شيخة بكسر الشين كصبية لانه وان كان جمعا أيضا للشيخ الا أنه لم يذكره فى المختار والسجاعى انما نظم ما فى المختار كما ذكر ذلك أول حواشيه على شرح القطر وبقى من جموع شيخ كما فى القاموس وشرحه شيوخ بكسر الشين وضم الياء وشيخة بكسر الشين بوزن صبية ومشيخة بكسر الميم وفتح الياء ومشيخة بكسر الميم وضم الياء ومشيخة بفتح الميم وضم الياء ومشيخة بفتح الميم وكسر الشين ومشيخاء بفتح الميم وضم الياء بلا واو بعدها وأشايخ كأنابيب الا أن الزمخشرى قال ان هذا الاخير جمع أشياخ وحقق الشهاب الخفاجى أن مشايخ ليس جمعا للشيخ بل جمع مشيخة كما مرة فيكون جمع الجمع والله أعلم ويقال فى المفرد أيضا شيخون كما فى القاموس لكنه غريب وأورده بعض شراح الفصيح وقال انه مبالغة فى الشيخ قاله شارح القاموس والشيخ لغة كما فى القاموس من استبانت فيه

السن

السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى الثمانين واصطلاحا هو من كان أستاذا كاملا متصرا في فن من الفنون ولو كان صبيا فهو بهذا المعنى مجاز باعتبار أن من طعن في السن يعظم حرمة وشفقة به فشبه من بلغ مرتبة العلماء به بجامع استحقاق التعظيم في كل على جهة الاستعارة التصريحية ثم صار حقيقة عرفية في ذلك وقد حدث كثير من الصحابة في زمان شبابهم وجماعة من أحداث التابعين رووا لاصحابهم وقد قال اسحق بن راهويه في حق البخاري يا أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث وقد أفاد مالك وهو ابن عشرين أو سبع عشرة والشافعي تلمذه العلماء وهو في حداثة السن خلافا لمن اشترط أن يكون ابن خمسين أو أربعين ﴿ثم اعلم﴾ ان الشيخ من حيث هو في العرف يطلق على ثلاثة أقسام الاول شيخ التعليم ووظيفته الاخبار بالاحكام وبيان ما يحتاج لبيانه الثانى شيخ التربية ووظيفته تدريج المريد في طريقه ومعالجته بما يصلح به حاله الثالث شيخ الترقية ووظيفته التوجه الى الله تعالى في اصلاح المريد ويحيل عليه همته في ذلك فينتفع قال العلامة أبو القاسم العميري في فهرسته وضرب شيخ شيوخنا سيدى الحسن اليوسي رحمه الله لتوضيح ذلك مثلا فقال وذلك أن المريد لو وجد في نفسه صفة كالكبر مثلا فان شيخ التعليم يخبره بأنها من المحرمات المهلكات وشيخ التربية يأخذ معه في معالجتها على ما يجد ببصيرته النورانية وفراسته الربانية كأن يأمره مثلا بحزمة من حطب يحملها ويشق بها الاسواق ومجامع المعارف كما كان السيد أبو هريرة يفعله اختبارا لنفسه أو يأمره بحلق لحيته أو يلقنه ذكرا أو دعاء أو غير ذلك وشيخ الترقية ينبهه على الطريقة والادب ويتوجه الى الله تعالى في أن يطهره منها بحوله وقوته فيربيه بهمته وقد تجتمع هذه الامور في واحد فيعلم ويربي ويرقي وهو الكامل وقد يكون اثنان يعلم ويرقي بهمته وهو الذي في زماننا فقد نص شيوخ الطريق على انقطاع التربية المصطلح عليها منذ زمان وكرهوا السلوك بها اهـ قال أبو على اليوسي وقد يطلق الشيخ على الرئيس المدبر أمر قبيلة أو قرية أو جماعة أو خطة وهذا كثير في العرف اهـ وهو كما لا يخفى مأخوذ من المعنى الاول اللغوى لان الكبير يرجع الى قوله لامرين أحدهما أنه جدير بالتوقير لسنه الثانى انه أقدم وأقوى خبرة وتجربة ولذلك اشتهر عند أهل سياسة الحرب أن الشبان أولى بالاقدام والشيوخ أولى بالكيد وقد يكونون أولى بالاقدام أيضا لكونهم أصبر وأعرف وعلى هذا المعنى الاخير للشيخ يحوم قول الفرزدق

ولو وضعت شيوخ بني غبير ✿ على الميزان ما رجحت ذبابا

اذ الظاهر أنه أراد عرفاءهم لا مجرد المسنين منهم كما لا يخفى ﴿فائدة﴾ قال السخاوى أول من أطلق عليه شيخ في الاسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه اهـ (قول الناظم ثم راموا الخ) ثم للعطف مع الترتيب وراموا الطلب أى أرادوه جملة معطوفة على ما قبلها (والمعنى) ان القوم الذين رأيتهم على الحالة المتقدمة رأيتهم أيضا فقد كثر جهلهم بما يلزمهم من آداب الطلب للعلم وساؤا الادب على الشيوخ الذين يعلمونهم ومع هاتين الحالتين الرديئتين أرادوا الطلب للعلم ونيله هذا بعيد متعذر فلذا أعقب ما مر بقوله

---

١٥) ﴿هيهات لا يجتمع الضدان ✿ ولا الهمّ في آخذ ابدانه﴾

هيهات اسم فعل بمعنى بعد وفيها ست وثلاثون لغة نقلها صاحب التصريح عن الصاغاني ونقل عن غيره خمسة أخرى فالمجموع احدى وأربعون لغة انظرها في التصريح وأبلغها بعضهم الى خمسين لغة ومدلول أسماء الافعال على الارجح لفظ الفعل الدال على الحدث والزمان فاسم الفعل يدل على الحدث والزمان بواسطة لفظ الفعل وهذا هو الذي يشعر به قول ابن مالك في الخلاصة ما ناب عن فعل الخ حيث لم يقل ما ناب عن حدث وزمان وهناك أقوال أخر لسنا بصددها والكثير من النحويين على ان

أسماء الافعال لا محل لها من الاعراب ونسبه بعضهم للجمهور وهو مذهب ابن مالك وقيل لها محل ثم اختلفوا فيه بما لسنا بصدده والكثير في أسماء الافعال أن ترد بمعنى الامر وورودها بمعنى المضارع أو الماضي قليل قال في الخلاصة

وما بمعنى افعل كآمين كثر * وغيره كوي وهيهات نزر

وفاعل هيهات في كلام ناظمنا ضمير يعود على ماتقدم من روم الطلب مع اساءة الادب ثم استدل على بعد ذلك بقوله لا يجتمع الضدان فهو جملة من فعل وفاعل منفية بلا واقعة موقع التعليل لوجه البعد المدلول عليه بلفظ هيهات والضدان عند القوم هما الامران المتقابلان الوجوديان اللذان لا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالبياض مع السواد والحركة مع السكون وقاعدتهما أنهما لا يجتمعان وقد يرتفعان وسيأتي بحول الله بسط الكلام على أنواع التقابل التي منها تقابل الضدين في الخاتمة عند قوله وليأمر الانام بالمعروف * ولينههم عن ضده المعروف
والضدان هنا في كلام الناظم هما سوء الادب وادراك العلوم وعلى ذكر الضد تذكرت هنا قول أبي الحسن علي المعروف بابن البغل كما نسبه له بعضهم ونسبه الكمال الدميري في حياة الحيوان للقاضي أحمد بن محمد الارجاني

الدهر ضد لذوي الفضائل كلهم * حتى كأن عدوه من يفهم
لو كنت أجهل ما علمت لسرني * جهلي كما قد ساءني ما أعلم
كالصعو يرتع في الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

(وقوله ولا لهم في أخذ ذا يدان) الواو عطفت جملة على جملة ولهم خبر مقدم ويدان مبتدأ مؤخر وهو تثنية يد بمعنى القوة ومن اطلاق اليد على القوة قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وهذا الاطلاق مجازي من باب تسمية الحال باسم المحل وفي أخذ ذا متعلق بمحذوف نعت ليدان والتقدير ولا لهم يدان كائنتان في أخذ ذا ويحتمل أن تكون في بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها ويكون الجار والمجرور متعلقا بيدان لتأويلهما بالقوة والاشارة بذا لرومهم الطلب ومحاولتهم ادراك الارب (والمعنى) بعد عنهم ما قصدوا تحصيله وادراكه لان اجتماع سوء الادب مع تحصيل العلم من باب اجتماع الضدين وهو محال فلم تكن لهم حينئذ قوة على تحصيل ما أرادوه وفي قوله ولا لهم في أخذ ذا يدان تلميح الى المثل المشهور وهو قولهم مالي بهذا الامر يدان ذكره أبو الفضل الميداني في مجمع الامثال وفسره بقوله أي لا أستطيعه ولا أقدر عليه * ثم قال الناظم

(١١) ﴿فتقت اذ ذاك لهذا النظم * قصدي به خدمة أهل العلم﴾

الفاء للترتيب وهي عاطفة جملة تقت على جملة رأيت من قوله سابقا * وذاك انى رأيت القوم * ومعنى تقت اشتقت يقال تاق للامر بالتاء المثناة أي اشتاق اليه واذ ظرف زمان مبني على السكون لشبهه بالحرف في الافتقار المتأصل وهو الافتقار الى الجملة وذاك مبتدأ والاشارة فيه عائدة على ماتقدم من قوله رأيت القوم ما في بحرها لا يحسنون عوما الى قوله هنا فتقت وخبر ذاك محذوف أي ذاك واقع والجملة مضافة اليها اذ ولهذا جار ومجرور متعلق بتقت والنظم نعت أو بدل من اسم الاشارة وقد مر ما يتعلق بالنظم لغة واصطلاحا عند قول الناظم فالقصد بذا المنظوم وقصدي مصدر مضاف للياء النفس وهو مبتدأ وبه متعلق به وضميره يعود على النظم وخدمة خبر المبتدا وهو مضاف الى أهل وأهل مضاف الى العلم وخدمة الشئ السعي في صلاحه والجملة استئنافية بين بها أنه لم يقصد بهذا النظم رياء ولا سمعة وانما قصد به خدمة أهل العلم والحصر مستفاد من تعريف الجزءين وفي بعض النسخ قصدا به خدمة الخ

بنصب قصدا وخدمة وعلم افقصد امصدر منصوب على الحال من الفاعل فى تقف وخدمة مفعول بالمصدر ومجىء الحال مصدرا كثير ومع كثرته لا يقاس عليه مطلقا على مذهب الجمهور وقاسه المبرد فيما كان نوعا من العامل نحو جاء زيد سرعة فان السرعة نوع من المجىء وقيل ان المبرد قاسه مطلقا ورجحه ابن هشام ونقله الصبان وسلمه وقاسه ابن مالك وابنه فى ثلاث مسائل الاولى بعد أما نحو أما علما فعالم أى مهما يذكر شخص فى حال علم فالمذكور عالم الثانية بعد خبر شبه به مبتدؤه نحو زيد زهير شعرا الثالثة بعد مبتدا قرن خبره بأل الدالة على الكمال نحو أنت الرجل علما وعلى مذهب الجمهور فما ورد منه فى كلام العرب فيه مذاهب مذهب سيبويه والجمهور أن المصدر نفسه هو الحال بتأويله باسم الفاعل ومذهب المبرد والاخفش أنه مفعول مطلق غير منصوب بالعامل قبله واغاعامله المحذوف من لفظه وذلك العامل المحذوف هو الحال وعليه فيقال فى تقدير النظم هنا نقف اذ ذاك حالة كونى قاصدا خدمة أهل العلم قصدا وذهب الكوفيون الى أنه ليس من الحال فى شىء وانما هو مصدر منصوب بالفعل المذكور لتأويله بفعل من لفظ المصدر فيؤول هنا نقف بقصدت وذهب جماعة الى أنه على حذف مضاف فيقال هنا نقف حالة كونى ذا قصد ونقل الشيخ يس فى حواشى التصريح عن ابن هشام فى الحواشى انه رأى أن يؤول ما ورد من ذلك على المبالغة كما جاز فى باب المبتدا زيد عدل على ذلك فيقال هنا نقف حالة كونى نفس القصد أى ادعاء ومبالغة ﴿فان قلت﴾ هذه التأويلات انما هى فيما ورد من ذلك فى كلام العرب ولا يقاس عليه على مذهب الجمهور فما بال الناظم استعمله ﴿قلت﴾ جرى ذلك فى كلام المولدين كثيرا جدا فلعل ذلك على مذهب المبرد من قياسه مطلقا سماعا وقد رجحه العلامة المحقق ابن هشام الذى أقر له معاصره ابن خلدون فى تاريخه بأنه أدرك مرتبة الاجتهاد فى علم العربية وقدمر أن المحقق الصبان سلم كلام ابن هشام وكذلك سلمه غيره من المحققين محتجا به قال الصبان وغاية أمره أى وقوع الحال مصدرا أنه مجاز ويكفى فى صحة المجاز ورود نوعه على الصحيح وقد ورد هذا النوع أى نوع اطلاق المصدر على اسم الفاعل أى والمجاز لا حجر فيه فكيف لا يقاس عليه ونقل كلام الصبان جماعة من المحققين واعتمدوه والله أعلم (ومعنى بيت الناظم) أى اشتقت لهذا النظم لما رأيت القوم على الصفات السابقة المذمومة وقصدى به مجرد خدمة أهل العلم عسى أن يرجعوا عما هم عليه ويحسنوا الطلب فيما هم ساعون اليه والمراد بأهل العلم العلماء والمتعلمون لانه ذكر آداب الجميع كما يأتى ان شاء الله * ثم قال الناظم

(١٠) ﴿سميته سراج طلاب العلوم * تجلى به عنهم حنادس الوهوم﴾

يقال سمى وأسمى فيتعدى بالهمز والتضعيف قوله سميته فعل وفاعل ومفعول وضمير المفعول عائد على النظم فى البيت قبله وقوله سراج مفعول ثان لسمى وهو مضاف لطلاب بضم الطاء وتشديد اللام جمع طالب ككتاب وكاتب وهو جمع قياسى ففى الخلاصة * ومثله الفعال فيما ذكرا * وفى نسخة طالب بالافراد وهو مضاف الى العلوم جمع علم وقدمر عند قول الناظم حمدا لمن يسر أنواع العلوم أن العلم يطلق بازاء معان ثلاثة القواعد والادراك والملكة التى هى آلة الادراك ويصح ارادة كل من الثلاثة هنا والاول أقرب وتجلى فعل مضارع مبنى للمفعول ومعناه تطرد وبه متعلق بها وضميره للسراج وعنهم متعلق أيضا بتجلى والضمير المجرور بعن عائد على أهل العلم فى البيت قبله وحنادس بالحاء المهملة والنون نائب عن الفاعل بتجلى وهو جمع حندس بكسر الحاء والدال فى القاموس الحندس بالكسر الليل المظلم والظلمة الجمع حنادس وتحندس الليل أظلم ثم قال والحنادس ثلاث ليال بعد الظلم اهـ والوهوم مضاف اليه ما قبله وهو جمع وهم وهو الغلط والجهل والجملة من قوله تجلى الخ

في محل نصب حال من سراج (والمعنى) أنه سمى نظمه هذا بسراج طلاب العلوم في حال كونه مجليا ومذهبا عن أهل العلم ظلم الوهوم ولا يخفى ما في قوله سراج من الاستعارة المصرحة وتقريرها أنه شبه هذا النظم بالسراج وادعى أنه فرد من أفراده بجامع الاهتداء بكل فالسراج يهتدى به في الظلمات الحسية وهذا النظم يهتدى به في ظلمات الجهل المعنوية ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه وحذف المشبه وهو النظم واقتصر على المشبه به وهو السراج فكانت مصرحة وقرينتها حال مأخوذة من عود الضمير في سميته للنظم وقوله حنادس الوهوم هو من اضافة المشبه به للمشبه أي تجلى عنهم الوهوم التي هي كالحنادس اي الظلمات أو الليالي المظلمة ويحتمل أن يكون في قوله الوهوم استعارة مكنية وتقريرها أن يقال شبه الوهوم بالليالي المظلمة تشبيها مضمرا في النفس على أحد الطرق المقررة في الاستعارة المكنية بجامع عدم الاهتداء في كل ثم حذف المشبه به وهو الليالي المظلمة واقتصر على المشبه وهو الوهوم وأضاف اليه شيأ من لوازم المشبه به وهو الحنادس أي الظلمات فالحنادس تخييل باق على حقيقته وهو قرينة المكنية ﴿تنبيهان * الاول﴾ ذكر السيد الجرجاني رحمه الله في مسمى الكتب والتراجم احتمالات سبعة النقوش أو الالفاظ أو المعاني فهذه ثلاثة أو اثنان منها وتحته ثلاثة أو الجميع فهذه سبعة واختار انه الالفاظ المخصوصة من حيث دلالتها على المعاني المخصوصة وعليه فالمسمى في كلام الناظم بسراج طلاب العلوم هو ألفاظ هذا النظم من حيث دلالتها على المعاني المقصودة منه ﴿الثاني﴾ الحق أن أسماء الكتب والتراجم من قبيل علم الجنس والله أعلم * ثم قال الناظم

(١٠) ﴿ثم الاله ربنا سبحانه * أسأله التوفيق والاعانه﴾

ثم حرف عطف والاله مبتدا وربنا عطف بيان عليه وسبحانه مصدر منصوب بفعل محذوف أي أسبح سبحانه والضمير المتصل به عائد على الاله وجملة أسأله التوفيق من الفعل والفاعل ومفعوليه في محل رفع خبر المبتدا والاعانة معطوف على المفعول الثاني وهو التوفيق والجملة من المبتدا وخبره الفعلي معطوفة على جملة سميته في البيت قبله ويصح أن يكون قوله الاله بالنصب مفعولا لفعل محذوف يفسره أسأل من باب الاشتغال لكن الاول هو الراجح والاله هو المعبود بحق أو المستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه والرب له اطلاقات تقدمت عند قول الناظم * تفضلا منه لارباب الفهوم * والتوفيق عبارة عن توجه الاعانة من الله بخلق الداعية الباعثة عن الايمان والطاعة وانتاجها لذلك * وقال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله اعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله سبحانه وقدره وهذا يشمل الخير والشر ويشمل ما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص الاسم بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره اه ﴿قلت﴾ وما جرت العادة بتخصيصه بما ذكر عرفوه بأنه خلق القدرة على الفعل المحمود وقال الجزولي في شرح الرسالة قال بعضهم ليس في الاحوال والمقامات عند أرباب السلوك الى الله تعالى أقل من التوفيق ولا أعز منه لان لفظه يقتضى الموافقة المستغرقة الى الاحوال والازمان والحركات والسكنات والاحساس والانفاس وان نقص شئ من ذلك فقد خرج المتصف بها عن وجه اللفظ والمعنى ووقع في ضده وسمعت بعض الاشياخ يقول كل وصف صالح أو طالح وقع في كتاب الله فقد تكرر مرتين أو أكثر الا التوفيق فانه لم يذكر فيه الا مرة واحدة في قوله تعالى وما توفيقي الا بالله وللتنبيل على قلته لعدم التعلق بحقيقته قلت له قد تكرر في قوله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا فقال المراد توفيقا دنيويا والعزيز هو الاخروي اه والاعانة مصدر أعان واسم المصدر العون وهو لغة الظهير على الامر وعرفا خلق القدرة على الفعل مطلقا أي محمودا كان أو مذموما وان شئت قلت هو خلق القدرة والفعل مطلقا

وهو

وهو أسلم من ايهام مذهب الاعتزال وكثيرا ما يطلق بمعنى التوفيق لكن لا ينبغى هنا العطف أحدهما على الآخر وكونه من عطف المرادف خلاف الاصل (والمعنى) ثم انى أطلب وأسأل من الله سبحانه أن يعينني و يوفقنى لما أردته من نظم هذا النظم على الوجه الذى قدرته وانما طلب الناظم التوفيق والاعانة من الله تعالى اشارة الى أن العبد لا غنى له عن المولى المالك وأنه ان انفك عن توفيقه واعانته تاه فى طرق المهالك فمن أعانه مولاه ووالاه وأولاه نجحت مطالبه وتمت مآربه ومن استبد بعمله وعقله حرم التوفيق فى قوله وفعله (وفى الحكم) ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك وهذا كما قال ابن عباد فى شرحها عام فى الامور الدينية والدنيوية التى مآلها الى الدين وما أحسن قول القائل

اذا كان عون الله للمرء ناصرا * تهيأ له من كل صعب مراده
وان لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

﴿وقول الآخر﴾

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل

سماك ككتاب نجم فى السماء وهو بكسر السين نقط خلافا لصاحب المقنع فى شرحه حيث ضبطه بالفتح أيضا وهما سماكان أحدهما يقال له أعزل والآخر يقال له رامح انظر وجه تسميتهما بذلك فى فن التنجيم من سعود المطالع والله أعلم وقد قلت

من كان خالقه فى عونه ظهرت * آثار نجحه فى أدنى مساعيه
فالله لا غيره هو المعين على * ما أبتغيه وانى منه ساعيه

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

١٠) ﴿وان ينفع به الجم الغفير * فهو على الذى يشاؤه قدير﴾

الواو عاطفة وينفع بتشديد الفاء للمبالغة مبنى للفاعل وهو منصوب بأن المصدرية والضمير المستتر فى ينفع عائد على الاله فى البيت قبله وبه متعلق بينفع والباء سببية والضمير المجرور بها عائد على النظام وأن ينفع فى تأويل مصدر معطوف على التوفيق فى البيت قبله والجم بفتح الجيم الكثير من كل شئ وهو مفعول ينفع وجمعه جمام وجموم كما فى القاموس والغفير فعيل بمعنى فاعل من غفرت الشئ سترته فكأن هذه الجماعة سترت الارض من كثرتها وفى القاموس جاؤا الجم الغفير أى جميعا شريفهم ووضيعهم لم يتخلف منهم أحد وهم كثيرون اه (والمعنى) أسأله سبحانه التوفيق والاعانة والنفع بهذا النظام للجماعة الكثيرة من كل من قرأه أو كتبه أو حصله أو سعى فى شئ منه * وكيفية النفع الذى طلبه الناظم هى أن يتعاطاه الناس ويفهموا ما فيه ويعملوا بمقتضاه ليحصل لمؤلفه الثواب المقصود من تأليفه وهذا النظم جدير بأن يتملق الطالب منه بالاهداب ويتخلق بما فيه من الآداب ويستضئ بسراجه اللامع فى غياهب الجهالات ويستفئ بظليل ظل ما فيه من بديع المقالات أرشدنا الله لما فيه رضاه بجاه نبيه ومرتضاه ثم علل الناظم سؤاله من الله التوفيق والنفع بقوله (فهو على الذى يشاؤه قدير) فالفاء تعليلية وهو ضمير مبتدأ عائد على الاله وقدير خبره وهو فعيل بمعنى فاعل مشتق من القدرة وهى له تعالى صفة يتأتى بها ايجاد الممكن واعدامه على وفق الارادة ومتعلقها الممكنات فقط ولا تتعلق بواجب ولا مستحيل لما يلزم من تحصيل الحاصل أو قلب الحقائق كما تقرر فى علم الكلام وبعضهم يقول ان قدرته تعالى تتعلق بكل شئ حتى الواجب والمستحيل على مراد

الله تعالى اعياناً بعموم قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير * وقد تلاقيت مع بعض الاعلام الذين لهم القدم الراسخ في معرفة السنة واتباعها فوجدته يشنع على ما تواطأ عليه المتكلمون من قولهم ان قدرته تعالى انما تتعلق بالممكن قائلا ان الصواب أن قدرته تعالى تتعلق بكل شيء على مراد الله سبحانه وان تخصيص الآية بالممكن انما هو من علم الكلام والمنطق الذي حرمه السلف وكثير من الخلف وليس على التخصيص دليل من كتاب ولا سنة ولا أقوال أئمة السلف والله أعلم وعلى الذي جار ومجرور متعلق بقدير ويشاء صلة الموصول والضمير المستتر فيه هو الفاعل عائد على الاله والضمير البارز مفعول بالفعل وهو العائد من الصلة الى الموصول وقول الناظم يشاء مأخوذ من المشيئة وهي الارادة وهي له تعالى صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه ومتعلقها الممكنات فقط أيضا لان القدرة تابعة لها فتأثير القدرة تابع لتخصيص الارادة كما هو شهير في فن الكلام (والمعنى) أي أطلب من الله تعالى أن ينفع بنظمي هذا العدد الكثير من الناس لانه سبحانه قدير على كل ما يريده وهذا انتهى الكلام على الخطبة ثم قال

﴿مقدمة﴾

ذكر في هذه المقدمة ما ينال به الطالب العلم من الصبر على المشاق والبحث عنه ولو في الآفاق وما يلزم بعد العلم من العمل اذ به يدرك غاية الامل ومقدمة خبر مبتدأ محذوف أي هذه مقدمة أو مبتدأ خبره محذوف أي مقدمة هذا محلها ويصح النصب أيضا أي اقرأ مقدمة ويصح أيضا الخفض أي انظر في مقدمة فحذف حرف الجر وبقي المجرور على جره لكن هذا الاخير موقوف على السماع وأول هذه الوجوه هو أولاها بحسب ما شاع في اعراب التراجم والثاني أولى بالنظر لما نص عليه في المغني من أنه اذا دار الحذف بين الاوائل والاواخر فالحذف من الاواخر أولى ويصح في مقدمة كسر الدال وفتحها فان كسرتها وعليه اقتصر السعد في شرحي التلخيص فاما من قدم اللازم بمعنى تقدم ومنه قوله تعالى لا تقدموا أي لا تتقدموا واما من قدم المتعدي والمفعول هو نفسها لانها اشتملت على أمور تقتضي تقدمها أو المفعول هو قارئها او عارفها وان فتحت الدال فهي اسم مفعول من قدم المتعدي لكن الكسر أحسن لاشعاره بأن التقديم لها لذاتي لا لجعلي ولاجل هذا والله أعلم اقتصر عليه السعد وصرح المحلي في شرح جمع الجوامع أن فتح الدال فيها قليل ﴿واعلم﴾ أن المقدمة اما مقدمة علم واما مقدمة كتاب فمقدمة الكتاب تطلق على طائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها او انتفاع بها فيه ومقدمة العلم تطلق على أمور يتوقف الشروع في العلم بالبصيرة على معرفتها كحده وموضوعه وغايته كما أفاده السعد في المطول والمختصر وبين المقدمتين التباين أي باعتبار الحقيقة والتعقل وأما باعتبار المصدوق الخارجي فبينهما العموم والخصوص بالاطلاق فمقدمة العلم أعم فكل مقدمة علم فهي مقدمة كتاب ولا عكس فمقدمة التلخيص مثلا هي مقدمة علم لانه ينتفع بها في كتاب التلخيص وغيره من كل ما ألف في فنه وهي مقدمة كتاب أيضا لان ذلك الكتاب مؤلف في ذلك الفن الذي جعلت مقدمة له ومقدمة الشيخ خليل في مختصره التي أشار لها بقوله مشيرا بفيها للمدونة الخ مقدمة كتاب فقط لانه انما ينتفع بها في ذلك الكتاب ولا ينتفع بها في غيره من الكتب المؤلفة في فن الفقه وجعل البناني وغيره من أرباب حواشي مختصر السعد بينهما عموما وخصوصا من وجه وعليه فتنفرد مقدمة العلم أيضا بذكرها في وسط الكتاب وقد لا يكون مدلول المقدمة ما تقدم في مقدمة العلم من الحد والموضوع والغاية فتكون مقدمة كتاب فقط كمقدمة رسالة الوضع فانه لم يذكر فيها تعريف الوضع ولا موضوعه ولا غايته أشار له البناني في حواشي المحلي ومقدمة ناظمنا رحمه الله هي من هذا القبيل فهي مقدمة كتاب فقط والله تعالى أعلم ﴿فائدة﴾ قال الابي في شرح مسلم قلت الفصل بين أنواع المسائل بالترجمة الغرض منه

فرق بين مقدمة العلم ومقدمة الكتاب

التسهيل

التهويل على الناظر والتنشيط فان المتكلم اذا ختم كتابا بما اعتقد أنه كاف فى ذلك النوع فينشط الى قراءة غيره بخلاف مالو كان التصنيف كله جملة واحدة ثم ان عرف أن الاولى بالقارئ أن يصرح بقراءة الترجمة أما أولا فلأنها جزء من التصنيف الذى أخذ فى قراءته ويتأكد ذلك فى حق مريد الرواية وأما ثانيا فلأنها تفتقر الى البيان كغيرها من مسائل ذلك التصنيف الذى أخذ فى قراءته اه قال أبو العباس الهلالى بعد نقله بأخصر من هذا ولان فيها اشارة اجمالية الى جميع المسائل المترجم لها ومعرفة المسائل بوجه اجمالى ضابط لجميعها فائدة عظيمة والى عظم فوائد الترجمة أشار العلامة سيدى العربى ابن سيدى يوسف الفاسى بقوله

انى وان كنت فى أقصى البلاد فما * تننت أواسطها عنى وعن أثرى

مثل التراجم لم تكتب مواضعها * الا نم الوقت فاستثبتن فى الطرر

﴿ثم قال الناظم﴾

(١٥) ﴿وان كنت صاح طالبا للعلم * فاصبر كما صبر أولو العزم﴾

ان حرف شرط جازم وكان فعله مجزوم المحل وتاء المخاطب اسم كان وطالبا خبرها وللعلم متعلق به فهو فى محل نصب مفعول واللام الداخلة عليه لتقوية العامل لضعفه بكونه فرعا عن الفعل فى العمل كما فى قوله تعالى فعال لما يريد وصاح منادى على حذف حرف النداء والاصل ياصاح وهو مرخم صاحب على غير قياس لانه لا يجوز ترخيم الاسم المجرد من التاء الا بشروط أربعة أن يكون رباعيا فأكثر وأن يكون علما وأن يكون غير مضاف وأن يكون غير مركب تركيب اسناد ولاشك أن صاح وصف لا علم فقد فقد فيه الشرط الثانى فترخيمه على غير قياس وقوله فاصبر الفاء رابطة للجواب بالشرط وهى لازمة هنا لان الجملة الواقعة جوابا طلبية وهى فى محل جزم جواب الشرط والصبر هو حبس النفس عن الجزع وهو مشتق كما فى المنن للشعرانى نقلا عن أبى العباس المرسى من الاصبار وهو الغرض الذى يرمى بالسهام فالصابر من نصب نفسه غرضا لسهام القضاء وقال فى الاحياء الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين الذى هو فى مقابلة باعث الشهوة وهذا الثبات حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادة فى الدنيا والآخرة واذا قوى ذلك الثبات أثمر ترك الافعال المشتهات أى فهو كغيره ينتظم من علم وعمل وحال اه وقوله كما صبر الكاف جارة للموصول وصبر صلته وأولو فاعل بالصلة والعزم مضاف اليه أولو والصلة مسبوكة بالموصول الحرفى أى فاصبر كصبر أولى العزم (والمعنى) أن طالب العلم يلزمه الصبر التام على ما يناله من الشدائد قال القلشانى ولا ينال العلم الا بالصبر والعناية التامة والملازمة اه لان الصبر مفتاح الظفر وشبكة لاقتناص الوطر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

ثم شبه الناظم الصبر اللازم لطالب العلم بصبر أولى العزم من الرسل ومعنى أولى العزم أصحاب الجد والثبات * وأولو العزم من الرسل عشرة جمعهم شمس الدين التتائى بقوله أولو العزم من ر

محمد ابراهيم موسى كليمه * ونوح وعيسى هم أولو العزم فاعرف

وداود أيوب ويعقوب يوسف * واسحق ذو صبر على الذبح فاكتف

﴿أما سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم﴾ فصبر على المشاق العظيمة من قبائل قريش واذايتهم له صلى الله عليه وسلم وعلى شج وجهه وجرحه وكسر رباعيته يوم أحد وغير ذلك مما زاده الله به رفعة مكان وعلو منزلة وشان كما هو مبسوط فى كتب السير كالمواهب وشرحها بل صرح المحققون بأن شق صدره صلى الله عليه وسلم أبلغ فى الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل عما هو مقدمة ذبح فى مقتل واحد وشق الصدر

وقع فى مقاتل عديدة وهى شق الصدر واخراج القلب وشقه ووقع له فى ذلك نوع مشقة لما روى فى حديث الشق فأقبل وهو منتقع اللون أى صار كلون النقع أى الغبار وهو شبيه بألوان الموتى ومعنى قول من قال فشقه وما شق عليه أنه صبر صبر من لم يشق عليه ومما يدل على المشقة أنه بعيد ما فطم مع انفراده عن أمه ويتمه من أبيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه فى المآل ﴿قلت﴾ وهذا تأييد لمزيد الصبر والثبات فى خصوص جانبه صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما صرح به الزرقانى فى شرح المواهب وغيره من أن التحقيق أن شق الصدر ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل مثله فيه جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام نعم الخاص بنبينا صلى الله عليه وسلم هو تكرار الشق أربع مرات على الصواب والله أعلم ﴿وأما ابراهيم عليه السلام﴾ فصبر على الامر بذبح ولده وعلى النار أى على الالقاء فيها لا أنه صبر على النار بالفعل بحيث طرح فيها وهى تحرق لانها كانت عليه بردا وسلاما ﴿وأما موسى عليه السلام﴾ فصبر على الشدة التى حصلت له فى قضية فرعون لما قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فكان العدو خلفه والبحر أمامه ﴿وأما نوح عليه السلام﴾ فصبر على أذى قومه ألف سنة الا خمسين عاما ولا يرد دعوته على قومه بالهلاك وذلك مناف للصبر لان ذلك انما وقع بعد ما أعلمه الله تعالى بأنه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن ﴿وأما عيسى عليه السلام﴾ فانه صبر على التقلل من الدنيا والقناعة باليسير منها ولم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها ﴿وأما داود عليه السلام﴾ فانه بكى على خطيئته أربعين سنة ﴿وأما أيوب عليه السلام﴾ فصبر على البلاء والضر الذى أصابه وتوجه الى الله بصدق التوجه فقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجاب الله وكشف ما به من ضر ﴿وأما يعقوب عليه السلام﴾ فصبر على فقد ولده وضعف بصره ﴿وأما يوسف عليه السلام﴾ فصبر على الالقاء فى الجب والمكث فى السجن ﴿وأما اسحق عليه السلام﴾ فصبر على الاستسلام للذبح * ثم ان الشيخ جسوس فى شرح توحيد الرسالة اعترض كغيره على التتائى فى جعله للذبيح هو اسحق بأن الصواب ومذهب الجمهور أن الذبيح هو اسمعيل ﴿قلت﴾ والخلاف فى المسئلة شهير لا يسعنا الكلام عليه هنا وما اعترض به على التتائى من أن مذهب الجمهور هو أن الذبيح اسمعيل هو كذلك وعليه جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم ورجحه جماعة يطول عدهم وقال أبو حاتم انه الصحيح والبيضاوى انه الاظهر ونسبه بعضهم لاهل السنة وعليه بنى من قال

ان الذبيح هديت اسمعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * وأتى به التفسير والتأويل

لكن ما قاله التتائى قوى أيضا فقد أجمع عليه أهل الكتابين وقال به من الصحابة العباس وابنه وعمر وابنه وعلى وجابر وهو الصحيح عن ابن مسعود ومن التابعين علقمة والشعبى ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى برة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهرى والسدى وعبد الله بن أبى الهذيل والقاسم بن أبى بزة ومكحول والحسن وهو مذهب الامام مالك واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلى ومال اليه السيوطى فى تفسيره وهو مذهب كثير من الصوفية والقول الموافق لقولهم يترجح لنورانية قلوبهم ومشاهدتهم لمطلوبهم وعلى هذا القول بنى من قال من الفرس مفتخرا

نحن الملوك ونحن ابن الملوك لنا * علم السياسة والتدبير والكتب
ونحن من نسل اسحق الذبيح وفى * نسل النبيين كل المجد والحسب

والحجة لهم قوله صلى الله عليه وسلم الذبيح اسحق رواه الدارقطنى وابن مردويه والبزار عن ابن عباس

وسئل صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس قال يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله لكن قال بعض من رجح القول الاول ان زيادة ذبيح الله من الراوى ومرتبة الحديث الاول عند المحدثين أنه حسن بل صححه الحاكم وقال انه على شرط البخارى ومسلم وصححه أيضا الذهبى ثم قيل هو موقوف وصحح السيوطى رفعه وقال له شواهد مرفوعة عن ابن عباس وأبى هريرة وابن مسعود وهو نص صريح لا يقبل التأويل ومال الى هذا القول العلامة سيدى محمد بن عبد الباقى الزرقانى فى شرح المواهب وانتصر له معترضا على القسطلانى تضعيفه ﴿فان قلت﴾ قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يدل للاول ﴿قلت﴾ أفاد القسطلانى أن أصحاب القول الثانى يجعلونه من باب اطلاق الاب على العم وللحافظ السيوطى فى المسئلة تأليف سماه القول الفصيح فى تعيين الذبيح وهو من التآليف التى ضمنها فى الحاوى للفتاوى صدر فى التأليف المذكور بالقول بأنه اسمعيل واستدل له ثم ثنى بالقول بأنه اسحق وذكر له بعض الادلة ثم قال فى آخره وقد كنت ملت اليه فى علم التفسير أى الى القول بأنه اسحق وأنا الآن متوقف عن ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم اه وقد توقف الزجاج أيضا فى ذلك فكان يقول كما فى الرازى الله أعلم أيهما الذبيح فالحاصل أنهما قولان مرجحان لكن أرجحهما أنه اسمعيل والحق أحق بالاتباع والله تعالى أعلم بالصواب * وزاد بعضهم ثلاثة من أولى العزم وهم سيدنا زكريا لانه صبر على نشره بالمنشار وولده سيدنا يحيى لانه صبر على ذبحه لان قومه ذبحوه وسيدنا يونس لانه صبر على بطن الحوت فى البحر فهم على هذا ثلاثة عشر وقد عززت البيتين السابقين بثالث فقلت

وزاد عليها البعض يحيى ويونسا * كذا زكريا فاجمع العلم تشرف

﴿تنبيهان * الاول﴾ قال الاقفهسى وغيره من شراح الرسالة فى شرحها الوحى الى جميع الانبياء كان فى المنام الا أولى العزم منهم أى فكان لهم فى اليقظة أيضا لكن ذكر سيدى عبد السلام بنانى فى شرح الاكتفاء أن سيدنا داود أوحى الله اليه بالزبور يقظة باجماع العلماء ورد ما قاله الاقفهسى وغيره والله أعلم ﴿الثانى﴾ بعد ما ذكر شمس الدين التونسى فى اختصار تفسير الفخر أولى العزم من الرسل قال ما نصه وأقول كل الرسل أولو العزم ولم يبعث الله رسولا إلا كان ذا عزم وحزم وكمال عقل فمن على هذا لبيان الجنس لا للتبعيض فافهم ذلك اه ويعنى من التى فى قوله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وأجاب الشيخ جسوس فى شرح عقائد الرسالة بأن هؤلاء الرسل بلغوا فى هذا المعنى مبلغا لم يبلغه غيرهم من الرسل وان كان جميعهم من أولى العزم والصبر لكنهم متفاوتون قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض والله تعالى أعلم ﴿لطيفة﴾ أتى الى هرون الرشيد يوما برجل يدعى النبوة فأمر بضربه فلما بلغ منه الضرب المبلغ جعل يصيح ويستغيث وكان بعض أولاد الرشيد حاضرا وكان مهملا عند أبيه فالتفت الى المضروب وقال له اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فسر الرشيد بجوابه وكان سبب حظوته عنده وفى كلام الناظم الاقتباس من الآية الكريمة ثم قال

٤٧ ﴿فاصبر على الجوع وحر البرد * فى وقته ان لم تكن ذا برد﴾

هذا البيت وما بعده تفصيل وبيان لقوله فاصبر كما صبر أولو العزم فقوله فاصبر بدل مفصل من مجمل وعلى الجوع متعلق به وحر البرد معطوف عليه وفى وقته متعلق باصبر والضمير المضاف اليه وقت عائد على البرد وقوله ان لم تكن ذا برد شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه والتقدير ان لم تكن ذا برد فاصبر فى وقت البرد على حره وتقدم أن الصبر هو حبس النفس عن الجزع أى لا تجزع من الجوع والجوع هو اشتهاء الطعام واختلف فى حده باعتبار غايته فقيل بأن يشتهى الجائع الخبز من غير ادام وقيل بحيث اذا بصق فى الارض لم يقع الذباب على بصاقه لانه لا دسم فيه والى هذين القولين أشار

ابن العماد الشافعي في منظومته الادبية بقوله

في حد جوع الفتى قولان قيل بأن * يشهى به الخبز بحتا حالة الاكل
وقيل لو وقعت في الارض ريقته * شم الذباب وجد السير عن عجل

والبرد ضد الحر وحره شدته ويطلق البرد أيضا على النوم ومنه قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا أي نوما وليس مرادا هنا والبرد آخر الشطر الثاني بضم الباء ثوب مخطط وكساء يلتحف به وهو المراد هنا وجمعه برود وأبراد وأبرد (والمعنى) ان مما يلزم الطالب الصبر على الجوع وكذلك البرد ان لم يكن ذا ثوب يقي به نفسه منه أي أو ذا دراهم يشتري بها ما يقيه منه وينبغي أن يراد هذا الشرط في الجوع أيضا أي يلزمه الصبر على الجوع ان لم يكن ذا طعام أو ذا دراهم يشتريه بها وليس المقصود الصبر على ذلك مع الجدة لان الشبع مباح على الراجح وقيل مكروه كما في الحطاب نقلا عن الشيخ زروق في شرح المباحث الاصلية نعم الجوع ينبغي ملازمته في الجملة لطالب العلم بحيث لا يتضرر لان البطنة تذهب الفطنة وهذا هو مراد الناظم ولبعضهم ـدح الجوع لطالب

ولا يكن همك في الطعام * والشرب ثالث شيمة الطغام

(وقال فتح الموصلي رحمه الله) الامتلاء من الاغذية الظاهرة يمنع التغذي بالاغذية الباطنة وقد ذكر ابن عرفة عن بعض فقهاء مدينة تلمسان أنه قال ان الطالب لا يأكل حتى يرى الحائط يرقص ولا ينام الا غلبة وقد قالوا لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع ولا بد أن يكون في طبائع الناس ومقتضى كفاياتهم اختلاف فلا بد لكل واحد من الرجوع الى كفايته بحسب طبعه وقوته وضعفه وبحسب فعله فليس المطالع والسامع والمدرس على السواء وهذا كما ذكر الصوفية من اختلاف أحوال العباد في الاكل * وأما كثرة الجوع فذكر الاطباء أنها تورث الصمم وظلمة البصر ودوران الرأس وسوء الخلق فالحال المحمودة هو التوسط في الشبع * وأما الامتلاء من الطعام فوق الحاجة فان فيه آفات دينية ودنيوية أما الدينية فانه مانع من العلم والحكمة ومنس للآخرة وباعث على القسوة على الفقراء وأما الدنيوية فان الشبع المفرط من الاسراف المفضي للفقر والاسراف منهي عنه وأما البدنية فاتفق الاطباء على ان كل علة من الشبع المفرط وادخال الطعام على الطعام وأصله حديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة وقد تكلم في هذا الحديث (وقال الاحنف بن قيس) اختار الحكماء من كلام أهل الحكمة أربعة آلاف كلمة ثم اختاروا منها أربعمائة كلمة ثم اختاروا منها أربعين ثم اختاروا منها أربع كلمات الاولى لا تثق بالنساء الثانية لا تحمل معدتك ما لا تطيق الثالثة لا يغرنك المال وان كثر الرابعة يكفيك من العلم ما تنتفع به (ويروى) أنه اجتمع عند الملك كسرى أربعة من الحكماء عراقي ورومي وهندي وسوداني فقال لهم ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه فقال العراقي الدواء الذي لا داء معه أن يشرب كل يوم ثلاث جرعات من الماء الحضين وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه أن يسف كل يوم ثلاث حبات من الاهليلج الاسود وقال الهندي الدواء الذي لا داء معه أن يسف كل يوم قليلا من حب الرشاد والسوداني ساكت وكان أحذقهم فقال له الملك لم لم تتكلم فقال له يا مولاي الماء الحضين يذيب شحم الكلى ويرخي المعدة وحب الرشاد يهيج الصفراء والاهليلج الاسود يهيج السوداء فقال فما الذي تقول أنت فقال يا مولاي الدواء الذي لا داء معه أن لا تأكل الا بعد الجوع فاذا أكلت فارفع يدك قبل الشبع فانك لا تشتكي علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق اهـ (وقال وهب بن منبه) أجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية وقال هرمس الحكيم وجدنا الحمية نافعة للدين والدنيا وقيل لجالينوس انك تقلل الطعام فقال غرضي أن آكل لأعيش وغرض غيري أن يعيش ليأكل

كثرة الجوع

الشبع فوق الحاجة

﴿وقالت الحكماء﴾ أقلل طعاما تقلل سقاما وتحمد مناما ﴿وفي الحديث الشريف﴾ ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ﴿وقال علي كرم الله وجهه﴾ اياكم والبطنة فانها مفسدة للقلب ﴿وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه﴾ اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسم مورثة للسقم والله يكره الحبر السمين ولكن عليكم بالقصد في قوتكم فانه أدنى من الصلاح وأبعد عن السرف وأعون على عبادة الرب ﴿ومن وصية مالك رضي الله عنه﴾ وأن ترفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه وذكر في الكشاف عند قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا مانصه وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ﴿ويحكى﴾ أن هرون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شئ من الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما اعتاد فقال النصراني ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ﴿وقد أفاد الناظم أن طالب العلم لابد أن يناله في أول أمره شئ من التعب اذ بذلك يدرك كمال الارب كما قيل

العلم أوله مر مذاقته ✽ لكن آخره أحلى من العسل

﴿وقيل أيضا﴾

يريدون ادراك المعالي رخيصة ✽ ولا بد دون الشهد من ابر النحل

﴿ولابن هشام الانصاري﴾

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ✽ ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يذل النفس في طلب العلا ✽ يسيرا يعش دهرا طويلا أخا ذل

﴿وقال الامام الشافعي رضي الله عنه﴾ ما أفلح في العلم الا من طلبه في القلة ولقد كنت أطلب القرطاس فيعسر علي وقال لا يطلب أحد هذا العلم بالمال وعز النفس فيفلح ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلم والتواضع في النفس أفلح ﴿وقال الامام الماوردي﴾ واعلم أن المتعلم في زمن تعلمه يتملق ويتذلل ان استعملهما غنم وان تركهما حرم ﴿وقال الامام مالك رضي الله عنه﴾ لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضر به الفقر ويؤثره على كل شئ ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام لولا أولاد الفقراء لضاع العلم ولابي عثمان الضبيبي

الذل في طلب الافادة عزة ✽ فاحرص على نيل الافادة ترشد

ان التعزز في الذي تحتاجه ✽ كبر وكبر المرء أقبح مقصد

﴿وللنجم الغزي﴾

من يطلب العلم بذل وضيق العيش والخدمة والانقطاع

فهو الذي يفلح لامن غدا ✽ يطلبه بالعز والاتساع

﴿وله أيضا﴾

من يطلب العلم بعز الغنى ✽ يبطر ولا يفلح عما يصنع

للعلم طغيان كما للغنى ✽ والعلم بالطغيان لا ينفع

لا يبلغ العالم شأو العلا ✽ الا التقي الارع الاورع

(وقال بعضهم) لا ينال العلم الا من عطل دكانه وخرب بستانه وهجر اخوانه ومات أقرب أهله فلم يحضر

لا بد في طلب العلم يوصل الى أفضل

(قوله) حديث لطغيان المال

لطالب العلم اجتناب ما يسبب البلادة

جنازته والكلام فى هذا المعنى كثير شهير ﴿تنبيه﴾ تقدم أنه ينبغى لطالب العلم أن يقلل من الاكل وينبغى له أيضا أن يجتنب فى أكله الامور المسببة للبلادة باذن الله تعالى كالفول والعدس والسمك والالبان والحوامض ونحو ذلك ﴿قال أبو على اليوسى رحمه الله فى القانون﴾ وقد بلغنا ان الحافظ أبا بكر ابن الانبارى رحمه الله حضر مأدبة مع جماعة الفقهاء فقدم صاحبها ألوان الطعام وأكثر فى ذلك فامتنع الشيخ من الاكل وقال لصاحب الدار اقل لى قلية فخجل الرجل وقال ياسيدى كيف نأكل القلية عندى فقال الشيخ ليس الا ذاك وانما أردت أن نفسد على حفظى اه ﴿وقال الامام الرازى﴾ مما يذهب الحفظ ويفسد العقل أكل البصل والفول والزيتون والباذنجان والخيار وكثرة الجماع والوحدة ودوام النظر للمرآة والاستغراق فى الضحك ويورث النسيان أكل الطين والاكل على الشبع * وينبغى للطالب أيضا أن يتلطف فى مأكله بقدر الامكان وأن ينفق على نفسه فى ذلك كل ما عنده فان كل ما يبذل فى طلب العلم يهون على العاقل ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد ﴿وقال الامام مالك رضى الله عنه﴾ لو قيل لى ان دق الجوهر يعينك على هذا الشان لدققته ﴿وقال ابن القاسم﴾ أفضى بمالك طلب العلم الى أن أزال خشب سقف بيته فباعه وكان حريصا على ما يعينه على العلم وكان ينفق كل يوم درهمين فى اللحم ولو لم يجد ما يشتريه به الا أن يبيع بعض متاعه لفعل * ويتأكد أيضا على طالب العلم أن يجتنب أمورا تورث النسيان بالخاصية جمع بعضهم بعضا منها فى قوله

ترى أمورا تخوف نسيان ما مضى * قراءة ألواح القبور رتيبها
وأكلك للتفاح ما كان حامضا * وكزبرة خضراء فيها سمومها
كذا المشى ما بين القطار وحجمك الـ * ـقفاء ومنها الهم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء فى الماء راكدا * كذلك نبذ القمل لست تقيمها
ولا تنظر المصلوب فى حال صلبه * وأكلك سؤر الفأر وهو قديمها

ما يعين على الحفظ والفهم

﴿فائدة﴾ نذكر فيها أمورا تعين على الحفظ والفهم أما من المطعومات فقال فى روح البيان قال بعض الحكماء الالهية أسباب الحفظ استعمال السواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل احدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق اه ومثله فى القانون لابى على اليوسى * وكتب بعضهم لسيدى أحمد بن ناصر نفعنا الله به طالبا منه بيان شربة للفهم والحفظ فكتب له ما نصه وأما الشربة فهى أن تكتب على يدك اليمنى بالعسل ألم نشرح ثلاثة أيام وتلعقه وكتب محمد بن ناصر كان الله له آمين اه نقله أبو القاسم العميرى فى آخر فهرسته * وذكروا أن مما يعين على الفهم أكل اللوز والزبيب وحضوا على ملازمة الطالب لاكلهما وروى ذلك عن العلامة العبدوسى مفتى فاس ووجد بخط العالم العلامة سيدى حمدون المزوار نقلا عنه وانه يدل عن البلادة قال فعلى القارئ به وكذلك المأكولات والمشروبات الحلوة الطعم فقد سئل الامام مالك رضى الله عنه عن شرابه فقال فى الشتاء العسل وفى الصيف السكر قال بعضهم يستعين بهذا على الفهم وقال ابن وهب عن الليث كان ابن شهاب يشرب العسل ويقول انه يورث الذكاء وكذلك ملازمة أكل اللحم وتقدم عن مالك أنه كان ينفق كل يوم درهمين فى اللحم وقال الشبلى فى وصية له ياطالب العلم عليك باللحم يعينك على طلب العلم ويقوى البصر وقد ذكروا من الخواص أن من حمل جناح الهدهد الايمن حفظ ما أراد ولم ينس شيأ وكذلك حمل عينه وابتلاع قلبه حين ذبحه ذكره الانطاكى فى التذكرة وصاحب حياة الحيوان وزاد مع الذباب وهو الفجين قال وهو أنفع من حب الفهم والسلم * ومما يقوى الحفظ أيضا مداومة مضغ الكندر وأكل الفجل * وأما ما يعين على الفهم من القرآن فقراءة القرآن نظرا فى المصحف كما فى روح البيان وقانون أبى على

البوسي وغيرهما ووجد في بعض الآثار عن بعضهم قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب الله الله سبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب الى أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴿وقيل﴾ واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله توكلت على الله الواحد الاحد الحق وحده لاشريك له وكفرت بما سواه ﴿ومن فوائد بعض الاكابر﴾ يقرأ للحفظ كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى فاعلين ياحي ياقيوم يارب موسى وهرون ويارب ابراهيم ورب محمد عليهم الصلاة والسلام ألزمني الفهم وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين * وروي عن الحافظ جلال الدين السيوطي انهم العلم وكثرة المال وسعة الرزق أن تقول ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم بديع السموات والارض وما بينهما من جميع جرمي واسرافي على نفسي وأتوب اليه نقله عنه الشيخ داود الانطاكي في تذكرته وغيره ثم قال وجرب ذلك مرارا فصح وذكر بعض الاشياخ ووجد مقيدا أيضا في بعض التقاييد أن من أراد مسئلة في كتاب ولم يعرف موضعها فليقرأ هذا البيت فانه يهتدي لها بسهولة وهو

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

ونظائر هذا كثير والاعمال بالنيات

لكن سر الله في صدق الطالب * كم رئي في أصحابه من العجب

ومما يعين على الفهم أيضا صلاة الليل وتقليل النوم كما في روح البيان وغيره * والانفع من هذا كله وأقربه وأيسره تقوى الله تعالى قال الله العظيم في كتابه الحكيم واتقوا الله ويعلمكم الله قاله ابن رشد وجماعة وقال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى وقال عز من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا عن أبي سليمان الداراني رحمه الله والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى مالم يعلموا وأخرج الامام أحمد في الزهد عن ابن مسعود رضي الله عنه ينسي المرء بعض العلم بالمعصية وتلا قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به أي حيث جعل تعالى نسيانهم ماذكروا به من جملة العقاب على معصية نقض الميثاق وقال الامام مالك رضي الله عنه العلم نور لا يأنس الا في قلب تقي خاشع وللامام الشافعي رضي الله عنه

شكوت الى وكيع سوء حفظي * فأرشدني الى ترك المعاصي

وقال بني ان العلم نور * ونور الله لا يؤتاه عاصي

وفي وصية الخضر لموسى عليهما السلام ياموسى وطن نفسك على الصبر تلق الحكم وأشعر قلبك التقوى تنل العلم ﴿ويروى﴾ أن موسى عليه السلام قال لهم بم أطلعك الله على غيبه فقال بترك المعاصي وقال الشاعر وهو من شواهد الموضع

انارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

وقال ابن عباد في شرح الحكم قال أحمد بن معين التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال الاول للثاني حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك أبي سليمان قال سمعته يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي اليها عالم علما فقام ابن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية أعجب الي منها ثم ذكر له الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ثم قال صدقت وصدق شيخك انتهى باختصار * وفي تنبيه المغترين عن صالح المري أنه

أنفع ما يعين على الفهم:

قال الذنوب تطمس القلوب وقد ذكر ابن القيم أنه لما جلس الشافعى بين يدى مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته وذكائه وكمال فهمه فقال انى أرى الله تعالى قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية وقال بعضهم ان الذى نرى من جهلنا بالا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلمه ذكره فى الكشاف فى آية والذين جاهدوا فينا الخ ﴿وفى الحكم﴾ كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله تعالى وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله تعالى وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته اهـ ﴿وقال بعضهم﴾ اذا تراكمت أدران الذنوب والآثام على القلب عمى واسود وانطفأ نوره فلم يبصر ﴿وقال العلماء﴾ من آفات المعاصى حرمان العلم والاطلاع على الاسرار وانسداد باب الفهم أو حرمان ترتب فائدته عليه بل قد يكون علمه الذى حصله ضررا عليه فى الدارين كما أن اتقاءها والاقبال على الطاعات يوجب فتح القلب وتهيؤه لفهم دقائق الاسرار ﴿وفى الاحياء ما معناه﴾ ان القلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر وشبهها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ﴿وفى الحديث﴾ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ونور العلم لا يقذفه الله فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا الآية وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المطهرون عن الصفات المذمومة فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من العلوم الا طيبا طاهرا اهـ ﴿وفى المنن للعارف الشعرانى ما نصه﴾ وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من توقف فى فهم شئ جاء بلغته وعلى لسانه فهو علامة على ظلمة قلبه فيجب عليه السعى فى تنظيف قلبه من الشهوات والمخالفات ثم بعد ذلك لا يصير يتوقف فى فهم شئ الا ان كان ذلك فوق مقامه وما كان فوق مقامه لم يكلفه الله تعالى بالعمل به انما يكلفه الله بقدر ما فهمه فقط أو فهمه من هو مقلده من العلماء فعلم أن من أراد فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله والائمة المجتهدين ومقلديهم فليعمل على جلاء مرآة قلبه من الصدإ والغبار على يد شيخ مرشد ويجمع ذلك كله طيب المطعم والاخلاص والتسليم وخفض الجناح لعامة المسلمين وترك البحث والجدال والدعاوى وعدم اقامة ميزان عقله وفهمه على كل كلام عسر عليه فهمه فان من سلك هذا الطريق نور الله قلبه وكشف له عن أسرار الشريعة ودقائقها اذ القلب اذا صفا صار كالمرآة المصقولة فاذا قوبلت بالوجود العلوى والسفلى انطبع جميعه فيها فلا ينسى بعد ذلك شيأ اهـ والله الموفق بفضله ﴿ومن ذلك أيضا﴾ زيارة الاولياء والصالحين أحياء وأمواتا كما قال سيدى ابراهيم التازى من قصيدته

زيارة أرباب التقى مرهم يبرى * ومفتاح أسباب السعادة والخير

﴿وفى المدخل﴾ ولا ينبغى لطالب العلم أن يخلى نفسه من زيارة الاولياء والصالحين الذين برؤيتهم يحيى الله القلوب الميتة كما يحيى الارض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصلبة وتهون برؤيتهم الامور الصعبة اذ هم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم اذ هم باب الله المفتوح لعباده ومن كان كذلك فتتعين المبادرة الى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولانه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ما قد يعجز الواصف عن وصفه ولاجل هذا المعنى ترى كثيرا ممن اتصف بما ذكر له البركة العظيمة فى علمه وفى حاله فلا يخلى نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط أن يكون محافظا على السنة فى ذلك كله اهـ قال أبو على اليوسى فى القانون سيما من ظهر النفع على يديه كالشيخ أبى يعزى والشيخ أبى العباس السبتى والشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ أبى مدين فى بلاد المغرب وكالشيخ يوسف بن عمر والفقيه أبى جيدة فى مدينة فاس وغيرهم ممن لا يحصى اهـ ﴿وقات﴾

واغا

واعلم بذكر مولانا ادريس دفين فاس ووالده مع أن زيارتهما ترياق مجرب لقضاء الحوائج ونيل الاماني الدنيوية والاخروية لان شهرتهما بذلك تغني عن التعريف به وبيانه كما أشار اليه اليوسي نفسه في حسن المحاضرة ونصه وقد شاهدت المولى ادريس بن ادريس رضي الله عنه أيام مقامي بمدينة فاس ترياقا مجربا في كل ما أنزل به من حاجة اهـ وذكر العلامة المحقق ابن زكري في شرح همزيته أن زيارتهما متأكدة من جهات وخصوصا على أهل المغرب ومن ذلك أيضا المذاكرة حتى يحصل الفهم لان الفهم هو المقصود من الحفظ ولهذا قال بعضهم حفظ سطرين خير من حمل وقرين ومذاكرة اثنين خير من هذين وقال آخر

اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه * ولم يستفد علما نسي ما تعلما
وكم جامع للكتب في كل مذهب * يزيد مع الايام في جهله عما

﴿وعن علي كرم الله وجهه أنه قال﴾ تزاوروا وتذاكروا هذا الحديث فانكم ان لم تفعلوا يدرس علمكم ﴿وقالت أم الدرداء رضي الله عنها﴾ طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت لنفسي أشفى من مذاكرة العلماء وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى احياء العلم مذاكرته ﴿وقال بعض السلف﴾ اذا سمعت حديثا فحدث به حين تسمعه ولو أن تحدث به من لا يشتهيه فانه يكون كالكتب في صدرك ولبعضهم

خليلي لا تكسل ولا تهمل الدرسا * ولا تعط طوعا من بطالتها النفسا
ولا تترك التكرار فيما حفظته * فمن ترك التكرار لا بد أن ينسى

﴿ولآخر﴾

اخدم العلم خدمة المستفيد * وأدم درسه بفعل حميد
واذا ما حفظت شيأ أعده * ثم وكده غاية التوكيد

وتنبغي المذاكرة عقب افتراق المجلس قبل خمود القريحة غير أنه ربما يحصل في المجلس طول فيتعين تأخيرها قدر ما تجم القريحة من غير طول وأفضل أوقاتها الليل اذ هو وقت الفراغ وتكون مع الاصحاب المنصفين لا المتعسفين فان لم يجد من يصلح فليذاكر نفسه بنفسه وليجرد من نفسه مخاطبا وقد كان بعضهم يجمع أحجارا فيخاطبها ونفع هذا يشاهده كل أحد من نفسه اذا فعل ما ذكرنا ومن ذلك أيضا المنافسة لاهل التحصيل وهي محمودة كما في قانون اليوسي فلا خير فيمن لا ينافس على الخير ومن ذلك أيضا خدمة الاشياخ وسيأتي ما يتعلق بها ان شاء الله في آداب المتعلم مع الشيخ عند تعرض الناظم لها ومن ذلك أيضا التدريس والتأليف فيما حصل من العلوم فانهما يكسبان مهارة وزيادة فهم وتنقيح وتفتيش وخصوصا التأليف ومن ذلك أيضا صحة البدن واغترابه عن الوطن وفراغ البال وقدر من المال ورغبة فيما أعد للعلماء عند الله تعالى وهو عزيز الوجود أو مراعاة حظ عاجل وهو الكثير الموجود فمن أجل ان صحة البدن مما يعين على العلم ينبغي للطالب أن لا يهمل صحة بدنه حفظا لها عسى أن يقع وعلاجا لما وقع ﴿ومن أنفع ذلك﴾ التفرغ للطلب وقطع العلائق المنافية له والجد والاجتهاد والمواظبة قال النبي صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم وقد قالوا العلم ان أعطيته جميعك أعطاك بعضه وان أعطيته بعضك لم يعطك شيأ وفي هذا المعنى قال أبو الحجاج البلوي رحمه الله

اعلم بأن العلم ذو همة * وهو عزيز النفس ذو غيره
ينيلك البعض من انواره * ان لم تكن مصطحبا غيره
وان تكن مشتغلا مقبلا * على سواه لم تنل خيره
فاطرح الاشغال واعكف على * تحصيل ما يعطي وسر سيره

واحفظه واذكره ولا تنسه * واعمل به تنج من الحسيره

﴿وقال ابن عرضون﴾ وجد بخط سيدى عبد الرحمن الجزائرى الثعالبى

اذا هجر العلم يوما هجر * وزال فلم يبق منه أثر
كما رق رقراق فوق الصفا * اذا انقطع الماء جف الحجر

فالعلم انما يدرك بالجد والعزم والقوة والحزم كما قال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال الشاعر

اعكف على الكتب وادرس * تحز فخار النبوه
فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوه

فالعلم بعيد أن يناله أهل اللهو والبطالة وغريب أن ينقاد لاهل الرقاد وهل قط وصل الذى كسل أيستوى من درس وتعب مع من لها ولعب هيهات هم هذا ضرسه وذاك طرسه فبينهما ما بين التبر والترب والسمك والسماك فى القيمة والقرب ﴿وفى صحيح مسلم﴾ لا ينال العلم براحة الجسم ﴿وقال ابن رشد فى المقدمات﴾ لا يحصل العلم الا بالعناية والملازمة والبحث والنصب والصبر على الطلب كما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا وانه قال لفتيه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال وكان سحنون اذا حث على طلب العلم والصبر عليه تمثل بهذا البيت

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

﴿وقال ابن يونس﴾ العلم لا يأتى الا بالعناية والمباحثة والملازمة مع هداية الله تعالى وتيسيره اه ﴿وفى المدخل﴾ وينبغى لطالب العلم أن يكون مواظبا على الاشتغال به فان الترك مضر ولو قل وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله ينقل عن شيخه أبى الحسن الزيات ما معناه اذا ترك الطالب الاشتغال يوما كأنه ترك سنة ومن تركه يومين كأنه تركه سنتين وان تركه ثلاثا لا يجيء منه شيء اه ﴿قال صاحب المدخل﴾ وما قاله بين ألا ترى أن الكاتب خطه فى يوم الخميس أحسن منه فى يوم السبت وما ذاك الا لترك الكتب يوم الجمعة اه وقال أبو حنيفة لابى يوسف كنت بليدا فأخرجتنى المواظبة البلادة ولبعضهم

اقرأ تكن فوق السها * ولا تكن ممن لها
من طلب العزة بالر * احة لم يصل لها

فالاجتهاد هو أحد الامور المؤكدة على طالب العلم المجموعة فى قول بعضهم

أخى لن ينال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص وافتقار وغربة * وتلقين استاذ وطول زمان

وقد أفرد الشعراء كلا من الستة بمقال على سبيل الاستقلال فمما قيل فى الذكاء والعقل

ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان فقدا * ففقده للحياة أليق به

ومما قيل فى الحرص قول محمود الزمخشرى

سهرى لتحصيل العلوم ألذ لى * من لثم غانية وطول عناق
وألذ من نقر الفتاة لعودها * نقرى لنفض الرمل عن أوراقى
وتمايلى طربا لحل عويصة * أشهى لنفسى من مدامة ساقى
وصرير أقلامى على أوراقها * أحلى من الدايات والعشاق
يا من يحاول بالامانى رتبتى * كم بين مستفل وآخر راقى
أأبيت ليلى ساهرا وتضيعه * نوما وتأمل بعد ذاك لحاقى

ى شيخه ابن أبى جمرة
...له

وقول

وقول الناظم رحمه الله تعالى يوصي ابنه

بني اجتهد وافرأ وزاحم ونافس * ولا تتجمع في رحاب المدارس
وكن باحثاً عن فهم كل عويصة * بقلب يرى متيقظاً غير ناعس
واياك تستحيي وسل لتفهم * وكن ذا اعتناء بالمعاني العرائس
وكسر جموع اللهو واصرم حبالها * وكن في جموع الخير أول جالس
وجانب قرين السوء واختر بعاده * فقربك منه موقع في المناحس
وان ضحكت لك المعاصي بثغرها * فكن ولدي في وجهها شر عابس
وكن متواضعاً النفسك هاضماً * وثوب ذميم الكبر كن غير لابس
وحافظ على التقوى وصل بوقتها * وكن بأكف الخير أوثق حابس
فخذها وصايا والد لك ناصح * يدل على أسنى الخصال النفائس

﴿وقول الآخر﴾

قل للمحاول رتبة * من غير كد ذا محال
فابغ المعالي بالعنا * فبذاك تكتسب المعال
واحرص لترأس يافتى * واحفظ لحفظك الرجال
وذوي المعارف فلتسل * فالعلم يدرك بالسؤال
وعليك حال تأدب * معهم فتلك خير حال
وتوق ما اسطعت الخنا * والهزل جنب في المقال
واصحب من الناس الأولى * يقفون محمود الخصال
واذا تعذر هؤلا * فاختر سلامة الاعتزال
والخير أجمعه لذى * تقوى المهيمن ذي الجلال
تمت نصيحة ناصح * تحكي على الجيد اللآل

وقول أبي عثمان سعيد بن لبون

زاحم أولي العلم حتى * تعتد منهم حقيقه
ولا يردك عجز * عن أخذ أعلى طريقه
فان من جد يعطى * فيما يحب لحوقه

﴿وقول الآخر﴾

قالت مسائل سحنون لقارئها * بالكد يدرك منا كل ما استترا
لا يدرك العلم بطال ولا كسل * ولا ملول ولا من يألف البشرا

﴿وقال آخر﴾

أطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب أن يضجرا
ألم تر الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد أثرا

﴿وقول السراج الوراق مورياً﴾

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة في معزل * فالصفع موجود مع الراحه

﴿ومما قيل في الافتقار﴾

أردنا طلاب العلم مع طلب الغنى * ولم نقتصر في الجانبين على قسم
ففاز ذو الشأن كل بشأنه * ولا نحن في مال ولا نحن في علم

والمراد بالافتقار الذي هو محمود لطالب العلم أن لا يتأثر بأموال ما هو مستغن عنها أو يشتغل باصلاحها وتنميتها لان ذلك صارف له عما هو بصدده وأما ما يحصل به مؤنته وحاجاته فلابد له منه ولو اشتغل بتحصيله لحصل المحذور من تعطيل ما هو بصدده فلذلك وقف الناس الاوقاف والاعانات لطالب العلم ومتعاطيه وخصهم الملوك بالجوائز والعطايا وكان لهم حظ في المصالح وبهذا يدفع التناقض بين مدح الافتقار وبين قول بعضهم

لا يدرك الحكمة من دهره * يكدح في مصلحة الاهل
ولا ينال العلم الا امرؤ * خال من الاغراض والشغل
فان لقمان الحكيم الذي * سارت به الامثال في النضل
لو ابتلى يوما بفقر لما * فرق بين الثور والبغل
فلا تلومن أخا عيلة * وفاقة ان كان ذا جهل

وللقاضي عبد الوهاب من أبيات

لو كان بالعلم لي شغل ظفرت به * لكنني قد دهتني عنه أهوال
فصرت أطلبه والدهر يطلبني * ومطلب الدهر لا يبقى له بال

ومما قيل في الغربة قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

سأطلب علما أو أموت بلدة * يقل بها قطر الدموع على قبري

الى آخر الابيات السابقة في الكلام على السفر للعلم ﴿ومما قيل﴾ في تلقين الشيخ قول أبي حيان يعرض فيما قال ابن مالك

يظن الغمر أن الكتب تهدي * أخا فهم لادراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى * تصير أضل من توما الحكيم

﴿وقوله أيضا﴾

أمدعيا علما وليس بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتعجب أن الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذي تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

﴿وقول ابن عساكر﴾

وانك ان ترى العلم شيأ * يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه * وخذه عن الرجال بلا امللال
ولا تأخذه من صحف فترمى * من التصحيف بالداء العضال

﴿وقول أبي عبد الله الشمني المغربي﴾

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة * يكن من الزيغ والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذا للعلم عن صحف * فعلمه عند أهل العلم كالعدم

﴿وقول أبي العباس أحمد بن العريف﴾

الكتب تذكرة لمن هو عالم * وصوابها بمحالها معجون

والفكر

والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون
من لم يشافه عالما بأصوله * فيقينه في المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون

﴿وقول الآخر﴾

كل من يدعي العلوم فريدا * دون شيخ فانه في ضلال
ليس في الكتب والقراطيس علم * انما العلم في صدور الرجال

﴿وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه﴾ من تفقه من بطون الكتب ضيع الاحكام * ومما قيل في طول الزمان قول أبي حفص الفاسي رحمه الله تعالى

طويت لنشر العلم ثوب شبيبتي * وبالله كان الطي في ذاك والنشر
وقد كان نشر العلم دأبا يسرني * فهل ان تلك الاخرى يسرني النشر
ألا ان أنفاس العلوم ذكية * ولكن بتقوى الله يقوى لها النشر
وكل امرئ أخلى من العلم ربعه * ومن طاعة الجبار أحزنه الانشر

مقابل الطي
أي نشر الموتى
ارائحة الطيبة
أي البعث

ولا يخفى ما بين قول الناظم البرد بفتح الباء والبرد بضمها من الجناس المحرف ثم قال

(٥٠) ﴿واطلب العلم ولو بالصين * بذا أتى الحديث عن يقين﴾

الواو للعطف واللام لام الامر وأصل لام الامر هو السكون وقد تفتح عند سليم لكنها اذا وقعت أول كلمة كسرت كقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فرارا من البدء بالساكن فاذا دخلت عليها واو العطف أو فاؤه أو ثم رجعت في الغالب لاصلها وهو السكون لزوال المانع قاله في التصريح وتطلب مجزوم بلام الامر وهو معطوف على اصبر في البيت قبله والعلم مفعول الفعل ولو حرف شرط وبالصين متعلق بمحذوف خبر عن كان محذوفة مع اسمها وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه والتقدير ولو كان العلم مستقرا بالصين فاطلبه وذلك مبالغة في البعد والصين موضع بالكوفة وموضع بالاسكندرية وموضعان بكسكر كما في القاموس وقوله بذا جار ومجرور متعلق بأتى والاشارة لطلب العلم ولو بالصين وعن يقين أي صحة وتحقق متعلق بمحذوف حال من الحديث وأشار في البيت الى قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم أخرجه السيوطي في جامعه من رواية العقيلي وابن عدي والبيهقي في شعب الايمان وغير خفي ان النسبة الى الاولين تؤذن بضعف الحديث كما علم من اصطلاحه ونسبه أيضا في الدرر المنتثرة لمن ذكر وقال العلامة المحدث خاتمة الحفاظ سيدي ادريس العراقي له طرق غير التي ذكرها السيوطي كلها ضعيفة اه وأخرجه أيضا ابن عبد البر في العلم من رواية أبي عاتكة وأبو عاتكة منكر الحديث وقال البيهقي هذا الحديث مشهور وأسانيده ضعيفة اه بل قال السيد السمهودي في تأليفه الغماز على اللماز ما نصه حديث اطلبوا العلم ولو بالصين قال ابن حبان لا أصل له اه وبهذا تعلم ما في قول الناظم عن يقين ويحتمل أن يكون قوله عن يقين متعلقا بأتى وأراد باليقين النبي صلى الله عليه وسلم لان من أسمائه علم اليقين فلا يكون حينئذ مشيرا لتصحيح الحديث فلا يتوجه عليه اعتراض وفيه من البعد والتكلف ما لا يخفى ثم ان ما سقناه من نصوص الائمة على ضعف هذا الحديث انما هو من حيث لفظه ولهذا قال العزيزي في شرح الجامع انه حسن لغيره أي لغيره من الاحاديث التي بمعناه ويحتمل ان الناظم أشار لتصحيحه باعتبار هذا المعنى لكن ذلك ليس باصطلاح لارباب الحديث والله أعلم وللعلامة الشيخ عبد الرحمن البعلي الحنبلي الدمشقي عاقدا هذا الحديث

حصل العلم فمن حصله * نال عزا والغنى مع دين

رغب المختار فيه قائلا ٭ اطلبوا العلم ولو بالصين

وقد أشار الناظم الى فضل العلم والتعلم بأخفى اشارة ولا بدّ من تفصيل ما انطوى تحت تلك العبارة من غير ملل من طول الاملاء ولا اختصار لمستعذب الانباء فنقول أما فضل العلم والعلماء فقال تعالى شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط قال الغزالى فى الاحياء فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضى الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا بين ان عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردّوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ردّ حكمه فى الوقائع الى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الانبياء فى كشف حكم الله وقيل فى قوله تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى يعنى الحياء وقال تعالى ولو جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصنّ عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم أى بالعلم وقال أهل التفسير فى قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم انه العلم لانه حياة القلب والجهل موته وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فأمر بطاعتهم كما أمر بطاعته وطاعة رسوله على أن المراد بأولى الامر العلماء وهو تفسير جماعة من الصحابة كابن عباس وجابر بن عبد الله وغيرهما وقال تعالى وقل رب زدنى علما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستزادة من شئ غير العلم وذلك لشرفه وقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده رواه الشيخان وغيرهما وقال عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه الصلاة والسلام يستغفر للعالم ما فى السموات والارض وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة يحتاجون الى العلماء كما يحتاجون اليهم فى الدنيا وذلك انهم يزورون الله فى كل جمعة فيقول لهم تمنوا على ما شئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى على ربنا فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون اليهم فى الجنة كما يحتاجون اليهم فى الدنيا وقال عليه الصلاة والسلام العلم ميراثى وميراث الانبياء قبلى فمن كان يرثنى فهو معى فى الجنة وقال عليه الصلاة والسلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه صلى الله عليه وسلم على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وأبقى وقال عليه الصلاة والسلام خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين قال فى الاحياء ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانما أراد به الفقه الذى ظننته وأدنى درجات الفقيه أن يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال عليه الصلاة والسلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته

العلم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ لا توسع المجالس الا لثلاثة لذى سن لسنه ولذى علم لعلمه والذى سلطان لسلطانه ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ العالم سلطان الله فى الارض فمن وقع فيه فقد هلك ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ العالم والمتعلم شريكان فى الاجر وسائر الناس لا خير فيهم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ لسيدنا على رضى الله عنه كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن خامسا فتهلك والمراد بالخامس المبغض للعلماء ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ لموت قبيلة أيسر من موت عالم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء فقها اذا عبد الله وكفى بالمرء جهلا اذا أعجب برأيه ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ العالم أمين الله سبحانه فى الارض ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط درجة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وعقده من قال

تفقه فان الفقه زين لاهله * وتخر فان الكل المحامد
وان فقيها واحدا متورعا * أشد على الشيطان من ألف عابد

﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ لو وزن مداد العلماء بدم الشهداء لرجح عليه مداد العلماء قال فى المدخل وهذا بين لان دم الشهداء انما هو فى ساعة من نهار أو ساعات ثم انفصل الامر فيه لاحدى الحسنيين ومداد العلماء هو وظيفة العمر ليلا ونهارا ثم انه محتاج فيه لمباشرة غيره لا بد من ذلك اما أن يعلم أو يتعلم وكلاهما يحتاج فيه الى مجاهدة عظيمة لاجل خلطة الناس ومباشرتهم وذلك أمر عسير لانه يحتاج ان كل من اجتمع به يتفصل وهو طيب النفس منشرح الصدر بذلك مضت السنة وانقرض السلف عليه مع مراعاة الاصل الذى هو تخليص الذمة مما يترتب فيها وعليها من حقوق الاخوان فى الحضرة والغيبة والسلامة من أعراضهم والذب عنهم وسلامة الصدر لهم ومراعاة أحوالهم وانصافهم فى المخالطة والتوفية لهم فى ذلك كله صعب عسير فضلا عن مكابدة فهم المسائل والوقوف على معناها وغامض خباياها آناء الليل وأطراف النهار مع ما ينزل من النوازل فى الامور التى تقع فى زمانه كما قال صاحب الانوار رحمه الله وقد خص الله تعالى العلماء بفضيلة لا يشاركهم فيها غيرهم لان الله عز وجل يعبد بفتواهم ويعرف حلاله وحرامه بهم غير أنهم مطالبون بشكر النعمة مدافعون لوجود كل فتنة ومحنة وحادثة وبدعة اه وهذا مقام عظيم اذ به يعبد الله تعالى ويطاع وبه ينهى عن معاصيه وتترك اه ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هى بعد النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ ما عبد الله تعالى بشئ

أفضل من فقه في الدين وافقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يامعشر العلماء انى لم أضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ العلماء اذا أتوا على الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية ونورهم يسعى بين أيديهم وبينيدى كل عالم لواء من نور الجنة يمشى بسيرة خمسمائة عام وتحت لواء كل عالم من أحبه ومناد ينادى هؤلاء أولياء الله هؤلاء الذين علموا عباد الله هؤلاء الذين حافظوا على حدود الله هؤلاء مصابيح الله فاذا أتوا على الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج لو وضع ذلك التاج في السماء لخترق الارض السابعة السفلى ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو علقت تلك الحلة بين السماء والارض لقطع نورها نور الشمس ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ من أكرم عالما كمن أكرم سبعين نبيا ومن أكرم متعلما كأنما أكرم سبعين شهيدا ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة أيام حياته ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ من زار عالما كأنما زارني ومن صافح عالما كأنما صافحني ومن جالس عالما كأنما جالسني وأجلسه الله معي يوم القيامة ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ المتقون سادة والفقهاء قادة والجلوس اليهم زيادة وعالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ لاصحابه انكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه العلم فيه خير من العمل ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين * وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم والفقه في دينه وكررهما عليه فقال يارسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ أقل الناس قيمة أقلهم علما ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت أكثر أهلها الفقراء قالوا يارسول الله من المال قال لا بل من العلم ﴿وقال سيدنا على كرم الله وجهه﴾ لكميل ابن زياد يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق يا كميل محبة العالم دين يدان به يكسبه العلم الطاعة لربه في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله يا كميل مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في الناس موجودة ولبعضهم

رضينا بالعلوم تكون فينا * مخلدة وللجهال مال
فان المال يفنى عن قريب * وان العلم ليس له زوال

قال الفخر الرازي عند قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴿قيل﴾ لبعض العلماء انكم تقولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب العالم بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا مافي المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا مافي العلم من المنافع فلا جرم تركوه اهـ والبعض المسؤل هو بزرجمهر كما في التحفة العلية للماوردى وكما في غيره ﴿وقال سيدنا على أيضا﴾ العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الاخلف منه وينسب له رضي الله تعالى عنه

ما الفخر الا لاهل العلم انهم و * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا * فالناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿وقال أبو الاسود الدؤلي رضي الله عنه﴾

العلم زين وتشريف لصاحبه * فاطلب هديت فنون العلم والادبا
كم سيد بطل آباؤه نجب * كانوا الرؤس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدب * نال المعالي بالآداب والرتبا
العلم كنز وذخر لا فناء له * نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه * عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبدا * ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه * لا تعدلن به دارا ولا ذهبا

﴿وقال أيضا رضي الله عنه﴾ ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك ﴿وقال ابن عباس رضي الله عنهما﴾ خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه ﴿ومن كلام سيدنا علي رضي الله عنه﴾ أدب المرء خير من ذهبه ﴿ومن كلامه أيضا﴾ رتبة العلم أعلى الرتب ﴿ومن كلامه أيضا﴾ سادة الائمة الفقهاء ﴿ومن كلامه أيضا﴾ ليس لسلطان العلم زوال ﴿ومن كلامه أيضا﴾ مجالس العلم روضة * وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين والسفلة بكسر السين وفتح الفاء فانظر هذا فانه لم يجعل غير العلماء من الناس لان الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان الاسد أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا بكثرة جماعه فان أخس العصافير أقوى على الجماع منه بل لم يخلق الا للعلم وكان ابن المبارك يخص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء ﴿وقال فتح الموصلي﴾ أليس المريض اذا منع منه الطعام والشراب والدواء يموت فكذا القلب اذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت وقيل

حياة بلا علم حياة ذميمة * وعلم بلا جاه كلام مضيع

﴿وفي المعيار﴾ ان امرأة في زمن الامام مالك رضي الله عنه قالت لزوجها أنت سفيه فقال لها ان كنت سفيها فأنت طالق فسئل مالك عن المسئلة فقال ان كان الزوج من العلماء أو ممن يجالس العلماء فليس بسفيه والا فهو سفيه يلزمه الطلاق ونقل الشنطي عن الامام مالك أنه قال من لم يحضر مجلس العلم فهو فاسق لا تقبل شهادته ولا إمامته ﴿وقال بعض العلماء﴾ ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم ﴿وقال الحسن رضي الله عنه﴾ يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء ﴿وقال ابن مسعود رضي الله عنه﴾ اطلبوا معيشة لا يقدر السلطان على غصبها قيل وما هي قال العلم ﴿وقال رضي الله عنه﴾ عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان أحدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وفي المعنى

تعلم فليس المرء يولد عالما * فما العلم الا عند أهل التعلم
تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وعنه أيضا لا أعلم شيأ أفضل من الجهاد في سبيل الله الا ان يكون طلب العلم فانه أفضل منه * وقيل لبعض الحكماء أي الاشياء تقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم ﴿وقال الشافعي رضي الله عنه﴾ من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن * وقال أيضا لولا مذاكرة الاخوان في العلم والتهجد بالليل ما أحببت البقاء بهذه الدار * وقال أيضا من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ﴿وقال الاحنف رحمه الله﴾ كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطن بعلم فالى ذل مصيره ﴿وقال سالم بن أبي الجعد﴾ اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم آذن له ﴿وقال الزبير بن أبي بكر﴾ كتب الي أبي بالعراق عليك بالعلم فان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا * وقال لقمان لابنه يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء * وقال أيضا لابنه يابني لا عقل لمن لا عصمة له ولا مروءة لمن لا صدقة له ولا كنز أنفع من العلم ولا شيء أربح من الادب ﴿وقال مالك رضي الله عنه في رسالة لبعض أصحابه﴾ وقد علمت ان نشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح الله لي وقسم لي منه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه من العبادة وكلانا على خير ان شاء الله ﴿وقال ابن العربي﴾ لا خلاف ان طريق العلم هي طريق الى الجنة بل هي أوضح الطرق اليها ﴿وقال الامام السبكي﴾ مجامع السعادة سبعة أشياء الدين والعلم والعقل والادب وحسن السمعة والتودد الى الناس ورفع الكلفة عنهم ثم قال تظاهرت الآيات والاخبار والآثار وتواترت وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد في أسبابه وتعليمه ﴿وقال بعض العلماء﴾ اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره ولبعضهم

العلم أنفس شيء أنت ذاخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم إقبال وآخره

﴿وقال الحكيم أفلاطون﴾ عطية العالم شبيهة بمواهب الله عز وجل لانها لا تنفد عند الجود بها ولكنها توجد كما هاعند مفيدها ﴿وقال أيضا﴾ من فضيلة العلم انك لا تستطيع أن يخدمك فيه أحد كما يخدمك في سائر الاشياء وانما تخدمه بنفسك ولا يستطيع أحد أن يسلبك اياه كما يسلبك غيره من المقتنيات ﴿وقال نصر بن سيار﴾ كل شيء يعز حين ينزر والعلم يعز حين يغزر ﴿وقال العارف بالله الولي الاكبر سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه﴾ كما في البرهان المؤيد عظموا شأن الفقهاء والعلماء كتعظيمكم شأن الاولياء والعرفاء فان الطريق واحد وهؤلاء ورثة ظاهر الشريعة وحملة أحكامها الذين يعلمونها الناس وبها يصل الواصلون الى الله اذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع ولو عبد الله العابد خمسمائة عام بطريقة غير شرعية فعبادته راجعة اليه ووزره عليه ولا يقيم الله له يوم القيامة وزنا وركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه فاياكم واهمال حقوق العلماء وعليكم بحسن الظن فيهم جميعا وأما أهل التقوى العاملون بما علمهم الله فهم الاولياء على الحقيقة ولكن حرمتهم عندكم محفوظة ثم قال هم سادات الناس وأشراف الخلق والدالون على طريق الحق اهـ ﴿وقال العارف بالله الشعراني في كتابه المنن الكبرى﴾ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ليس أحد من الامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلماء لانهم حملة شريعته وأمناء على أمته فمن أبغض عالما فقد أبغض من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان كذلك فهو عدو

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عدو لله عز وجل ومن كان عدوا لله عز وجل فهو عدو لجميع الخلائق اه وسمعته يقول أيضا من كان عنده كراهة لأحد من العلماء فقد خالف أمر الله تعالى فان الله تعالى أمرنا بطاعة أولى الامر منا وهم العلماء ومن كره أحدا منهم فقد خرج عن طاعتهم بيقين اه ﴿وقال حجة الاسلام الغزالى فى كتابه منهاج العابدين﴾ فمن لم يتعلم العلم لا يتأتى له إحكام العبادة والقيام بحقوقها ولو أن رجلا عبد الله تعالى عبادة أهل السماء بغير علم كان من الخاسرين اه وقال الفخر الرازى فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد لان الله تعالى قال ان أكرمكم عند الله أتقاكم فبين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل ثم قال وفى قراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع الله معناه انما يعظم ويبجل اه وقال أيضا فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء الآية هذه الآية دالة على فضل العلم فانه سبحانه ما أظهر كمال حكمته فى خلقة آدم عليه الصلاة والسلام الا بأن أظهر علمه فلو كان فى الامكان وجود شئ أشرف من العلم لكان من الواجب اظهار فضله بذلك الشئ لا بالعلم اه وقال المواق فى شرح المختصر عند قول المتن فى باب الجنائز يلى الامام رجل الخ ما نصه وقال فى المقدمات صفة ترتيبهم على مراتبهم يقدم الى الامام أعلى المراتب وهم الرجال الاحرار البالغون فان تفاضلوا فى العلم والفضل والسن قدم الى الامام أعلمهم ثم أفضلهم ثم أسنهم وقول من قال يقدم الافضل على الاعلم بعيد لان العلم مزية يقطع بها وزيادة الفضل مزية لا يقطع عليها اه المراد منه ﴿وقال ابن الحاج فى المدخل﴾ لا يختلف العلماء أن العلم أفضل الاعمال بعد الايمان بالله عز وجل اه ﴿وقال فى الرسالة﴾ والعلم أفضل الاعمال وأقرب العلماء الى الله وأولاهم به أكثرهم له خشية وفيما عنده رغبة والعلم دليل الى الخيرات وقائد اليها اه ﴿وقال الحطاب أول شرحه للمختصر﴾ قال النووى فى كتاب التبيان قال الامامان الجليلان أبو حنيفة والشافعى رضى الله عنهما ان لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله من ولى وذكره فى شرح المهذب بلفظ ان لم يكن الفقهاء الخ ﴿وفى الصحيح﴾ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب ﴿وقال الامام أبو القاسم بن عساكر رحمه الله﴾ اعلم يا أخى وفقنى الله واياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ومن أطلق لسانه فى العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم اه كلام الحطاب ﴿وقال الفخر الرازى ما نصه﴾ قال الله تعالى فى الانجيل ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم ولا تقولوا نخاف نعلم ولا نعمل ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل والعلم شفيع لصاحبه حق على الله أن لا يخزيه ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا أن يرحمنا ويغفر لنا فيقول فانى قد فعلت انى استودعتكم حكمتى لا لشر أريده بكم بل لخير أردته بكم ادخلوا فى صالح عبادى برحمتى الى جنتى اه ﴿وقال الأبى فى شرح مسلم صدر باب الجنائز﴾ اتفق أن شيخنا أبا عبد الله بن عرفة مرض مرضا أشرف فيه على الموت ثم نقه فدخلت أنا وبعض الطلبة عليه فأخذ يحضنا على الجد فى الطلب ويقول العلم ينفع فى الدنيا والآخرة ثم قال غشى على فى مرضى هذا فمثلت لى طائفتان احداهما عن يمينى وهى الصغرى والاخرى عن شمالى وهى الكبرى والتى عن يمينى ترجح الايمان بالله عز وجل والتى عن شمالى ترجح الكفر بالله وتورد شبها فيوفقنى الله عز وجل للجواب عن تلك الشبه بما أعرف من قواعد العقائد فلما سرى عنى علمت أن توفيقى لذلك انما هو من بركة العلم وعلمت أن الله عز وجل ينفع به فى الدنيا والآخرة اه ﴿وقال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به فى العهود المحمدية﴾ أخذ علينا العهد العام

من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندمن مطالعة كتب العلم وتعليمها الناس ليلا ونهارا ماعدا العبادات الموقتة والحوائج الضرورية ومذهب امامنا الشافعي رضي الله عنه أن طلب العلم على وجه الاخلاص أفضل من صلاة النافلة اه ومثل هذا له في المتن وزاد فجعله أفضل من وقوف العبد بين يدي ربه ومناجاته بكلامه والركوع والسجود بين يديه في حضرة ربه ثم قال ﴿فان قيل﴾ كيف يترك العبد حضرة ربه عز وجل ويخرج لمجالسة عبده ﴿فالجواب﴾ أن حكم العبد حكم من كان في حضرة ملك من ملوك الدنيا وقد أمره ذلك الملك بالجلوس معه ثم ان ولد الملك وقع في بئر فقام ذلك العبد من مجلس سيده بغير اذنه لينقذ ولده من الغرق فالقرائن كلها متوفرة على رضا الملك بذلك حتى لو أن الملك قال له فارق حضرتي وخلص ولدي فقال لا أفارقك عصى واستحق العقوبة وحكم من يشتغل بالعلم الشرعي المتعين تقديمه حكم من هو مشتغل بانقاذ الخلق من الهلاك بالنسبة لما هو أدون منه مما له تركه من أجله اه ﴿قلت﴾ فقد نسب الشعراني كما ترى للامام الشافعي وهو امامه أن تعلم العلم وطلبه أفضل من صلاة النافلة وبه تعلم ما نسبه الشيخ ابراهيم الشبرخيتي في شرح الاربعين للشافعي من أن الصلاة فرضا ونفلا أفضل من طلب العلم والله أعلم ﴿قلت﴾ وكون طلب العلم أفضل من صلاة النافلة هو مذهب أبي حنيفة أيضا كما للشبرخيتي وهو مذهب امامنا مالك رضي الله عنه أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع أعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وفي ابن يونس عن ابن عبد الحكم قال أخبرني ابن وهب قال كنت عند مالك جالسا أسائله فرآني أجمع كتبي فقال لي أين تريد فقلت أبادر الصلاة لئلا تفوتني فقال ما الذي أنت فيه بدون الذي تذهب اليه اذا صحت منك النية اه وهذا مع اتساع الوقت فاذا كان هذا في الفريضة بالنسبة لاول وقتها فأحرى في النافلة ﴿وفي البيان لابن رشد﴾ قد روي عن مالك أن العناية بالعلم أفضل من الصلاة أي صلاة النافلة وهو الذي يدل عليه الآثار وقد نص المحقق ابن زكري في شرح الحكم وتلميذه العلامة الشيخ جسوس في شرح عقائد الرسالة على أن الاشتغال بالعلم تعلما وتعليما بعد أداء الواجبات أفضل من الاشتغال بسائر نوافل الخيرات من صوم وصلاة وتسبيح وغير ذلك من الطاعات وساق ابن زكري من كلام الائمة ما يدل لذلك ﴿وفي سنن المهتدين للامام المواق﴾ سئل العز بن عبد السلام أقراءة القرآن أفضل أم النظر في العلم فقال معرفة الاحكام الشرعية أفضل لعموم الحاجة اليها في الفتاوى والاقضية والولاية العامة والخاصة ومصلحة القراءة مقصورة على القارئ وما عمت مصلحته ومست الحاجة والضرورة اليه أفضل مما كانت مصلحته مقصورة على فاعله اه ونقله في المعيار أيضا ونقل نحوه عن المازري وأبي سعيد بن عبد الرحمن ﴿وقال في الابريز عن شيخه﴾ تعظيم العلماء يزيد في الايمان ولو علم العامة قدر العلماء عند الله تعالى ما تركوهم يمشون على وجه الارض ولتناوب أهل كل حومة العالم الذي فيهم وحملوه على أعناقهم اه وقد سئل أبو اسحق الشاطبي رحمه الله عن العالم والولي أيهما أفضل فأجاب بجواب حفيل طويل حاصله أن العالم العامل أفضل واستدل على ذلك بأدلة منها ان طلب العلم والتعلم والتعليم لما عدا القرض من باب فرض الكفاية والانقطاع للعبادة من باب النفل والفرض من وجه لا يساوي النفل من كل وجه أبدا ووجه ثان أن صاحب العلم ينتفع بغيره كما ينتفع هو بعلمه وصاحب الولاية مقصور النفع على نفسه ولا شك أن النفع المتعدي للغير خير من النفع القاصر ووجه ثالث وهو أن زماننا هذا لا ينبغي أن يختلف في ان طلب العلم فيه آكد من غيره لمن قدر عليه لانه زمان رفع العلم وظهور الجهل فالعلم مظنة لبقاء هداية الخلق واحياء السنة واستقامة الاحوال ولا علينا أوجد في الدنيا من انقطع للعبادة أو لم يوجد ولو عدم العلم لضل الناس وصارت الاحكام جاهلية فالقيام

بالعلم

بالعلم أحق من غيره بكثير واذا كان كذلك فالعالم أفضل من الولى الذى لم يقعد فى مرتبة العلماء الى آخر كلامه انظره برمته فى الازهار الطيبة النشر للعلامة سيدى العالب بن الحاج رحمه الله وقال العلامة المحقق ابن زكرى رحمه الله يؤخذ من حديث العلماء ورثة الانبياء وأمناء الرسل أن العلماء الحقيقيين المذكورين فى قوله تعالى انما يخشى الله الخ أفضل من الاولياء الذين لم يتأهلوا لبث العلم ونشره وكذا من الشرفاء الذين لم يتأهلوا لذلك وان كانوا أفضل من حيث البضعة قال وهذا هو الحق الذى انفصل عنه الائمة المقتدى بهم اه ﴿قلت﴾ غير أن فى جامع المعيار من جواب لابن رشد ما يخالف هذا فقد صوب أفضلية العارف على العالم العامل وأطال فى المسئلة بما تميل اليه النفس وتنبسط له الروح ونقله يطول بهناءة نظره وهذا هو الذى أشار اليه الغزالى فى الاحياء اذ قال أثناء كلام فى آداب المتعلم ما نصه بل الرتبة العليا الانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخون فى العلم ثم الصالحون على تفاوت درجاتهم اه والله أعلم ﴿قلت﴾ وقد يقال ان جهة التفضيل مختلفة فالعلم أفضل من حيث نفع الخلق به والولى أفضل من حيث الولاية التى هى ثمرة العلم فى الاصل وقد قال الامام البلقينى وهو من كبار أئمة الشافعية الفتوحات التى يفتح بها على العلماء فى الاهتداء الى استنباط المسائل المشكلة فى الادلة أعم نفعا وأكثر فائدة مما يفتح به على الاولياء من الاطلاع على بعض الغيوب فان ذلك لا يحصل به من النفع مثل ما يحصل بهذا قال تلميذه ولى الدين أبو زرعة العراقى وأيضا هذا موثوق به لرجوعه الى أصل شرعى وذلك قد يضطرب الامر فيه ويشتبه بتسويل الشيطان لعدم رجوعه الى قاعدة شرعية وان كان الغالب أن الخواطر الملكية تستقر والخواطر الشيطانية تضطرب اه وفى نوازل الدماء والحدود والتعزيرات من المعيار من جواب لابى عبد الله محمد بن العباس شيخ الونشريسى ما نصه ولقد قال بعض الكبار من المتأخرين الاخيار لأن أحشر مع الفقيه أبى محمد بن أبى زيد بل مع الفقيه أبى محمد شكر أحب الى أن أحشر مع الغزالى يريد أن تلك الطريقة كثيرة الغرر والاخطار ذات مسالك صعبة كثير من هلك فى بيداتها فقليل من تجاوز تلك الاوعار اه على ان تسمية العالم بالعالم تمييزا له عن الولى انما حدثت بعد الصدر الاول لما فشا عدم العمل فى العلماء كما قاله ابن العربى فى الفتوحات والا فالولى عبارة عن عالم عمل بعلمه ويرشد لهذا قول مالك لمن سأله عن شئ من علم الباطن اعمل بعلم الظاهر يملك الله تعالى علم الباطن ﴿وقال أبو على اليوسى فى قانونه﴾ روى عن يحيى بن يحيى أنه قال أول ما حدثنى مالك يوم لقيته أن قال ما اسمك فقلت يحيى وكنت أحدث أصحابى سنا فقال يا يحيى الله الله عليك بالجد فى هذا الامر وسأنبئك بحديث ان شاء الله قدم البلد غلام فأقبل على طلب العلم معنا عند ربيعة واجتهد ثم نزل به الموت وهو طالب لهذا الامر فرأيت جميع علمائنا قد ازدحموا على نعشه فنظر الامير اليهم فأمسك عنه وقال قدموا من شئتم للصلاة عليه فقدموا ربيعة فصلى عليه وألحده فى قبره هو وزيد بن أسلم فبعد ثلاث رآه رجل من خيار بلدنا فى أحسن صورة غلام أمرد عليه بياض متعمم بعمامة خضراء وتحته فرس أشهب نازلا من السماء فسلم عليه وقال هذا ما بلغنى اليه العلم فقال الرجل ما الذى بلغك اليه العلم قال أعطانى الله عز وجل بكل باب درجة فى الجنة فلم تبلغ لى الدرجات الى درجات أهل العلم فقال الله عز وجل زيدوا لورثة أنبيائى بى
فقد حتمت على نفسى أنه من مات وهو عالم سنتى وسنة أنبيائى أو طالب لذلك أن أجمعهم فى درجة واحدة وأعطانى ربى حتى بلغت درجة أهل العلم فليس بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الا درجتان واحدة هو فيها جالس وحوله النبيون كلهم ودرجة فيها أصحابه وجميع أصحابهم والذين اتبعوهم باحسان ومن بعدهم فى درجة فيها جميع أهل العلم وطلبتهم سوى ما لى عند الله من المزيد فقال الرجل وما لك عند الله من المزيد قال وعدنى أن يحشرنى مع النبيين فى زمرة واحدة فأنا معهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم

القيامة قال الله عز وجل يامعشر العلماء هذه جنتي قد أبحتها لكم وهذا رضواني قد رضيت عنكم فلا تدخلوا الجنة حتى تقفوا فتشفعوا فأعطيكم ماشئتم وأشفعكم فيمن شفعتم له لأرى عبادي كرامتكم ومنزلتكم عندي فأصبح الرجل يحدث بهذه الرؤيا وانتشرت بالمدينة قال مالك وكان معنا أقوام اشتغلوا بطلب العلم ثم انقطعوا عنه فلما سمعوا بهذا الحديث رجعوا الى طلب العلم فهم اليوم علماء بلدنا اهـ ونقل هذه القضية ابن الحاج في المدخل مختصرة ﴿وقال يحيى بن يحيى أيضا﴾ أول حديث حدثني به الليث بن سعد في أول يوم أتيته طالبا لما ألهمه الله عز وجل اليه وجمله طالبه فقد كان شبيها لمالك في علمه وحلمه وعقله وحسن السيرة من نفسه أن قال لي ما اسمك فقلت له يحيى متعني الله بك فقال يا يحيى الله الله جد في هذا الامر وسأحدثك في ذلك ان شاء الله بحديث تزداد به بصيرة قال كنا عند ابن شهاب ونحن طالبون لهذا الامر فقال لنا يوما يامعشر الطلبة أراكم تزهدون في هذا الامر وبالله الذي لا اله الا هو لو أن بابا من العلم وضع في كفة الميزان وجعلت أعمال البر في كفة أخرى لرجح الباب من العلم بجميع أعمال البر لان الله عز وجل يقول في كتابه انما يتقبل الله من المتقين والمتقون هم أهل العلم ومن عمل بمشورة أهل العلم فقد رشد ومن عمل بغير علم و بغير مشورة أهل العلم فقد خسر خسرانا مبينا فالله الله في هذا الامر اهـ ﴿وقال أبو القاسم العميري في كتابه التنبيه والاعلام بفضل العلم والاعلام﴾ قال يحيى بن يحيى دخلنا على مالك في مرضه الذي مات فيه فدخلنا عليه وكنا مائة وثلاثين رجلا فأقبل علينا بوجهه وقال الحمد لله الذي أضحك وأبكى والحمد لله الذي أمات وأحيا ثم قال أما انه قد جاء أمر الله ولا بد من لقاء الله فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال أجدني مستبشرا بصحبتي أولياء الله وهم أهل العلم وليس شئ أعز على الله بعد الانبياء منهم ومستبشرا بطلبي هذا الامر لان كل عمل فرضه الله أو سنه رسوله فقد بينه رسوله صلى الله عليه وسلم فقال من لزم الصلاة وحافظ عليها فله كذا وكذا ومن حج البيت حجة مبرورة فله كذا وكذا ومن جاهد في سبيل الله فله عند الله كذا وكذا كل هذا فقد ألهمه الله طالب هذا الامر الا طالب العلم وعمله فان يبلغ علم عالم أن يعلم مالطالب العلم عند الله من الكرامة والثواب والله لاحدثنكم بحديث حدثنيه ربيعة ماحدثتكم به الى وقتي هذا سمعته يقول والله الذي لا اله الا هو لرجل يخطئ في صلاته فلا يدري كيف يرقعها فيأتي مستفتيا فأفتيه فيها بالعلم فأحمله على الصواب خير من أن تكون لي الدنيا فأقربها في الآخرة ولاحدثنكم حديثا ماحدثتكم به قبل وقتي هذا والله الذي لا اله الا هو ما أقول بابا من العلم ولكن أقول لكم شيئا من العلم أسمعه من العالم فيشتبه علي بعضه فأقول في نفسي قال لي كذا وكذا فأذكره وقد أخذت مضجعي فأبيت متفكرا فيه حتى أصبح فاذا أصبحت أتيته فسألته فلهو أحب الي من حجة مبرورة وسمعت ابن شهاب غير مرة يقول والله الذي لا اله الا هو لرجل يأتيني مستفهما عن شئ من دينه فلا أسرع اليه بالجواب حتى أستفسر نفسي فأحمله على السنة أحب الي من مائة غزوة أغزوها في سبيل الله قال مالك رضي الله عنه فقلت لكل منهما حين حدثني بحديثه هذا لكم فالطالب فكل قال لي هيهات انقطع العلم اهـ ومن رسائل الولي الصالح المشتهر صيته وفضله مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي نفعنا الله به مانصه وقد كتبت لبعض الطلبة الذين يتعلمون العلم بفاس البالي عمره الله بدوام سلمت عليهم فلا نرى من يخوض في رحمة الله كما يخوض فيها صاحب علم ولا من هو في رضا الله تعالى كما هو فيه المشتغل بتعلم دينه التارك لما لا يعنيه فلا تكسلوا أو تعجزوا أو تملوا أو تحولوا عن عملكم الى حرفة من الحرف التي نرى عليها كثيرا من الطلبة الغافلين فأحرى غيرهم من عامة الناس اذ لا حرفة أكبر من تعلم العلم لله ثم قلت لهم بعد هذا فلا نكره أن تعطوا نسخة من هذا التنبيه لاهل محبتكم والسلام اهـ ﴿وفي المعيار عن بعض العارفين﴾ الدنيا كلها ظلام الا العلم اهـ ﴿وأما ماقيل في مدح العلم

وصول الى ادراك [illegible] الثواب هذا والله أعلم اهـ مؤلفه

من القريض فبعضه طويل عريض وقد سلفت بعض القطع خلال الآثار السابقة وهذه جملة مفيدة بذلك لاحقة فمن ذلك قول بعضهم

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم * وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى * وعون على الدين الذى أمره حتم
فانى رأيت الجهل يزرى بأهله * وذو العلم فى الاقوام يرفعه العلم
يعد كبير القوم وهو صغيرهم * وينفذ منه فيهمو القول والحكم
وأى رجاء فى امرئ شاب رأسه * وأفنى سنيه وهو مستعجم فدم
يروح ويغدو الدهر صاحب بطنة * تركب فى احضانها الشحم واللحم
اذا سئل المسكين عن أمر دينه * بدت رحضاء العى من وجهه تسمو
وهل أبصرت عيناك أقبح منظرا * من أشيب لا علم لديه ولا حلم
هى السوأة السوآء فاحذر سماتها * فأولها خزى وآخرها ذم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم * فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فانهم * نجوم اذا ما غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى * ولا لاح من غيب الامور لنا رسم

﴿وقال آخر﴾

تعلم العلم فلولاه ما * تبين الحق ولا الباطل
ما حال شخص فاته علمه * فقيل فيه رجل جاهل
العلم وصف الرب سبحانه * فكيف لا يطلبه العاقل

﴿وقال آخر﴾

بنور العلم يكشف كل ريب * ويبصر وجه مطلبه المريد
فأهل العلم فى رحب وقرب * لهم مما اشتهوا أبدا مزيد
اذا عملوا بما علموا فكل * له فيما ابتغاه ما يريد
فان سكتوا ففكر فى معاد * وان نطقوا فقولهمو سديد

وقال عبد الله بن السيد البطليوسى

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

﴿وقال آخر﴾

رأيت العلم صاحبه شريف * وان ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى أن * يعظم قدره قوم كرام
ويتبعونه فى كل أمر * كراعى الضأن يتبعه السوام
ويحمل قوله فى كل أفق * ومن يك عالما فهو الامام
فلولا العلم ما سعدت نفوس * ولا عرف الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاة من المخازى * وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادى الدليل الى المعالى * ومصباح يضئ به الظلام
كذاك عن الرسول أتى عليه * من الله التحية والسلام

القدم بـ...
عن الكل...
وقلة فهم...

﴿وقال آخر﴾

ان رمت نيل العلا بالمجد معتصما * عليك بالعلم تسمو ذروة العظم
فكم وضيع بسام العلا وسما * وكم شريف هوى بالجهل في أمم

﴿وقال آخر﴾

العلم نور وهدى * فكن بجد طالبه
واحرص عليه واعمل * فيه الامور الواجبه
من لازم العلم علا * على الانام قاطبه

﴿وقال آخر﴾

وكل فضيلة فيها سناء * وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتد غير العلم ذخرا * فان العلم كنز ليس يفنى

﴿وقال آخر من قصيدة﴾

لئن رفع الغنى لواء مال * فأنت لواء علمك قد رفعتا
وان جلس الغنى على الحشايا * لانت على الكواكب قد جلستا
ومهما افتض أبكار الغوانى * فكم بكر من الحكم افتضضتا

ثم قال يجهل من فضل المال على العلم

جعلت المال فوق العلم جهلا * لعمرك في القضية ما عدلتا
وبينهما بنص الوحي بون * ستعلمه اذا طه قرأتا

يريد قوله تعالى وقل رب زدني علما وقال سابق البربري

العلم فيه حياة للقلوب كما * تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى من قلب صاحبه * كما يجلى سواد الظلمة القمر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها * ولا البصير كاعمى ماله بصر

﴿وقال آخر من قصيدة﴾

العلم زين وتشريف لصاحبه * أتت الينا بذا الانباء والكتب
والعلم يرفع أقواما بلا حسب * فكيف من كان ذا علم له حسب
فاطلب بعلمك وجه الله محتسبا * فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

﴿وقال آخر﴾

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك * والعلم للمرء مثل التاج للملك
أشدد يديك بحبل العلم معتصما * فالعلم للقلب مثل الماء للسمك

﴿وقال أبو حيان من قصيدة﴾

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده
وما فضل الانسان إلا بعلمه * وما امتاز الا ثاقب الذهن واقده
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا * يطول علينا حصرها ونكابده

﴿وقال آخر﴾

يعد رفيع القوم من كان عالما * وان لم يكن في قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعلمه * وما عالم في بلدة بغريب

﴿وقال آخر﴾

العلم بلغ قوما ذروة الشرف * وصاحب العلم محفوظ من التلف
ياصاحب العلم مهلا أن تدنسه * بالموبقات فكم للعلم من شرف

خوف الرفدء مؤلفه

﴿وقال آخر﴾

لو أن العلم مثل كان نورا * يضاهي الشمس أو يحكي النهارا
كذاك الجهل أظلم جانباه * ونور العلم أشرق واستنارا

﴿وللزمخشري من قصيدة﴾

لاتعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

﴿ولآخر﴾

وليس لجاهل في الناس معنى * ولو ملك العراق له تأتى

ولسيدنا علي رضي الله عنه من قصيدة

يا أيها العالم المرضي ٣ سيرته * أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج * فأنت ما بينها لاشك ظمآن

٣ هذا رو الجهء مؤلفه

﴿ولآخر﴾

العلم يرفع بيتا لا عماد له * والجهل يهدم بيت العز والكرم

﴿ولبعض أصحابنا من قصيدة﴾

وما الخير لو كنت تعلمه * سوى العلم فهو الرفيق الصبيح
يزيل العماء ويحيي القلوبا * أما إنه مثل كف المسيح
فمن راح عن نهجه مائلا * ففي هوة المهلكات بطيح
فطوبى لعبد به يعتني * فيغدو لطالبه ويروح
له ذا صرف الهم مشتغلا * به عن غبوق وعن صبوح

الى غير هذا من الاشعار التي يستلذها ذو الذوق والاشعار وبحر الشعر في مدحه مديد بسيط قد أوردت منه زلال جدول وسيط ﴿وأما فضل التعلم والتعليم﴾ فقال تعالى حضا على التعلم والتعليم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * وقال تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون * وقال تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهذا ايجاب للتعليم * وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان * وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا * وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة * وقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا وأخذ الله عليه الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه * وقال صلى الله عليه وسلم العلم لايحل منعه * وقال صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها * ولسيدنا علي رضي الله عنه خير لك من حمر النعم * وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وولد صالح يدعو له وعلم يبثه في صدور الرجال * وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم * وقال صلى الله عليه وسلم من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يرده العلم الى الله ولباب من أبواب العلم يتعلمه الرجل خير له من جبل أبي قبيس ذهبا ينفقه في سبيل الله * وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب

سبعين صديقا * وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ولا يخفى ان هذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا بالعلم اللازم الذي لا يتعدى * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهال ان سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون * وقال صلى الله عليه وسلم من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار * وقال صلى الله عليه وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة * وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير * وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها او يعمل بها خير له من عبادة سنة * وقال صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الى هدى الا كان له أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ وما من داع يدعو الى ضلالة الا كان عليه مثل أوزارهم لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ قال ابن عبد البر على هذا الحديث هذا أبلغ شئ في فضل تعليم العلم والدعاء اليه والى جميع سبل الخير والبر اه ولذا قال بعض الحكماء علم الرجل ولده المخلف ولا شك أنه هو ذكره وشرفه بعده ولقد أجاد من قال

يقولون ذكر المرء يبقى بنسله * وليس له ذكر اذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي * فمن سره نسل فانا بذا نسلو

* وقال صلى الله عليه وسلم العلم حياة الاسلام وعماد الايمان ومن علم علما أتمى الله له أجره الى يوم القيامة ومن تعلم علما فعمل به كان حقا على الله أن يعلمه ما لم يكن يعلمه * وعن معاذ بن جبل * ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها الا ان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل الصيام وبالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء أورده ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم باسناده وقال وهو حديث حسن جدا وفي اسناده ضعف وروى أيضا من طرق شتى موقوفا على معاذ وقد يقال الموقوف في مثل هذا كالمرفوع لان مثله لا يقال بالرأي وأشار عليه الصلاة والسلام بقوله يرفع الله به أقواما الخ الى ما يجلبه العلم من الوجاهة والرتبة عند الله تعالى وبقوله ترغب الملائكة في خلتهم الى ما يجلبه من الوجاهة عند الملا الاعلى وبقوله يستغفر لهم كل رطب الخ الى ما يجلبه من الوجاهة عند الملا الاسفل قيل سبب استغفار هؤلاء رجوع أحكامهم اليه في صيدهم وقتلهم وحلهم وحرمتهم أشار له في كشف الظنون * وقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع * وقال صلى الله

عليه وسلم لابي ذر لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم عملت به أو لم تعمل خير من أن تصلي ألف ركعة * وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها * وقال صلى الله عليه وسلم من انتقل ليتعلم خيرا غفر له قبل أن يخطو * وقال صلى الله عليه وسلم الغدو والرواح في تعليم العلم خير عند الله من الجهاد في سبيله * وقال صلى الله عليه وسلم من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به ضلالا الى هدى أو باطلا الى حق كان كعبادة متعبد أربعين سنة * وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم أفضل عند الله من الصيام والحج والجهاد * وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر * وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم * وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم * وقال صلى الله عليه وسلم حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم * وقال صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع * وقال صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم أو يعلم كان له كأجر حاج تاما حجه * وقال صلى الله عليه وسلم أفضل العبادة طلب العلم * وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم قبل أن يرفع فان أحدكم لا يدري متى يفتقر الى ما عنده وعليكم بالعلم واياكم والتنطع والتبدع والتعمق وعليكم بالعتيق * وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه * وقال صلى الله عليه وسلم جلوس ساعة في مجلس عالم أحب الى الله من عبادة أربعين سنة وورد من طريق عبد الله بن عمر أنه صلى الله عليه وسلم دخل مسجدا فوجد مجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون فقال صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أحب الي من صاحبه أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما المجلس الآخر فيتعلمون العلم ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما فجلس الى أصحاب الفقه * وقال صلى الله عليه وسلم من طلب العلم كان كفارة لما مضى * وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم قبل الظانين أي قبل الذين يتكلمون بالظن * وقال موسى عليه السلام في مناجاته من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما * وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسئلة أحب الي من قيام ليلة * وقال ابن مسعود وعكرمة وعطاء في قوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت أي ما قدمت من خير يعمل به بعدها وما أخرت من شر يعمل به بعدها * وفي اختصار الونشريسي لنوازل البرزلي ما نصه ورأيت بخط بعض فضلاء تونس عن الفقيه عيسى بن مسكين تعلم مسئلة من الحلال والحرام أحب الي من قتل سبعين ألف كافر وأجاب ابن سحنون أباه لما كان يطلب العلم عنده بقوله اذا توليت العمل بنفسك ولم تشغل ولدك عما هو فيه فأجرك في ذلك أعظم من الحج والرباط والجهاد اهـ * وقال الغزالي في الاحياء * ويجب أن يكون في كل محلة وفي كل قرية فقيه يعلم الناس دينهم ومن تعلم مسئلة من العلم فهو من أهل العلم بها يتعين عليه أن يعلم غيره والا فهو شريكه في الاثم اهـ وقال بعضهم

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فليس أخو علم كمن هو جاهل
وان صغير القوم والعلم عنده * كبير اذا التفت عليه المحافل
وان كبير القوم ان كان جاهلا * صغير اذا ردت اليه المسائل

الى غير هذا من الاحاديث والآثار التي لا تحصى بالاطناب والاكثار وبعد ما أطنبنا فيما تركنا أكثر مما جلبنا وقد ألف ابن عبد البر تأليفا ضخما في فضل العلم وكذلك أبو القاسم العميري والطرنباطي

وغيرهم وبعد ذلك فما أتوا الا باليسير من الكثير وبقل من جل * ومما يدلك على أن فضله لا يتناهى الاحصاء أن الخالق سبحانه وتعالى بالغ عليه في الثناء وكذلك جميع المخلوقات من الانبياء والمرسلين والصحابة والتابعين والعلماء والحكماء وجميع العاقلين وكيف يحاط بكلام الخالق والمخلوق والسابق والمسبوق فكل ما يذكر في فضيلة العلم وطلبه فانما هو للتنبيه والترغيب للانسان في جعله أهم أربه والافضل العلم غني عن التعريف والبيان لانه كمال الانسان وبه يمتاز عن سائر الحيوان ثم هو مناط الشرع والتكليف ومفتاح التعرف والتعريف فكيف يحتاج الى البيان وبه يكون البيان على أن فضله لا يعرف الا به ولا يدرى الا بسببه والجاهل لا خبرة له بفضله حيث لم يكن من أهله قال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب قال الامام الرازي يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا الا أولوا الالباب اه والله الموفق

﴿تنبيهات * الاول﴾ ما تقدم من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب التعليم وعلى الوعيد في الكتمان محله والله أعلم حيث يتعين التعليم ويجب وذلك بشروط ستة جمعها بعضهم بقوله

وسائل عن فرضه مكلف * لمثله يعلم ذاك يوصف

مطلبه يخشى عليه الفوتا * جوابه حتما علينا ثابتا

وأما حيث لم تتوفر الشروط كلها أو اختل واحد منها فالتعليم مندوب لا واجب ﴿الثاني﴾ كل ما سلف في فضل العلم محله في العلم النافع المقرون بالخشية والاخلاص والا كان ذلك وبالا على صاحبه فقد استعاذ صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع * وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه * وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن لم يتعلم مرة وويل لمن تعلم ولم يعمل ألف مرة * وعن الفضيل بن عياض وأسد بن الفرات قالا بلغنا ان الفسقة من العلماء وحملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الوثن قال الفضيل لان من علم ليس كمن لم يعلم ونظمه ابن رسلان اذ قال من منظومة له شرحها الرملي

فعالم بعلمه لا يعملن * معذب من قبل عباد الوثن

* وقال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه قلوبهم خربة من الهدى مساجدهم عامرة بأبدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود * وقال صلى الله عليه وسلم ان في جهنم رحى تطحن علماء السوء طحنا وفي رواية ان في جهنم رحى تطحن جبابرة العلماء * وقال صلى الله عليه وسلم ان في جهنم أرحية تدور بالعلماء فيشرف عليهم من كان عرفهم في الدنيا فيقولون ما صيركم الى هذا وانما كنا نتعلم منكم فيقولون انا كنا نأمركم بأمر ونخالفكم الى غيره * وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم ثابت في القلب فذلك العلم النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عباده * وقال صلى الله عليه وسلم من حديث والعالم من يعمل بالعلم وان كان قليلا * وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا بما تعلمون * وقال صلى الله عليه وسلم العالم والعلم والعمل في الجنة فاذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل في الجنة والعالم في النار * وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد العالم بعلمه وجه الله هابه كل شيء واذا أراد به أن يكنز الكنوز هاب من كل شيء * وقال صلى الله عليه وسلم العالم عالمان عالم طلب بعلمه الله لم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا وعالم طلب بعلمه الدنيا واشترى به ثمنا وأخذ عليه طمعا بخل به على عباد الله يلجمه الله يوم القيامة بلجام من نار فينادي عليه ملك من الملائكة ألا ان هذا فلان بن فلان آتاه الله في دار الدنيا علما فاشترى به ثمنا وأخذ عليه طمعا فلا يزال ينادي عليه حتى يفرغ من الناس ثم يصنع الله به ما أحب * وقال صلى الله عليه وسلم العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضيء للناس وقال القلشاني

فى شرح الرسالة عند قول صاحبها وأولى العلوم وأفضلها وأقربها الى الله علم دينه وشرائعه مانصه اعلم يا أخى وفقنا الله واياك لطاعته أن العلم حيثما وقع فى كلام الله وفى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معرض التشريف فانما المراد به العلم النافع المخمد للهوى القامع فشاهد العلم الذى هو مطلوب لله الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الامر أما عالم تكون فيه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وقصد التصدر والرياسة ومغالبة الاقران والنفاسة وطول الامل وفساد العمل وقسوة القلب والوقوع فيما يسخط الرب وايثار الدنيا ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا صفته عن الحكم له بكونه من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث للوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث ومثل من هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا فى تكثير العقوبة لديه ولا يغترنك أن يكون به انتفاع البادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم هذا العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوتة فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم فكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قطع هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ المقصود بالعلم العمل كما أن المقصود بالطهارة الصلاة اه وهذا الكلام نقله ابن عطاء الله فى لطائف المنن وفى التنوير وهو كلام حقيق بالقبول وان بحث فيه بعضهم فقد أجيب عنه وقال فى التنوير العلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بأمر الله اذا كان تعلمه لله اه ﴿وقال سيدى ابن عباد رضى الله عنه﴾ واعلم أن العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذى يؤدى صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الايمان وتوافق الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الآخرة عليها والموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحرص على التفطن للاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الآداب بين يدى الله تعالى فيراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب الصادة له عن ذلك فيصير فيها رفضا وهربا الى غير ذلك من الصفات العلية والمنح السنية فهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والاخروية فان خلا طالب العلم عنها أو عن بعضها فان كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان رسميا كان وبالا واصلا اليه والعياذ بالله من ذلك اه ﴿وقال فى العهود﴾ جميع ما ورد فى فضل العلم والعمل انما هو فى حق المخلصين فيه فاياك يا أخى والغلط فان الناقد بصير اه ﴿وحكى﴾ الامام القصار فى فهرسته أنه قيل لفاضل فى النوم

تعلم ما استطعت لقصد وجهى ✽ فان العلم من سفن النجاة
وليس العلم فى الدنيا بفخر ✽ اذا ما حل فى غير الثقات
ومن طلب العلوم لغير وجهى ✽ بعيد أن تراه من التقاة اه

﴿وقيل لسهل﴾ من العلماء فقال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله على أنفسهم ﴿وقال الحسن﴾ كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه فى لبسه وبصره ولسانه وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فيضعها فى الآخرة وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق اه ﴿وقال الفضيل بن عياض﴾ كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال ابن عباد قال الفضيل

هذا في زمانه الصالح فكيف لو أدرك زماننا هذا انا لله وانا اليه راجعون اه ﴿ونقول نحن﴾ قال ابن عباد هذا في زمانه فكيف لو أدرك زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كل يوم ترذلون لا يأتي على الناس زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقون ربكم آباؤكم خير من أبنائكم الى يوم القيامة * وفي الطبقات الصغرى للسيوطي في ترجمة ابن الخشاب بعد ان ذكر انه كان ممن لا يبالي بناموس العلم ما نصه ورئي بعد موته في النوم على هيئة حسنة فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل ودخلت الجنة قال نعم الا أن الله أعرض عني فقيل وأعرض عنك قال نعم وعن كثير من العلماء ممن لا يعمل اه وللبستي

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا

فبشره أن الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وفقنا الله بفضله آمين ﴿بشارة للضعفاء مثلي﴾ ذكروا أن العلم لا بد وأن يعقب الخشية غالبا في آخر الامر فلا تنكر جدواه على أي حال كان صاحبه ولذا قال سفيان بن عيينة قرأنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله ﴿وقال الحسن رضي الله عنه﴾ طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله وما عنده فما زال بهم العلم حتى أرادوا به الله وما عنده ﴿وقال أيضا﴾ كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا الى الآخرة ﴿وقال مجاهد﴾ طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ثم رزق الله بعد فيه النية وقال القلشاني على قول الرسالة والعلم دليل الى الخيرات وقائد اليها ما نصه هذا اشارة الى انه يطلب من الانسان الاجتهاد في طلب العلم وان لم تحسن نيته فان العلم يجره الى الخير اه فلا يحقر العالم ويسقط أصل حقه بسبب كونه غير عامل ببعض العلم ﴿قال بعض أكابر العلماء﴾ وليحذر من ظن العصمة في العلماء فان الانبياء هم المعصومون فلا يسقطون من العين بزلة ولا يزدرون بالمعصية والمضر هو الاصرار على المعصية فالعبد تواب والله يحب التوابين اه ﴿وفي العهود للعارف الشعراني رضي الله عنه﴾ أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجل العلماء ولو لم يعملوا بعلمهم ونقوم بواجب حقوقهم ونكل أمرهم الى الله تعالى فمن أخل بواجب حقوقهم من الاكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله فان العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملة شريعته وخدامه فمن استهان بهم تعدى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اه ﴿وفي المنن له أيضا﴾ مما من الله به علي كثرة محبتي واكرامي لحملة العلم والقرآن من حيث كونهم حملة الشريعة المطهرة لا لعلة أخرى من معاشرة وصحبة ومجانسة طبع كل ذلك محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لان من أحبه كثيرا أحب خدامه وأصحابه ومن كره أحدا منهم لعلة نفسانية فمحبته معلولة فعلم أني لا أتوقف في محبتهم على كمال عملهم بعلمهم كما عليه بعضهم لانه ما ثم عالم فيما كان أو حدثنا الا وعلمه أكثر من عمله وليتأمل الذي يقول لا أحب الا من عمل بعلمه نفسه هو هل عمل بكل ما يعلم وهناك يعذر الناس ثم على مدعاه فمحبة الناقص للناقص مطلوبة كمحبة الكامل للكامل فليس للناقص أن يزدري ناقصا وانما ينصحه كما ينصح نفسه اه وقد قيل لابي يزيد البسطامي رضي الله عنه أيزني العارف فأطرق ثم قال وكان أمر الله قدرا مقدورا قال ابن عطاء الله لو قيل له أيكون قلبه مع غير الله لقال لا اه أي فالخاصية التي يتميز بها العالم من الجاهل في حال المعصية هو العلم بقدر الله وأنه لا مناص للعبد عنه وأن لله الحجة عليه فيعذبه ان شاء بعدله ويغفر له ان أراد بفضله وتنكسر نفسه عند المعصية ويرى ان ذنبه كالجبل فوق ظهره وفي الحكم رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا فيبادر بالتوبة ويمر في طريقها ولا يخفى ان هذه الاوصاف لما توجد بالعلم والمعصية التي ترتب عليها ما ذكرناه هي مقربة من الله تعالى وهي حينئذ أحسن من الطاعة مع الاعجاب بها وهذا هو الذنب الذي حكى النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال لو لم تذنبوا لخلقت أقواما يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم كما قاله الفخر الرازي في تفسيره ٣ وعليه أيضا

يحمل

يعمل قول ابن عطاء الله معصية أورثتك الخ والجاهل ربما عصى وما درى أن فعله معصية فيعصى معصيتين ويفرح بما عند الناس بها ورعا لم يدر التوبة ولا طريقها وشتان ما بين المقامين ولهذا قال الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله عنه كما نقله عنه فى العهود من حقق النظر لم يجد عاقلا الا وهو عامل بعلمه لا يمكنه أن يترك العمل به أبدا ما دام عاقلا وذلك أنه ان عمل بعلمه على وفق الشريعة بأن باشر العمل على وجه الاخلاص فيه فهو عامل بعلمه وان وقع فى معصية فاستغفر منها وتاب فقد عمل أيضا بعلمه فانه لولا علمه ما اهتدى لكون ذلك معصية فما جعله يتوب منها الا العلم فمثل هذا قد ينفعه علمه على كل حال اهـ وزاد الشعرانى فى المتن وأخص من ذلك أنا لو فرضنا عدم توبته فاعتقاده المعصية معصية عمل بالعلم اذ لولا علمه ما اعتقد أن المعصية معصية وذلك الاعتقاد ينفعه فى الجملة والمسلم من يرجى له الخير أما المستحل فهو كافر وهذا عمل بالعلم خفى غريب قل من يتنبه له وغالب الناس لا يسمى العامل بعلمه الا من لا يخل بشئ من المأمورات ولا يقع فى شئ من المنهيات اهـ وقد قال شهاب الدين القرافى من عمل بما علم فقد أطاع الله طاعتين ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين ومن علم ولم يعمل فقد أطاع الله سبحانه طاعة وعصاه معصية اهـ نقله المواق فى سنن المهتدين ﴿وقال القاشانى﴾ من علم وعمل بعلمه أورثه الله علم ما لم يعلم وأثيب على العلم وعلى العمل ومن علم ولم يعمل أثيب على العلم واستحق عقوبة العصيان بترك العمل ومن لم يعلم ولم يعمل عصى فى الوجهين اهـ ﴿وقال رجل لابى الدرداء﴾ انى أريد أن أطلب العلم فأخشى أن أضيعه فقال لان تتوسد العلم خير لك من أن تتوسد الجهل اهـ وأصل هذا ما أخرجه أبو منصور عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذنب العالم ذنب واحد وذنب الجاهل ذنبان زاد فى رواية العالم يعذب على ارتكابه الذنب والجاهل يعذب على ارتكابه وتركه التعلم اهـ ﴿وفى كتاب العلم من صحيح البخارى﴾ باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فبدأ بالعلم اهـ يعنى ثم قال واستغفر اشارة الى القول والعمل قال شراح الحديث نبه المؤلف على مكانة العلم خوفا أن يسبق الى الذهن من قولهم لا ينفع العلم الا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل فى طلبه اهـ فالعلم نعمة مستقلة والعمل به نعمة أخرى فليسألهما العبد من ربه مفترقين كما قاله بعضهم وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم عملت به أولم تعمل خير لك من أن تصلى ألف ركعة ﴿وقال المواق فى سنن المهتدين﴾ فالظالم لنفسه لا شك خير من الجاهل قال سبحانه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اهـ وقال فى محل آخر بعد أن نقل قول ابن عطاء الله فى الحكم العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك ما نصه فأقول مثل هذا فى الاحياء ويقول العلماء فى مثل هذا انه من تخليط البداية بالنهاية ومن خلط البداية بالنهاية فطريقه الى الضلال أقرب منه الى الهداية فأقول قوله فان قارنته الخشية فلك فلا شك أن هذا بالنسبة ان لم يجعله سلما وهم السابقون نفعنا الله بهم قال الشارح هذه الحكم انه بين فيها طريق العارفين ومنهاج السالكين وأما من عدا هؤلاء رضى الله عنهم من مقصود الم النفس اذا لم تكن فيه جرحة ٣ فالعلم له رحمة وان لم تدركه خشية لا يستوى قط مع من لا علم له واذا كان المنافق الذى لا يقبل الله منه مثقال ذرة من خير ان قرأ القرآن كان ريحانة فكيف بمن يقبل الله منه مثاقيل من الذر خيرا اذا قرأ القرآن ثم نقل كلام شهاب الدين القرافى المتقدم لنا ثم قال ثم اذا لم يكن العلم يورثه خشية فلا يزهد فى قراءته لانه كما تقدم نعمة لكن ينبغى أن يكون فى قراءته متأدبا بآداب الشرع وحينئذ تسوغ له الجراية عليه والاجر ولا يؤيسه من طلب العلم قول تاج الدين ان العلم اذا لم تقارنه خشية انه على قارئه نقمة فقط ما هو هذا كذا كما تقدم للامام الموثوق به شهاب الدين وما يقال هذا الا فى العلوم المذمومة كعلم السحر والطلسمات وأما العلوم الخادمة للشريعة فقراءتها حسنة والمرتب على ذلك سائغ ان كان القارئ فيه

٣ لعله فى الجوارح اذ يناه اهـ مؤلفه

أهليته وقرأه على ما ينبغي انتهى المراد من كلام المواق وقال العلامة المحقق ابن زكرى في شرح الحكم وكلام المواق حسن سيما في هذا الوقت الذي غرب فيه العلم وقل أهله وكاد الناس يختلفون في الضروريات فقراءته من أهم المهمات والسعي في تعلمه وتحصيله من أعظم العبادات وان لم تتيسر لقارئه خشية فبوجود أهل العلم بين ظهراني المسلمين تحفظ فيهم قواعد الايمان والاسلام ويتقرر الدين وتعرف كيفية التعبد لله رب العالمين حتى قال في الاحياء أما العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس فترتيب أوراده يخالف ترتيب أوراد العابد فانه محتاج الى المطالعة والافادة فان أمكنه أن يستغرق أوقاته في ذلك فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها قال وكذلك المتعلم الاشتغال له بالتعلم أفضل من النوافل اه ﴿وقال العلامة الشيخ جسوس﴾ في شرح توحيد الرسالة بعد أن ذكر أن الثواب المرتب على العلم وطلبه انما هو مع الاخلاص والعمل ونقل على ذلك من الاحاديث وكلام العلماء جملة ما نصه وكلام هؤلاء الائمة رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم حق في نفسه لاشك فيه ولكن لا ينبغي أن يؤخذ على عمومه وانما هو اشارة الى طريق العارفين ومنهج السالكين فان حمله على العموم يؤدي الى هجران العلم وأهله وسوء الظن بحملته لانه لا يوجد على الوصف الذي ذكروه الا القليل النادر وهم أفراد معدودون في القرون ذوات آلاف الآلاف كالفضيل والجنيد وسري ومعروف والداراني فسبحان من أعطاهم وأعانهم وقواهم ولا يجوز أن يحتقر من سواهم ولا أن يذم من عداهم ﴿وقال العلامة ابن زكرى في شرح الحكم﴾ وكل ما ذكره الشيوخ في النهي عن قراءة العلم بالنيات الفاسدة والتحذير من ذلك فليس مرادهم به ترك قراءته والاعراض عنه كيف وهو مطلوب على جهة التعيين أو الكفاية وانما مرادهم بذلك التنبيه والايقاظ لاصلاح النية في قراءته والاجتهاد في تحصيل الاخلاص فيه والا أدى الامر الى تركه الذي هو عين الجهل وأصل الفساد اه ﴿وقال الامام السنوسي في شرح كبراه﴾ الانتفاع بالعلم بيد الله وليس بين العلم والعمل ربط عقلي لان هذا لا يقدح في وجوب العلم ولا في شرفه وليس العلم هو الذي حمل العالم على المخالفة حتى يقدح في شرفه اه فتبين من هذا ان العلم من دون عمل خير من الجهل وأما ما سبق صدر هذا التنبيه من قوله صلى الله عليه وسلم ويل لمن لم يتعلم مرة وويل لمن تعلم ولم يعمل ألف مرة وقوله أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ونحوهما من الاحاديث والآثار فحمله فيمن طلب العلم بنية فاسدة كادراك الجاه والدنيا به وأما من قصد به وجه الله تعالى في الاصل وان عرض له أمر دنيوي فهو محمل ما قدمناه عن القرافي والقلشاني وغيرهما كما يؤخذ من شرح ابن زكرى على الحكم فلا تناقض والله أعلم ﴿واعلم﴾ أن المعيار الصادق الدال على صحة دعوى التعلم والتعليم لله تعالى أن يقدر نزول الموت به فان سره أن يكون مشتغلا به اذ ذاك فهو على صواب والا كان على باطل ﴿قال ابن عطاء الله في لطائف المنن﴾ وقد تجاريت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي اخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به الا لله فقلت الذي يقرأ العلم لله هو الذي اذا قال له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده اه قال سيدي ابن عباد قلت وهذا فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء ومما زجة حظ النفس واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يثبت له ذلك الا أن يتحقق بما قدره من حلول الموت وحصول الفوت اه ومثل هذا للامام اليوسي في المحاضرات ونصه قال أئمة الدين المعيار الصادق في طلب العلم الى آخر ما مر عن ابن عطاء الله ومثله أيضا للمواق في سنن المهتدين فانه جعل من هذا حاله من العلماء السابقين لا من المقتصدين ولا الظالمين فتحصل أن العلم رحمة ونماطيه نعمة وكلام الناس في هذا كثير غزير وفيما مر مقنع ﴿فائدة﴾ قال الامام الالبيري في شرح البردة فان قلت فما يصنع

العالم

العالم اذا سئل عن مسئلة من العلم وهو يعلم حكم الله فيها الا أنه عاص لا يعمل بذلك الحكم فى خاصة نفسه اذا نزلت تلك النازلة * قلت يجب عليه الفتوى بحكم الله فيها وان أفتى بما هو عامل به فيها فقد غش وخادع وخالف حكم الله فى قوله وفعله وأضاف معصية عظيمة الى معصية أخرى أعظم منها حيث افتات على الشرع وكذب على الشارع وتعاطى معصية يعظم شرها ويسرى فى الناس العمل بها فيضل بها خلق كثير اه بنقل الطرنباطى من كتابه بلوغ أقصى المرام ومن خطه نقلت ﴿التنبيه الثالث﴾ يجب على العالم أن يعرف حق العلم وينزله منزلته ولا يتخذه سلما يتوصل به لابواب الظلمة وطريقا لحكام الدنيا والاحل به فى ذلك من الذل والهوان ونزل به من أنواع المحظورات وضروب العصيان ما يكل عن وصفه اللسان كما هو مشاهد بالعيان ﴿وقال كعب الاحبار رضى الله عنه﴾ سيأتى على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ويتغايرون به على القرب من الامراء كما يتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من علمهم ﴿وقال بعضهم﴾ العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فتى لغيره يقع الشفاء ﴿وقال وهب بن منبه رضى الله عنه﴾ لعطاء الخراسانى كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى العلم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ولبعضهم

صن العلم وارفع قدره وارع حقه * ولا تلقه الا الى كل منصف
وحطه يحطك الله من كل آفة * فأنت به من حيث يممت تكتفى

﴿وقال الفضيل بن عياض﴾ لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما فى أيدى الناس فذلوا وهانوا على الناس اه ﴿وفى نوازل الدماء والحدود والتعزيرات من المعيار ما نصه﴾ وسئل سيدى أحمد بن ادريس عن قوله صلى الله عليه وسلم من علامات سخط الله تعالى على العالم موت قلبه قيل له كيف يموت قلبه قال بطلبه الدنيا بعلمه * فأجاب الحمد لله من كلام بعض العارفين الدنيا كلها ظلام الا العلم والعلم كله حجة الا العمل والعمل كله هباء الا الاخلاص والاخلاص مقرون مع الخاتمة وورد أن عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل ومعناه ظاهر والله المسؤل فى السلامة اه ورحم الله العلامة أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى اذ يقول كما نسبها له الشيخ جسوس فى شرح الرسالة والماوردى وجماعة ونسبها صاحب خلاصة الاثر لعمر بن عبد العزيز ورأيتها فى بعض التقاييد منسوبة للشافعى والله أعلم

يقولون لى فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم * ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
وما كل برق لاح لى يستفزنى * ولا كل من فى الارض ألقاه منعما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنهنهها عن بعض ما لا يشينها * مخافة أقوال العدا فيم أولما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة * اذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

﴿الرابع﴾ ينبغي للعالم أن لا يبذل العلم الا لمن يعرف قدره الكامل ولا يبذله للمعاند الجاهل أو لمن يقرؤه رياء وسمعة أو يتوصل به لاعانة الظلمة ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب قال الطيبي هذا الحديث مشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل فاذا وضعه في غير موضعه فقد ظلم فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوان بأنفس الجواهر لتهجين ذلك الوضع والتنفير عنه ﴿ويروى﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قام أخي عيسى عليه السلام خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تؤتوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وينسب للامام الشافعي رضي الله عنه

أأنثر درا بين سارحة الغنم * وأنظم يا قوتا لراعية النعم
لئن كنت قد ضيعت في شر بلدة * فلست مضيعا بينهم غرر الكلم
فان فرج الله الكريم بلطفه * وأدركت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستفدت ودادهم * والا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وعدم الاهلية يكون بأحد أمرين * الاول في الانسان من جهة الاخذ والتحصيل وهو أن يكون بليدا جافي الطبع نائي الفكر عن المدارك بعيدا عن الفهم والحفظ فتعليمه عنت وتكلف كمن يبذر في السباخ أو على الصم الصلاب فحق العالم أن يتجنب مثل هذا ما أمكنه وهو محنة لمن ابتلي به كما قيل * ومن العناء رياضة الهرم * وقيل لنقل الصخر في حر شديد * ونقش بالاظافر في الحديد
أحب الي من ايصال معنى * دقيق فهم ذي لب بليد
وليصرفه عنه صرفا جميلا الى ما يليق به من عبادة يقربها أوقاته أو سبب يستعين به على العبادة وقد يكون ذلك في العلم على الاطلاق وقد يكون في فن مخصوص فيصرفه الى غيره مما يقبله طبعه ويدركه فهمه وقد روي عن الخليل بن أحمد قال كان انسان يتعلم علي علم العروض فلا يحصل منه على شئ فلما طال به الحال وأتت عليه سنة أو نحوها وهو على حاله من الجمود ألقيت اليه قول عمرو بن معديكرب
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع
وقلت له قطعه ففهم المراد وانصرف ولم يعد الي فعجبت من فهمه اشارة البيت مع جموده وعليه يتنزل ما نقله غير واحد عن الابي شارح مسلم أنه قال ان الشيخ اذا رأى الطالب لا قابلية فيه فلا ينبغي أن يشتغل به ويشتغل عن فيه قابلية لان الاشتغال بتعليم الاول تضييع بغير فائدة * الثاني من جهة سائر الخلق بأن يكون خسيس الهمة يعلم منه أنه لا يزداد بالعلم الا تساقطا على سفساف الدنيا وأهلها أو جبارا عنيدا يعلم منه انه لا يزداد به الا طغيانا وعليه يتنزل قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ففيه تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويتضرر به أولى وقد حكي عن بعض الامم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديئا منعوه التعلم أشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الرديء فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة ﴿وقال سيدنا علي رضي الله عنه﴾ لا تعلموا أولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بذلة الاشراف وللحافظ السيوطي
وانما يصلح للافادة * ذو أدب ترجى له السيادة

وكان الجنيد رحمه الله يقول ان للعلم غناء فلا تعطوه لاحد حتى تأخذوا غنه قيل وما غنه قال وضعه فى قلب من يعمل به ولا يضيعه اه ولهذا منع مالك رضى الله عنه من تعليم الكفار القرآن والفقه لانهم لا ينتفعون بذلك ولا يتوصلون به للمقصود منه وأجاز ذلك أبو حنيفة رجاء اسلامهم ومذهبنا أظهر وأولى لان درء المفاسد مقدم والله أعلم ﴿قلت﴾ وتكون عدم الاهلية بأمر آخر وهو أن يكون معاندا جاحدا مجادلا فهذا لا ينقاد بل يقابل بالبعاد قال الحافظ العراقى فى شرح ألفيته روينا عن الخليل بن أحمد أنه قال لابى عبيدة لا تردن على معجب خطأ فيستفيد منك علما ويتخذك به عدوا اه ﴿وفى المواهب القدوسية فى المناقب السنوسية للملالى واختصارها للسيدى أحمد بابا﴾ ان العلامة الولى الصالح نصر الزواوى أحد أشياخ الامام السنوسى كان ينهى عن اعطاء العلم لغير أهله ويقول يجىء كثير الى العالم يسأله عن مسئلة ويرى من نفسه أنه عارف بها ويقصد سرقة الجواب فاذا أجابه العالم أنكر الجواب وربما يقول له انه غير صحيح أو هو ضعيف ثم اذا سئل المعنت فى المسئلة أجاب بعين الجواب الذى أنكره على العالم فيحرم اجابة المعنت لئلا يعطى الحكمة غير أهلها قال الملالى وكان شيخنا السنوسى يؤكد علينا الوصية فى ذلك بمثل ما يؤكدها شيخه المذكور اه ﴿وقال شهاب الدين القرافى

واذا جلست الى الرجال وأشرقت ﴿ فى جو باطنك العلوم الشرد
فاحذر مناظرة الجهول فانما ﴿ تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

وقال صالح بن عبد القدوس وكان كثيرا ما ينشده الامام مالك رحمه الله تعالى

وان عناء أن تفهم جاهلا ﴿ فيحسب جهلا أنه منك أفهم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه ﴿ اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
متى ينتهى عن سيء من أتى به ﴿ اذا لم يكن منه عليه تندم

﴿وقال آخر﴾

من لم يكن يوما لقولك يفهم ﴿ فالرأى عندى معه لا تتكلم
كم من كلام قد تعمر حكمة ﴿ نال الكساد بسوق من لا يفهم

﴿وقال آخر﴾

واذا حملت الى سفيه حكمة ﴿ فلقد حملت بضاعة لا تنفق

﴿وقال آخر﴾

ومن يعرض جواهره بليل ﴿ على أعمى فقد خسر التجاره

ونظير هذا كثير فى الشعر وغيره ﴿فائدة﴾ قال الامام القرافى (سؤال مشكل) اذا كان الغالب على الناس فى طلب العلم الرياء والسمعة وسوء الحال فالمعلم لهم معين على هذه المعصية والاعانة على المعصية معصية فيحرم حينئذ التعليم على الاطلاق نظرا للغالب (جوابه) هذا سؤال مشكل اضطربت فيه فتاوى العلماء فنهم من يقول لو اعتبرنا هذا لانقطعت مادة العلم والتعليم فينقطع الشرع ويفسد النظام فيؤدى ذلك الى اطفاء نور الحق واضلال الخلق حتى يطبق الارض الكفر ومعلوم أن هذه المفاسد أعظم من الرياء الذى قد يقع وقد لا يقع فانا وان قطعنا بوقوعه لكن لا نعلم كل واحد على انفراده فان الله تعالى مطلع على السرائر ولان العلم قربة محققة وهذه المعاصى أمور عارضة ومنهم من يقول بل لا يتعين ذلك ولا يجوز التعليم الا لمن غلب على الظن سلامته من هذه المعاصى طردا لقاعدة الحاق الوسائل بالمقاصد اه ﴿التنبيه الخامس﴾ ما تقدم فى فضل العلم والتعلم لا يختص بالطلبة المتجردين للطلب بل يشمل أيضا من يسأل عما يلزمه من أمور دينه وأحكام معاملاته ﴿وقال الابى فى شرح مسلم﴾ على حديث من سلك

طريقا يلتمس فيه علما الخ مانصه وقال بعض شيوخنا يدخل فيه الذاهب الى المفتى ليسأله عن مسئلة وكذلك العوام الذاهبون لحضور المواعظ انتهى وقال العلامة الشيخ جسوس فى شرح عقائد الرسالة ثم اعلم أن فضل العلم لا يختص بمن تجرد للعلم وأكب عليه ليله ونهاره بل يشمل المتجردين له وغيرهم ممن يسأل عن أمور دينه ليكون على بصيرة فى دينه ﴿وقال شيخنا يعنى العلامة ابن زكرى فى شرح الحكم﴾ ومن كمال ايمان المؤمن أن يتلذذ بحضور مجالس العلم ويستعذبه ويستحليه ويجد له فى قلبه موقعا وطلاوة ويعظم فرحه وسروره به ويعرف مقداره ويعتقد أنه غنيمة العمر وربح العيش ويشكر الله على دفعه اليه والهامه له واقراره عليه اعملوا ماشئتم فكل ميسر لما خلق له وكم من متردد بطال يقطع تلك الاوقات فيما يهلكه أوفى لا شئ ومن وجد خيرا فليحمد الله اه لكن لا يخفى أن المكب على العلم ليله ونهاره ومن يخوض بحره ويرد أنهاره أعظم أجرا وأفخم فخرا ﴿السادس﴾ لا ينبغى لطالب العلم أن يترك حضور مجلس العلم لكونه لا يفهم فيه شيأ فقد قال فى تحفة الفضلاء قال السمرقندى من جلس عند العالم ولم يفهم مما يقول شيأ فله سبع كرامات أولاها ينال فضل المتعلمين الثانية يحبس عن الذنوب مادام جليسه الثالثة اذا خرج من بيته بنية طلب العلم نزلت عليه الرحمة الرابعة اذا نزلت عليهم الرحمة حصل له منها نصيب الخامسة مادام يسمع تكتب له طاعة السادسة اذا سمع ولم يفهم وضاق قلبه بحرمانه درك العلم فيصير غمه وسيلة للرحمة لحديث أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى السابعة يرى اعزاز الناس للعالم واذلالهم للفاسق فيرد قلبه عن الفسوق ويميل طبعه الى العلم ولهذا أمر عليه الصلاة والسلام بمجالسة العلماء اه نقله أبو العباس الهلالى فى شرح خطبة الشيخ خليل ﴿قلت﴾ قوله لحديث أنا عند المنكسرة الخ قال الزرقانى فى شرح المواهب وليس هذا بحديث قدسى وغاية مافى المقاصد حديث أنا عند المنكسرة الخ جرى فى البداية للغزالى اه ﴿السابع﴾ كان الشيخ السنوسى رحمه الله تعالى يوصى بعض أصحابه ويقول له اياك أن تستغرق جميع أوقاتك فى التدريس لان ذلك يقسى القلب بسبب مخالطة الناس ﴿وقال الغزالى فى الاحياء﴾ التجرد لمسائل الفقه على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما هو مشاهد من المتجردين له اه ﴿وقال الشيخ زروق﴾ كتب سيدى عبد الرحمن بن أحمد لزوج جدتى أبى العباس بن الفحل أقلل من العلم الظاهر فانه يقسى القلب ﴿قلت﴾ لما يعرض له لا لذاته اه ﴿وقال فى قواعده﴾ من كان استماعه بالنفس استفاد سوء الحال فمن ثم لا يزداد طالب العلم للدنيا مسئلة الا ازداد إدبارا عن الحق اه ولما نقل ابن عرفة عن بعضهم أنه كان يقول اذا رأيت الطالب فى ابتداء أمره يستكثر من زيارة القبور ومن نظر رسالة القشيرى فاعلم أنه لا يفلح لاشتغاله بما لا يجدى شيأ اه اعترضه أبو زيد الفاسى بأن ماذمه أنفع للقلب وفى الآخرة من التجرد لما ذكره وانما العلم خشية الله لا مجرد الطلب بل التمادى فيه قسوة للقلب اه قال شيخنا أبو عبد الله جنون رحمه الله ولعل ماقاله بعضهم محمول على ماقبل تحصيل فرض العين من العلم كما يفيده قوله فى ابتداء أمره أو على من يتعاطى العلم الكفائى بنية حسنة فلا يخالف ماقاله أبو زيد وغيره اه ﴿الثامن﴾ العلوم حكمها مختلف فمنها ماهو واجب على الاعيان ومنها ماهو واجب كفاية ومنها مستحب ومنها مستحسن ومنها ممنوع وسيأتى التعرض لحكم ماذكره الناظم من العلوم ومن ظهرت قابليته ونجابته فى العلم الكفائى صار فى حقه فرض عين قاله سحنون كما فى ابن يونس ونقله فى المقدمات عن مالك ومال اليه ابن ناجى وجعله شيخه أبو مهدى المذهب قائلا لا أعرف خلافه وفقنا الله للعلم والعمل وبلغنا فى الدارين تمام الامل آمين

خرجنا على أن المقام ثلاثة ❊ فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

(١٨) ﴿ودم على طلبه الى الممات * بذا تنال الدرجات العاليات﴾

الواو للعطف وجملة دم معطوفة على جملة فلتطلب فى البيت قبله وعلى طلبه متعلق بدم والضمير المضاف اليه طلب عائد على العلم فى البيت قبله والى الممات متعلق أيضا بدم وهو غاية للدوام على الطلب والممات مصدر ميمى بمعنى الموت وهو عند أهل السنة صفة وجودية قائمة بالميت يمكن رؤيتها تمنع اتصافه بالادراك ويدل له قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة والخلق انما يتعلق بالموجود وان الموت جائز والجائز لابد له من فاعل والعدم لا يفعل فلابد من وجوده وصحح هذا القول ابن بزيزة فى شرح الارشاد وقال الاسفراينى والزمخشرى الموت عدم محض ونفى صرف قال السعد وعليه الاكثر وأجابوا عن الآية بأن معنى خلق الموت قدره والتقدير جعل الشئ ذا مقدار مخصوص أو مقدرا بوقت معين وصفة مخصوصة وذلك يشمل الوجودى والعدمى * قول الناظم بذا متعلق بتنال والاشارة راجعة لدوام الطلب الى الممات والدرجات مفعول بتنال منصوب بالكسرة جمع درجة والعاليات جمع عالية نعت لدرجات (والمعنى) دم على طلب العلم الى الموت لتنال بذلك المنازل الرفيعة أى فى الآخرة وكذلك فى الدنيا لان صاحب العلم معظم محترم فى الدارين فأفاد الناظم أن من أفضل الاعمال التى يموت الشخص عليها طلب العلم ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة واحدة أى وهى درجة النبوة ﴿وقال صلى الله عليه وسلم﴾ اذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيدا ﴿وقال صلى الله عليه وسلم﴾ من مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة ﴿قلت﴾ أى مع السابقين أو بلا حساب أونحو هذا والافدخولها محقق بفضل الله لكل من مات على الايمان ﴿وقال صلى الله عليه وسلم﴾ من ترك ورقة من العلم كانت له وقاية من النار قال بعضهم وهذا خاص عن ألف وقيل لابن المبارك الى متى تطلب العلم قال الى الممات ان شاء الله وقيل له ذلك مرة أخرى فقال لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد وقيل لابى عمرو بن العلاء حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم قال مادام تحسن به الحياة وقيل لسفيان بن عيينة من أحوج الناس الى طلب العلم قال أعلمهم لان الخطأ منه أقبح وقال بعضهم لا تزال عالما ما كنت متعلما فاذا استغنيت كنت جاهلا وتقدم ما قاله الامام مالك ليحيى أول ما جلس اليه ففيه فضل الموت على طلب العلم وتقدم أيضا قول الشافعى * سأطلب علما أو أموت ببلدة * الى آخر الابيات أى الى أن أموت ببلدة وقدم لنا أيضا أن الدليل على صحة الاخلاص فى طلب العلم أن يحب الطالب أن ينزل به الموت وهو جاد فى الطلب ﴿وفى العهود﴾ أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغل من كثرة تعلمنا العلم والعمل به ﴿وقال ابن عربى قدس سره﴾ فى مسامراته رأيت شيخنا أبا عبد الله بن القسوم المالكى الصالح العالم وهو على كبر سنه يشترى ورقا فسألته عن ذلك مع شغله بالعبادة فقال أوصانى شيخى أبو عبد الله بن المجاهد فقال لى ان استطعت أن لا تموت الا وأنت طالب تكتب العلم والادب فافعل وروينا مثل ذلك عن المأمون قال له منصور بن المهدى أيحسن بنا طلب العلم والادب قال والله لأن أموت طالبا للعلم خير من أعيش قانعا بالجهل قال والى متى يحسن بى ذلك قال ما حسنت الحياة بك اه جعل الله اشتياق كنز عمرنا فى طلبه ووفقنا للتحلى بنفيس حلى أدبه آمين ثم قال

(١٩) ﴿وخيره ما كان فى حال الصغر * فهو كما قيل كنقش فى الحجر﴾

الواو للاستئناف ويحتمل أن تكون عاطفة جملة على جملة وخيره مبتدا والضمير المضاف اليه عائد على العلم وما موصولة واقعة على العلم هى الخبر وكان صلتها وهى تامة بمعنى وجد وفى حال متعلق بكان والصغر مضاف اليه والفاء عاطفة جملة على جملة وهو مبتدا وكنقش خبره وفى الحجر متعلق بنقش وجملة كما

قبل معترضة بين المبتدا والخبر لا محل لها من الاعراب والضمير المبتدأ عائد على ما وقعت عليه ما وهو العلم بمعنى التعلم لان النقش فعل الفاعل فالعلم في الصغر المشبه بالنقش ينبغي أن يكون فعل الفاعل أيضا ولذا جعلناه بمعنى التعلم فيكون في كلام الناظم استخدام ويحتمل أن يكون نقش بمعنى منقوش من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول كقوله تعالى هذا خلق الله أي مخلوقه وعليه فالضمير عائد على العلم من غير تأويل (والمعنى) ان التعلم في حال الصغر كالنقش في الحجر كما قيل والقائل لذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف مرفوعا بلفظ مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش في الحجر ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء * ويروى عن الحسن أنه قال طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر ﴿وقال سيدنا علي رضي الله عنه﴾ قلب الحدث كالارض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته * ويروى عن علقمة أنه قال أما ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر اليه في قرطاس ﴿وقال لقمان لابنه﴾ يا بني ابتغ العلم صغيرا فان ابتغاء العلم يشق على الكبير قال المناوي وهذا غالبي فقد تفقه القفال والقدوري بعد الشيب ففاقا الشباب اه والتشبيه في قول الناظم كنقش في الحجر تبعا للحديث يحتمل أن يكون في مجرد الرسوخ ويحتمل أن يكون فيه وفيما يلحق ناقش الحجر من العناء والتعب لان معلم الصبيان يلحقه في القاء العلم اليهم عناء ومشقة لعدم تمام عقولهم فاذا ألقي اليهم رسخ في قلوبهم وثبت لفراغها من أشد دواعي النسيان الذي هو الهم والكبار بعكس ذلك فانهم لتمام عقولهم يفقهون ما يلقى اليهم سريعا ولكنه لا يرسخ لانها معمورة بهموم الدنيا وأشغالها ولان الغالب على الكبار الركون الى البطالة والدعة والاستعصاء فالصغير أجمع لما يلقى اليه وأوعى لما يتلى عليه لاستفراغ البال من دواعي البلبال أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استودعوا العلم الاحداث اذا رضيتموهم ذكره ابن الجوزي في باب ايثار الشبان على الاشياخ بالعلم ﴿وعن شهر بن حوشب﴾ قال كنا نأتي أبا سعيد ونحن غلمان نسأله فيقول مرحبا أي بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم * ولاجل فراغ قلوب السلف الصالح من أشغال الدنيا وهم الرزق وخوف الخلق وجمع همومهم على الآخرة لم يحتاجوا الى تدوين الكتب اتكالا على حفظهم لرسوخ ما سمعوه في قلوبهم وقد قال الشافعي رضي الله عنه لو كلفت شراء بصلة ما فهمت حديثا واحدا ﴿وقال أبو اسحق﴾ أملى علي شيخي ثمانية عشر حديثا فذهبت لمنزلي لاكتبها فلحقني غلام لي يطلب الدقيق فذهبت لاجله للسوق فاشتريته فرجعت فوجدت عشرة وضاعت ثمانية ﴿وقال سحنون﴾ لا يصلح العلم لمن يهتم بغسل ثوبه ولا لمن يأكل حتى يشبع * وقد أشار ابن أبي زيد في خطبة الرسالة لطرف من الحديث السابق بقوله وقد روي ان تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر اه وقال نفطويه في المعنى

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر * ولست بناس ما تعلمت في الصغر
وما العلم الا بالتعلم في الصبا * وما الحلم الا بالتحلم في الكبر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا * لالفي فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب الا تعسف * اذا كل قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء الا اثنان عقل ومنطق * ومن فاته هذا وهذا فقد دمر

﴿وقال آخر﴾

علم بنيك صغارا قبل كبرتهم * فليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

ونسب لسيدنا علي رضي الله تعالى عنه

حرض بنيك على الآداب فى الصغر * كى تقربهم عيناك فى الكبر
وانما مثل الآداب تجمعها * فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر
هى الكنوز التى تنمو ذخائرها * ولا يخاف عليها حادث الغير
ان الاديب اذا زلت به قدم * يهوى على فرش الديباج والسرر

﴿وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى الضرير﴾

لا يستوى ابناك فى خلق وفى خلق * ان الحديدة أصل السيف والجلم
اضرب وليدك وادلله على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة * وقس على نفع شق الرأس للقلم

﴿وقال ابن خفاجة الاندلسى﴾

نبه وليدك من صباه بزجرة * فلربما أغفى هناك ذكاؤه
وانهره حتى تستهل دموعه * فى وجنتيه وتلتظى أحشاؤه
فالسيف لا تذكو بكفك ناره * حتى يسيل بصفحتيه ماؤه

﴿وقال أيضا ملتزما ما لا يلزم﴾

سدد مرامى الطفل فى شأنه * بلفظة تشدد بها أزره
واكتف باللمعة من فهمه * ان المبادى أبدا نزره
أما ترى النيران من شعلة * والدوحة الغناء من بزره

﴿وقال آخر﴾

ان الغلام مطيع من يؤدبه * ولا يطيعك كهل حين يكتهل

﴿وقال صالح بن عبد القدوس﴾

وان من أدبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه ناضرا مونقا * بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه

﴿وقال ابن دريد فى مقصورته﴾

يقوم الشارخ من زيغانه * فيستوى ما انعاج منه وانحنى
والشيخ ان قومته من زيغه * لم يقم التثقيف منه ما انحنى
كذلك الغصن يسير عطفه * لدن شديد غمزه اذا عسى

الشارخ الشاب والزيغان الاعوجاج وانعاج اعوج والتثقيف التقويم وغمزه تمييله وعسى صلب ويبس ﴿وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه﴾

ومن فاته التعليم فى زمن الصبا * فكبر عليه أربعا لوفاته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة * تجرع كأس الذل طول حياته
فان حياة المرء بالعلم والتقى * فان لم يكونا لا اعتبار بذاته

﴿وقال آخر﴾

تعلم يا فتى والعود رطب * وجسمك لين والطبع قابل
فان الجهل خافض كل عال * وان العلم رافع كل سافل
وحسبك يا فتى شرفا وعزا * سكوت الحاضرين وأنت قائل

﴿وقيل﴾ من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وبالجملة فما تعوده الصبى فى الصغر عليه ينطبع فى الكبر ولهذا قال العلماء رضى الله عنهم أهم ما على الولى أن يجنب الصبى قرناء السوء

ينشأ الصغير على ما كان فى صغر * ان الاصول عليها تنبت الشجر

لان الطبع يسرق الطبع والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ولان من خالط العلماء حسب منهم ومن خالط السفهاء حسب منهم * وقد أوصى أبو اسحق ابراهيم بن الحاج دفين مراكش ابنه أيام اقامته باشبيلية لتحصيل العلم بقوله

اذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي * فجانب قرين السوء واصرم حباله
وسابق الى الخيرات واسلك سبيلها * وحصل علوم الدين واعرف رجاله

ولبعضهم من قصيدة طويلة محتوية على حكم جليلة

ولا تجالس جليس السوء مختلطا * فكم جليس له طبع الجليس سرى

فالقلب الذى لم يتلبس بشر أرجى لقبول الخير لان القلب اذا سبق اليه شر قسا ولم يتأثر بالموعظة وعظمت الحيلة فى ازالته كالآنية الجديدة يجعل فيها القطران فلا تزول عنه رائحته الا بعد تعب ومشقة وهذا هو السر فى قوله صلى الله عليه وسلم مروا أولادكم بالصلاة لسبع الحديث لاجل أن تتمكن حلاوة الدين فى قلوبهم ويرسخ الخير فى أفئدتهم فجزى الله عنا نبينا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أهله

واذا الفتى سلك الهداية فى الصغر * لابد يبلغ كل خير فى الكبر

﴿وقال ابن أبى زيد فى الرسالة﴾ واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليه اهـ ﴿تنبيه﴾ لا ينبغى التشديد جدا على الصبى فى حال صغره حتى يورثه ذلك غاية الضجر فان ذلك مضر به فى عقله وجسمه * ولما أراد سحنون أن يدخل ولده المكتب اشترط على المؤدب أن لا يضربه أصلا مهما صدر منه شئ أو لعب وقد سئل الشيخ السنوسى عن حكمة منع سحنون من ذلك فعلل ذلك كما فى المواهب القدوسية واختصارها بأن كثرة الضرب والزجر مما يؤثر فى نقص العقل وأيضا رأى سحنون أن لا تأثير لضرب ولا زجر فى حفظ ولا اجتهاد عقلا وأن الامر بيده تعالى فى جلب نفع ودفع ضر فسلم ابنه واستودعه الله تعالى اهـ ولا يخفى ما يلحق الصبيان من الضجر والسآمة بالدأب على التعليم كما يعلمه كل أحد من نفسه زمن صباه وقد قال هرون الرشيد لابنه المعتصم ما فعل وصيفك قال مات فاستراح من الكتاب قال وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ والله لا حضرته أبدا ووجهه الى البادية فتعلم الفصاحة وكان أميا ﴿وقال الامام الشعرانى رضى الله عنه فى المنن﴾ ومما من الله تبارك وتعالى به على تفويضى الى الله تعالى أمر تربية أولادى واخوانى ونظرى الى وزن الافعال البارزة على يديهم بالكتاب والسنة فما كان من محمود قلت لهم اشكروا الله وما كان من مذموم قلت لهم استغفروا الله ولا أقاوم الاقدار الالهية فيهم وأطلب أنهم يوافقونى على كل أمر أردته منهم فان ذلك من التعب الذى لا فائدة فيه وقد خالف قوم هذا الامر فلم يفوضوا أمر أولادهم واخوانهم الى الله تعالى كما ذكرنا فكان عاقبة أمرهم الندم وفرار الاولاد والاخوان عنهم اذ التحجير على العبد بما لم يصرح الشارع صلى الله عليه وسلم بالتحجير عليه به لا يطاق وقد رأيت شخصا من أهل العلم حجر على أولاده كل التحجير فى ترك الكلام اللغو وفى ترك مجالسة الناس وفى ترك التنزه فى وقت من الاوقات حتى صار يتبع الواحد منهم الى الخلاء فاذا طول الولد فى الجلوس لقضاء الحاجة يقول له كنت اختصرت وعملت موضع جلوسك فى الخلاء حفظ مسئلتين فى العلم وما زال على التحجير عليهم حتى سرق بعضهم ماله وعزم على اطعامه السم وبعضهم أطعم والده السم حتى وقعت أطراف أصابعه وكمن له فى الظلام بخنجر يريد قتله فلولا أن الجارية حذرت

الولد وأعلمت الوالد لو عاقل والده تنفيساله من مشقة التحجير عليه كما أن بعضهم شنق نفسه حين توعدوه بعقوبة فلو أن هذا الوالد كان فوض أمره الى الله تعالى فى ولده وعامله بالسياسة الشرعية أو العقلية لما كان وقع له شئ مما ذكرناه اه وقال بعض الحكماء ولا يسوغ اتعاب عقل الصبى بالدروس والمطالعات لان دماغه يكون وقتئذ عرضة لامراض كثيرة تشتد خطر اذاهو تعرض لاسبابها فالاولى إلهاؤه عاقل من المعارف وتعليمه المبادى القويمة والآداب الحسنة التى تبقى ثابتة فى ذاكرته طول حياته وتعويده على ماينفع صحته ويفيده فى الحال والاستقبال اه ﴿وقال الامام الشافعى رضى الله عنه﴾ أنفق على ولدك وزوجتك وخادمك بقدر الكفاية ولا تحجر عليهم كل التحجير فينفروا منك واياك أن تعطيهم فوق الكفاية فيستغنوا عنك ويخرجوا من يدك لان طاعتهم اليك تكون بقدر حاجتهم اليك اه ﴿وقال سيدى على الخواص رضى الله عنه من وصيته﴾ ولا تكثروا ضرب أولادكم ولا تشددوا عليهم بالحبس فى الدار والمكتب مثلا وكثرة القراءة فان ذلك يميت نفوسهم عن الاسباب ويولد عندهم الجبن والبخل والكسل عن الطاعات وداووهم أحيانا وأحيانا واستعملوا لهم الدعاء والنية الصالحة وكلوا أمرهم الى الله تعالى يكفكم مايهمكم من جهتهم اه وهذا ظاهر فاذا كان ترويح النفس بالمباحات مطلوبا فى حق الكبير فكيف بالصغير ثم قال الناظم

(٤٤) ﴿واعن بحفظ الامهات جملة * ولتهجر المنام واصرم حبله﴾

الواو عاطفة واعن فعل أمر معطوف على دم فى البيت السابق فيكون من عطف الانشاء على مثله ويحتمل أنه معطوف على جملة * وخيره ما كان فى حال الصغر * على مذهب من يجيز عطف الانشاء على الخبر وماضى اعن عنى بالبناء للمجهول لانه من الافعال اللازم بناؤها للمجهول وبناؤه للفاعل لغية وبحفظ متعلق باعن والامهات مضاف اليه ماقبله وهو جمع أمهة ويقال أيضا أم بضم الهمزة وكسرها وأمة وتجمع هذه الثلاثة على أمات أيضا فهما لغتان فى الجمع وليست احداهما أصلا للاخرى فلا حاجة لدعوى الحذف أو الزيادة هذا هو الصواب خلافا لمن قال ان أمات أصل لامهات والهاء زائدة وخلافا لمن قال ان أمهات أصل أمات ثم حذفت الهاء وقوله جملة منصوب على الحال من أمهات على مذهب الفارسى من اتيان الحال من المضاف اليه من غير شرط خلافا لابن مالك فى شرح التسهيل وولده وهذه الحال تدل على الاحاطة والشمول مثل كافة وطرا والواو فى قوله ولتهجر عاطفة جملة ولتهجر على جملة واعن والفاعل مستتر فى واهجر وجوبا والمنام مفعوله وهو كالنوم مصدر لنام والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء الدماغ من رطوبة الابخرة المتصاعدة من الجسد الى الرأس بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا ﴿فائدة﴾ فى الفرق بين السنة والغفوة والنوم وذلك أن الابخرة صاعدة على الدوام من الجسد الى الدماغ فتى صادفت منه فتورا أو عياء استولت عليه وهو معدن الحس والحركة فيحصل فيه فتور وهو السنة فان عم الاستيلاء حاسة البصر فهو غفوة ونوم خفيف وان عم جميع الجسد فهو نوم ثقيل قاله أبو الحسن وانما تحصل الرؤيا كما قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى اذا لم يستغرق النوم جميع الحواس والله أعلم وجملة اصرم حبله أى اقطعه معطوفة على تهجر والضمير المضاف اليه حبل يعود على المنام وفى قوله واصرم حبله استعارة تصريحية لان المقصود بالحبل التعلق أى اقطع التعلق الذى بينك وبين النوم شبه التعلق بالحبل بجامع الارتباط فى كل ثم حذف المشبه واقتصر على المشبه به والقرينة مقامية والصرم ترشيح وعلى هذا الوجه اقتصر البيضاوى فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وجوز صاحب الكشاف فى الآية أن تكون استعارة تمثيلية على تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار مجاز فى المفردات وجوز فيها المكنية أيضا وذلك كله يجرى فى كلام الناظم لكن الاوجه هو

التصريحية ﴿والمعنى﴾ اعتن أيها الطالب بحفظ الامّهات كلها واترك فى حفظها النوم واقطع التعلق بينك وبينه فان كثرة النوم من البطالة وتضييع العمر ولابن الوردى فى لاميته

واهجر النوم وحصله ٢ فمن * يعرف المطلوب يحقر ما بذل ٢ أى العلم

﴿ولبعضهم﴾

سرور الناس فى حسن اللباس * وجمع العلم فى ترك النعاس

ولبعض المتكاسلين يمدح النوم

ان النعاس والكسل * أحلى مذاقا من عسل

ان لم تصدقنى فسل * من كان قبلى ذا كسل

﴿وقلت فى الرد عليه﴾

نعم لدى من قد غفل * وعن صلاحه عدل

فانهما على عجل * وجانبن من عذل

وقد مدح أبو العلاء المعرى النوم من وجه آخر فى قوله

وفضيلة النوم الخروج بأهله * عن عالم هو بالاذى مجبول

ومراد الناظم بالامّهات المتن وسميت أمّهات لان منها تتولد المسائل وأم كل شئ أصله الذى يرجع غيره اليه كما فى كليات أبى البقاء فتسمية المتن بذلك من مجاز التشبيه فهى استعارة مصرّحة لا يخفى تقريرها ثم ان قوله ولتهجر المنام أى فى جلّ الاوقات لا فى جميعها فالكلام خرج مخرج المبالغة لان النوم أمر ضرورى جدا للحياة لا يمكن أن يعيش حيوان بدونه كما نص عليه الحكماء ويختل العقل بفقده ﴿ويحكى﴾ أن بعض الملوك حقد على وزيره وأراد عقابه فهيأ له قصرا فيه من أنواع الملاذ ما تقربه العين وكلف به عددا من الجوارى الحسان يلاعبنه ويشغلنه عن المنام وتوعدهن ان تركنه ينام فظن الوزير أن ذلك انعام عليه من الملك فصار الجوارى يتعاقبن عليه واحدة بعد واحدة يشغلنه عن النوم ليلا ونهارا بالملاعبة فما مضت عليه أيام قليلة حتى فقد عقله ❊ وربما تسبب عن فقد النوم الموت وقد جعلوا عدم النوم فى بلاد الصين قصاص المذنبين اذا شاؤا اعدامهم كما ذكره بعض المتأخرين من الحكماء ﴿ثم اعلم﴾ أن الوقت الانسب بالنوم هو الليل فان الادلة متضافرة على ان الليل خلق لراحة الانسان وسائر الحيوان وان النهار أبدع لاجل الشغل والعمل ولا عمارى فى هذا الاكمال ومن شك فى هذا فليلاحظ حالة جسده اذا سهر ليلة تامة بدون نوم أصلا أو اذا نام بعض الساعات فى النهار ان لم يكن تعوّيضا عن نوم الليل وأيضا فان أسباب النوم متوفرة فى الليل دون النهار لان فى الليل يفقد النور الذى هو من أعظم منبهات الحياة ويأتى الظلام الذى من شأنه اضعاف القوى وفى الليل تكثر الرطوبة فى الهواء ومن المقرر أن لها خواص مخدرة بعكس النهار وبعض الناس أبى الا معاكسة الطبيعة واستبدلوا الطبع بالتطبع فيحيون ليلتهم بالسهر ويقتلون نهارهم بالكسل والنوم فيخسرون صحتهم فى الدنيا كما يخسرون دينهم ثم الانسب بساعات الليل للنوم هى الرابعة أو الخامسة بعد غروب الشمس والانسب للتيقظ هو طلوع الشمس أو قبيل ذلك كذا قال الحكماء من حيث تدبير النوم من جهة حفظ الصحة وأما من جهة الشرع فالمحمود الاستيقاظ قبل طلوع الفجر للتهيئ للصلاة فى أول وقتها الاختيارى فمن يستيقظ باكرا يرى ذاته ذات صحة جيدة وعقل نير بعكس الذين يصبحون نائمين الى وقت الضحى فانهم يجدون حواسهم كليلة وأجسامهم مسترخية ويبقون على ذلك ساعات كثيرة كما نطق بهذا الحديث الصحيح وصحت به التجربة ومن الواضح أن النوم لا يأخذ كل الناس على السواء بل منهم من ينام أول الليل

ومنهم

ومنهم من يتأخر ومنهم من لا ينام الا بعض الساعات من الليل واذا ناموا يستيقظون مرة أو أكثر وذلك تابع للعادة وحكم المعدة والجسم ومنهم من يرتب لنومه ويقظته أوقاتا معلومة فاذا أتى ميقات نومهم ناموا واذا مضى استيقظوا ومنهم من ينام أى وقت شاء وهم الكسالى والضعفاء والناقهون والخالون من الاشغال العقلية والافكار العالية والاولاد والشيوخ اذا كانوا مستفرغين من الاشغال * وليحذر الانسان من النوم فى النهار فانه مضر يفسد اللون ويورث الامراض ويكسل الا فى هاجرة الحر لقوله صلى الله عليه وسلم قيلوا فان الشياطين لا تقيل وقال استعينوا على قيام الليل بقيلولة النهار وقد نقل العارف بالله الشعرانى فى المنن عن سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه أنه قال النوم قبل الزوال دواء للسهر الماضى والنوم بعد الزوال دواء للسهر الآتى * وقد ذكروا أن مما يجلب النوم بسرعة زيادة الدم أو نقصانه فى الدماغ وكثرة الاكل والشرب والمخدرات وتبريد الجسد والمسهلات وأنه يحصل الميل الكثير للنوم ساعة انهضام الطعام فى المعدة لان فيها حينئذ راحة كثيرة وان مما يستدعى النوم كثيرا استماع القراءة فى الفراش وصوت المطر والهواء وخرير الماء والنظر الى المرئيات اللماعة والحداء والسكوت والاظلام والاستحمام بالماء السخن وألحان الموسيقى وغيرها مما يؤثر فى قوى الدماغ والجسد وان مما يجلب الارق الفرح والحزن والغضب واشتغال الافكار بمهام كثيرة والتعب المفرط وتبديل الفراش وكثرة الاكل أو قلته وشدة النور والمباشرة المستلذة وشرب القهوة أى البن والاتاى ﴿قلت﴾ ولا يخفى أن من أعظم ما يطرد النوم الانعاظ فيكون الجماع مستدعيا للنوم بعده * ثم ان القدر الضرورى من النوم الذى يعطى البدن راحة كافية يختلف باختلاف الاشخاص أما البالغون الذين يشتغلون شغلا عقليا كأهل العلم فسبع ساعات لا غير وأما المشتغلون بأعمال البدن كالصناع فثمان ساعات وأما الصبيان فيحتاجون لاكثر من ذلك وكلما كان الشخص صغيرا ازدادت المدة التى تكفى لراحته ونمو جسده ولذا ترى الاطفال يقطعون غالب أوقاتهم فى النوم واذا انتبهوا فللاكل أو الرضاعة على أن المدة الحقيقية لكل شخص لا يمكن تعيينها بالتحقيق بل هى تختلف باختلاف المزاج والمهنة والسن فالذين يتعاطون الاعمال الشاقة تكون لهم مدة النوم أكثر من غيرهم وهكذا النساء العصبيات وسكان الاقاليم الحارة وأصحاب الذوات السمينة وأهل المزاج الدموى وأيضا للعادة فعل عظيم فى كثرة النوم وقلته ولذا قيل العادة طبيعة خامسة فمن الناس من ينام عشرين ساعة أو أكثر وهم الكسالى ومنهم من يكتفى بأربع أو خمس ساعات كبعض العلماء وأفاضل الناس وحيث كانت العادة مالكة للشخص فينبغى أن يعود نفسه القدر الضرورى المناسب لحاله والا ذهب عمره سبهللا فى البطالة وتضييع الاوقات لان الحياة تذهب بين اليقظة والنوم فاذا قدرنا انسانا عاش ستين سنة وجعل نصفها للنوم بقى له ثلاثون سنة نصفها كان قبل البلوغ لم يكسب فيه غالبا ما ينفعه بقى له خمس عشرة سنة ربما تمضى على الشخص فى الحرص على الدنيا والسعى فى بلوغ آمالها وان زاد على الستين كان ذلك أيام شيب ومحنة وعن هذا أفصح الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه اذ قال

اذا عاش الفتى ستين حولا * فنصف العمر تمحقه الليالى
ونصف النصف يمضى ليس يدرى * لغفلته يمينا من شمال
وباقى النصف آمال وحرص * وشغل بالمكاسب والعيال
وباقى العمر أسقام وشيب * وآفات تدل على انتقال
فحب المرء للعيوان ٢ جهل * وقسمته ٣ على هذا التوال

وأنشد الماوردى فى المغنى لعلى بن محمد

٢ أ... تعالى... لى

٣ ا... للحيـ...

اذا كملت للمرء ستون حجة * فلم يحظ من ستين الا بسدسها
ألم تر أن النصف للليل حاصل * وتذهب أوقات المقيل بخمسها
وتأخذ أوقات الهموم بحصة * وأوقات أوجاع تميت بعسها
فحاصل ما يبقى من العمر سدسه * اذا صدقتك النفس عن علم حدسها

﴿وقال بعض الحكماء﴾ الدهر مقسوم بين حياة ووفاة فالحياة اليقظة والوفاة النوم وقد أفلح من أدخل فى حياته من وفاته وقيل

ولليل شطر عمرك فاغتنمه * ولا تذهب بشطر العمر نوما

ولابن العماد الشافعى من منظومته الادبية

وكثرة النوم نقص فى الحياة فنم * ثلث الحياة وقم ثلثين واشتغل

﴿وقال بعضهم﴾ من لزم الرقاد حرم المراد ﴿وقيل﴾ اذا أردت الكرامه فقل الكرى مه ﴿وقيل﴾ من رام أىّ مرام فليهجر المنام * وقالت أم سليمان بن داود عليهما السلام يا بنى لا تكثر النوم فان أصحاب النوم يأتون يوم القيامة مفاليس ﴿وقال بعضهم﴾ كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب الاعمار ﴿وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه﴾ صحبت أكثر رجال الله بجبل لبنان فكانوا يقولون يا ابراهيم اذا رجعت الى أبناء الدنيا فأعلمهم أن من يكثر الاكل لا يجد للطاعة لذة ومن يكثر النوم لا يجد للعمر بركة ومن يكثر الكلام بفضول أو غيبة لا يخرج من الدنيا على السلامة اه ﴿وقيل﴾ ما هلك من هلك قبلكم الا بثلاث بفضول الطعام والمنام والكلام وينسب لابن عباس رضى الله تعالى عنهما

اذا كثر الطعام فحذرونى * فان القلب يفسده الطعام
اذا كثر الكلام فسكتونى * فان الدين يهدمه الكلام
اذا كثر المنام فنبهونى * فان العمر ينقصه المنام
اذا كثر المشيب فحذرونى * فان الشيب يتبعه الحمام

﴿وقال آخر﴾

وكن ساهرا بالليل واطلب معاليا * اذا شئت أن تسمو مقاما على القوم
دع النوم ان النوم للفضل هادم * ولا ترض من دنياك بالاكل والنوم

فبان من هذا أن كثرة النوم مضرّة بالدين وكذلك تضرّ بالبدن فانها تغلظ العقل وتضعف الذاكرة والمخيلة وتورث الغفلة والنسيان وفساد حكم المزاج الطبيعى والنفسانى وتكثر البلغم والسوداء وضعف المعدة ونتن الفم وضعف البصر وتربى الغشاوة على العين وتضعف الباه على الفور حتى لا يكاد النائم كثيرا أن تكون له داعية الى الجماع وتفسد الماء وتورث الامراض المزمنة فى الولد المتخلق من تلك النطفة حال تكوينه بضعف الجسد الى غير هذا من المضرّات التى حكم بها الحكماء والعارفون من الاولياء كما أن النقص عن القدر الضرورى بكل نوع عمامر يسبب ضعفا للقوى الجسدية والعقلية ونحولا واصفرارا ويبلى الجسم بالضجر والصداع والهزال ويحدث أمراضا رديئة فلا حيف ولا شطط وخير الامور الوسط

عليك بأوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وفى المعنى لابى زيد النجارى نزيل بياسة

ركوب التوسط فى كل أمر * تكون عليه هو الاجمل
فلا تطلب علوا كثيرا * فان على قدره تنزل

﴿ومن معناه﴾

توسط اذا ماشئت أمرا فانه * كلا طرفى قصد الامور ذميم

﴿وقال فى المواهب﴾ ولم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه اهـ وعلامة الاحتياج الى النوم الضرورى أربعة أشياء أشار اليها ابن العماد الشافعى من منظومته الادبية بقوله

حقيقة النوم قد مازوا بأربعة * فى روضة عدها أخذها بلا جدل

فقد الشعور ورؤيا النوم ثالثها * وفقد السماع والاسترخاء فاحتمل

وحيث عن لنا اقتفاء فرائد الفوائد فلا ينبغى أن نخلى هذا المحل من آداب النوم الشرعية ثم نتبعها بالآداب الطبية الحافظة للصحة فنقول ﴿أما الآداب الشرعية﴾ فيستحب للنائم أن ينام على شقه الأيمن ويضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن لما فى الشمائل والمواهب وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد النوم اضطجع على شقه الأيمن ووضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن ﴿قال العلماء رضى الله عنهم﴾ والاولى فى تعليل النوم على الأيمن بتكريمه وتشريفه وايثاره على الايسر ولان النوم أخو الموت والمطلوب أن يكون الميت على شقه الأيمن تفاؤلا بأن يكون من أصحاب اليمين وأما تعليل ذلك بأنه أسرع للانتباه لعدم استقرار القلب حينئذ لانه معلق بالجانب الايسر فيبقى القلب قلقا فلا يستغرقه النوم كما قاله فى المواهب فمبحوث فيه أما أولا فنمنع أن القلب معلق بالجانب الايسر كما أفاده الشاطبى والمقرى وغيرهما وأما ثانيا فعلى تسليم ذلك فقد قال الولى العراقى اعتدت النوم على الأيمن فصرت اذا فعلت ذلك كنت فى دعة وراحة واستغراق واذا نمت على الشق الايسر حصل عندى قلق لذلك وعدم استغراق فى النوم اهـ وهذا الذى قاله العراقى مشاهد فى بعض الناس لكن قال الزرقانى فى شرح المواهب كونه أولى فى التعليل لا يمنع الاول فان هذا أى ما قاله العراقى نادر وسببه اعتياده والنوم على الظهر من أردإ النوم بخلاف مجرد الاستلقاء عليه من غير نوم وقد استلقى صلى الله عليه وسلم على ظهره من غير نوم وأردأ منه النوم منبطحا على الوجه وقد روى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم لما مر بمن هو كذلك فى المسجد ضربه برجله وقال قم أو اقعد فانها نومة جهنمية قاله فى المواهب ﴿قال ابن سلطان﴾ ولعل السبب فيه انه موافق لرقاد اللوطية المحرك للناظر داعية الشهوة النفسية اهـ وكذلك نوم المرأة مستلقية على ظهرها ووجهها للسماء * وليحذر أيضا من النوم بعد العصر روت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه ﴿وقال الامام أحمد رحمه الله تعالى﴾ أكره للرجل أن ينام بعد العصر أخاف على عقله * وعارض ابن رشد رحمه الله الحديث المذكور بحديث أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل عليا فى حاجة بعد أن صلى الظهر بالصهباء فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر على فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه شرقها قالت أسماء فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض ثم قام على فتوضأ وصلى العصر ثم غابت ففى هذا الحديث نومه صلى الله عليه وسلم بعد العصر * ويجاب بأن هذا خاص به صلى الله عليه وسلم لانه معصوم وليس كغيره والله أعلم ويكره النوم بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وقبل العشاء الاخيرة وكان صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبلها والحديث بعدها الا فى علم أو محادثة الاهل ﴿وقال سيدى على الخواص رضى الله عنه كما فى المنن للامام الشعرانى رضى الله عنه﴾ اياكم والنوم فى الاوقات المنهى عن النوم فيها كنوم الانسان بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروب الشمس فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه

للهلاك وفساد كيموس بحة عين المزاج المادى والصورى حتى ربما التحق فى الحكم بالحيوانات البهم البعيدة الادراك كالبقر والغنم والجاموس وأمثالها من المأكولات الحيوانية اهـ ثم نقل فى المتن عن الشيخ أفضل الدين بعد ذكر مضار النوم مطلقا ما نصه هذا فى النوم فى غير وقت الصبح والعصر أما النوم فى هذين الوقتين فلا أقدر على وصف مفاسده فى العقل والنفس والصفات الانسانية والروحانية أقلها انه يورث ضعيف الحال بحكم الخاصية عدم الايمان بالبعث والنشور وما يقارب ذلك من غير تعقل لما يدفع عنه ذلك اهـ ويكره أيضا أن ينام الانسان وحده فى بيت * ويستحب أيضا لمن أراد النوم أن يقول اذا أوى الى فراشه باسمك اللهم أموت وأحيا كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أو يقول باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك أرفعه اللهم ان أمسكت روحى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وكان صلى الله عليه وسلم يقول أيضا اذا أوى الى فراشه رب قنى عذابك وكان يقول أيضا الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى وكان أيضا يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرأ الاخلاص والمعوذتين ويمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات فيستحب الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى هذه الامور كلها * ومما ورد لحفظ النائم آية الكرسى لقضية أبى هريرة فى البخارى وغيره من تعرض الشيطان له ثلاث مرات ليأخذ من زكاة رمضان التى وكله صلى الله عليه وسلم بحفظها وفى كل مرة يقبضه أبو هريرة ليأتى به للنبى صلى الله عليه وسلم فيحلف أنه لا يعود فيطلقه وفى الثالثة قال له دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فأخبر أبو هريرة النبى صلى الله عليه وسلم بمقالته فقال له أما انه صدقك وهو كذوب وقد نص العلماء على انه لا تستمطر الرحمة أبدا بأرجى من كتاب الله قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال ابن عباس يريد شفاء من كل داء يعنى انه يتبرك به ويدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤيد هذا ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وقوله تعالى ورحمة للمؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ثوابا لا انقطاع له انتهى * ثم يستحب للشخص اذا استيقظ من نومه أن يقول الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ويستحب أيضا أن يقرأ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى آخر سورة آل عمران كما ورد بذلك الحديث فى الصحيحين بفعله صلى الله عليه وسلم لذلك ونص على استحبابه القرطبى فى تفسيره ويستحب أيضا الاستياك عقب النوم كما ورد من فعله صلى الله عليه وسلم (وأما الآداب الطبية) فقد نص الحكماء على أنه ينبغى أن يكون النوم بعد الطعام بنحو ساعة فاكثروا فيحدث عنه أحلام رديئة والكابوس وغير ذلك وينبغى أن لا يضطجع على جنب واحد لان ذلك يورث ضخامة فى اعضاء الشطر المضطجع عليه لان السوائل تسيل طبعا لتجمع فى المحل الاوطا ويجب على من يصاب بمرض أو ضخامة فى أحد الاحشاء العضوية أن ينام على الجانب المقابل فعلى من أصيب مثلا بضخامة الكبد أن يعتاد النوم على الجانب الايسر وبالعكس المصاب بمرض طحالى وقس على ذلك قالوا ولا يسوغ للنائم أن يمدد جسمه الا لاجل الراحة قليلا والساعات الاول من النوم يقتضى أن تكون على الجانب الايمن تسهيلا للهضم وتخفيفا للاحلام التى يراها من نام على جانبه الايسر وأما الاضطجاع على القفا فلا يجوز الا قليلا لاجل الراحة لان ذلك الوضع يحدث أمراضا رديئة ما لم يكن معتادا عليه من الصغر وهذا القدر من النوعين كاف هنا (لطيفتان * الاولى) قال الامام القشيرى كان رجل له تلميذان فاختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لان الانسان لا يعصى فى تلك الحالة وقال الآخر اليقظة خير لان الانسان يعرف الله فى تلك الحالة

فقصا كا الى ذلك الشيخ فقال أما أنت الذى قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة وأما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك وفيه اشارة الى ان طول الحياة واليقظة محبوب بان تحصيل معرفة الله تعالى وحسن القيام بطاعته فانه لاثواب بعد الموت ولا ترقى الا لاهل الخير اه ويدل لكون طول الحياة يحصل المعرفة بالله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا وفقنا الله لما يرضيه ولطف بنا فيما يقدره ويقضيه ﴿الثانية﴾ من محاجات بعض المجانين لثمامة بن اشرس أن قال له متى يجد النائم لذة النوم ان قلت فى حال نومه فمحال وان قلت اذا استيقظ فبعيد أن يجد لذة شئ انقضى ومضى فبهت ولم يجد جوابا فقال له المجنون ان النوم داء ولا لذة مع وجوده لانه دفع ألم فقط ﴿قلت﴾ ولهذا لم يكن فى الجنة نوم كما فى البيضاوى عند قوله تعالى وأحسن مقيلا أى لانه دفع ألم ولا ألم فى الجنة ﴿قلت﴾ أخرج البيهقى والطبرانى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أينام أهل الجنة فقال النوم أخو الموت ولا موت فى الجنة ﴿فائدة﴾ قيل للحسن البصرى رضى الله عنه أينام الشيطان فقال لو كان ينام لوجدنا النوم راحة اه وكذلك الملائكة لا ينامون لظاهر قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون والله أعلم وقد ألغز ابن الفارض فى لفظ نوم بقوله

ما اسم بلا جسم يرى صورة * وهو الى الانسان محبوبه
وقلبه تصحيفه ضده * فاعن به يعجبك ترتيبه
حاشيتا الاسم اذا افردا * أمر به والأمن مصحوبه
حروفه أنى تهجيتها * فكل حرف منه مقلوبه

ولابن الجيان ملغزا فيه أيضا

ما اسم مسماه به * يسقط حكم التكليف
وان دخلت البيت بالتصحيف حق التعنيف
بينه فهو فى كتا * ب الله بادى التعريف

وفى نسخة من الناظم واطرح حبله بدل واصرم حبله وعليها فيكون بين جملة وحمله جناس التصحيف ثم قال

٤٢) ﴿لا تجعل التسويف يوما مسكنك * وانتهز الفرص مهما أمكنك﴾

لا ناهية وتجعل فعل مضارع مجزوم بها وكسرته عارضة للتخلص من توالى سكونين وفاعل الفعل ضمير المخاطب مستتر وجوبا والتسويف أى التأخير مفعوله الاول ويوما منصوب على الظرفية عامله الفعل قبله واليوم كما فى القاموس معروف ويجمع على أيام ولم يكسر الا على ذلك وأصل أيام أيوام اجتمعت الياء والواو وسبق أحدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء ويوم من الاسماء الشاذة التى فاؤها وعينها حرف علة ونظيره فى الشذوذ ويح وويل وويس وويب مع ان يوما مخالف لها فان فاءه ياء وعينه واو قال التاكهانى ولا أعلم له نظيرا أعنى وجود اسم ثلاثى فاؤه ياء وعينه واو الا قولهم يوح من أسماء الشمس ومسكنك مفعول ثان لتجعل وانتهز معطوف على جملة لا تجعل ومعنى انتهز انتهض واغتنم والفرص جمع فرصة مفعول بانتهز والفرصة النوبة وهى اسم من تفارص القوم الماء القليل لكل منهم نوبة فيقال يا فلان جاءتك فرصتك أى نوبتك ووقتك الذى تستقى فيه فيسارع له يقال انتهز الفرصة أى شمر لها مبادرا قاله فى المصباح ﴿قال الشريشى فى شرح المقامات﴾ وأصل الفرصة الغنيمة السهلة التى لا يتعب فى أخذها ومهما اسم شرط جازم وأمكنك فعل ومفعول والفعل فى محل جزم بأداة الشرط والفاعل المستتر فى الفعل يعود على الانتهاز المفهوم من لفظ انتهز وجواب الشرط حذف لدلالة ما تقدم عليه والمعنى لا تجعل أيها الطالب التأخير لادراك العلوم وحفظ الامهات مسكنك ومحل اقامتك يوما

من الايام بل اغتنم الفرصة في الاوقات مهما أمكنك ذلك لان انتهاز الفرص من أفضل مايقتنص وهو يدل على المعرفة وذكاء الفهم والاخذ بالحذر والحزم ولبعضهم

بادر اذا حاجة في وقتها عرضت * فللعـــوائق أوقات وساعات
ان أمكنت فرصة فانهض لها عجلا * ولا تؤخر فللتأخـــــير آفات

﴿ولابن نباتة﴾

لحى الله ملئان الفؤاد من المنى * اذا أمكنته فرصة ليس يشعر
يلاحظها حتى يفوت طلابها * ويصبح في ادبارها يتـــدبر

(ومن كلام الحكماء) الفرصة سريعة الذهاب بطيئة الاياب ينتهزها العاقل ويذهل عنها الغافل وفي قول الناظم يوما احتراس لطيف لان قوله لاتجعل التسويف مسكنك أي محل سكناك يوهم ان المنهي عنه هو ملازمة التسويف كملازمة الساكن لمحل سكناه فرفع ذلك بقوله يوما أي لاتجعل التسويف مسكنا لك في يوم من الايام والمقصود هنا باليوم مطلق الوقت فان العرب قد تطلق اليوم وتريد به مطلق الوقت والحين نهارا كان أو ليلا فتقول ذخرتك لهذا اليوم أي لهذا الوقت الذي افتقرت فيه اليك ولا يكادون يفرقون بين يومئذ وحينئذ وساعتئذ قاله في المصباح ومن اطلاق اليوم على مطلق الوقت قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أي وقت حصاده وقوله تعالى الى ربك يومئذ المساق اذ المراد ساعة الاحتضار ومنه أيضا قول سيدنا كعب رضي الله عنه * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * وقول الشاعر * اذا جاء يوما وارد لطلب الغنى * ويطلق اليوم أيضا وهو الاكثر على مقابل الليلة ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهو كثير ويطلق أيضا على مدة القتال كقوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ويطلق أيضا على الدولة كقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وفي قول الناظم لاتجعل التسويف يوما مسكنك تشبيه بليغ بحذف الاداة والاصل لاتجعل التسويف كالمسكن فشبه الحاق المعنوي بالحسي لمزيد الايضاح والبيان فأفاد الناظم رحمه الله ان التسويف بتحصيل العلم وتأخيره من وقت الى وقت مانع من التحصيل وهو كذلك ولله در من قال

اذا كان يؤذيك حر المصيف * وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع * فأخذك للعلم قل لي متى
فخل الاماني وتغريرها * فان العـــلوم تزين الفتى

فاذا حل بالانسان وقت من الاوقات استهان به وكسل وظن ان غيره أولى بتحصيل المأمولات كما قيل

يتمنى المرء في الصيف الشتا * فاذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد * قتل الانسان ما أكفره

وذلك ينتج الحرمان من التحصيل في زمن من الازمان وقد قيل تناكح التواني والكسل فتولد منهما الحرمان وقد قلت

اذا هممت بأمر فامض بته * فآفة الحاج أن يبدو لها كسل

﴿وقال ابن الوردي في لاميته﴾

اطلب العلم ولا تكسل فما * أبعد الخير على أهل الكسل

فلا ينبغي للعاقل التواني عن ادراك محمود الاماني بل ينتهز الفرصة مع الامكان فان الوقت طيف يلم ثم يذهب فكأنه ما كان ولا يدري هل يدرك فيما بعده الأمنية أو تعوقه عنها المنية

مامضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

وقال

(وقال الامام الشافعي رضي الله عنه) استفدت من الصوفية في مجالستهم شيئين قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك وقولهم ان لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر ولبعضهم

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل عاصفة سكون
وان درت نياقك فاحتلبها * فلا تدري الفصيل لمن يكون

وقد عد العلماء عوائق العلم ستة * منها التسويف الذي نهى الناظم عنه * ومنها الوثوق بالذكاء وانه سيحصل الكثير في الزمن اليسير * ومنها أن ينتقل من علم الى آخر قبل تحصيل ما يكفي منه أو من كتاب الى كتاب قبل تكميله * ومنها طلب الحظوظ به وعد هذا عائقا انما هو من جهة فوات الفائدة المعتبرة به كما قاله أبو علي اليوسي رحمه الله * ومنها ضيق الحال والاعسار عما لا بد منه من الكفاية * ومنها الغنى المطغي واقبال الدنيا وتقلد الولايات والتفرغ للشهوات والله الموفق ثم قال

٤٤ ﴿والعزلة الزمها وكسر الجوع * تحز من العلم الاصول والفروع﴾

الواو عطفت جملة على جملة والعزلة مفعول بفعل محذوف يفسره المذكور والضمير البارز في محل نصب يعود على العزلة وهو الشاغل للعامل ويجوز كون العزلة مبتدأ والجملة بعده خبر والاول هو المختار وكسر الجوع معطوف على ماقبله عطف الجمل والجوع جمع جمع وعطف الجملة الثانية على الاولى من عطف أحد المتلازمين على الآخر لانه يلزم من التزام العزلة تكسير الجوع أي ترك الاجتماع بالناس ويلزم من ترك الاجتماع بهم التزام العزلة فكنى بالكسر عن الترك مبالغة لان الشئ اذا كسر لا يقبل عليه ولا يلتفت اليه لزوال الانتفاع المقصود منه ففي قوله كسر استعارة تبعية لوقوعها أولا في المصدر شبه الترك بالكسر بجامع عدم الانتفاع مع كل ثم اشتق من المشبه به وهو الكسر كسر بمعنى اترك ويحتمل أن تكون الاستعارة في قوله الجوع شبهت الجوع بالآنية بجامع الالتئام في كل والكسر قرينة أو ترشيح ان جعلت القرينة هي سياق الكلام وهو العزلة والتبعية أولى والله أعلم وقوله تحز جواب الامرين قبله ومن العلم متعلق بتحز والاصول جمع أصل مفعول بتحز والفروع جمع فرع معطوف عليه والمراد بالاصول أمهات المسائل وبالفروع ما تولد منها واستنبط وذلك كناية عن العموم لكن ادعاء للمبالغة لا حقيقة اذ لا يحيط بالعلم الا الله قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم وللشافعي رحمه الله

لن يبلغ العلم جميعا أحد * لا ولو حاوله ألف سنه
انما العلم عميق بحره * فخذوا من كل شئ أحسنه

﴿وقيل أيضا﴾

ما أكثر العلم وما أوسعه * من ذا الذي يقدر أن يجمعه
ان كنت لا بد له طالبا * محاولا فالتمس أنفعه

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما) العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شئ أحسنه وكذا روي عن وهب بن منبه أنه قال العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا منه أحسنه ويحتمل أن يراد بالاصول علم الاصول وبالفروع علم الفروع والاول أولى لانه يشمل هذين العلمين وغيرهما ﴿والمعنى﴾ الزم أيها الطالب العزلة واترك الاجتماع بالناس لتحوز حظا وافرا من العلم وفي كلام الناظم حض لطالب العلم على العزلة أي الفرار من الناس وترك الاجتماع بهم وتقدم قول القائل

لا يدرك العلم بطال ولا كسل * ولا ملول ولا من يألف البشرا

وليس مراد الناظم انه يتأكد على الطالب ترك الاجتماع بالناس رأسا بل المراد ترك الاجتماع بمن لا يزيده علما أو يفيده فهما بدليل قوله فيما يأتي واتخذن خلا الخ وقد قال الشيخ خليل في جامعه عطفا

على ما يلزم المكلف ثم التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق الا مالا بد منه من طلب علم نافع أو معيشة اه ونقل الحطاب فى ديباجة شرح المختصر عن السيوطى فى حاشية الموطا فى كتاب الجهاد أن عبد الله العمرى كتب الى مالك يحضه على الانفراد والعمل وترك اجتماع الناس عليه فى العلم فكتب اليه مالك ان الله قسم الاعمال كما قسم الارزاق فرب رجل فتح له فى الصلاة ولم يفتح له فى الصوم وآخر فتح له فى الصدقة ولم يفتح له فى الصوم وآخر فتح له فى الجهاد ولم يفتح له فى الصلاة ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح الله لى من ذلك وما أظن ان ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلنا على خير ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام اه فانظر كيف رأى مالك الاجتماع على العلم أفضل من العزلة والانفراد (وقال القسطلانى فى شرح البخارى بعد كلام فيه الحض على العزلة) نعم يجب المخالطة لتحصيل علم أو عمل اه (وقال ابن عباد فى شرح الحكم بعد كلام فى الحث عليها أيضا) وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعات آدابه الباطنة اه وقال بعض شراح الحكم أيضا وهذا أى الاعتناء بالعزلة فى حق الذى يسلك بنفسه فان كان تحت تربية شخص فلا بد من مخالطته ومخالطة الاخوان الذين يعينونه على سلوك الطريق اه وقال أبو العتاهية

وحدة العاقل خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

وقال أبو عبد الله الحميدى الميورقى صاحب الجمع بين الصحيحين

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

وقد جاء فى الحض على العزلة من الاحاديث وكلام الناس شئ كثير (ففى كتاب الرقاق من صحيح البخارى) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الناس خير قال رجل جاهد بنفسه وماله ورجل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره قال النووى وليس المراد نفس الشعب خصوصا بل المراد الانفراد والاعتزال وذكر الشعب مثالا لانه خال عن الناس اه والشعب بالكسر ما انفرج بين جبلين (وفى البخارى عن أبى سعيد أيضا) أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول يأتى على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وقوله شعف بفتح الشين المعجمة والعين المهملة بعدها فاء أى رؤس الجبال (قال القسطلانى) وفى قوله يأتى على الناس زمان الخ اشارة الى ان خيرية العزلة تكون فى آخر الزمان أما زمنه صلى الله عليه وسلم فكان الجهاد فيه مطلوبا وأما بعده فيختلف باختلاف الاحوال وقد قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولابد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه ومن حق العبد اذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره اه أى كلام القشيرى وفى العزلة فوائد التفرغ وانقطاع طمع الناس عنه وعتبهم عليه والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ويحصل بالمخالطة غالبا الغيبة والرياء والمخاصمة وسرقة الطبع الرذائل (قال الجنيد) مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة اه وانما كان ذلك لان مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة وردها عما تشتهيه بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم وأغراضهم وما يبدو منهم من الاذى وما يحتاج اليه من الحلم والصفح اه كلام القسطلانى (وقال أيضا) فى باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول عائشة رضى الله عنها ثم حبب اليه الخلاء وفيه تنبيه على فضل العزلة لانها تريح

القلب من أشغال الدنيا وتفرغه لله فيتفجر منه ينابيع الحكمة والخلوة أن يخلو عن غيره بل وعن نفسه بربه وعند ذلك يصير خليقا بأن يكون قالبه ممرا لواردات علوم الغيب وقلبه مقرا لها اهـ وأخرج ابن عساكر عن أم مبشر بنت البراء بن معرور قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ألا أخبركم بخير الناس قالوا بلى يارسول الله فقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله وقال ألا أخبركم بخير الناس بعده قالوا بلى يارسول الله قال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وقد اعتزل شرور الناس (وفي الحديث) خص البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم (وقال سيدي ابن عطاء الله نفعنا الله به في الحكم) ما نفع القلب شيء مثل العزلة يدخل بها ميدان فكرة اهـ (وذكر سيدي ابن عباد في شرحها) ان أنفع الوجوه التي يداوى بها أمراض القلوب العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنيئة ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في مثل هذا * ثم قال وبالعزلة أيضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها * ثم قال وبالعزلة أيضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية ولا ينبغي لاحد أن يستحقر هذا فانه يؤدي الى أمراض عظيمة في القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها اهـ (وقال السهروردي في عوارف المعارف) اعتبرت الاحوال والمقامات فرأيت جميعها ثلاثة أشياء بعد الايمان وصحة عقوده وشروطه فصارت أربعة من تحقق حقائق هذه الاربعة يلج في ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق بكلمات الله المنزلات ويحظى بجميع الاحوال والمقامات والثلاثة التوبة النصوح والزهد وتحقيق العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الاعمال القلبية والقالبية من غير فتور ولا قصور قال ويستعان على هذه الاربع بأربع أخر بها تمامها وقوامها وهي قلة الطعام وقلة الكلام وقلة النوم والاعتزال من الناس واتفق المشايخ ان هذه الاربع بها تستقر المقامات وتستقيم الاحوال وبها صار الابدال أبدالا (وفي التنبيه) قال سهل بن عبد الله اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال أبدالا اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وفي ذلك يقول القائل

يامن يريد منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النفيس الغالي

(وقال القشيري في رسالته) سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل الى زيارة أبي بكر الوراق فلما أراد أن يرجع قال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ووجدت شرهما في الكثرة والاختلاط (وقال سيدنا عمر رضي الله عنه) خذوا بحظكم من العزلة (وقال ابن سيرين) العزلة عبادة (وقال الفضيل) كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا

وبالموت واعظا (وقيل) اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا * وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى عظنى قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد (وقال الحسن رحمه الله) كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا (وقال وهب بن الورد) بلغنا ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشرة فى عزلة الناس (وقال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار) ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم (وقال سفيان الثورى) هذا وقت السكوت وملازمة البيوت (وقال بعضهم) كنت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت * ولا أمر يحاذره يفوت

قضى وطر الصبا وأفاد علما * فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعى لرجل تفقه ثم اعتزل * وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثورى يقول والله الذى لا إله الا هو لقد حلت العزلة قال الغزالى عقب نقله فى كتابه منهاج العابدين قلت أنا ولئن حلت فى زمانه ففى زماننا هذا وجبت وافترضت اه (وقال بشر بن عبد الله) أقل من معرفة الناس فانك لا تدرى ما يكون يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا * ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال ألك حاجة قال نعم قال ما هى قال أن لا ترانى ولا أراك ولا تعرفنى (وقال رجل لسهل) أريد أن أصحبك قال اذا مات أحدنا فمن يصحبه الى الآخرة فليصحبه الآن * وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت انى فى مكان أرى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل وقال يا ويح على أفلا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى (وقال الفضيل أيضا) من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه (وقال ابن عباس رضى الله عنهما) أفضل المجالس مجالس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى (وقيل لعمر بن عبد العزيز) لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى (وقال أبو معاوية الضرير) فى خصلتان ما يسرنى بهما رده بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الى (وقال اعرابى) رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس * يحكى * أن سفيان بن عيينة رأى سفيان الثورى فى المنام فقال له أوصنى فقال أقلل من معرفة الناس ثلاث مرات * وقال مالك بن دينار لراهب عظنى فقال ان استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل (وقيل لسقراط) لم لا تعاشر الملوك فقال وجدت الانفراد بالخلوة أجمع لدواعى السلوة (وقال بعضهم) توحد ما أمكنك فمن وطئته العيون وطئته الارجل (وقال بعض الحكماء) العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن اخوانه (وقال حاتم الاصم) الزم بيتك فان أردت الصاحب فالله يكفيك وان أردت الرفيق فرفيقاك يكفيانك والقرآن يؤنسك وذكر الموت يعظك (وقال بعضهم) العزلة من الناس تبقى العرض وتبقى الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافأة فى الحقوق الواجبة (وقال مكحول) ان كان الفضل فى الجماعة فان السلامة فى الوحدة والعزلة (وقال بعضهم) من لزم الخلوة بربه حصل فى العيش الامتع والحال الامنع ولسيدنا على رضى الله عنه من قصيدة تنسب له على ما فى نسبتها له

كن ما استطعت عن الانام بمعزل * ان الكثير من الورى لا يصحب

﴿وقال الامام الشافعى رضى الله عنه﴾

فطوبى لنفس وطنت قعر دارها * مغلقة الابواب مرخى حجابها

﴿وقال عبد المحسن الصورى﴾

أنست بوحدتى حتى لوآنى * رأيت الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الامات عنه

(وقال أبو فارس اللغوى)

اذا ازدحمت هموم القلب قلنا * عسى يوما يكون لها انفراج
نديمى هرّتى وأنيس نفسى * دفاترلى ومعشوقى السراج

(وقال محمد بن رجاء)

ولما رأيت الخير قد قل أهله * ولم يبق الا ناقص وخسيس
تفرّدت بالآداب حتى ألفتها * ومالى سوى أخبارهنّ أنيس
وما الخير الا فى التفرّد للفتى * وما الشرّ الا صاحب وجليس

وقال القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى

ماتطعمت لذة العيش حتى * صرت فى وحدتى الكتبى جليسا
انما الذل فى مداخلة النا * س فدعها وكن كريما رئيسا
ليس عندى شئ أجل من العلـ * م فلا ابتغى سواه أنيسا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
وقد نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

(وقال أبو حامد الغزالى)

مافى اختلاط الناس خير ولا * ذو الجهل بالاشياء كالعالم
بالاثم فى تركهم جاهلا * عذرى مكتوب على خاتمى

وكان مكتوبا على خاتمه وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وقال أبو سليمان الخطابى

قد أولع الناس بالتلاقى * والمرء صب الى مناه
وانما منهم صديقى * من لا يرانى ولا أراه

(وقال أيضا)

اذا خلوت صفا ذهنى وعارضنى * خواطر كطراز البرق فى الظلم
وان توالى صياح الناعقين على * اذنى عرتنى منهم حلكة البهم

(وقال ابن أبى هيان)

ان أمس منفردا فالليث منفرد * والبدر منفرد والسيف منفرد

(وقال بعضهم)

لاتركنن الى بشر * ان شئت تأمن كل شر
لم يبق الاشامت * أو من يضرّ اذا قدر

(وقال القاضى أبو بكر بن عطية)

بلوت فلم أحمد فأصبحت آيسا * ولاشئ أشفى للنفوس من الياس
جفوت اناسا كنت آلف وصلهم * ومابالجفا عند الضرورة من باس
فلا تعذلونى فى انقباضى فاننى * رأيت جميع الشرّ فى خلطة الناس

(وقال آخر)

عفا الله عن هذا الزمان فانه * زمان عقوق لا زمان حقوق
وكل رفيق فيه غير موافق * وكل صديق فيه غير صدوق

﴿وقال آخر﴾

خلطة الناس فساد ونكد * ما أرى الخلطة خير الاحد
انما الناس كشوك نابت * كيف ينجو من على الشوك رقد

﴿وقال آخر﴾

يا قلب كن بالله مستأنسا * ومن بنى الايام مستوحشا
واغمض عن المكروه ان ذقته * واصبر لذى بطش اذا بطشا
فسوف يغنيك إله الورى * ويبدل الاحوال كيف يشا

﴿وقال آخر﴾

كن لقعر البيت حلسا * وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد خلا * أو ترد اليوم أمسا

﴿وقال الصلاح الصفدى﴾

لزمت بيتى كلزوم البنا * فى الفعل والحرف على الاصل
واستوحشت نفسى حتى لقد * نفرت لو امكن من ظلى

﴿وله أيضا﴾

وجدت فى عشرة صحبى أذى * لما لزمت البيت فى الوقت زال
واعجبا من أشعرى غدا * يحمد رأى الناس فى الاعتزال

وقلت أنا وقد بدا لى جفا ممن كنت أظن منه الوفا

ما فى زمانك من ترجى مودته * فاهرب بنفسك لا تركن الى الناس
واستغن بالله فى كل الامور تجد * أمداده قد وفت تهمى بايناس

والكلام فى الحث على العزلة كثير يكفى منه هذا النزر اليسير وقد خص مدحها بالتأليف فاضل شيخنا العلامة أبى عبد الله جنون رحمه الله تأليف فى ذلك سماه نصيحة ذوى الهمم الاكياس فى التحذير من خلطة الناس ولبعض الادباء من أصحابنا تأليف فى مدحها سماه التنبيه من الغفلة فى الحث على العزلة وممن ذهب الى اختيارها على الخلطة من التابعين جماعة كسفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى وذهب جمع منهم الى اختيار الخلطة وتكثير الاخوان كسعيد بن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وشبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن أبى عيينة وابن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل اعتبارا لما لها من الفوائد كالتعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والايناس ونيل الثواب وانالته والتواضع واكتساب التجارب الى غير هذا وقد من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالالفة بين المؤمنين فقال هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وفى الخبر) ان أحبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون (وقال أبو يعقوب السوسى) الانفراد لا يقوى عليه الا الاقوياء ولامثالنا الاجتماع أنفع يعمل بعضهم على رؤية بعض كما قال أبو عثمان المغربى الخلوة والسماع لا يصلحان الا للعالم الربانى وقد تنزل الامام الغزالى فى الاحياء لحجة كل من الفريقين وفائدة كل من الطريقين وقال الى اختيار العزلة

ورجح المرجحين للمخالطة ثم قال اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال اهـ ونحوه له في كتابه منهاج العابدين ثم قال الناظم

٤٦ ﴿وكن به محتسبا لله * لا لتفاخر ولا تباهي﴾

الواو عطفت هذه الجملة على ماقبلها وبه متعلق بالفعل الناقص والضمير المجرور بالباء عائد على العلم واسم كن هو ضمير المخاطب ومحتسبا خبرها يقال احتسب بكذا اذا نوى به وجه الله ولله متعلق به ولا عاطفة ولتفاخر معطوف على اسم الجلالة ولا تباهي معطوف بالواو على تفاخر من عطف المفردات لان لا لا تعطف الجمل ولا الثانية لتأكيد النفي والتفاخر مصدر تفاخر اذا أظهر الفخر أي العلو والشرف والتباهي مصدر تباهى اذا تفاخر فعطف الثاني على الاول من عطف المرادف ﴿والمعنى﴾ كن أيها الطالب ناويا بعلمك وجه الله تعالى لا الفخر والمباهاة به للناس ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير من رواية الترمذي عن كعب بن مالك وذكره في الكبير من رواية البيهقي بلفظ من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس اليه فهو في النار (وقال الامام مالك رضي الله عنه) اذا أحب العالم أن يعرف بالعلم فهو شر من ابليس قال السيد عبد الوهاب الشعراني في كتابه تنبيه المغترين قلت ولعل مراده رضي الله عنه أن يعرف لغير غرض شرعي اهـ أي كاشهار علمه ليقتدي الناس به فيه أو نحو ذلك فان تعريفه للناس بعلمه محمود وحينئذ اذا سلم من العوارض والله أعلم * ومن المباهاة بالعلم المحرمة الجدال والمراء فيه ففي الحديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال (وقال الامام مالك رضي الله عنه) الجدال ليس من الدين في شئ (وقال رضي الله عنه أيضا) المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن (وقال ميمون بن مهران) لا تمار من هو أعلم منك إنه يختزن عنك علمه ولم تضره شيأ (وقال لقمان لابنه) من لا يملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم يا بني لا تمار العلماء فيمقتوك (وقال بلال بن مسعدة) اذا رأيت الرجل لجوجا ماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته (ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه)

اني منحتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق
اني بلوتهما فلم أحمدهما * لمجاور جارا ولا لرفيق

وما ألطف قول ابن الرومي من شعر عازح فيه صديقا له

لكن في الشيخ غريزة * يخاصم الله بها في القدر
مالم يكن كان ومالم يكن * لم لم يكن فهو وكيل البشر

ثم ان الجدال انما يحرم ويكون من باب المباهاة بالعلم اذا لم يكن لرد باطل أو اثبات حق بل لاظهار الغلبة والحام الغير واظهار الفضل والشرف عند الناس واستمالة قلوب الناس اليه لما ينشأ عنه من المفاسد

كالكبر والعجب والحسد والحقد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه والكذب والفرح باساءة المجادل والاستكبار عن الحق وغير ذلك فتبين من هذا ان حكم الجدال تابع لقصد صاحبه وان الذى يجب تركه من ذلك أنواع خاصة منها جحد الحق بعد ظهوره تمنتا وعنادا ومنها اظهار الخلل فى كلام الغير لينسب شرف العلم لنفسه والجهل لغيره ومنها قصد أن يسمع قوله أو يعرف بالفصاحة والبلاغة وان كان محقا لما اقترن به من المفاسد ففى الحديث من ترك الجدال محقا بنى الله له قصرا فى الجنة وقال الشافعى رضى الله عنه ماذا كرت أحدا وقصدت الخامه وانما أذاكره لاظهار الحق من حيث هو حق ومنها مناظرة أهل البدع قال القاضى عبد الوهاب لان فى مناظرتهم بسطا معهم وتأمينهم واظهار بدعتهم واعلان ضلالهم وهو ضد ما يجب من هجرانهم ومعاقبتهم واخفائهم وترك مواصلتهم والسلام عليهم وقال الشيخ زروق الكلام مع أهل الاهواء ومنازعتهم ضرر فى الغالب ولا نفع فيه الا النادر والنادر لا حكم له اه ولذلك قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لمن أراد أن يناظره أما أنا فعلى بينة من ربى فان كنت شاكا فاذهب الى شاك مثلك فناظره ومثل هذا روى عن الامام مالك رضى الله عنه ومنها مخاصمة من غلب على الظن انه لا ينفع معه الجدال وأما غير هذه الانواع فلا ينهى عن الجدال فيه بل هو مشروع بدليل الكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فقد حكى الله فى مناظرة الانبياء مع أممهم كقصة نوح مع قومه حتى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقال تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن وقال تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وقال تعالى يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآية وقد سمى الله ذلك من ابراهيم حجة فقال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وأما السنة ففى الصحيح تحاج آدم وموسى ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة فمن أعدى الاول وأما الاجماع فقال ابن القصار أجمع الصحابة على جوازه وفعله ومضى على ذلك السلف وتبعه الخلف قال بعضهم والقول الجامع فى ذلك ان الجدال ان استلزم مفسدة فهو المذموم الممنوع شرعا وان لم يستلزم مفسدة فان لم يستلزم مصلحة أيضا فهو المباح وتركه أولى وان استلزم مصلحة فهو مندوب اليه وقد يجب وذلك بحسب الاشخاص والازمان اه والله أعلم ثم قال الناظم

(٤٧) ﴿واعمل بما علمت فهى الحكمة * واشكر اذا أعطيت تلك النعمة﴾

الواو عاطفة جملة اعمل على جملة كن محتسبا فى البيت قبله وبما متعلق باعمل وعلمت صلة الموصول المجرور بالباء والعائد محذوف أى علمته والفاء فى قوله فهى الحكمة زائدة لتزيين اللفظ ومدخولها مبتدأ والحكمة خبره والضمير المبتدأ عائد على العمل المأخوذ من لفظ اعمل على حد قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴿فان قلت﴾ الضمير فى كلام الناظم مؤنث ومعاده مذكر ﴿قلت﴾ نص الزمخشرى وغيره على أن الضمير اذا توسط بين مرجع وخبر مختلفين بالتذكير والتأنيث جاز فيه الوجهان التذكير والتأنيث غير أن الاولى مراعاة حال الخبر لانه محط الفائدة ومن ذلك ما هنا وقوله اشكر معطوف على اعمل واذا ظرف مضمن معنى الشرط منصوب بجوابه المحذوف لدلالة ما تقدم عليه وأعطيت جملة من فعل ونائب عن الفاعل فى محل جر مضافة اليها اذا وتلك مفعول ثان لاعطيت والاشارة للعمل بالعلم الذى علمته والنعمة بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه ﴿والمعنى﴾ أن فائدة العلم وحكمته هى العمل به فان وفقك الله للعمل به فاشكره على هذه النعمة العظيمة اذ أعظم النعم على العبد بعد الايمان والكون من هذه الامة هو العلم مع العمل به كامر فعلى من تفضل عليه مولاه بهذه النعمة أن يشكرها لان من شكر النعم فقد قيدها بعقالها ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها كما فى الحكم وقيل الشكر ترجمان النية ولسان الطوية وشاهد الاخلاص وعنوان الاختصاص وقد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم

والشكر المأمور به هو الشكر العرفي الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله وهو العبادة قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وعنه عبر الجنيد بقوله الشكر أن لا يعصى الله بنعمه (قيل لابي حازم) ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا استرته قيل فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قيل فما شكر اليدين قال أن لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قيل فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قيل فما شكر الفرج قال كما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الآية قيل فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته استعملتهما في عمله وان رأيت شيأ مقته كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله تعالى والشكر بهذا المعنى هو المراد في آية وقليل من عبادي الشكور أن اشكر لي ولوالديك وحديث أفلا أكون عبدا شكورا وليس الشكر المأمور به هو قول الانسان بلسانه اشكر الله لان الشاكر بهذا المعنى كثير والشاكر حقيقة قليل كما في الآية نعم الشاكر بلسانه أتى ببعض المأمور به وهو صرف اللسان في العبادة وهو مطالب بالباقي كما قال سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في شرح الحصن وفقنا الله لشكر نعمائه وأمدنا بما مد به خواص أصفيائه ثم قال الناظم

(25) ﴿فالعلم ان لم تك عاملا به * فهو عليك لا اليك انتبه﴾

الفاء زائدة لتزيين اللفظ أو واقعة في جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ما مر من أن العمل بالعلم هو الحكمة فالعلم الخ ومدخول الفاء مبتدا وان حرف شرط جازم ولم حرف جازم أيضا وتك مجزوم بالثاني وهو ولم لا بان قال أبو البقاء في قوله تعالى فان لم تفعلوا الا ان لم عامل شديد الاتصال بمعموله ولم يقع الا مع الفعل المستقبل في اللفظ وان قد دخلت على الماضي في اللفظ وقد وليها الاسم كقوله تعالى وان أحد من المشركين اه وعلامة جزم تك سكون ظاهر على النون المحذوفة تخفيفا وجملة لم تك في محل جزم بان الشرطية كما تدخل على الفعل المنفي بلا فيكون حرف النفي والفعل المنفي في محل جزم نحو الا تفعلوه قاله الجمل في حاشية الجلالين نقلا عن السمين ونون مضارع كان تامة كانت أو ناقصة تحذف بأربعة شروط * الاول أن يكون المضارع مجزوما والامر فوعا نحو من تكون له عاقبة الدار ولا منصوبا نحو وتكون لكما الكبرياء في الارض * الثاني أن يكون مجزوما بالسكون لا بحذف النون نحو وتكونوا من بعده قوما صالحين * الثالث أن لا يتصل به ضمير نصب نحو ان يكنه فلن تسلط عليه * الرابع أن لا يليه متحرك نحو لم يكن الله ليغفر لهم وخالف في هذا الاخير يونس فأجاز الحذف حينئذ تمسكا بقوله

فان لم تك المرآة أبدت وسامة * فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

وأجيب بحمله على الضرورة وانتصار ابن مالك في التسهيل ليونس مردود وقد مشى في الكافية على مذهب الجمهور اذ قال

ويك في يكن أجز ما لم يصل * بساكن والحذف نزرا قد نقل

وزاد العلامة الصبان شرطا خامسا وهو أن يكون ذلك وصلا لا وقفا ذكره في حواشي الاشموني عند قول ابن مالك ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون الخ ﴿قلت﴾ وهذا الشرط الخامس مثله في التصريح وغيره ونقله ابن هشام في شرح القطر عن ابن خروف واستحسنه قال لان الفعل اذا بقي على حرفين نحو يلم وأريد الوقف عليه التزم الاتيان بهاء السكت في آخره ورد الحرف الاصلي أولى من اجتلاب حرف أجنبي أي الذي هو هاء السكت لكن في كلام ابن هشام في التوضيح في باب الوقف عند قول ابن مالك وليس حتما في سوى ما كع أو * كيع الخ ما يقتضي عدم اعتبار هذا الشرط الخامس فانه

قال أجمع المسلمون على الوقف على لم أك من غير اتيان بهاء السكت وارتضاه الاشمونى والصبان فى المحل المشار اليه وعليه فحذف الشرط الخامس فى كلام الصبان فى باب كان هو الصواب نعم يقال الاولى عدم حذف النون فى الوقف كما يؤخذ من كلام ابن هشام فى شرح القطر ويجوز الوقف بالسكون مع حذف النون وقد يقال تصحيح الكلام ابن هشام والصبان فى الموضعين معا وجمعا بينهما ان الشرط الخامس معتبر هنا فلا يجوز حذف نون يكن الا فى الوصل ولا تحذف فى الوقف فان أريد الوقف ردت النون لكن محله مالم يمنع مانع من رد النون فان من وقف فى الآية على لم أك منعه من رد النون رسم المصحف لئلا يغيره فان وقع ذلك فى غير القرآن ردت النون عند الوقف اذ هى أولى لاصالتها من اجتلاب هاء السكت فتأمله والله أعلم واسم تك فى كلام الناظم هو ضمير المخاطب وعاملا خبرها وبه متعلق بالخبر والضمير المجرور بالباء عائد على العلم والفاء الداخلة على الضمير رابطة للجواب بشرطه وهى لازمة لوقوع الجواب جملة اسمية ومدخولها الذى هو الضمير مبتدأ عائد على العلم وقوله عليك خبره والجملة فى محل جزم جواب الشرط ولا نافية عاطفة واليك جار ومجرور معطوف على الجار والمجرور قبله وقوله انتبه جملة من فعل أمر وفاعله المستتر كمل بها البيت وهذا البيت تأييد لما قبله اذ معناه أن العلم ان لم تعمل به فهو حجة عليك وليست فائدته حينئذ راجعة اليك فانتبه ولا تغتر وتفرح بالعلم من غير عمل أى لانه وبال على صاحبه كما مر بعض ما يدل لهذا من الاحاديث والآثار فان لم تعمل صار جمع العلم عليك حجة فان عملت بما تعلم ورثك الله علم مالم تعلم وان لم تعمل بما علمت فلا يفيدك طلب مالم تعلم الا ثبوت الحجة عليك قال أبو العباس الشيرازى فتأمل بعقلك ان كانت تنفعك النسبة الى العلماء بالاسم دون حقيقة بل لا ينفعك اسم العالم بالمقال اذا انتسبت أفعالك الى الجهال فما أبعدك أيها المغرور عن رتبة العلماء حين سفل بك عجزك الى رتبة أهل البطالة تجمع حكم الاولياء وطرائف الحكماء وتجرى فى العلم مجرى السفهاء وشغلت نفسك باعراب الاقوال ونسيت اعراب الافعال فأصبحت أقوالك معربة بلا لحن وعدت أفعالك ملحونة بلا وزن وليس من الانصاف أن تحسن أقوالك وتقبح أفعالك وليس العلم لك على ذلك بدليل لكن جهلك غلب على علمك وهواك استولى على عقلك واشتغلت تجمع العلم بلا عمل ولست بمأجور عليه * عن عبد الرحمن بن عامر قال حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم فى مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عليه حتى تعملوا على ان لفظ العالم فى عرف الشرع لا يطلق الا على العامل فقولهم فى التحلية العالم العامل انما هو وصف كاشف ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالما حتى يكون عاملا * وتذكرت هنا قضية وقعت لى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حين رحلتى للحج والزيارة فى سنة سبعة وثلاثمائة وألف عام وذلك أنى كنت حريصا على لقى العلماء والاخيار لالتماس دعاء الخير وطلب الاجازة ممن عليه فى العلم المدار فلما اجتمعت فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بالشيخ الامام العلامة الهمام البركة المحدث الكامل ذى الخلق الجميل والبر الشامل الاديب البارع التقى الخاشع شيخنا اجازة وافادة الافندى عبد الجليل برادة أدام الله اجلاله وحلى بالمكارم كماله فحمله على ما رأى منى من الحرص على الاجتماع بالعلماء على أن مدح لى بعض الاعلام بمزيد الاتقان والذكاء خصوصا علم اللغة العربية ذات الشرف البادى حتى أنه حفظ ما فاق به المجد الفيروزابادى وحضنى على الاجتماع به والاقتباس من أدبه فلم أجد من نفسى مالى بها من العهد من الحرص على مثل هذا بانجاز ذلك الوعد فكان من عجيب الاتفاق أن دعانى عشية ذلك النهار بعض أهل تلك الآفاق لنقيعة عنده فى زوال غد ذلك اليوم وكنت مدعوا لها فى جملة

من القوم فلبيت دعوته في ميقاتها واجتمعت الجماعة في موعود أوقاتها فلما أشرفت على منزل الداعي تعرض لي بالترحيب وصحبته شخص في البرور بي ساعي فقال له صاحب المنزل يعرفه على عادتهم فيمن حضر مجلسا فيه من لا يعرفه ان هذا شريف عالم من حضرة فاس ورد للحج وزيارة النبي طيب الانفاس والتفت الي أيضا وقال مشير الشخص المذكور هذا عالم جليل بكمال ضبط اللغة مذكور فكشف لي الحال أنه المعترف السابق وقلت في نفسي هذا فاضل طالع عنه بالفضل سابق فأعطيته حقه من التعظيم الواجب بكمال أدب وقاب واجب مع مراعاته أيضا مقتضى الوصف الذي سمعه ظنا منه أني ممن أتقن علما أوجمعه فجعل يتعرض للمذاكرة وأنا أبدي من ذلك منافرة علما مني بأني لست ممن يتقدم لذلك الميدان وقلت هيهات قد حيل بين العير والنزوان على اني جملة من الاغبياء وليس معنا ثالث من الاذكياء فلما ان رأيت الحاجه تحليت بالسماحه وتنزلت معه لما أراد ووفيته المراد مستحضرا ثناء العالم المذكور عليه واقراره بفضله لديه فكان أول مادار بيننا وجمعنا به بيننا أن قال لي انك من علماء المغرب ومن حقك أن تبسط الجناح بالمذاكرة وتعرب فقلت رعاك الله اني لست ممن يوصف بالعالم لاني لم أتصف بالعمل الذي هو شرط في جواز الوصف شرعا بعالم فالتفت عن الغضب مسفرا وقال لي منكرا أفلا يوصف العالم بهذا الوصف الامع العمل فقلت نعم والالم يبلغ ذلك الامل فجعل يتعجب ويقول هذا أمر يقضي بالعجب وقلت في نفسي لعل الرجل قاصر على علم اللغة وليس له من غيره بلغة وقلت له اسمع رعاك الله كلاما لا يوصف بالمين ان الكلام عندنا في مقامين مقام اللغة ومقام الشريعه واسمع من القول في كل منهما بديعه أما العالم في اللغة فهو من مادة علم يوصف به من عرف شيأ من الفعل أو الكلام فالنجار مثلا يقال فيه عالم أي بحرفته والعالم من غير عمل يقال فيه عالم بما اكتسبه من فطنته فالعالم من هذه الجهة يوصف به الشخص مطلقا وان لم يكن العمل له محققا وأما العالم في عرف الشرع اذا أطلق كتابا أو سنه فهو العالم العامل بما شرعه الرسول وسنه سلمنا أن العرف العام خصه بعالم العلوم ومكتسب الفهوم وكررت عليه هذا التفصيل حتى فهمه من معنا من العوام الذين ليسوا من ذوي التحصيل وهو يجادل بالباطل ويماري ويعاند بان الوصف بالعالم لا يتوقف في الشرع أيضا على كونه على مقتضى العلم جاري فقلت له على سبيل التنزل عسى أن يرجع عن الجدال والتقول ان العلماء صرحوا بما أقوله فقال لي ليس عالم في الدنيا يقوله فقلت له قد نص عليه العلامة سيدي الطالب بن الحاج في حواشي ميارة فقال لي ذلك رجل لم ينتخب من العلم خياره فقلت له ما تقول في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء أتقول في هذا ونحوه ان المراد العالم غير العامل مع تصريح الائمة بان الفضل الوارد في العلم انما هو مع العمل الكامل فظهرت عليه الغلبه ولم يزل يعاند فيما لا يخفى على أصغر الطلبه وجعل يلتفت لبعض الحاضرين من العوام الذين ليس لهم في العلم مسكة ولا بلغة ويقول له اني عذرت هذا السيد لانه لم يتمهر في علم اللغة فرأيت أن السكوت عنه وقاية وجنة وتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الجدال محقا بنى الله له قصرا في الجنة فلما حضر الطعام وطوينا بساط الكلام دعي للأكل فأبى وأبدى من مجالستي هربا وظهر لي أنه لم يجهل الحق بل عرفه وانما جحده تكبرا وأنفه فلما انفض بنا النادي وهو على الجحود متمادي اجتمعت بعد بشيخنا المتقدم ذكره وأنبأته بالخبر وما آل اليه أمره فقال لي ما قلته لك فيه صحيح غير أنه بالانصاف شحيح وهذا الطبع قد عافيه سري والحق معك فيما بينكما جرى ثم لما قفلت من رحلتي وحللت بلدتي اجتمعت مع بعض الاعيان وأعلمته بالقصة وما أبديته من البيان وخبرته

باسم الرجل المجادل فقال لى عندى بغاطه شاهد عادل وذلك أنه جعل بلدة فاس فى رحلته مجازه وطلب من شيخنا أبى عبد الله جنون الاجازه وكان طلبها منه بكتابة كتب له فيها كلاما بديعا كاملا من جملته ان العالم لا يكمل له هذا الوصف حتى يكون عاملا فتحقق عندى ما كان تبين لى من معرفته الحق وكتمه فالحمد لله تعالى فى بدء الامر وختمه *(رجع)* وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله مررت فى سياحتى بحجر مكتوب عليه اقلبنى تعتبر فقلبته فرأيته مكتوبا عليه أنت بما تعلم لم تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وكان عكرمة يقول لا تعلموا العلم الا لمن يعطى ثمنه قيل وما ثمنه قال أن يضعه عند من يعمل به (وكان الشعبى يقول) من آداب العلماء اذا علموا أن يعملوا فاذا عملوا اشتغلوا بذلك عن الناس فاذا اشتغلوا افتقدوا فاذا افتقدوا طلبوا واذا طلبوا هربوا خوفا على دينهم من الفتن ثم يقول ورد فى الحديث أنه سيأتى على الناس زمان يكون عبادهم جهالا وعلماؤهم فساقا انظر أول تنبيه المغترين للامام الشعرانى رضى الله عنه * وقد كان الشيخ أبو العباس المقرى رحمه الله يدرس العلم بالجامع الازهر حين ارتحل من فاس واشتهر صيته فى مصر وانصرفت وجوه الناس اليه فلما فرغ المجلس يوما دنا منه رجل فى أطمار بالية كأنه من الفلاحين وأنشده

العلم لا ينفع الا اذا * به عملت افهم كلام العبيد
لو كان بالعلم صلاح الفتى * لكان ابليس نظير الجنيد

(ومن معناه)

لو أن فى العلم من غير التقى شرفا * لكان أشرف خلق الله ابليس

(وقال حاتم الاصم) ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو ففازوا بسببه وقد هلك (وقال بعضهم) اذا كان العالم يحض على الخير بلسانه و يأتى خلافه بأفعاله فيكون مثله كمثل رجل سكن مع قوم فى مسلك السيل فجاءه الخبر أن السيل أقبل اليهم فان خرجوا من مسلكه والا حملهم فأخبر الرجل القوم بذلك فهربوا من طريق السيل ونجوا وقعد هو فى مسلك السيل حتى جاءه فحمله وغرق ولم ينفعه الخبر وقد كان أعلم بمجىء السيل القوم الذين نجوا منه فكذلك العالم اذا علم العلم ولم يعمل به ثم عمل به المتعلم فانه يفوز بالجنة بسببه و يصير هو الى النار بقبيح عمله * وقال ابن العماد الاقفهسى الشافعى فى صدر منظومته الادبية

وان علمت ولم تعمل على وجل * فسار بحث وقل ياخيبة الامل

(وما أحسن وصية جامعة) أوصى بها بعض العلماء أهل العلم كما فى مسند الدارمى وهى ياصاحب العلم اعمل بعلمك وأعط بفضل مالك واحبس الفضل من مقالك الا بشئ من الحديث ينفعك عند ربك ياصاحب العلم ان الذى علمت ثم لم تعمل به قاطع حجتك ومعذرتك عند ربك اذا لقيته ياصاحب العلم ان الذى أمرت به من طاعة الله ليشغلك عما نهيت اليه من معصية الله ياصاحب العلم لا تكونن قويا فى عمل غيرك ضعيفا فى عمل نفسك ياصاحب العلم لا يشغلك الذى لغيرك عن الذى لك ياصاحب العلم جالس العلماء وزاحمهم واسمع منهم ودع منازعتهم ياصاحب العلم عظم العلماء لعلمهم وصغر الجهال لجهلهم ولا تباعدهم وقربهم وعلمهم ياصاحب العلم لا تحدث بحديث فى مجلس حتى تفهم ولا تجب امرأ عن قوله حتى تعلم ما قال لك ياصاحب العلم لا تغتر بالله ولا تغتر بالناس وان الغرة بالله ترك أمره والغرة بالناس اتباع أهوائهم واحذر من الله ما حذرك من نفسه واحذر من الناس فتنتهم ياصاحب العلم انه لا يكمل ضوء النهار الا بالشمس كذلك لا تكمل الحكمة الا بطاعة الله ياصاحب العلم انه لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ياصاحب العلم كل مسافر متزود وسيجد اذا

احتاج

احتاج الى زاده ماتزود كذلك سيجد كل عامل اذا احتاج الى عمله فى الآخرة ماعمل فى الدنيا ياصاحب العلم اذا أراد الله أن يحضك على عبادته فاعلم أنه انما أراد أن يبين لك كرامتك عليه فلا تحولن الى غيره فترجع من كرامته الى هوانه ياصاحب العلم انك أن تنقل الحجارة والحديد أهون عليك من أن تحدث من لا يعقل حديثك ومثل الذى يحدث من لا يعقل حديثه كمثل الذى ينادى الميت أو يضع المائدة لاهل القبور اهـ فنسأله سبحانه وهو أجود الاجودين أن يوفقنا للعمل بالعلم انه يكون به من الفائزين ثم قال الناظم

(26) ﴿ولتتخذ خلا لبيبا منصفا ❊ بين العباد بالتقى قد وصفا﴾

الواو للعطف واللام الداخلة على الفعل لام الامر والفعل مجزوم بها وخلا مفعوله والخل بكسر الخاء وتضم كما فى القاموس لكن الكسر أكثر كما فى شرحه وهو الصاحب البالغ الغاية فى الصحبة كما قيل ونسب لبشار بن برد قد تخللت مسلك الروح منى ❊ فلذا سمى الخليل خليلا

نسبه له المبار الدين والد

ولبيبا أى عاقلا وصف للمفعول ومنصفا أى عادلا وصف ثان وبين ظرف معمول لقوله قد وصفا وبالتقى متعلق بوصفا وأصل تقى تقو من الوقاية ثم أبدلت الواو ألفا لمكان الفتحة قبلها والجملة من قوله قد وصف بالتقى بين العباد فى محل النعت أيضا لقوله خلا ويحتمل أن يكون قوله بين العباد متعلقا بقوله منصفا والاول أقرب وأظهر ﴿والمعنى﴾ اتخذ أيها الطالب صاحبا عاقلا عادلا موصوفا بين العباد بالتقوى أى ليكون معينا لك على المطلوب ساعيا لك فى المرغوب فانما الرجل بأصحابه وأعوانه وأحبابه ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم ما خرج من مكة مهاجرا الا وصحبته أبو بكر رضى الله عنه ليكون له أنيسا فى الوحدة ورفيقا فى الغربة يركن اليه فى المشورة ويأنس به اذا خلا وقد تقرر ما كان عليه معه فى الغار من الذب والحماية ❊ وموسى عليه السلام لما أمره الله بالرسالة الى فرعون ليدعوه الى الايمان سأل الله تعالى أن يكون أخوه هرون معه قال الله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بالملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه وان نوى شرا كفه عنه ❊ وبالجملة فلابد للانسان من صديق تسكن اليه نفسه ويشكو اليه حزنه وينتصر به على الظالم له ويكون عونا له على ما رآه مما لا يصل اليه وحده وفى الحديث المرء كثير بأخيه وهذا الحديث عده العلماء من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث أيضا عليكم باخوان الصدق فانهم زينة فى الرخاء وعصمة فى البلاء (وقال سيدنا على رضى الله عنه) أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال أيضا كرم الله وجهه الرجل بلا اخ كشمال بلا يمين وأنشدوا

فما المرء الا باخوانه ❊ كما يقبض الكف بالمعصم
فلا خير فى الكف مقطوعة ❊ ولا خير فى الساعد الاجذم

﴿ولآخر﴾

ماضاع من كان له صاحب ❊ يقدر أن يرفع من شانه
وانما الدنيا بسكانها ❊ وانما المرء باخوانه

(وفى الحديث) من أحدث أخا فى الله أحدث الله له بيتا فى الجنة وفيه تمار فوافقا لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة (وعن سيدنا على) من كان له صديق حميم فانه لا يعذب يوم القيامة ألا ترى كيف أخبر الله عن أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم (وفى الحديث) أكثروا من الاخوان فان الله حيى يستحيى أن يعذب أحدا بين اخوانه (وقال سيدنا على رضى الله عنه) الغريب من ليس له حبيب (وقال سيدنا عمر رضى الله عنه) لقاء الاخوان جلاء الاحزان (وقال ابن المعتز) من اتخذ اخوانا كانوا له أعوانا (وقيل)

الصديق المساعد عضد وساعد ولبعضهم

هموم رجال فى أمور كثيرة * وهمى فى الدنيا صديق مساعد

(وقال المغيرة بن شعبة) تارك الاخوان متروك وقالوا من لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والحرمان وقالوا اتخاذ الاخوان مسلاة للاحزان وقالوا مثل الصديق كاليد توصل باليد والعين تستعين بالعين (وقال زياد) خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء (وقال أبو عثمان التجيبى)

ان الصديق لعون * فى كل ماتبتغيه

فلا تسئ لصديق * واحذر وقوعك فيه

فالمرء قيل كثير * بنفسه وأخيه

(وقال بعض الحكماء) ينبغى للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه (وقال الثعالبى) الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة للماء المعين وقالوا الصديق ثانى النفس وثالثة العينين (وقال القاسم بن محمد) جعل الله فى الصديق عوضا من ذى الرحم المدبر وقال رجل لابن المقفع أنا بالصديق آنس منى بالاخ قال صدقت الصديق نسيب الروح والاخ نسيب الجسم (وقال أكثم بن صيفى) القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة والى هذا المعنى يشير الشاعر

ما القرب الا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب بالنسب

كم من قريب بعيد الود مطعن * ومن بعيد سليم الود مقترب

(وقال سيدنا على كرم الله وجهه)

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور

وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

(وقال آخر)

اصحب من الناس من ترجى مودته * فى كل أرض فان الدهر جلاب

من لا خليل له فى الناس ليس له * فى الرزق شئ ولا فى الارض أسباب

(وقال ابن عبد الحكم)

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد

وعظم صغير القوم وابدأ بحقه * فمن خنصرى كفيك تبدأ فى العد

(وقال بعضهم) العيش اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان وقيل حلية المرء كثرة اخوانه (وقال المأمون للحسن بن سهل) نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطىء والنظر الى الحسن من كل شئ قال وأين أنت يا أمير المؤمنين من مصاحبة ذوى العقول قال صدقت وهى أولهن وقالوا لا فاكهة أطيب من مفاكهة الاخوان ولا نسيم أروح من مناسمة الخلان (ولبعضهم)

ماذاقت النفس على شهوة * ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح * فذلك المغبون حق اليقين

(وقيل للحكيم ابرويز) ما شهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الابكار قيل فما شهوة الابد قال أما فى الدنيا فمشاهدة الاخوان وأما فى الآخرة فنعيم الجنة (وقال مكحول الشامى)

احفظ واعى ثلاثة من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله ومن كثر صديقه اشتد أزره ثم ان هذا على أن المراد بقول الناظم خلا الجنس الصادق بالكثير ويحتمل انه أراد خلا واحدا الاما يكون متعددا ويكون مشيرا لمذهب من يرى تقليل الاخوان ليكونوا أخف أثقالا وأقل كلفا (قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه) من كثر أصدقاؤه كثر غرماؤه (وقال ابراهيم بن العباس) الاخوان كالنار قليلها ارتفاق وكثيرها احتراق وعلى هذا المذهب فالقلب الذى هو مسكن المحبة لا يقسم بين اثنين والا كانت المحبة مشوبة بالمين كما قيل

تركت حبيب القلب لا عن ملالة * ولكن لذنب موجب الهجر والترك

أراد شريكا فى المحبة بيننا * وايمان قلبى لا يميل الى الشرك

وكأن هذا فى المحبة التى لم يرد بها طريق الحق بل فى المبنية على أساس الفسق والا فتكثير الاخوان على الصفاء مطلوب عند أهل الوفاء فالاحتمال الاول أظهر وأولى عند من كان المتقى أهلا وقد شرط الناظم رحمه الله فى الخل أن يكون عاقلا لبيبا اذ هو الذى ينبغى أن يتخذ خليلا وحبيبا فان الاحمق لا يثبت على ود ولا يقيم على عهد ففى الحديث صحبة الاحمق شؤم (وقيل) عداوة العاقل أقل ضررا من مودة الاحمق أى لان الاحمق يضرك من حيث ارادته نفعك والعاقل قد ينهاه نهاه عن الاضرار خوف عقباه وقيل

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تثقن بكل أخى اخاء

فان خيرت بينهم فبادر * لاهل العقل منهم والحياء

فان العقل ليس له اذا ما * تفاضلت الفضائل من كفاء

كما شرط الناظم أيضا فيه الانصاف لانه من شيم الاشراف وعدم الانصاف من المصائب الفظيعة المفضية للقطيعة كما قيل

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

(وقال بعض الحكماء) استظهر على من دونك بالفضل وعلى نظائرك بالانصاف وعلى من فوقك بالاجلال تأخذ بأزمة التدبير كما شرط الناظم أيضا فيه أن يكون موصوفا بالتقوى آخذا بحبالها الاقوى لتباح صداقته شرعا وتستلذ معاشرته طبعا وان كانت بعكس ذلك صفاته لم يلق بطالب العلم مصافاته والا كانت قدحا فى مروءته وخللا فى منصبه وعدالته اذ الصحبة حينئذ دليل على المشاكلة وأمارة على المماثلة كما قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال عبد الله بن مسعود ما شئ أدل على شئ من الصاحب على الصاحب وقال سيدنا على رضى الله عنه من قصيدة اشتهر نسبتها له وقد شرحها بعضهم بثلاثة شروح ونسبها له وذكر جماعة أنها لاثير الدين المعروف بالوزير المغربى وانها تسمى إغاثة الاحماق وهذا أقرب

واجعل جليسك سيدا تحظى به * حبرا لبيبا عاقلا متأدب

واختر صديقك واصطفيه تفاخرا * ان القرين الى المقارن ينسب

واحذر مؤاخاة الدنىء لانها * تعدى كما يعدى السليم الاجرب

(وقيل)

اختر لصحبتك من أطاعا * ان الطباع تسرق الطباعا

(وقيل)

من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه * فالشمع آفاته فى صحبة القطن

(وقال بعضهم)

اصحب الناس على ما * كان فيهم وتوخى

كل ذى عقل ودين * فاتخذه لك أخا

أخا بتشديد الخاء لغة فى الاخ وقال بعضهم معتذرا عما لا يقبل

قالت أراك مع الانذال تصحبهم * ومن يصاحبهم فى دهره يهن

لا يصحب المرء الا من يشاكله * متى رأيت الظبا والاسد فى قرن

أجبتها مظهرا عذرى ومنشدها * بيتا به تضرب الامثال فى الزمن

يعمى على المرء فى أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

(وقال آخر)

صاحب ذوى الفضل تسعد من كرامتهم * واخدمهم صادقا واصدقهم خبرا

كم صحبة طوقت من عز نادرا * وصحبة ألحقت من شؤمها ضررا

وشاهدى كلب أهل الكهف مع ضعة * من أجل صحبتهم فى الوحى قد ذكرا

(وقال آخر)

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا

واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

(وقال آخر)

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(ولابى عثمان التجيبى)

انت فى الناس تقاس * بالذى اخترت خليلا

فاصحب الاخيار تعل * وتنل ذكرا جميلا

صحبة الخامل تكسو * من يواخيه خمولا

(وقال الاوزاعى) الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته (وفيه قلت)

فلا تصحبن من تذم به * وصاحب أخى من علت رتبته

اذا لم تكن رقعة الثوب من * مشاكله استبشعت رؤيته

(وقلت أيضا) قصيدة لها سبب وحذفت منها هنا بيتا عميت فيه المقصود بها سامحنى الله واياه

الى متى يا نفس أنت عبا * بلبس المبغض ذات اغترار

تعالى الكل بطبع العلا * حتى الذى من قوم سوء شرار

تجود فضلا حيث لا ينبغى * والفضل لا يحسن فى كل دار

تيقظى ولتزرعى الفضل فى * منبته اذا انجبت القرار

فالزرع فى الارض اذا أخبثت * ضاع وعاد نفعه بالضرار

والاصل ان كان رديأ فان * تعزه كساك ثوب الصغار

فالجود فى أمثال هذا سدى * جنبه لا تكن له ذا جوار

ولا تكن بعد على غرة * فالاغترار خور وانكسار

ولا تصاحب غير شهم يرى * لك مقام عزة وافتخار

لم ... يرى هذا البيت مفردا فى كتابه آداب والـ...نيا ونسبه لعدى بـ ... اهـ مؤلفه

وجانب

وجانبن كل نذل له * صورة أنس وطباع الحمار
ولا يغرنك من الغمر ما * تراه من سمت جميل الشوار
واختبر الصاحب من قبل أن * تودعه الاسرار خوف انتشار
فالتبر لا تظهر أسراره * الا بحك والتظا واختبار
ولا تثق قبل بدو الصلاح * واحذر وكن ذا عبرة وافتكار
واعمل بقول ناصح حابر * طبع خسيس حاز كل الشنار
قد كدت لولا وصف اسلامه * ألعنه لعنا بسوم البوار
لكنه جاء على أصله * وهل يحول أحد عن نجار
لا يعذب الحنظل يوما وان * غرسته وسط حلو الثمار

(وقال الغزالى رحمه الله فى كتابه بداية الهداية) فاذا طلبت رفيقا ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال ﴿الاولى العقل﴾ فلا خير فى صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أنه يضرك وهو يريد أن ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق قال على رضى الله تعالى عنه

ولا تصحب أخا الجهل * واياك واياه * فكم من جاهل أردى * حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه * كحذو النعل بالنعل * اذا ما النعل حاذاه
وللشئ من الشئ * مقاييس وأشباه * وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

﴿الثانية حسن الخلق﴾ فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردى رحمه الله فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال يابنى اذا أردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك واذا قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك للخير مدها وان رأى منك حسنة عدها واذا رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أعانك ونصرك واذا تنازعتما فى شئ آثرك وقال على رضى الله عنه رجزا ان أخاك الحق الخ ﴿الثالثة الصلاح﴾ فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الاعراض والاحوال قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا واحذر صحبة الفاسق فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن القلب كراهية المعصية ويهون عليك أمرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه والغيبة أشد من ذلك ﴿الرابعة﴾ لا تصحب حريصا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء به بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهد تزيد فى زهدك ﴿الخامسة الصدق﴾ فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب اهـ ﴿تنبيه﴾ لا تناقض بين هذا البيت وبين قوله سابقا والعزلة الخ لان العزلة انما تطلب عمن لا يدلك على الله حاله ولا يرشدك الى الطريق المستقيم مقاله وقد مر ما يدل لذلك فقد يعرض لقلب المعتزل خلل ولطبعه كلل فيحتاج فى طرد ذلك لانيس وفى ترويح خاطره لجليس (قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى) لا يستغنى المعتزل عن رفيق يأنس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم

من يخالل (وقال الغزالى أيضا) وليكن له يعنى المعتزل أهل صالح أو جليس صالح تستريح اليه نفسه فى اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات اه فظهر من هذا أنه لا تناقض بين الموضعين والله أعلم * ثم قال

(27) *ولا يعرف الضغن ولا يعزى له * فقد صدقت أفعاله أقواله*

لا نافية ويعرف فعل مضارع مرفوع وضميره عائد على الخل فى البيت قبله والضغن بالضاد والغين المعجمتين أى الحقد والعداوة مفعوله والواو عاطفة ولا مؤكدة للنفى ويعزى مضارع مبنى للمجهول وضميره هو النائب يعود على الضغن وله متعلق بيعزى والضمير المجرور يعود على الخل ومعنى يعزى ينسب والجملة الاولى والثانية فى محل نصب صفة لخل وجملة قد صدقت أفعاله أقواله من الفعل وفاعله ومفعوله صفة أخرى للخل والضمير الملتبس بكل من الفاعل المقدم والمفعول المؤخر يعود على الخل والمعنى أن الخل الذى أمرتك باتخاذه من شرطه أن يكون موصوفا بعدم الحقد ولا ينسب له قد صدقت أفعاله قوله انه يحبك أى لأن الحقد مناقض للخلة اذ الخل الصادق هو من يحل خليله محله ولذا قال الكندى الصديق هو أنت الا أنه غيرك (وقيل) يعرف الرجل من فعله لا من كلامه وتعرف محبته من عينه لا من لسانه (وقيل) رب صديق أود من أخ شقيق وفى المثل رب أخ لم تلده أمك وأول من قال هذا المثل لقمان بن عاد كما فى محاضرات الاوائل (وقيل) لعبد الحميد الكاتب أيما أحب اليك أخوك أم صديقك فقال انما أحب أخى اذا كان صديقى (ولبعضهم)

أخ لى يذقنى الله فقدان مثله * وأين له مثل وأين المقارب
تجاوزت القربى المودة بيننا * فأصبح أدنى ما تعد المناسب

ودعوى المحبة بالمقال اذا لم تؤيد بشاهد من الفعال لم يكن بها اعتبار ولا يقر لها قرار فحق من هذا وصفه أن يجانب ولا يقارب ويثلب ولا يصحب (ولقد أحسن الامام الشافعى رضى الله عنه) اذ قال

ولا خير فى ود امرئ متكاره * عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثل ما * بذلت له فاعلم بأنى مفارقه

(ولآخر)

فاما أن تكون أخى بصدق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى

(ولآخر)

من مال عنك بشبر * مل أنت عنه بميل
فالله يغنيك عنه * فنه كل جميل

(ولآخر)

ولست وان ولى الصديق بوده * بمكتئب أبكى عليه وأندب
ولكنه ان دام دمت وان يكن * له مذهب عنى فلى عنه مذهب

(ولآخر)

ولست بزوار لمن لا يزورنى * ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

(ولآخر)

اذا كرهت موضعا * فدونك التحولا
وان جفاك صاحب * فكلا به مستبدلا

لا

ولكن

لاتحـملن اهـانة * من صاحب وان علا
فمن أتى فـمرحبا * ومن تولى فالى

وللمتلمس من قصيدة هي من أبيات الحماسة

فان يقبلوا بالود نقبل بمثله * والا فانا نحن آبى وأشمس

﴿ولنصر بن أحمد﴾

صل من دنا وتناس من بعدا * لا تـكرهن على الهوى أحدا
قـد أكثرت حواء اذ ولدت * فان جفا ولد فخـذ ولدا

فالصـديق هو من يسـعى فى انقاذك من الشدائد والاوحال ولا يصدف عنك اذا تغـير الزمان أوحال كما قيل

جزى الله الشـدائد كل خير * وان كانت تغصصنى بريقى
وما مدحى لها شـكرا ولكن * تعرفنى عدوى من صديقى

(وفى المثل) عند النازلة تعرف أخاك (ومن أمثال سيدنا على كرم الله وجهه) أخوك من واساك فى الشدة ولسيدنا حسان رضى الله تعالى عنه

فلا تغررك خلة من تواخى * فـمالك عنـد نائبـة خليل

﴿ولبعضهم﴾

وكل أخ عنـد الهوينا ملاطف * ولـكنما الاخوان عنـد الشـدائد

﴿يحكى﴾ ان الكاتب بن مقلة وشى به بعض الحساد للملك وادعى أنه دلس عليه فى بعض الامور فقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرف عنه الاصدقاء والمحبون ولم يأته أحد الى نصف النهار فتبين للملك أن ذلك عليه باطل فأمر بقتل الذى وشى به وأعاد ابن مقلة الى مكانه وندم الملك على فعله فلما رأى اخوانه ان نعمته قد عادت عادوا اليه يهنؤنه وأقبلوا عليه يعتذرون له فأنشدهم

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف النـاس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عـنى * عودوا فقـد عاد لى الزمان

﴿ولبعضهم﴾

صديق الصدق فى الدنيا قليل * فمن لك ان ظفرت بذاك من لك
لحـاجتـه يودك كل شخص * وذاك اذا قضاها منـك ملك
صديقك من اذا ما أنت منه * طلبت الروح بالتمليـك ملك

﴿ولبشار بن برد﴾

خـير اخوانك المشارك فى المـر * وأين الشريك فى المر أينـا
الذى ان شهدت سرك فى الحى * وان غبت كان أذنا وعينا
مثل سر الياقوت ان مسه النا * ر جلاه البـلاء فازداد زينا
أنت فى معشر اذا غبت عنهـم * بدلوا كل ما يزينك شـينا
واذا ما رأوك قالوا جميعـا * أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للانام ودا صحيحـا * صار كل الوداد زورا ومينا

﴿وحدث﴾ عمرو بن سعيد بن سالم الباهلى قال كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستيثاق الخلافة له فخرج لينظر الى العسكر فى بعض الليل فعرفته ولم يعرفنى فأغفلته

وجاء من ورائي حتى وضع يده على كتفي فقال من أنت فقلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذي تكلؤنا في هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وأنشأت له

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت أن تكون الابيات طالت فأجد الغنى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لي هات فقلت * وان غدوت ظالما غدا معك *

فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فما برحت من موضعي حتى أخذت خمسة آلاف دينار قال الصلاح الصفدي مافهم المأمون من البيت الاخير الا مافسره رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث يعني وهو قوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل يارسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وقد نسب الغزالي البيتين لسيدنا علي كرم الله وجهه وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله أرفقهما بصاحبه وورد أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل أجمة فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يارسول الله أنت أحق مني بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه (وقال سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه) لا تصحب من لا يؤثرك على نفسه فانه لا يدوم على ذلك (وقال الجنيد رحمه الله تعالى) لا تصحب من تحتاج أن تكتم عنه شيأ مما يعلم الله (وقال بعضهم)

اذا صاحبت الرجال فكن فتى * كأنك مملوك لكل صديق
وكن مثل طعم الماء عذبا باردا * على الكبد الحرى لكل رفيق

فعلى الصاحب أن يبادر يرضى صاحبه بما يؤكد وداده ويطهر جانبه وأن يسعى في ادخال السرور عليه وأن يكثر تعظيمه وتبجيله لديه (قال سيدنا علي رضي الله عنه) ثلاث يثبتن الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (وقال بعضهم) اصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالتحرز والعامة بالبشر (وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه منهاج العابدين الذي ينسب له) وآداب الصحبة الايثار بالمال والاعانة بالنفس على سبيل المبادرة من غير احتياج الى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت عن تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس له وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وأن يدعوه بأحب أسمائه اليه وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه وأن يشكره على صنيعه في وجهه وأن يذب عنه في غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وأن ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وأن يعفو عن زلته وهفوته وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد موته وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجته ويريح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بجميع ما يباح له من مساره والحزن بما يناله من مكارهه وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقا في وده سرا وعلانية وأن يبدأه بالسلام عند اقباله وأن يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه وأن يشيعه عند قيامه وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه ويترك المداخلة في كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فاخوته نفاق وهي عليه في الدنيا والآخرة وبال (وقال أيضا في الاحياء) اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين فكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها فكذلك

وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفى فقال من أنت فقلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذى تكاؤنا فى هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين وأنشأت له

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت أن تكون الابيات طالت فأجد الغنى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لى هات فقلت * وان غدوت ظالما غدا معك *

فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فما برحت من موضعى حتى أخذت خمسة آلاف دينار قال الصلاح الصفدى ما فهم المأمون من البيت الاخير الا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث يعنى وهو قوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وقد نسب الغزالى البيتين لسيدنا على كرم وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله أرفقهما بصاحبه وورد أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل أجمة فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يا رسول الله أنت أحق منى بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه (وقال سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه) لا تصحب من لا يؤثرك على نفسه فانه لا يدوم على ذلك (وقال الجنيد رحمه الله تعالى) لا تصحب من تحتاج أن تكتم عنه شيأ مما يعلم الله (وقال بعضهم)

اذا ما صحبت الرجال فكن فتى * كأنك مملوك لكل صديق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرا لكل رفيق

فعلى الصاحب أن يبادر لما يرضى صاحبه مما يؤكد وداده ويظهر جانبه وأن يسعى فى ادخال السرور عليه وأن يكثر تعظيمه وتبجيله لديه (قال سيدنا على رضى الله عنه) ثلاث يثبتن الود فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (وقال بعضهم) اصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالتحرز والعامة بالبشر (وقال حجة الاسلام الغزالى فى كتابه منهاج العابدين الذى ينسب له) وآداب الصحبة الايثار بالمال والاعانة بالنفس على سبيل المبادرة من غير احتياج الى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت عن تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس له وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وأن يدعوه بأحب أسمائه اليه وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسنه وأن يشكره على صنيعه فى وجهه وأن يذب عنه فى غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وأن ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وأن يعفو عن زلته وهفوته وأن يدعو له فى خلوته فى حياته وبعد موته وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجته ويريح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بجميع ما يباح له من مسرة والحزن بما يناله من مكارهه وأن يضمر فى قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقا فى وده سرا وعلانية وأن يبدأه بالسلام عند اقباله وأن يوسع له فى المجلس ويخرج له من مكانه وأن يشيعه عند قيامه وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه ويترك المداخلة فى كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فاخوته نفاق وهى عليه فى الدنيا والآخرة وبال (وقال أيضا فى الاحياء) اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين فكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها فكذلك

عقد

عقد الاخوة فلاخيك عليك حق فى المال وفى النفس وفى اللسان وفى القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص وبالوفاء وبالتخفيف وبترك التكلف والتكليف انظر بقية كلامه فقد أطال فيه ﴿واعلم﴾ أن المؤاخاة قسمان مؤاخاة اتفاق ومؤاخاة قصد فالاولى سبع مراتب ﴿أولها﴾ التجانس وهو ماقوى قوى الائتلاف ثم تحدث عن التجانس المواصلة وسببها وجود الاتفاق بين المتواخيين لان الاختلاف منفر كما قيل

الناس ان وافقتهم عذبوا * ومع الخلاف جناهم مر
كم من رياض لا أنيس بها * تركت لان طريقها وعر

ثم تحدث عن المواصلة المؤانسة وسببها الانبساط ثم تحدث عن المؤانسة المصافاة وسببها خلوص النية ثم تحدث عن المصافاة المودة وسببها الثقة فان اقترنت بها المعاضدة فهى الصداقة ثم تحدث عن المودة المحبة وسببها الاستحسان فان كان لفضيلة النفس حدث منه التعظيم وان كان لجمال الصورة حدث منه العشق ومابعد العشق فهو ممازجة النفوس ومخالطة الارواح وان افترقت الاجساد ﴿والثانية﴾ وهى مؤاخاة القصد لابد لها من باعث وهو اما رغبة أو حاجة فالرغبة أن تظهر من الانسان فضائل رغب فى اخائه من أجلها والاكمل أن تكون طبعا أو بعضها طبعا وبعضها تطبعا فان كانت كلها تطبعا فهى متكلفة والمتكلف لايدوم والحاجة أن يفتقر الانسان لغيره فيواليه ويؤاخيه وغير خفى أنه لاثقة بهذه لان من أحبك لشئ زالت محبته بزوال ذلك الشئ ﴿تنبيه استطرادى﴾ نسبنا كتاب منهاج العابدين لحجة الاسلام جريا على مااشتهر وليس هو فى الواقع له وانما هو للشيخ أبى الحسن على المسفر قال ابن عربى الحاتمى رضى الله عنه فى محاضراته فى ترجمة أبى الحسن المذكور مانصه كان هذا الشيخ المسفر جليل القدر حكيما عارفا عامضا فى الناس مجهول الذكر رأيته بسبتة له تصانيف منها منهاج العابدين الذى يعزى لابى حامد الغزالى وليس له وانما هو من مصنفات هذا الشيخ وكذلك له أيضا كتاب النفخ والتسوية الذى يعزى لابى حامد اهـ منها ونقله أبو سالم العياشى فى رحلته ثم قال عقبه قلت وقد اشتهر واستفاض نسبة منهاج العابدين للغزالى وقد كنت قبل رؤية هذا الكلام أتعجب من كونه ليس جاريا على مذهبه فى كتبه ولا هو مطابق لنفسه وكنت أبحث كثيرا عن المشايخ الذين ينقل عنهم فيه حيث يقول قال شيخنا أبو محمد قال شيخنا أبو عمرو وليس ذلك دأبه فى مصنفاته وأنا مع ذلك لا أشك ان الكتاب له لاشتهار ذلك وللاشارة فيه الى احياء علوم الدين ولنقله فيه عن امام الحرمين سماعا فلما رأيت كلام الشيخ محيى الدين المتقدم تيقنت أنه ليس له لعدالة الشيخ محيى الدين وسعة علمه واطلاعه سيما وقد ذكر أنه يعزى لابى حامد فنفاه عنه مع علمه بالعزو المذكور الا لعلم يقين حصل له بأنه لغيره مع شواهد القرائن المتقدمة فان كلام أبى حامد لا يكاد يخفى على من مارسه فانه لسان وحده بلاغة وتحريرا وذو الذوق السليم يميز بين الكلامين ويشهد لذلك أيضا أن من عرف بالامام أبى حامد من الاقدمين لم يذكروا هذا الكتاب فى تآليفه والله أعلم ﴿مستملحة﴾ رغب بعض المحبين فى التصاحب والوئام فقبل محبوبه على شرط عقد يكون عليه حجة عند أهل الغرام فتوافقا على ذلك وترافقا فى تلك المسالك وذهبا الى موثق أديب حاذق مصيب فكتب عليهما ماصورته بسم الله الذى جعل الحب وسيلة لاهل القلوب وصلاته وسلامه على سيدنا محمد شفيع أهل الذنوب هذا ما اشترى فلان بن فلان من فلان بن فلان فى عقد واحد وصفقة واحدة جميع المحبة المعروفة بحديقة القلب من مدينة الاخلاص بالمحبة المعروفة الداعة الى الممات بجملتها وكليتها من الحدود وحقوقها ومجارى المياه للرعاية وكل حق لها داخل فيها وخارج عنها من المراعاة والملاحظة والذب والنظر والمحافظة والمراقبة والموافقة والمرافقة والرضا والاحتمال

والكظم والفضل والبذل والايثار ورد العواذل وتجنب الجهال والاعراض عن الوشاة ويشتمل عليها حدود أربعة فالحد الاول ينتهي الى الخلة والصفاء والحد الثاني ينتهي الى المراعاة والوفاء والحد الثالث ينتهي الى المساعدة والولاء والحد الرابع ينتهي الى المشاهدة واللقاء واليه يشرع بابه االشتراء تاما جائزا ناجزا عند أهل الاخاء والمودة بألف ألف في ألف ألف من الانفاس والارواح مابزغت الشمس في الضحى وغربت في الرواح من الاجسام والاشباح وشرط كل واحد منهما لصاحبه بذل قلبه وصفاء لبه وفداءه بنفسه وماله وحسه ورد الشمية والعذل عنه ثم تعاهدا بينهما ونقد كل واحد منهما هذا الثمن لصاحبه ووقع التسليم لما وقع العقد عليه واعترفا معا بالبراءة عما اشترطا على أنفسهما وتراضيا معا على ما في هذه الوثيقة وأشهدا على أنفسهما بجميع مضمنها على ما يوجبه حكم الاخلاص والصفاء ويقتضيه موجب الشرع بالوفاء فتى ادعى أحدهما مايخالف هذه الوثيقة ظاهرا أو باطنا في سر سرائر سره وخفي ضميره هو اجس نفسه فدعوى المدعي بذلك زور وبهتان وظلم وعدوان والمخالف لهذه الوثيقة خارج عن دماء التحقيق داخل في زمرة أهل الدعاوي والتمحيق مخالف لاصحاب المعرفة والفتوه مجانب لارباب المحبة والمروه والحق والصدق وما تضمنته هذه الوثيقة ووقعت عليه شهادة سادات أهل الطريقة وعلى ذلك ترافعا الى حاكم من حكام المحققين جائز الحكم عند أهل المعرفة والدين فوقف على جميع تلك الشروط وأثبتها وأمضاها في مجلس حكمه وقضائه وأشهدا على أنفسهما طوعا في يوم اللقاء من شهر المواصلة والبقاء من سنة تحسين الاعمال وبلوغ الآمال شهد عليهما بذلك وفي التاريخ اه ثم قال

﴿وكن به في كل حال ذا اقتدا * وما إخالك تراه أبدا﴾

الواو للعطف وكن معطوف على تخذ في البيت السابق على ماقبل هذا والضمير في كن هو اسمها وبه متعلق بالفعل والضمير المجرور يعود على الخل وفي كل حال متعلق بالفعل أيضا وذا اقتدا أي اتباع هو اسم يكن ويحتمل أن يكون قوله في كل حال متعلقا باقتدا والواو للاستئناف وما نافية وإخال بكسر الهمزة أي أظن مضارع خال والقياس فتح الهمزة وهو محكي عن بني أسد فقط على القياس والكاف مفعول أول وجملة تراه في محل المفعول الثاني ورأى بصرية فلا تطلب غير مفعول واحد هو الضمير العائد على الخل وأبدا منصوب بترى على الظرفية ﴿والمعنى﴾ كن في كل حال صاحب اقتداء واتباع للخل الذي أمرتك باتخاذه حيث كان على الصفة السابقة من كونه لبيبا منصفا موصوفا بالتقى لا يعرف الضغن ولا ينسب له قد صدق فعله قوله أي لان الاقتداء والمساعدة علامة الائتلاف وعدم المباعدة وعلامة رسوخ المحبة بين الاحباب التوافق على النفي أو الايجاب كما قيل

واذا صاحبت فاصحب ماجدا * ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشئ لا ان قلت لا * واذا قلت نعم قال نعم

ثم ذكر الناظم أن الصاحب الذي على وفق ماذكر والخل الذي باتخاذه أمر أعز من الابلق العقوق وأقل من بيض الانوق كما قيل

عز الوفاء فلا وفاء وانه * لأعز وجدانا من الكبريت

(وقيل لبعضهم) ما الصديق فقال اسم وضع على غير معنى وحيوان غير موجود وأنشد

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد في الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

﴿وللصفي الحلي﴾

لما رأيت بني الزمان وما بهم * خل وفي للشدائد أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

وقد استعمل الصفي لفظ عنقاء من غير وصفها بمغرب وقد نصوا على أنها لا تستعمل الا موصوفة به قال بعضهم فهذا البيت تركيب لا يصح (وقال بعضهم)

تغربت أسأل من عن لي * من القوم هل من صديق صدوق
فقالوا عزيزان لا يوجدان * صديق صدوق وبيض الانوق

(وقال الزمخشري)

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
له سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(ولحماد عجرد)

كم من أخ لك لست تنكره * مادمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته * يلقاك بالترحيب والبشر
فاذا عدا والدهر ذو غير * دهر عليك عدا مع الدهر

(ولقد أحسن القائل)

اما الاعادي قد أرونا نفوسهم * فاقصد بسوء ظنونك الاخوانا

(ولآخر)

ألا ان اخواني الذين ظننتهم * أفاعي رمال لا تقصر في اللسع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم * نزلت بواد منهم غير ذي زرع

(ولسيدنا علي رضي الله عنه من قصيدة)

ومن يفتش على الاخوان مجتهدا * فجل اخوان هذا الدهر خوان

والكلام في هذا المعنى كثير شهير نعم الانسان من حيث هو انسان نتيجة المخالفة والغفلة والنسيان فالناس من آدم وان كان العهد قد تقادم فلا يوصف بالكمال الا الرب ذو الجلال ومن طهره من الانبياء وخواص عباده الاصفياء فلا يساء الظن بالصديق اذا خرج يوما عن جادة الطريق فالشخص قد يغفل عن مراعاة نفسه وهي في الاصل أهم فضلا عن صاحبه وان كان عند الوفاء هو المقدم وقد قيل طلب الانصاف من قلة الانصاف وقيل لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه (وقيل) لانوشروان هل من أحد لا عيب فيه قال من لا موت له (ولقد أصاب القائل وهو ابن الرومي)

ومن قلة الانصاف انك تبتغي * مهذب أخلاق ولست مهذبا

(ولآخر)

يا من يعيب وعيبه متشعب * كم فيك من عيب وأنت تعيب

فالذنب اذا صدر من الحبيب على وجه الخطا فلا ينبغي أن تقصر عن محبته الخطا ولا يجمل أن يعاتب عليه أليم العتاب فان ذلك وسيلة القطيعة والاجتناب وانما المطلوب الاغضاء وعين المحب غمضاء (قال بعض الحكماء) من ناقش الاخوان قل صديقه (وقال النابغة)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

(وأنشد ثعلب)

اذا أنت لم تترك أخاك وزلة * اذا زلها أوشكتما أن تفرقا

(تلمه) أي تجمعه

(وقال بشار بن برد)

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

(وهذا من قول كثير عزة)

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما يأتى يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

(وقيل)

اذا عاتبتنى فى كل ذنب * فما فضل الكريم على اللئيم

(ولآخر)

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى

يوافقنى فى كل أمر أريده * ويحفظنى حيا وبعد مماتى

ومن لى به ياليت أنى وجدته * أقاسمه مالى مع الحسنات

والكلام فى هذا المعنى كثير شهير ومنهم من يرى العتاب مطلوبا بين الاحباب (قيل)

أعاتب من أهواه فى كل حالة * ليجتنب الامر الذى معه الذنب

فانى أرى التأديب عند خروجه * بمنزلة الغيث الذى قبله الجدب

(وما أحسن قول القائل)

توافق عاشقان على ارتقاب * أرادا الوصل من بعد اجتناب

فلا هذا على عتاب هذا * ولا هذا على من الجواب

فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب

وكلام أهل هذا المذهب كثير أيضا وينبغى للفطن اللبيب أن لا يكثر من معاتبة الحبيب اذ كثرة العتاب داعية الاجتناب وعدمه دليل على عدم المبالاة وقد قيل علة المعاداة قلة المبالاة على أن ارضاء الصديق الذى سلك فى صدق المحبة كل طريق هو من باب استعمال الادب والتكلف لنيل الارب وقد قال سيدنا على رضى الله عنه شرط الالفة ترك الكلفة (وقال الجنيد) اذا صفا الود سقطت شروط الادب (وقال القائل)

اذا ما حبال الود شدت بيننا * فلا بد أن يطوى بساط التكلف

(وقيل)

اذا صفت المودة بين قوم * ودام ودادهم سمج الثناء

وبالجملة فلابد للصحبة تحمل الهفوات واقالة العثرات والا فلا يجد الانسان خليلا يبرد به غليلا (ومن شواهد الموضح)

جفونى ولم أجف الاخلاء اننى * لغير جميل من خليلى مهمل

(ثم قال)

(بيت) (والجأ الى الله بكل مقصد * تجد نواله بكل مرصد)

الواو عطفت جملة الجأ على جملة وما إخالك الخ ولو أتى بالفاء عوض الواو لكان أولى وتكون جواب شرط مقدر تقديره وحيث كان الظن أنك لا تجد الخليل الموصوف بما ذكرنا فالجأ الى الله الخ ومعنى

الجأ أقصد واهرب والى الله متعلق به والباء في قوله بكل مقصد بمعنى في والجار والمجرور متعلقان بالفعل والمقصد المطلوب وقوله تجد مضارع مجزوم في جواب الامر ونواله أي عطاءه مفعوله الاول والثاني محذوف أي حاضرا والباء في قوله بكل مرصد بمعنى في أيضا والجار والمجرور متعلقان بتجد والمرصد بكجعفر الطريق المرتقب ويقال المرصاد والمرتصد كما في المصباح ﴿والمعنى﴾ الجأ أيها الطالب الى الله في جميع الأعمال تجد نواله في كل الطرق والاحوال (وللصلاح الصفدي)

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من طين وماء * وأي صفا لهاتيك الجبله

﴿باب ما يبتدأ به من العلوم﴾

ذكر في هذا الباب ما ينبغي تقدمه الطالب في أول أمره وما يجعله في أول الطلب أهم من غيره قال في كشف الظنون والحق ان تقدم العلم على العلم لثلاثة أمور اما لكونه أهم منه كتقديم فرض العين على فرض الكفاية وهو على المندوب اليه وهو على المباح واما لكونه وسيلة اليه فيقدم النحو على المنطق واما لكون موضوعه جزأ من موضوع العلم الآخر والجزء مقدم على الكل فيقدم الصرف على النحو وربما يقدم علم على علم لا لشئ منها بل لغرض التمرن على ادراك المعقولات كما ان طائفة من القدماء قدموا تعليم علم الحساب وكثيرا ما يقدم الاهون فالاهون ولذا قدم المصنفون في كتبهم النحو على الصرف ولعلهم راعوا في ذلك ان الحاجة الى النحو أمس ثم ذكر اختلاف فروض الكفاية في التأكد وعدمه فانظره ﴿قلت﴾ والامر الاول وهو الاهمية تنظر فيها الشريعة وأحكامها لا ما يدعيه صاحب كل علم في علمه فقد جرت العادة النفسانية أن من علم علما أي علم كان يدعي أنه لا علم أفضل من علمه ان كان صاحب علم حديث يرى فضله على ماسواه وان كان صاحب علم قرآن يرى نفسه فوق الاول بدرجات وصاحب التفسير يرى غيره بعين التحقير وصاحب الفقه يقول لا شئ فوقه وصاحب الادب واللغة يقول بعلمي تنفهم جميع العلوم وصاحب الطب يقول حفظ الصحة هو الاصل الذي يقوى به على كل عبادة حتى صاحب النجوم والحساب يقول لا بد من معرفتهما وصاحب الاصول يرى أن ليس بغيره وصول ويقول يكفي أن اسمه أصل ولا يثبت فرع على غير أصل وأما صاحب علم الكلام فربما يدعي انه رسول عليه السلام وأما أهل التصوف فيرون أن لا علم الا علم الباطن من الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين وخواطر القلوب ومعاملة علام الغيوب وقد سمعت مرارا من شيخنا العلامة أبي عبد الله جنون أواخر عمره لما انقطع لعلم التصوف ذمه للاشتغال بعلم الفقه وعلوم الآلة ويقول لا علم الا علم التصوف اذ هو العلم النافع وفصل الخطاب أن كل علم أريد به وجه الله وأقبل صاحبه عليه بقصد امتثال أمر الله فهو ناج بفضل الله وهذا بعد تحصيل ما لا بد منه (وما أحسن قول بعضهم)

كل علم يكون للمرء شغلا * بسوى الحق قادح في رشاده
فاذا كان فيه لله حظ * فهو مما يعده لمعاده

(وأصل الترجمة) هذا باب ما يبتدأ به من العلوم ثم حذف المبتدأ للعلم به وما واقعة على العلوم ويبتدأ فعل مضارع مبني للمفعول والجار والمجرور في محل رفع نائب عن الفاعل والجملة صلة ما والعائد من الصلة الى الموصول الضمير المجرور بالباء ومن العلوم بيان لما ثم ان كان المراد بيبتدأ البدء الحقيقي كان في الترجمة حذف الواو والمعطوف بها والتقدير ما يبتدأ به من العلوم وما يثنى وما يثلث وهكذا كما يدل عليه الترتيب الآتي في كلامه وان كان المراد ما هو أعم من البدء الحقيقي والنسبي فلا حذف والباب لغة فرجة في ساتر يتوصل بها من داخل الى خارج وعكسه وتطلق لغة أيضا على ما تسد به الباب اللغوية كما نقله الشيخ والمعرك

مرتضى عن شيخه ابن الطيب وظاهره أن الاطلاق لغوى وفى العرف العام تطلق على خصوص ماتسد به الباب اللغوية من خشبة أوغيرها وفى العرف الخاص أى عرف المؤلفين اسم للالفاظ المخصوصة من حيث دلالتها على معان مخصوصة على المختار كما تقدم (فائدة) قال ابن محمود شارح أبى داود وقد استعملت هذه اللفظة يعنى باب زمن التابعين نقله المناوى وقد ألغز القاضى محيى الدين عبد الله ابن عبد الظاهر فى لفظ باب بقوله

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
يحفظ المال والحريم ولولا * حفظه الكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان تفرق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يتزندق
فأجبنى عنه بذيب مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

وكتب شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة الى والده ملغزا فيه

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب أبوه ذهاب ومجىء وخوف وشره هذا باب خصوصه والسلام (ولبعضهم ملغزا فيه أيضا)

ألا قل رعاك الله ماهى لفظة * ثلاثية لا تستحيل مع القلب
وحرفان منها اسم لثالثها فقد * بدالك منها السر ان كنت ذا لب

ومعنى ذلك كله واضح عند من له ذوق (وألطف منه قول بعضهم ملغزا فيه أيضا)

فماشئ حقيقته مجاز * وأوله وآخره سواء
وفيه صحة وبه اعتلال * له الاعراب حقا والبناء

(وقوله حقيقته مجاز) أى مسماه الحقيقى مجاز أى محل الجواز (وقوله وأوله وآخره سواء) أى أوله باء وآخره باء أو المراد سواء بدأته من أوله أو من آخره فيكون هو معنى قول صاحب اللغز الاول وهو فى القلب يستوى وقول صاحب الثالث لا يستحيل مع القلب (وقوله وفيه صحة) أى مسماه فيه صحة (وقوله وبه اعتلال) أى اسمه فيه اعتلال لانه معل العين (وقوله له الاعراب) باعتبار اسمه لانه معرب بالحركات (وله البناء) باعتبار مسماه لان شأن الباب أن يكون مبنيا (وكتب لى بعض الادباء من أصحابنا) ملغزا فيه وفى الالغاز السابقة جل معانيه مع اطناب منه فيما يعانيه

أخى ما اسم تمدد فى السماء * كذا فى الارض عدد باعتناء
وفى آى الكتاب أتى مبينا * وفى كتب الشريعة ذو اجتلاء
يضاف اذا ذكرناه لامر * خصوصا فى الصباح وفى المساء
له التحريك والتسكين دأب * ولا ينفك وما ذا انتهاء
ومن عجب قراءته صحيحا * من الحرف الاخير والابتداء
فيأتى سالما من غير نقص * على الوجهين من غير الخفاء
اذا صحفت أوله تجده * أتى المولى على حال اوعواء

وان صحفت حرف الختم منه * فجمع حاصل بعد العشاء
مسماه علينا فرض عين * به ينجو الجميع من البلاء
وما للناس عنه من محيص * وكل الخلق فيه على السواء
به اتصف الامام أخو المعالى * على صهر خير الانبياء
عليه ومن له آلا وصحبا * صلاة الله من غير انتهاء

فوقعت على معناه حين النظر فى مبناه وأجبته بقولى

أخا الآداب لغزك غيرناء * على خل يجيبك باعتناء
أتيت الى ترجونى لفتح * لهذا الباب من دون ارتياء
فدونك قد فتحت كما ترجى * فباب القول متسع الفناء
(ثم قال)

﴿أوّل ما تبدأ بالتوحيد * اذ به تخرج من التقليد﴾

أوّل مبتدأ والمشهور ان أصله أوأل على وزن افعل فقلبت الهمزة الثانية واوا وأدغمت فيها الاولى وهو اسم اما بمعنى قبل فيكون منصرفا ومنه قولهم أوّلا وآخرا أو صفة أى أفعل تفضيل بمعنى أسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف ولفظ أوّل فى كلام الناظم مضاف لما وما موصول حرفى يسبك مدخوله بمصدر وتبدأ صلته والتقدير أوّل بدئك وبالتوحيد متعلق بمحذوف خبر المبتدا تقديره كائن هو أى أوّل البدء والتوحيد لغة مصدر وحد أى اعتقد الوحدة وقد صار علما على علم الكلام أى أصول الدين وسمى بالتوحيد مع أن العقائد كثيرة لان الوحدانية هى المقصود الاعظم منه كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفات واذ تعليلية لاوّل البدء بالتوحيد وهل هى حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان كما فى المغنى وبه متعلق بتخرج والضمير المجرور بالباء يعود على التوحيد والمراد به معرفة العقائد وأدلتها ولو اجمالا بدليل قوله اذ به تخرج من التقليد لان معرفة العقائد من غير معرفة دليل أصلا غير مخرج من التقليد ومن التقليد متعلق بتخرج والتقليد لغة مصدر قلدته الامر اذا رددته اليه يقوم به ويطلق أيضا على وضع القلادة فى العنق ولا تخفى المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى واصطلاحا العمل بقول الغير من غير حجة فالاخذ بقول الرسول والعامى أى غير المجتهد بقول المجتهد والقاضى بقول الشهود ونحو ذلك ليس بتقليد على التحقيق قاله المحقق المكى فى شرح عقيدة ابن الحاجب أى لان ذلك حجة فى نفسه زاد الامام النابلسى فى شرح الطريقة المحمدية فى تعريف التقليد قوله مع الجزم به والمطابقة له قال فلا تقليد مع الشك والتردد ولا مع عدم المطابقة كمن يزعم انه مقلد لائمة المسلمين وهو يعتقد أن الله تعالى مكانا أو جهة أو جسمية أو أن معه مؤثرا فى الوجود فى أمر ما فانه ليس بمقلد لائمة المسلمين لانهم لا يعتقدون شيأ من ذلك حتى يقلدهم فيه اه ﴿والمعنى﴾ أوّل بدئك أيها الطالب بالتوحيد لانه أوّل واجب على المكلف مع معرفة أدلته و براهينه لان بها خروجك من ربقة التقليد أى المختلف فى ايمان صاحبه على أقوال ثلاثة حصلها ابن عرفة * الاول أن المقلد مؤمن غير عاص بتركه النظر وعليه فالمعرفة غير واجبة أصلا لا وجوب الاصول ولا وجوب الفروع * الثانى مؤمن لكنه عاص بترك النظر وعليه فالمعرفة واجبة وجوب الفروع * الثالث أنه كافر وعليه فالمعرفة واجبة وجوب الاصول ونسب هذا الثالث لجماعة منهم الاشعرى وأبو بكر الباقلانى والاسفراينى وامام الحرمين وعزاه ابن القصار لمالك كما نسبه له الامام النابلسى فى الحديقة الندية وذهب ابن الحاجب فى عقيدته الى انه الاصح اذ قال ولا يكفى التقليد على الاصح اه وهو مذهب

صاحب الكشاف والامام الفخر الرازى كما يعلم من الوقوف على تفسيرهما وبالغ بعضهم فى الانتصار له حتى حكى الاجماع عليه ﴿قلت﴾ وممن حكى عليه الاجماع امام الحرمين اذ قال من مات بعد مايسع نظره وتركه اختيارا كافر بلاخلاف اه فكلامه صريح فى القول بكفر المقلد وبه تعلم مافى تأويل أبى زيد الفاسى له وتبعه الشيخ الطيب بن كيران فى شرح المرشد بان محله فيمن لم يحصل له الجزم بعقائد الايمان قائلين بدليل قوله بلاخلاف لانه لم يحك أحد الاجماع على كفر المقلد اه فان حكاية الاجماع ذكرها امام الحرمين وغيره غاية الامر أن حكاية الاجماع طريقة ضعيفة وقد ذكرها أبو زيد الفاسى (وقال السنوسى فى شرح الكبرى) ان القول بالتكفير هو مذهب الجمهور وغيره نسب للجمهور خلافه فهما طريقتان وذهب ابن السبكى كما فى جمع الجوامع الى أن محل القول بالتكفير فيمن معه شك أو وهم لا من اعتقد عقدا جازما (وقال القشيرى وغيره) ان القول بالتكفير مكذوب على الاشعرى والقول بعدم كفره نسبه الشيخ زروق والامام السبكى فى شرح عقيدة ابن الحاجب للائمة الاربعة وهو الذى عليه سائر الفقهاء والمحدثين وأهل التصوف وبعض النظار كابى منصور الماتريدى وكل ماوراء النهر واليه مال كثير من حذاق المتأخرين كالشيخ سعد الدين واختاره العارف ابن أبى جمرة والقشيرى وابن رشد والغزالى والقرطبى والنووى قائلا انه مذهب السلف والخلف وتظافرت عليه الادلة وكذا اختاره جمع جم وحكى الآمدى اتفاق الاصحاب عليه وانه لايعرف القول بعدم صحة ايمانه الا للجبائى من المعتزلة (وقال السبكى بعد كلام) وبالجملة فالمعتبر فى الايمان شطرا أوشرطا الادراك الجازم المطابق سواء كان عن موجب أم لافاذا المقلد مؤمن على ذلك وكل مؤمن مثاب على ايمانه لان الايمان عمل صالح وكل عمل صالح مثاب عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فالمقلد مثاب على ايمانه وكل مثاب على ايمانه مجزى وأيضا قد ثبت من سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والخلفاء من بعده الاكتفاء به من الداخلين فى الاسلام حتى كان يحكم بدخول الجنة بمجرد الايمان لمن آمن فى الوقت الحال ثم مات ولم ينظر اذ لم يسعه الوقت لذلك بل لم يحصل منه الا الاذعان والانقياد له عليه السلام واعتقاد ماجاء به بمجرد قوله عليه السلام ثم ذكر أحاديث تدل لما قاله انظره ﴿قلت﴾ وكلام السبكى هذا أيد للقول بعدم التكفير مع عدم المعصية بدليل استدلاله باكتفائه صلى الله عليه وسلم من الاعراب بمجرد الايمان اذ لو كان التقليد معصية لما أقرهم صلى الله عليه وسلم عليه وهو موضوع اختيار ابن أبى جمرة ومن ذكر نامعه سابقا والله أعلم واكتفاؤه عليه الصلاة والسلام من الاعراب بذلك متواتر تواترا معنويا كما قاله ابن حجر لكن بحث السنوسى فى شرح الكبرى فى الاستدلال بالاكتفاء المذكور بما محصله أن ذلك الاكتفاء انما هو لعلمه صلى الله عليه وسلم انهم لايصدقون الابدليل ولو جمليا مركوزا فى أصل طباعهم خصوصا مع مشاهدة أنوار النبوة منه صلى الله عليه وسلم وقيل ان التقليد واجب والنظر حرام خوف الوقوع فى الشبه والشكوك وهذا القول ان حمل على ظاهره فهو مردود لانه يحرم ما أمر الله به من النظر والاستدلال وذم بتركه فى قوله بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة الخ ولهذا أسقطه ابن عرفة وغيره وبعضهم حمله على الدليل التفصيلى فلايكون مناقضا للقرآن وفى المسئلة طريقة أخرى (قال سعد الدين) حكى عن ابن عباس وجماعة انهم يقولون من العقلاء من يكلف النظر وهم أرباب النظر ومنهم من يكلف التقليد وهم العوام والعبيد وكثير من النسوان لعجزهم عن النظر فى الادلة وتمييزها عن الشبه لكنهم كلفوا واتقليد المحق دون المبطل اه نقله السبكى والراجح الاصح من هذه الاقوال هو القول بأن المقلد مؤمن عاص فقد بر تحه بجمع دهلول عذهم وحكى بعضهم الاجماع عليه كامر والله أعلم ﴿تنبيهان * الاول﴾ المراد بالمقلد الذى جرت فيه الاقوال السابقة هو من يسكن فى شاهق جبل وأخبره غير

معصوم بما يجب عليه من الايمان وعقائده فصدقه من غير بحث عن دليل لا من يسكن القرى والمدن ويخالط المسلمين ويطرق سمعه القرآن ويعلم أنه كلام الله منزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الذى دلت على صدقه المعجزات التى لا يخلو أحد من العلم ببعضها فان من هذا حاله مؤمن بالاجماع وليس فى ايمانه نزاع حسبما نص عليه السعد وجماعة من المحققين وهذا هو الغالب من حال عوام المؤمنين أى الذين لم يتعاطوا قراءة العلم فليسوا بمقلدين بل معهم الادلة الاجمالية نعم قد يوجد فيهم على سبيل الندور من يعتقد خلاف الواجب أو يجهل بعض الصفات فهذا ينبغى أن ينظر فى تلك الصفة التى جهلها أو اعتقد فيها خلاف الحق ويعرض ما جهله على قواعد الشريعة وكلام العلماء فان كان جهله يضر فى العقيدة ويخل بها فالواجب الكف عن القول بتكفيره حتى يعلم فان علم ولم يقبل وتمادى على ضلاله فهو حينئذ كافر والا فلا فاعرف هذا فانه نفيس وبه تنحل أسئلة كثر ايرادها حتى خصت مسئلة التقليد بالتأليف فى عصرنا وقبله ممن يحسن الكلام وممن لا يحسنه وهذا ان شاء الله هو فصل الخطاب والله الموفق للصواب ﴿الثانى﴾ الخلاف فى كفر المقلد وعدم كفره انما هو بالنسبة لنجاته وعدمها فى الآخرة وأما فى الدنيا فلا يعامل الا معاملة المسلمين عكس الخلاف فى المعتزلة (ثم قال)

---

(١٦) ﴿واعن به فهو رأس المال * فلا تمل فيه من سؤال﴾

الواو للاستئناف ويحتمل كونها عاطفة هذه الجملة على الجملة قبلها واعن فعل أمر وبه متعلق به والضمير عائد على التوحيد وضميره هو مبتدأ والفاء الداخلة عليه تعليلية ورأس المال خبره والمراد بالمال هنا الدين الذى هو الايمان والاسلام والاحسان ورأسه أى عمدته وأصله وفيه تلميح لقولهم فى المثل رأس الدين المعرفة ذكره الميدانى فى مجمع الامثال وانما كان رأس الدين لانه شرط فى قبول بقية أركان الاسلام وقوله فلا تمل الفاء زائدة أو واقعة فى جواب شرط محذوف تقديره اذا علمت انه رأس المال فلا تمل الخ ولا ناهية وتمل بفتح الميم مضارع مدغم مجزوم بها على لغة الاتباع أو الفتح ويجوز كسر اللام على لغة الكاسرين وانظر ايضاح حكم آخر الفعل المجزوم المضعف عند قول الناظم فى الخاتمة ولا يغره ثناء الناس وفيه متعلق بتمل وضميره للتوحيد أيضا ويحتمل أن يكون متعلقا بسؤال وتكون فى بمعنى عن على حد قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى أى عنها ومن سؤال متعلق بالفعل ﴿والمعنى﴾ اعتن أيها الطالب بعلم التوحيد لانه أساس الدين وأصله الذى لا يصح غيره بدونه فلا تمل وتسأم فيه من سؤال ما جهلته منه فان عدم السؤال يبقيك فى زمرة الجهال كما سيقول الناظم

وان سكت حيا أو كبر * تبق على جهلك طول العمر

وأفظع الجهل الجهل بالعقائد التى هى روح الايمان ﴿فائدة﴾ حد علم التوحيد عند من اكتفى فيه بالتقليد انه علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده فى حق الله وفى حق رسله عليهم الصلاة والسلام ومن لم يكتف بالتقليد وأراد تعريف القدر الواجب عينا عرفه بأنه العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية ومن أراد تعريف الواجب ولو كفاية عرفه بقوله العلم بأحكام الالوهية ٢ وارسال الرسل وصدقها فى كل أخبارها وما يتوقف شئ من ذلك عليه خاصا به وتقرير أدلتها بقوة هى مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك اهـ فبهذا تعلم ان اختلاف الحدود لاختلاف المحدود وموضوعه على ما فى شرح الكبرى ماهيات الممكنات من حيث دلالتها على موجدها وصفاته وأفعاله ورد بأن البحث فى هذا العلم كثيرا ما يكون فى غير أعراض هذا الموضوع واختار فى محصل المقاصد أن موضوعه المعلوم من حيث انه يحمل عليه ما يصيره عقيدة دينية أو مبدأ لها كقولنا البارى تعالى قديم واعادة الجسم بعد فنائه حق والجسم مركب من جواهر فردية فالبارى تعالى واعادة الجسم بعد فنائه والجسم من قبيل المعلوم

المبحوث عنه من الحيثية المذكورة ورد بما رد به ما قبله وارتضى بعض المتأخرين ان موضوعه ذات الباري وذات رسله عليهم الصلاة والسلام وهو الحق فيكون موضوعه أشرف الموضوعات وقيل موضوعه الموجود المطلق من غير اعتبار كونه قديما أو حادثا ورد أيضا بما رد به الاول والثاني وواضعه أبو الحسن الاشعري رضي الله عنه بمعنى انه أول من دون فيه الكتب ورد شبه الفلاسفة فلا ينافي ما في الاوليات ان أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد ابن نفيل وانه جاء به كل نبي قاله في سعود المطالع والحق انه علم قرآني مبسوط في كلام الله تعالى وتكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم فقول من أطلق ان واضعه الاشعري غير ظاهر فان أريد انه أول من دون فيه فغير ظاهر أيضا اذ قد ألف مالك رضي الله عنه فيه رسالة قبل ولادة الاشعري وان أريد انه أول من بسط الفن وألف فيه التصانيف المفيدة فسلم ولكن هذا لا يقتضي انه الواضع (ولد الاشعري) سنة ستين أو سبعين ومائتين بالبصرة وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة * واسمه التوحيد وأصول الدين والعقائد والاعتقادات والكلام والعلم الالهي والعلم الاكبر وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى غالبا وهذه الاسماء تطلق مفردة ومضافا اليها العلم فيقال أصول الدين وعلم أصول الدين وهكذا في سائرها وسمي بالتوحيد أخذا من صفة الوحدانية فهو من تسمية الشئ بأشرف أجزائه لان صفة التوحيد هي أوكد أوصاف الالوهية وهي أساس لغيرها وسمي بعلم الكلام أيضا لان مسئلة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعا حتى ان بعض المتغلبة قتل كثيرا من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن فهو من باب تسمية الشئ باسم جزئه الاعظم كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة أي جزؤه الاعظم من جهة كثرة الكلام فيه ووجه باقي الاسماء ظاهر واستمداده على ما عند الاصوليين من تفسيرهم استمداد العلم بأخذه من أصله المستنبط منه فهو الادلة القطعية العقلية والسواطع النقلية وعند أهل المنطق مباديه الاصطلاحية التي ينبني عليها العلم من أمور تصورية أو تصديقية فالاول كحد الحكم العقلي والواجب والمستحيل والجائز والجوهر والعرض والثاني اما ضروري كقولك النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان أو نظري كقولك ما ثبت قدمه استحال عدمه وحكمه الوجوب العيني اجماعا فيما يتعرض فيه لبيان العقائد فقط عند من يكتفي بالتقليد وكذا عند من لا يكتفي به ويقول ان المقلد مؤمن عاص فالواجب عندهما عينا معرفة العقائد بأدلتها وعند من يقول ان المقلد غير عاص فمعرفة العقائد بأدلتها فرض كفاية وكذا حكم ما يتعرض فيه لمذاهب الضالين وابطالها على الصواب من أقوال في هذا القسم وقيل انه مندوب وقيل حرام خوف تزلزل العقيدة بمخالطة شبه المذاهب الزائغة وجمع بأن الطلب متوجه لذوي العقول الكاملة والتحريم لذوي الالباب القاصرة ومسائله قضاياه التي يطلب في الفن نسبة محمولاتها لموضوعاتها بالبرهان على وجه اجمالي وأما على الوجه التفصيلي فهي نفس العلم فلا يصح عدها من مباديه وفضيلته انه أشرف العلوم الدينية على الاطلاق أعني القدر الواجب منه عينا (ولبعضهم في مدحه)

أيها المقتدي ليطلب علما * كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كي تصحح حكما * ثم أغفلت منزل الاحكام

وأما قول ابن تيمية في ذم كتاب محصل المقاصد

محصل في علوم الدين حاصله * من بعد تحصيله علم بلا دين
أصل الضلالة في الافك المبين فما * فيه فاكثره وحي الشياطين

فمما لا يعترج عليه ولا يركن اليه (وقد عارضهما بعضهم بقوله)

محصل

محصل في علوم الدين حاصله * من بعد تحصيله علم مع الدين
أصل السعادة مافيه وأكثره * يبين الحق من وحي الشياطين

أو يحمل كلام ابن تيمية على ما يتعرض فيه لمذاهب الضالين وتقرير شبههم وتشكيكاتهم وهذا أظهر وعليه يحمل أيضا قول الشافعي رحمه الله لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشئ من علم الكلام وقول بعض العلماء كما نقله الشيخ زروق الناظر في علم الكلام كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظرا ازداد عمى وقد رد بعضهم على عائبه مطلقا مع كون فضله محققا بقوله

عاب الكلام اناس لاخلاق لهم * وما عليه اذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى في الافق طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

(ثم قال الناظم)

( ) ﴿ثم الطهارة وأحكام الوضو * جميعها تتبعها النواقض﴾

ثم للعطف مع الترتيب الرتبي والطهارة معطوف على التوحيد في البيت قبل وأحكام معطوف على الطهارة والوضو مضاف اليه وحذف همزته ضرورة وجميعها بالخفض توكيد لقوله أحكام وعليها يعود الضمير المضاف اليه جميع وقوله تتبعها النواقض جملة من فعل وفاعل مؤخر ومفعول مقدم في محل نصب على الحال من قوله أحكام الوضو وضمير تتبعها يعود على أحكام الوضوء أيضا ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك علم التوحيد تقبل على قراءة أحكام الطهارة خبثية أوحدثية كبرى مائية أو ترابية عند وجود موجب الترابية وأحكام الوضوء كلها من فرضه وسننه وفضائله ومكروهاته وحكم المياه ويلحق بها معرفة الطاهر والنجس ليعلم ما ينجسها ومالا وحكم خلف الوضوء وهو التيمم عند وجود موجبه ومعرفة نواقض الطهارتين الكبرى والصغرى ثم ان التعرض لذكر هذه الاحكام وبيانها هنا في الشرح ممالا يناسب اذهى مذكورة في كتب الفقه معلومة في أذهان الفقهاء فذكرها هنا تشدق فنقتصر في هذه الفنون من العلم على حل كلام الناظم وبيان معنى ألفاظه فنقول الطهارة في اللغة النقاء من الادناس يقال طهر الشئ من باب نصر وكرم طهارة بالفتح فيهما فهو طاهر أي نقي من الدنس وتستعمل في السلامة من القبائح مجازا كما يؤخذ من الاساس يقال هو طاهر العرض أي سالم مما يعيب وطاهر الجيب أي عفيف والطهارة بالضم فضل ما يتطهر به وبالكسر ما يطهر به من غاسول وصابون وفي العرف تطلق على معنيين طهارة حدث وطهارة خبث وينبغي تعريف كل واحدة منهما منفردة لتغايرهما في أحكام كثيرة وتغاير ضديهما فالاولى صفة حكمية تباح بها الصلاة لموصوفها والثانية صفة حكمية حاصلة عن الوضوء أو الغسل أو التيمم يباح بها لموصوفها أن يصلي انظر بيان هذين التعريفين فيما شرحه المحقق الهلالي من المختصر ﴿لطيفة﴾ قال ابن راشد في المذهب حكمة مشروعيتها أي الطهارة تدريب النفس على مكارم الاخلاق والتأدب مع الملك الخلاق والتنبيه على طهارة القلب من الصفات الذميمة كالغل والحقد وتفريته وتفريغه عما سوى الله اه قال أبو العباس الهلالي بعد نقله فتأمله وحافظ عليه واعتبر مثله في جميع أبواب الفقه بل في كل مسئلة لئلا يشغلك البحث في المسائل عن مولاك الذي شرعها لك وأمرك بمعرفتها نسأله سبحانه بمحض فضله أن يوفقنا لمرضاته في جميع الاحوال اه والاحكام جمع حكم وهو يطلق بمعنى المصدر وبمعنى المحكوم به من وجوب وحرمة مثلا وهو الذي عرفه في جمع الجوامع بقوله الحكم خطاب الله الخ وهذا المعنى الثاني هو المراد في كلام الناظم والمراد بالوضوء الطهارة الصغرى فلذا حملت قوله الطهارة على الكبرى فقط لذكره الصغرى بعد والوضوء مشتق من الوضاءة وهي الحسن والنظافة وقد تقدم تعريف الطهارة شرعا

الشاملة للكبرى والصغرى وعرّفت الصغرى التي هي الوضوء على حدتها أيضا بأنها تطهير أعضاء مخصوصة بالماء يرتفع عنها الحدث لاستباحة العبادة الممنوعة قبل والوضوء بضم الواو اسم للفعل وبفتحها اسم للماء وقيل هما بمعنى واحد (قال ابن دقيق العيد) واذا قلنا انه بالفتح اسم للماء فهل هو المطلق الماء أو بقيد كونه متوضئا به أو معدا للوضوء به فيه نظر اه وهو في النظم بضم الواو لان المراد الفعل ﴿فائدتان * الاولى﴾ الجمهور على أن فرض الوضوء مقارن لفرض الصلاة والآية وهي قوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الخ مقررة وقيل كان سنة وفرض بها ﴿الثانية﴾ الوضوء ليس خاصا بهذه الامة كالتيمم خلافا للحليمي وانما الخاص بهم الغرة والتحجيل أو الكيفية المخصوصة أو التثليث أو الحث عليه والمبالغة في التأكيد والنواقض جمع ناقض وهو الحدث الذي ينتهي به حكم الوضوء كما ينتهي حكم النكاح بالموت وليس المراد بالناقض ما يبطل به الوضوء والا لبطل ما يفعل به من العبادة ﴿تنبيه﴾ عبر الناظم بالنواقض تبعا لجماعة كابن الحاجب والشيخ خليل وابن عاشر وهو أولى من تعبير صاحبي الجواهر والرسالة بالموجب فقد اعترضه أبو عبد الله المقري بأن الموجب انما هو ارادة القيام للصلاة لقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الآية وبعضهم استصوب التعبير بالموجب لشموله لما لم يكن أولا على وضوء فالحدث السابق على الوضوء الاول موجب لا ناقض وما بعده ناقض لما قبله موجب لما بعده فالموجب أعم من الناقض فتأمله ثم قال

ص ﴿ثم أحكام الصلاة جملة * وسجدتا السهو ووقت قبلة﴾

ثم للعطف مع الترتيب والتاء اللاحقة لها لتأنيث اللفظ وفتحها كما في النظم هو الاكثر وتسكينها قليل كما في المغني وقد نص الشمني في مبحث الجمل ذوات المحل والفناري في حواشي المطوّل على أنها اذا لحقتها التاء كما هنا اختصت بعطف الجمل ونقله بعض المحققين وسلمه قائلا فاحفظه فقد يقع السهو فيه وبه يعلم ما في عطف الناظم بها غير الجملة وقد وقع مثله لابن مالك في الخلاصة في قوله ثمت أفعال وأحكام بالرفع معطوف على قوله النواقض في البيت قبله وانما لم نجعله معطوفا بالخفض على قوله بالتوحيد لاجل قوله وسجدتا السهو بألف التثنية فهو مرفوع قطعا على ما هو الواقع في كثير من النسخ والصلاة مضاف اليه أحكام وجملة أي جميعا منصوب على الحال من المضاف وسجدتا معطوف على أحكام الصلاة فهو مرفوع بالالف وهو مضاف الى السهو وفي نسخة من سجدة السهو على أنه بيان لاحكام الصلاة وعليها فيصح في قوله أحكام الصلاة الجر عطفا على قوله بالتوحيد في البيت السابق اذ لا مانع حينئذ ووقت معطوف على أحكام على المختار في المعاطيف اذا تكررت وكان حرف العطف غير مرتب من ان العطف على الاول وعلى نسخة من سجدة السهو فقوله ووقت معطوف على سجدة قطعا وقبلة معطوف على أحكام على النسخة الاولى أو على سجدة على الثانية على حذف حرف العطف وحذفه لغة يرتكب في السعة ومنه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد أي وقلت أو فقلت لان جواب اذا هو قوله تعالى تولوا الخ على أحد وجوه في الآية ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك لما تقدم من التوحيد أولا وأحكام الطهارتين والنواقض ثانيا تتبع ذلك بمعرفة أحكام الصلاة كلها من فروضها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها وقضاء ما فات منها وأحكام الجماعة والاستخلاف وصلاة السفر والجمع فيه وفي المطر وصلاة الجمعة والعيد والكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وبمعرفة سجدتي السهو قبليتين أو بعديتين وبمعرفة دخول الاوقات وتقسيمها الى اختياري وضروري وما يحرم فيه النفل منها وما يكره وبمعرفة أحكام القبلة أي جهتها وحكم استقبالها ثم ان الصلاة لغة حقيقة الدعاء وباقي معانيها المذكورة في كتب اللغة من الرحمة والاستغفار والتعظيم وحسن الثناء مجاز لغوي كما حققه الراغب وغيره

وارتضاه

(هامش:) ...نفي لا لانفي ... خاصا بهم كان ... هم فقد نص ... المختصر وغيره ... من خصائص ... اه مؤلفه

وارتضاه المحقق النقاد ابن الطيب في حواشي القاموس وهو المأخوذ من كلام الزمخشري في مواضع من الكشاف وهو الذي صدر به في المصباح ثم عطف القول بالاشتراك عليه بقيل وهو الذي ارتضاه أبو حفص الفاسي وأما شرعا فهي قربة فعلية ذات احرام وسلام أو سجود فقط انظر شرح هذا التعريف في شروح المختصر وحواشيه وسجدتا تثنية سجدة المرة من السجود والسهو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته المرتسمة في القوة الحافظة بحيث يتنبه له بأدنى تنبيه والنسيان هو زوال الشيء عن الحافظة فلا يتنبه له بأدنى تنبيه بل يستأنف تحصيله وظاهر المواقف ترادفهما وقال في شرح المقاصد انه قد لا يفرق بينهما وذكر السيد في شرح المواقف عن الآمدي أن الغفلة والذهول والنسيان عبارات مختلفة لكن يقرب أن تكون معانيها متحدة اه وهو المناسب للغة واضافة سجدتا للسهو على معنى لام التعليل أي السجدتان الواقعتان لاجل السهو وهذا باعتبار الغالب وقد يكونان لاجل العمد كقول خليل كطول بمحل لم يشرع فيه والمراد بقوله وقت وقت الصلاة وأطلق اتكالا على قرينة السياق وأراد بالقبلة معرفتها نفسها ومعرفة حكم استقبالها فالقبلة بالنسبة لمن بمكة هي عين الكعبة وجهتها بالنسبة لمن بغيرها وحكم استقبالها الوجوب مع الامكان كما هو مبسوط في كتب الفقه ثم قال

(٦٧) ﴿ثم الزكاة والصيام بعدها * والحج يا صاح تحصل عدها﴾

ثم للعطف مع الترتيب الرتبي والزكاة معطوف على الصلاة بالرفع أو الخفض على ما تقدم والصيام معطوف على الزكاة وبعدها منصوب على الحال من الزكاة والضمير يعود للزكاة والحج معطوف على الصيام لا على الزكاة لان الواو وان كانت لا ترتيب على الصحيح لكن محل القول الصحيح ما لم تقم قرينة على ارادة الترتيب كما لابن مالك في التسهيل وقد دل السياق والترتيب قبل في قوله والصيام بعدها على أن الحج يكون بعد الصيام وقوله يا صاح حرف نداء ومنادى مرخم على غير قياس كما تقدم وقوله تحصل الفاء زائدة وحصل فعل أمر وعدها مفعول به والضمير يعود على الامور المتقدمة المرتبة من التوحيد وما بعده ﴿والمعنى﴾ ثم بعد معرفتك أحكام الصلاة تقرأ أحكام الزكاة أي من بيان ما تجب فيه الزكاة وما لا وبيان القدر المخرج مما تجب فيه وبيان مصرفها ومن ذلك زكاة الفطر لتسميتها زكاة وبعد الزكاة أحكام الصيام أي من ثبوت الشهر وما يفتقر للصائم وما لا والكفارة وشروطها ومحلها وما يستحسن صومه من غير رمضان وما يبيح الفطر وقضاء الصوم ونحو ذلك ويلحق به الاعتكاف لانه شرط فيه ثم أحكام الحج أي من شروطه وفرائضه التي لا تنجبر بالدم وواجباته المجبورة وسننه ومندوباته ومكروهاته وممنوعاته والفدية والهدي وجزاء الصيد ومحله والموانع من الحج والتحلل منه والاحصار وغير ذلك وانما قدمت الزكاة على الصيام لكثرة اقترانها بالصلاة في الكتاب والسنة قال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وفي حديث جبريل وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وبعضهم يجعل بعد الصلاة الصيام نظرا الى انه عبادة متعلقة بالبدن كالصلاة والزكاة لغة النماء والزيادة والبركة وكثرة الخير يقال زكا الزرع اذا نما وزكت البقعة بورك فيها وفلان زاك كثير الخير ومنه تزكية الشهود وسميت الزكاة الشرعية بذلك لانها تعود في المال بالبركة والتنمية أو لان القدر المخرج ينمو عند الله ويزكو كما في الحديث ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا كان كأنما يضعها في كف الرحمن فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون كالجبل أو لان صاحبها يزكو بأدائها كما قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وشرعا تطلق اسما ومصدرا وعرفهما ابن عرفة بقوله الزكاة اسما جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصابا ومصدرا اخراج جزء من المال شرط الخ وهذا التعريف غير مانع انظر حاشية الشيخ بناني على الزرقاني وما ألطف قول الاديب البارع سيدي مصباح

صاحب كتاب سنا المهتدي ومن خطه نقلت في ديوانه

قلت لها زكي شهي شي الريق وارحم من سأل ❊ فقال ريقي عسل ❊ ولا زكاة في العسل

﴿ولأبي حفص الناسي﴾

يقولون ما للحب شح بلحظه ❊ ولم ير إيجاب الزكاة على العين

فقلت ديون العاشقين كثيرة ❊ وان زكاة العين تحط بالدين

﴿قلت﴾ وقد أخذ أبو حفص هذا المعنى من قول ابن جابر الاندلسي

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت ❊ اليك فهذا ليس تدركه مني

على ديون للعيون فلا ترم ❊ زكاة فان الدين يسقطها عني

ولكن بيتا أبي حفص أرق وأخص وأنص في تنزيل الحكم الفقهي على مراده كما لا يخفى على ذي ذوق للمعاني اذا عرف مضمون الحكم الفقهي في المسئلة (وما ألطف قول الآخر)

وترك له في الخد خال ❊ كمسك فوق كافورندي

تعجب ناظري لما رآه ❊ فقال الخال صل على النبي

فقلت له ملكت نصاب حسن ❊ فأد زكاة ذا الحسن البهي

فقال أبو حنيفة لي إمام ❊ يرى أن لا زكاة على الصبي

فان تك مالكي الرأي اومن ❊ يكون يرى برأي الشافعي

فلا تطلب زكاة الحسن مني ❊ فاخراج الزكاة على الولي

والصيام مصدر سماعي لصام والمصدر المقيس صوم وهو لغة الامساك عن أي فعل ومنه صام الفرس أي قام على غير علف قال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة ❊ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وشرعا الامساك عن شهوتي البطن والفرج أوما يقوم مقامهما بنية من طلوع الفجر الى غروب الشمس وهذا التعريف لا يخلو من بحث كتعريف ابن عرفة انظر بناني ﴿فائدة﴾ الصوم أربعة أقسام صوم عوام العوام وهو الكف عن المفطرات وهذا هو المقصود في تعريف الفقهاء لانه أقل ما يصح به الصوم ويطلق عليه لفظه وصوم العوام وهو الكف عن المفطرات والمحرمات وصوم الخواص وهو الكف عن المفطرات والمحرمات والشبهات واللذات وصوم خواص الخواص وهو الكف عما سوى الله وفيه قال بعضهم

صمت عن غيره فلما تجلى ❊ كان لي شاغلا عن الافطار

وتشوقت مرة ثم لما ❊ زارني جل عن مدى الانتظار

وهنا تنبيه أكيد ينبغي التيقظ له قد نقل القسطلاني عن السبكي الاجماع على أن ملابسة المعاصي في رمضان تمنع ثواب الصيام وقال الحافظ ابن حجر في الفتح على قوله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ما نصه قال ابن العربي مقتضى الحديث ان من فعل ماذكر لا يثاب على صيامه ومعناه أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة باثم الزور وماذكر معه اهـ ﴿قلت﴾ وظاهر الحديث شاهد للاجماع ولا أقل من كونه مشهورا وينبغي حمله على الثواب الكامل الذي يحصل المقام الثاني من المقامات الاربعة السابقة أو على ما حمله عليه ابن حجر من عدم المقاومة في الموازنة والا فالفقهاء لا يشترطون في الصحة غير الكف عن المفطرات وعلى المعنى الثاني يحمل أيضا قول ابن عرفة اذا لم يكن في السمع مني تصاون ❊ وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فخالي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يوما فما صمت

وقول الامام أبي بكر بن عطية

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من الحديث فنونه

واعلم بأنك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

ولا يرد ما قدمناه من أن القسم الاول هو المراد عند الفقهاء قول ابن عطية لا تنال قبوله الخ لان القبول أخص من الصحة على الراجح عند الاصوليين فالكف عن المفطرات يقال معه بصحة الصوم والقبول أمر آخر وتأمل والله أعلم فالصائم متصف بصفة الباري في الجملة أو بصفة الملائكة ولذا قال تعالى كما في الحديث القدسي إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به على أحد أوجه في الحديث ﴿نكتة﴾ قال بعضهم حكمة كون الصوم شهرا أن الله تعالى لما تاب على آدم من أكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقي في جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام شهر نقله الزرقاني في شرح المواهب والحج مصدر حج يحج وهو بفتح الحاء على القياس وهو لغة الحجاز والكسر أكثر سماعا وهو لغة نجد وكذا اللغتان في الحجة وقيل الحج بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وقيل الاسم بهما وهو لغة مطلق القصد وقيل بقيد التكرار هذا هو الاصل فيه ثم تعورف في استعماله في القصد الى مكة المشرفة للنسك تقول حججت البيت أحجه حجا فأنا حاج وربما أظهروا التضعيف في ضرورة الشعر قال الراجز * بكل شيخ عامر أو حاجج * قاله في الصحاح وشرعا رسمه ابن عرفة بقوله عبادة يلزمها الوقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة انظر شرح هذا التعريف مع تعريف آخر لابن عرفة أيضا مع ما ورد عليه فيهما في الخرشي ﴿فائدة﴾ الحج لا يتكرر وجوبه بل يجب مرة في العمر لان سببه الذي هو البيت الحرام واحد لا تعدد فيه بخلاف الصوم وغيره من العبادات فان أسبابها تتكرر فتكرر وجوبها بتكرار أسبابها والله أعلم ثم قال

(35) ﴿ثم ان حصلت ذا مع التقى * فاهنأ فقد رقيت أعلى مرتقى﴾

ثم للعطف مع الترتيب اللفظي وتقدم القول في التاء اللاحقة لها غير أنه لا يرد عليه هنا البحث السابق لان المعطوف بها هنا جملة وهي قوله ان حصلت الخ فهي معطوفة على قوله سابقا تبدأ بالتوحيد الخ وذا مفعول بحصلت والاشارة راجعة لما تقدم من علم التوحيد وما بعده من أحكام العبادة ومع التقى في محل نصب على الحال من ذا والتقى فعلى من التقوى وتقدم ما يتعلق بالتقوى عند قول الناظم وجعل التقوى أساس الخير وقوله فاهنأ جواب الشرط والفاء رابطة وهي لازمة لان الجواب وقع طلبا وقوله فقد الفاء زائدة لتزيين اللفظ وقد للتحقيق ورقيت بكسر القاف فعل وفاعل وأعلا مفعوله ومرتقى مضاف اليه ما قبله والمرتقى محل الرقي ﴿والمعنى﴾ ثم ان حصلت ما تقدم من العلوم ولازمت التقى معه فقد حق لك الهناء وبلغت مكانا عليا أي لانك علمت أركان الاسلام الخمسة التي هي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وهي واجبة على الاعيان ثم قال

(36) ﴿وبعد ذا انصب على باب خليل * فذاك دأب كل طالب جليل﴾

الواو للعطف وبعد ظرف زمان معمول لقوله انصب وهو مضاف الى اسم الاشارة الراجعة لما تقدم من العلوم وعلى باب متعلق بانصب أيضا والانصباب في الاصل الانحدار ثم استعمل مجازا لغويا في التوجه للامر والمبادرة اليه كما يؤخذ من الاساس يقال انصب البازي على الصيد ومنه ما في النظم أي توجه الى باب خليل والزمه والمراد ببابه مختصره وفي نسخة انصب على متن وفي أخرى على فقه وخليل مضاف

اليه باب وهو فى الاصل فعيل من الخلة ثم صار علما على مسماه والجملة من الفعل ومتعلقيه معطوفة على جملة تبدأ فى البيت السابق وقوله فذلك الفاء زائدة وذلك مبتدأ والاشارة راجعة الى الانصباب على باب خليل ودأب أى عادة خبر المبتدا وكل مضاف اليه دأب وطالب مضاف اليه كل وخليل صفة لطالب وبين خليل وخليل جناس التصحيف ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك ماتقدم الزم قراءة مختصر الشيخ خليل وحفظه فذلك شأن أجلة الطلبة أى لانه فى هذه الازمنة عمدة المذهب وفيه الغنية والمطلب ولقد وضع الله القبول على مختصره من زمنه الى الآن فعكف الناس عليه شرقا وغربا حتى آل الحال فى هذه الازمنة وقبلها الى الاقتصار عليه فى هذه الاقطار المغربية فقل أن ترى أحدا يعتنى بابن الحاجب فضلا عن المدونة وقد كان العلامة ناصر الدين اللقانى يقول اذا عورض كلام خليل بكلام غيره نحن أناس خليليون ان ضل ضللنا وذلك منه مبالغة فى الحرص على متابعته ومدح مختصره ابن غازى فقال انه من أفضل نفائس الاعلاق وأحق مارمق بالاحداق وصرفت له همم الحذاق عظيم الجدوى بليغ الفحوى مبين لمابه الفتوى أوماهو الراجح الاقوى جمع مع شدة الاختصار شدة الضبط والتهذيب واقتصر على حسن المساق والترتيب فمانسج أحد على منواله ولاسمحت قريحة بمثاله اهـ (ولبعضهم فى مدحه)

كتاب خليل منبع النور والهدى * فحسب الفتى فى أن يكون خليله
يفيد أولى الالباب علما وسوددا * فيارب يسر بالهدى مدخلى له

﴿وللقرافى فى مدحه﴾

ليس لى خلة تسوق الى من * قد يرى الفانى الحقير جليلا
انما خلتى وصاحب دهرى * مرشد قام فى اهتدائى دليلا
لخليل الامام بحر المعانى * لم يزل بالرشاد يهدى سبيلا
أخلص القصد فالاله تعالى * قد كساه من الكمال جميلا
فعليه من الاله تعالى * رحمة قد علت وأهدت سبيلا

الخلة الاولى فى كلامه بالفتح بمعنى الحاجة والثانية بالضم المحبة وللشيخ محمد الفارضى الحنبلى كما للقرافى فى توشيح الديباج

أطلاب علم الفقه مختصر الرضى * خليل لكم فيه الحياة فعيشوا
فلله بيت ضمنوه مديحه * به يهتدى من فى الانام يطيش
سلام على الدنيا اذا لم يكن بها * خليل بن اسحق الامام يعيش

(ولآخر)

خليل به فاله ج وحقق فروعه * تصر به فوق الارض أجل فرقد

(ولآخر)

كتاب خليل رائق النظم فائق * على مذهب الحبر المقدس مالك
أقام به للفقه أى شريعة * وسهل ماقد كان وعر المسالك

(ولآخر)

نافس فديتك فى اقتنا نفائس * مذخورة قد حازها كنز الدرر
أنفاس علم قد بدت أعلامها * بالحسن معلمة بأبدع مختصر
مائة المسائل ميزت بالالف من * كل الذى الفتيا به بين البشر
لو أن مالكا الامام رآه لم * يخش الدروس لمذهب عنه انتشر
ماقلت ذلك تغاليا كلا لقد * أغنى لعمرى الخبر فيه عن الخبر

هذا القرافى احمد القرافى صاحب الذخيرة مائة كما صح خليل

(قوله به) يقرأ باختلاس حركة الضمير لاستقامة الوزن كما هو ظاهر اهـ مصححه

فعلى

نعلي خليل من الهي رحمة * موصولة توليه أعلامه...

(ولآخر)

يا قارئا مختصر الخليل ٢ * لقد حويت العلم يا خليلي
حصله حفظا واصرف الهمة له * فقد حوى مائة ألف مسئله
نصا ومثلها من المفهوم * فان شككت اعدده في المرسوم

٢ أدخل عليه ال ضرورة اه مؤلفه

(قال العلامة الهلالي) وماذكره هو والذي قبله من كون مسائله مائة ألف لعله باعتبار أصول المسائل اذلو اعتبر ما يتفرع عنها لزادت على ذلك أضعافا مضاعفة اه وقد عرف بالشيخ خليل جمع من الائمة كالشيخ أحمد بابا في نيل الابتهاج وابن حجر في الدرر الكامنة وابن مرزوق وغيرهم ووصفوه بالعلم والعمل وصحة الادراك وانه كان قدوة حجة حامل لواء المذهب المالكي متقشفا منقبضا عن أهل الدنيا مقبلا على الافادة ونشر العلم والتأليف حتى انه كان لا ينام في بعض الاوقات الا شيأ يسيرا بعد طلوع الفجر للاستراحة من جهد المطالعة والكتب مجمعا على فضله وديانته جامعا للعلوم شتى صنفا فيها فمن تآليفه شرح مختصر ابن الحاجب شرحا حسنا في ست مجلدات وضع الله عليه القبول وألف المختصر وشرح المدونة وصل فيها الى كتاب الحج وشرح شيأ من ألفية ابن مالك وألف كتاب المناسك الى غير هذا من مصنفاته وكان جنديا لم يدع زي الجند قط وعمدة أشياخه في علم الفقه الامام المنوفي وتخرج على يده جماعة كثيرة * توفي رحمه الله ثالث عشر ربيع الاول سنة ست وسبعين وسبعمائة على ماذكره ابن مرزوق نقلا عن ناصر الدين الاصحاقي أحد تلامذة الشيخ خليل ونحوه لابن غازي وغيره وذكر الشيخ زروق أنه توفي سنة تسع وستين وسبعمائة وذكر ابن حجر انه توفي سنة سبع وستين وسبعمائة وصوّبه محمد بن محمد الحطاب واقتصر عليه العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة في تاريخه أزهار البستان في طبقات الاعيان قال أبو العباس الهلالي والاشبه ماذكره ابن مرزوق وابن غازي لاسناده لبعض تلامذة خليل وهو أعلم به من غيره لكونه ممن حضره وصاحبه في حياته اه ولم أقف على تاريخ ميلاده بعد البحث الشديد ولعل ذلك والله أعلم للجهل به وعدم اخباره هو عن نفسه بذلك أخذا بمذهب الاكابر الذين كانوا يرون صونه قال لسان الدين بن الخطيب نقلا من خط شيخه الامام أبي عبد الله المقري القرشي في ترجمته من الاحاطة كان مولدي بتلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان وقد وقفت على تاريخ ذلك ورأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفي عن سنه فقال أقبل على شأنك فاني سألت أبا الفتح زيان بن مسعود عن سنه فقال أقبل على شأنك فاني سألت علي بن محمد بن اللبان عن سنه فقال أقبل على شأنك فاني سألت أبا بكر محمد بن عدي عن سنه فقال أقبل على شأنك فاني سألت أبا اسمعيل الترمذي عن سنه فقال أقبل على شأنك فاني سألت الشافعي عن سنه فقال أقبل على شأنك فاني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه وكان أبو القاسم بن بشكوال يكره أن يسئل عن مولده ويجيب سائله بالخبر المتقدم وكان أبو بكر محمد بن أبي خالد بن أبي زمنين لا يخبر بمولده الى أن ألح عليه أحد طلبته المختصين به في السؤال عن ذلك قبل وفاته بيسير فقال لي اثنان وسبعون عاما وسمعت أحد أشياخي يقول ما سئل أحد عن مولده فكتمه ثم أخبر به الادنا أجله وأرى أجلي قد حضر اه (وفي ترجمة الابهري من الديباج لابن فرحون) أن الابهري سئل عن سنه فقال قال مالك إخبار الشيوخ عن أسنانهم سفه اه وانما كان الاخبار بالسن ليس من المروءة لانه يستدعي تذكر الولادة وما يكون عليه المولود في البداية مما لا تتيسر أسباب المروءة معه من الجهل بالمضرة والمنفعة ولانه يدعو في الجملة الى التكذيب ممن لا يرى أن الله عليه رقيب ولان فيه مرفع المهابة بين

الطالب وأستاذه حيث خاطبه بما ليس من شأنه مما لا نفع له فيه ولهذا قال أبو البركات ابن الحاج كما في نفح الطيب ونسبها في خلاصة الاثر لابي العلاء البغدادي

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

(وقال أبو حفص الفاسي)

المرء يسئل دائما عن سنه * والرأي والمال المسود من يسود
فاذا سئلت فلا تجب عن واحد * خوف المكذب والمكفر والحسود

(وينبغي) لمن سئل عن سنه أن يورّي عنه ويدافع كما وقع لخالد بن الوليد رضي الله عنه مع عبد المسيح وذلك ان خالدا النازل بالحيرة أتاه عبد المسيح الغساني وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة فقال له عم صباحا أيها الامير فقال خالد أغنى الله عن تحيتكم بالسلام عليكم ثم قال له خالد من أين أقصى خبرك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلى م أنت قال على الارض قال فيم أنت قال في ثيابي قال أتعقل قال إي والله وأقيد قال ابن كم أنت يا شيخ قال ابن رجل وامرأة قال ماسنك قال عظم قال كم سنك قال اثنان وثلاثون بين ضرس وناب وغيرهما قال كم لك من السنين قال السنون كلها لله قال كم أتى عليك قال لو أتى على شيء لقتلني قال كم عمرك قال لا يعلمه الا الله فقال خالد ما رأيت كاليوم انسانا أسأله عن الشيء وهو ينحو في غيره قال ما أجبتك الا عن مسئلتك اه (ودفن) الشيخ خليل رحمه الله حذاء ضريح شيخه المنوفي بالقرافة من مصر وقد من الله تعالى علي بزيارتهما لما رحلت للحج والزيارة سنة سبع وثلاثمائة وألف وعلى قبره أثر الخمول والتواضع وليس عليه بناء ولا شهرة (يحكى) أن بعض العلماء وقف على قبره فلما رأى ما عليه من الخمول قال مخاطبا له أنت قلت وان بوهي به حرم (قال العلامة الهلالي) غريبة قال الشيخ اسمعيل بن علي السندفاني في شرحه على المختصر في كلامه على التعريف بالمصنف ما نصه وقد رحل اليه الامام ابن عرفة حين شاع ذكره واشتهر أمره فوجده قد مات قبل قدومه بأيام يسيرة فطلب الوقوف بعد زيارته على شيء من مؤلفاته فأحضر له هذا المختصر فحصل له عليه ما حصل من التأسف والندم فأنشأ يقول رحمه الله تعالى

لقد كاد قلبي حين قيل ترحموا * على مالك الثاني الامام يطيش
سلام على الدنيا اذا لم يكن بها * خليل بن اسحق الامام يعيش اه

(قلت) هذا لا يصح فان ابن عرفة انما رحل للمشرق عام اثنين وتسعين بتقديم المثناة على المهملة كما في الديباج وغيره وحج ورجع لبلاده عام ثلاثة وتسعين فلعل الحكاية لغير ابن عرفة أو موضوعة وتوفي ابن عرفة رحمه الله عام ٦ ثلاثة وثمانمائة اه كلام الهلالي (قلت) وبحثه مع السندفاني في أمرين الاول في قوله فوجده قد مات بأيام يسيرة مع أن بين وفاة الشيخ خليل على ما هو الاشبه ورحلة ابن عرفة ست عشرة سنة الثاني في قوله فأحضر له هذا المختصر الخ فانه لم يثبت وقوف ابن عرفة على شيء من مؤلفات خليل وفي ذيل الابتهاج ما نصه ولقد أذعن علماء المغرب لفضله وجلالته أي صاحب المختصر ولم أذكر ان ابن عرفة وقف على تأليف الشيخ خليل وسمعت بعض حكايات تدل على انه وقف على التوضيح لكن لم أذكرها لعدم التوثق بقائلها اه المراد منه ونحوه في توشيح الديباج وحلية الابتهاج للعلامة بدر الدين القرافي ونصه ولقد أذعن علماء المغرب الخ وزاد حتى ان العلامة ابن ناجي أحد جماعة ابن عرفة في شرحه للتهذيب في غير موضع ساق كلام الشيخ خليل على طريق الاستدلال على ما صدرت المخالفة فيه بينه وبين مشايخه حيث قال في بعض المواطن ولم نزل نختلف حتى ورد علينا تأليف خليل قال البدر

٦ في جمادى الاخيرة منها كما قاله تلميذه ابن الخطيب المعروف بابن قنفذ في شرحه شرف الطالب على منظومة غرامي صحيح في اصطلاح الحديث وذكر ان مولده سنة ٧١٧ أو قبلها بسنة اه مؤلفه

القرافى) لكنى لم أقف على ان العلامة ابن عرفة وقف على مصنفات خليل انظر تمامه ﴿فائدة﴾ ذكروا أن الشيخ خليلا بقى فى تصنيف مختصره خمسا وعشرين سنة والله أعلم ﴿قلت﴾ والمقام فى تأليفه هذه المدة المديدة دليل على مبالغته رحمه الله فى اتقانه ورحم الله الحكيم أفلاطون اذ قال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسئلون فى كم فرغ من هذا العمل وانما يسئلون عن جودته ثم قال الناظم

(٦٦) ﴿واعن بحل لفظه المستغلق * ولا تكن فى فهمه ذا قلق﴾

الواو عطفت جملة اعن الخ على جملة انصب فى البيت قبله واعن فعل أمر وضميره للمخاطب مستتر وجوبا وبحل أى بيان متعلق بالفعل ولفظه مضاف اليه حل ولفظ مضاف الى الضمير العائد على متن خليل والمستغلق نعت للفظ وهو اسم فاعل من استغلق الكلام اذا صعب فهو مجاز لغوى كما فى الاساس اذ الغلق انما هو حقيقة فى الحسيات كالباب وقوله ولا تكن لا ناهية وتكن مجزوم بها بالسكون على النون وذا قلق أى صاحب قلق خبر تكن والقلق الضجر والسآمة وفى فهمه متعلق بتكن أو بقلق والضمير فى فهمه يعود على متن خليل أيضا وفى نسخة ولا تكن فى ضمن ذا والضمن بكسر الضاد المضمن والاشارة لحل ألفاظه المستغلقة ﴿والمعنى﴾ واعتن أيها الطالب ببيان اللفظ الصعب من المختصر وتأن وتأمل فى فهمه ولا تكن ذا قلق وضجر فيما صعب عليك منه فانك بالتأنى والتأمل تدرك عويصة المسائل وتحصل منها على المراد والطائل فان الاصابة غالبا فى الروية واطالة الفكرة كما قال عبد الله بن وهب الراسبى للخوارج حين عقدوا له دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير فى الرأى الفطير والقول القصير (وقال المنصور لكاتبه) لا تبرم أمرا حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبيحه وقال أيضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية (وقال ابن الرومى)

ان الروية نار الجد منضجة * وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها * لكنه عاجل يمضى مع الريح

سيما مختصر خليل فان فيه مواطن أعيت الفحول حتى خصت بالتأليف والمقول كمسئلة وخصصت نية الحالف الخ فى باب الأيمان ومسئلة ولا يؤمر ان شك هل طلق أم لا أن دين تمادى الخ فى باب الطلاق ومسئلة وفى منعه بمنافع أو تعليمها قرآنا أو احجاجها الخ فى باب النكاح ومسئلة وضمانه وتلفه واستحقاقه وتعييبه الخ فى باب الصداق الى غير هذا من المحال التى فيها مداحض وأوحال ﴿واعلم﴾ أنه لا أضر على الطالب من كونه اذا أخذ الكتاب ليطالع لا يبالى فهم أم لا وانما يسرد الالفاظ سردا وعلامة نجدته ونجابته التأنق والتأنى وحل الالفاظ والحرص على فهمها ومعرفة ما فهمه وما لم يفهمه والغم لعدم فهم ما لم يفهمه والمبادرة الى السؤال عنه فاذا فهم حصل له كمال الفرح والسرور ﴿حكى﴾ عن جرير أنه لما قال * اذا غضبت عليك بنو تميم * الخ قام ورقص حتى ضرب برأسه السقف فسئل عن ذلك فقال لهذا الفتح ﴿ويحكى﴾ عن بعض العلماء وأظنه الامام ابن عاشر أنه كان اذا استصعبت عليه مسئلة وفهمها بعد تعب يقوم يشطح فرحا حتى يظن به الجنون (وقال ولد سيدى عمر بن الفارض) رأيت الشيخ يعنى أباه قام يوما ورقص حتى سال منه عرق كثير ثم جلس فلما استراح قلت له ما هذا يا سيدى قال فتح اليوم على بفتح لم يفتح على أحد اذ قلت

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وتقدم قول الزمخشرى * وتمايلى طربا لحل عويصة * الخ (وقال آخر)

طالب العلم حزين أبدا * وعن الاخوان والاهل نفور
يألف الكتب ويرجو ربه * وعلى الهجران والبين صبور

في سنة 1315 [illegible]
أما العربي [illegible] كتبته على كراسة من مختصره لا أصل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ليس يلهو مع من يلهو اذا * ماله اللاهون فى ظل القصور
فاذا استشكل شىء أحله * مفضيا فيه على الكتب يدور
واذا حل الذى استشكله * خاله نشوان من فرط السرور

وفقنا الله للرشاد والسداد بمنه (فائدة) حد علم الفقه أنه العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية سواء تعلقت تلك الاحكام بكيفية عمل قلبى كالنية أو غير قلبى كندب الوتر وموضوعه الافعال من حيث انها يعرض لها حكم شرعى من وجوب وحرمة وندب وكراهة واباحة فى مكلف أولا يعرض لها فى غيره كالنائم والساهى وأسباب الاحكام والشروط والموانع والحجج عند الحكام كالاقرارات والبينات ونحوها وواضعه على ما هو الحق هو الله تعالى فى القرآن فقد بين فيه معظمه ثم النبى صلى الله عليه وسلم بالسنة ثم استنبط الصحابة والتابعون والائمة المجتهدون وأتباع كل امام مما كان جاريا على قواعد امامهم وأول من دون فيه أبو حنيفة رضى الله عنه كما فى أوليات السيوطى وسعود المطالع ولذا قال الشافعى الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه (وقال مالك) ان أبا حنيفة وضع ستين ألف مسئلة فى الاسلام وذكر الخطيب الخوارزمى أنه وضع ثلاثة آلاف ألف مسئلة ثمانية وثلاثون ألفا فى العبادة والباقى فى المعاملات نقله العلامة سيدى الطالب ابن الحاج فى كتابه الازهار الطيبة النشر فيما يتعلق بالمبادى العشر عن كتاب مفتاح السعادة (واسم أبى حنيفة) النعمان وهو امام الائمة ولد سنة ثمانين من الهجرة وقيل سنة احدى وستين والاول أصح وتوفى فى رجب وقيل فى شعبان سنة خمسين ومائة وقيل ثلاث وخمسين والاول أصح وكانت وفاته ببغداد فى السجن ابى القضاء فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل لم يمت فى السجن وقيل توفى فى اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعى والله أعلم واسمه الفقه بكسر الفاء والفقه لغة العلم بالشئ والفهم له ثم اختص بعلم الدين لشرفه وظاهر القاموس أنه علم عليه بالغلبة ويحتمل أنه سمى به لان فهم الشريعة هو الذى ينبغى أن يسمى فهما قاله العلامة حلولو فى شرح جمع الجوامع والفقه وان كان يصدق بعلم الفرائض لكن عرف الاستعمال خصصه بعلم الشريعة الذى تدور الفتاوى والاقضية عليه واستمداده من الادلة وهى عند مالك ثمانية عشر نص الكتاب وظاهره وهو العموم ودليله وهو مفهوم المخالفة ومفهومه وهو المفهوم بالاولى وتنبيهه وهو التنبيه على العلة كقوله تعالى فانه رجس ومن السنة أيضا مثل هذه الخمسة والحادى عشر الاجماع والثانى عشر القياس والثالث عشر عمل أهل المدينة والرابع عشر قول الصحابى والخامس عشر الاستحسان والسادس عشر الحكم بسد الذرائع والسابع عشر مراعاة الخلاف ورعا لم يراعه فى بعض المسائل فقد اختلف حاله فيه والثامن عشر الاستصحاب وحكمه الفرض العينى فيما يتعلق بكيفية الطهارة والصلاة والصيام والزكاة ان وجبت والحج ان كان مستطيعا وما زاد على ذلك من أحكام المعاملات فالفرض الكفائى مالم يرد تعاطى ذلك والا صار فرض عين للاجماع ٣ على أنه لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ولو بالسؤال عنه حكاه القرافى فى قواعده عن الشافعى والغزالى لكن يكفى فى غير العبادات تعلم ذلك بوجه اجمالى يبرئه من أصل الجهل بالحكم بقدر وسعه ومسائله قضاياه التى يطلب فيه بالبرهان نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالى وفضيلته على قدر شرف موضوعه وحكمه وقد تقدما وفائدته وستأتى وبالفقه فسر بعضهم الحكمة فى قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء الآية وفى الحديث من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وفيه أفضل العبادة الفقه وقال الامام المقرى فى قواعده مانصه قاعدة حكم الفقه عام فى العموم لان قصده اقامة رسم الدين ورفع مناره واظهار كلمته وحكم التصوف خاص فى الخصوص لانه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك فمن ثم صح انكار

٣ خلافا للشيخ ميارة فى أول شرحه على المرشد اذ قال انه حديث اهـ مؤلفه

الفقيه على الصوفى ولم يصلح انكار الصوفى على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف الى الفقه والاكتفاء به دونه ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصلح دونه ولا يجوز الرجوع منه اليه الا به وان كان أعلى منه مرتبة فهو أسلم وأعم مصلحة (وفى ذلك قيل) كن فقيها صوفيا ولا تكن صوفيا فقيها وصوفى الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم لان صوفى الفقهاء قد تحقق بالتصوف حالا وعملا وذوقا بخلاف فقيه الصوفية فانه متمكن من علمه وحاله ولا يتم له ذلك الا بفقه صحيح وذوق صريح لا يصلح له أحدهما دون الآخر كالطب الذى لا يكفى علمه عن التجربة ولا العكس فافهم اه منها (وللامام الشافعى رضى الله عنه)

تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى وأعدل شاهد
هو العلم الهادى الى سنن الهدى * هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * أشد على الشيطان من ألف عابد

﴿ولبعضهم﴾

اذا ما اعتز ذو علم بعلم * فعلم الفقه أشرف فى اعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك * وكم طير يطير ولا كباز

(ولآخر)

عليك بالفقه من بين العلوم لكى * ترقى الى الذروة العلياء فى الرتب

﴿ولابن عبد البر من أبيات﴾

واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها عند التقى المؤمن
علم الديانة وهو أرفعها الذى * كل امرئ مستيقظ متدين
٢ هذا الصحيح لا مقالة جاهل * فأجلها منها مقيم الالسن
لو كان مهتديا لقال مبادرا * فأجلها منها مقيم الادين

وهراده الرد على ابن خلف الحمدانى اذ قال فى أبيات له ستأتى * النحو يبسط من لسان الالكن * الخ

(ولآخر)

العلم أشرف عز أنت رائده * فابدأ بتقوى مناهى الله وانته له
مسائل الفقه أسياف يمانية * والفقهاء بها صالوا على الجهله

﴿ولابن الوردى فى لاميته﴾

واحتفل للفقه فى الدين ولا * تشتغل عنه بمال وخول

ونسبته الى العلوم مختلفة فأما الى علم التفسير والحديث وأصول الفقه فالخصوص لانه أخص منها اذ هو مستنبط ومأخوذ منها اذ هى أصول له وأما الى فقه التوارث وسائر علوم الآلة فالتباين وفائدته معرفة ما يدان به بعد العقيدة وصحة العقود من فاسدها و بذلك يتوصل الانسان الى معرفة الله تعالى وكيفية التعبد له وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿تنبيه﴾ تقدم ان عرف الشرع خص علم الفقه بعلم الشريعة الذى تدور الفتاوى والاقضية عليه لكن مراد الناظم رحمه الله به هنا ما يشمل علم الفرائض لانه لم يذكره بعد مع تأكده فلا يسعه السكوت عنه والمبادى السابقة لعلم الفقه انما هى لمعناه العرفى * وأما علم الفرائض فحده أنه الفقه المتعلق بالارث وعلم ما يوصل لمعرفة قدر ما يجب لكل ذى حق من التركة وموضوعه التركات على ما هو الصواب وواضعه الله تعالى قال يوصيكم الله فى أولادكم الآية يستفتونك قل الله يفتيكم الآية واسمه الفرائض وعلم المواريث واستمداده من الكتاب والسنة والاجماع وحكمه الفرض الكفائى ومسائله قضاياه التى يطلب بالدليل نسبة محمولاتها لموضوعاتها

٢ دخله الوقص وهو حذف ثانى السبب الثقيل اه مؤلفه

على وجه اجمالى وفصله انه غنية عن التعريف قال النبى صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض فانها من دينكم وعلموها الناس فانها نصف العلم وانها تنسى وانها أول ما ينزع من أمتى ولابى على الحسن بن عثمان

علم الفرائض علم لا نظير له * يكفيك أن قد تولى قسمه الله
بين الخفا تبيانا لوارثه * فقال سبحانه يوصيكم الله
وفى الكلالة فتيا الله منزلة * فبان تشريف ما أفتى به الله

ونسبته مع غيره من العلوم كنسبة الفقه اليه والى سائر العلوم كما مرّ فى مبادى الفقه نعم الحساب جزء من علم الفرائض كما مرّت الاشارة اليه فى تعريفه وفائدته كفائدة الفقه مع مزية التنصيص كما قاله ابن عرفة (ثم قال الناظم)

(٣٧) ﴿ثم علوم النحو فيه استغرق * وكل زيت فى طلابه احرق﴾

ثم حرف عطف مع الترتيب الرتبى وعلوم مفعول بفعل محذوف يفسره استغرق من معناه تقديره لازم علوم النحو استغرق فيه هذا هو المختار ويجوز الرفع على الابتداء والعلوم جمع علم وتقدم انه يطلق بمعنى الادراك وبمعنى الملكة وبمعنى القواعد والمعنى الحقيقى له هو الادراك والانسب هنا هو المعنى الثالث فلذلك جمعه ويصح ارادة الاولين ويكون جمعه باعتبار أنواعه وأفراده وفيه متعلق باستغرق أى استوعب والضمير المجرور بفى يعود على النحو ومفعول استغرق محذوف أى الوقت والمراد الوقت الذى تشتغل فيه بقراءة النحو لا كل وقت والجملة معطوفة على جملة انصب على متن خليل وقوله وكل مفعول متقدم باحرق وهو مضاف لزيت وكلمة كل هنا للمبالغة والتكثير لا للاستغراق اذ كثيرا ما ترد للمبالغة والتكثير دون الاستغراق وان كان هو الاصل فيها اذا أضيفت الى المنكر كما هنا أو المعرّف المجموع لكن الاستغراق غير صالح هنا فهى للمبالغة قال ابن هشام فى شرح قول سيدنا كعب بن زهير

وقال كل خليل كنت آمله * لا ألهينك انى عنك مشغول

كلمة كل هنا للمبالغة كما تقول أعرض الناس كلهم عن فلان ومثله ولقد أريناه آياتنا كلها اه قال ابن جزى فى تفسير هذه الآية يعنى الآيات التى رآها فرعون وهى تسع آيات وليس يريد جميع آيات الله على العموم وقال ابن كمال باشا فى تفسير قوله تعالى وجاءهم الموج من كل مكان ان كلا فى الآية للتكثير والمبالغة لا للاستغراق وصرح قطب الدين فى حاشية الكشاف ان لفظة كل كثيرا ما تطلق على الاكثر كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ ومن ذلك قولهم فى كل شجر نار اذ لا نار فى شجر العناب وفى طلابه متعلق باحرق والطلاب ككتاب فى الاصل مصدر طلب ويطلق على الشئ المطلوب ويصح المعنيان معا فى كلام الناظم وعلى انه بمعنى المطلوب فالاضافة على معنى من أى فى المطلوب من علوم النحو والضمير فى طلابه يعود على النحو أيضا على غير الغالب من اعادة الضمير على المضاف اليه ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وفى نسخة * ثم علوم النحو فيها استغرق * وكل زيت فى طلابها * بتأنيث الضمير عائدا على العلوم وعليها فهو جرى على الغالب ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك لما مرّ من العلوم استغرق وقتك فى علم النحو واحرق زيتك فى طلبه ومطالعته وذلك كناية عن التوجه اليه والانكباب عليه لكن ما أفاده الناظم من تأخير قراءة علم النحو عن قراءة المختصر لا يخفى ما فيه اذ علم النحو أحق بالتقديم على ما سوى العبادة من أحكام الفقه على ان الاولى صرف بعض الهمة الى علم النحو فى زمن قراءة العبادة أيضا (ولبعضهم)

العلم شئ حسن * فكن له ذا طلب وابدأه بالنحو وخذ * من بعده فى الادب
فان أردت أن ترى * جاها وعز مطلب فاقرأ أصول مالك * واحفظ فروع المذهب
فان قول مالك * سلسلة من ذهب واعمل بما حفظته * تحظ بأعلى الرتب

ثم ان النحو في اللغة يطلق على معان خمسة جمعها بعضهم في قوله

النحو في اللغة قصد مثل * وجهة قدر وقسم مثل

فمن الاول قولهم نحوت كذا نحوا أي قصدته قصدا ومن الثاني هذا نحو هذا أي مثله ومن الثالث قول الشاعر يحدوها كل فتى هيات * وهن نحو البيت عامدات

ومن الرابع قولهم له على نحو ألف أي مقدار ألف ومن الخامس قولهم هذا على أربعة أنحاء أي أقسام وأما النحو في الاصطلاح فسيأتي في مباديه وفضل علم النحو شهير غني عن التشهير قد خصه ابن الازرق صاحب كتاب السياسة والشرح العجيب على مختصر خليل وغيرهما بتأليف سماه روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام ولا بد من الالمام ببعض فضل علم النحو مفرقا في شرح أبيات الناظم الثلاثة التي نتكلم فيها عليه فمن الاحاديث المرفوعة ما أخرجه المرهبي في فضل العلم من طريق زيد بن جدعان قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن وأخرج المرهبي أيضا والخطيب في الجامع من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر قال مر عمر بقوم رموا رشقا فأخطؤا فقال ساء رميكم قالوا نحن متعلمين قال لحنكم أشد علي من سوء رميكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله امرأ أصلح من لسانه وأخرج الطبراني وأبو الشيخ والحاكم في المستدرك وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان والمرهبي والصابوني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي ثم قال

﴿لانه للعلم كالحباله * به الفهوم ترتقي جباله﴾ (39)

اللام حرف جر وتعليل لقوله استغرق واحرق الخ وان حرف توكيد ونصب والضمير اسمها وهو يعود على النحو وكالحبالة خبر ان والحبالة بكسر الحاء شبكة الصيد وللعلم متعلق بالحبالة لما فيها من معنى التحصيل والامساك وان واسمها وخبرها في محل جر باللام وبه متعلق بترتقي والضمير للنحو أيضا والفهوم مبتدأ وهو جمع فهم بمعنى الادراك وترتقي فعل مضارع بمعنى تعتلي والضمير المستتر فيه يعود على الفهوم وجباله جمع جبل مفعول ترتقي والضمير المضاف اليه جبل يعود على العلم وفي قوله جباله استعارة تصريحية مرشحة شبه العلم بالجبال بجامع صعوبة الوصول الى كل ثم اقتصر على المشبه به واضافة الجبال الى ضمير العلم قرينة وذكر الرقي ترشيح ﴿والمعنى﴾ انما أمرتك باستغراق الوقت في علم النحو واحراق كل زيت في طلابه لان مثله من العلوم كمثل شبكة الصائد من الصيد فكما أن الشبكة آلة للظفر بالصيد فكذلك علم النحو آلة للظفر بالعلوم فبعلم النحو تدرك العلوم ويرقى جبالها كما أفصح عن ذلك علماء العربية ورجالها أخرج الخطيب في تاريخ بغداد عن الفراء أنه قال قل رجل أمعن النظر في العربية فأراد غيرها الا سهل عليه فقيل له فأنت الآن قد أمعنت النظر في العربية فنسألك عن باب من الفقه قال هات على بركة الله قيل ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتي السهو فسها فيهما فافتكر الفراء ساعة ثم قال لا شئ عليه فقيل له من أين لك هذا قال قسته على مذاهبنا في العربية وذلك أن المصغر عندنا لا يصغر وانما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام ولا يلتفت الى السهو في السهو * ونظير هذا ما روي أن بعض النحويين سئل عمن ذبح حيوانا ورفع يده قبل التمام فهل تؤكل الذبيحة أم لا فقال لا فقيل له من أين لك ذلك فقال قسته على مسئلة في العربية وهي ان الاتباع بعد القطع لا يجوز (وأخرج) المرهبي عن موسى بن هلال قال دخل أبو يوسف القاضي على الخليفة وعنده الكسائي فقال له لو تفقهت كان أنبل بك فقال يا أبا يوسف اني سائلك عن مسئلة قال وما مسئلتك قال ما تقول في رجل أقر أن لفلان عليه مائة درهم الا عشرة دراهم الا درهما كم ثبت عليه من الاقرار قال تسعة وثمانون درهما قال أخطأت يا أبا يوسف

قال ولم قال لان الله تعالى قال في كتابه انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته أخبرني يا أبا يوسف المرأة مستثناة من الآل أو من القوم قال من الآل قال فكم ثبت عليه من الاقرار قال صدقت ثبت عليه من الاقرار أحد وتسعون درهما وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والمرهبي عن أبي جعفر قال من فقه الرجل عرفانه اللحن وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن النعمان بن عبد السلام عن أبيه أنه قال العلم علمان علم الدين وعلم العربية وسائره علاوة ان أحسنه الرجل كان حسنا وان لم يحسنه لم يضره وأخرج البيهقي في الشعب عن عبد الله بن المبارك قال لا يقبل الرجل لنوع من العلوم ما لم يزين علمه بالعربية وأخرج أيضا عن شعبة قال اذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار يكون على رأسه مخلاة ليس فيها شعير وأخرج المرهبي عن ابن شبرمة قال ان زين الرجال النحو وزين النساء الشحم وأخرج أيضا عن الزهري قال ليس فيما أحدثوا من المروءة شئ أحسن من العربية وأخرج ابن طاهر من طريق عمرو بن نافع عن أبيه قال كان رجل الى جنب ابن عمر فلحن فأرسل اليه اما أن تتحى عنا أو نتحى عنك وأخرج أيضا من طريق محمد بن عبد الرحمن بن يزيد أن أبا بكر وعمر قالا لحفظ بعض اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه وأخرج أبو طاهر عبد الواحد بن عمر عن أبي هاشم في كتب أخبار النحويين عن الشعبي قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لان أقرأ وأسقط أحب الي من أن أقرأ وألحن وأخرج البيهقي والخطيب في الجامع من طريق أبي مسلم البصري قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد في المروءة وأخرج البيهقي والخطيب عن عمرو بن دينار أن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم كانا يضربان أولادهما على اللحن وقال الحافظ السيوطي في شرح فريدته واتفق العلماء على أن النحو محتاج اليه في كل فن من فنون العلم * أما التفسير فلا يجوز لاحد أن يتكلم في كتاب الله حتى يكون مليا بالعربية لان القرآن عربي ولا تفهم مقاصده الا بمعرفة قواعد العربية * وأما الحديث فقال ابن الصلاح في علومه ينبغي للمحدث أن لا يروي حديثه بقراءة لحان ثم روى عن أبي داود قال سمعت الاصمعي يقول اني أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت كذبت عليه فالمتعمد لذلك كاذب عمدا داخل في الوعيد والمقدم على ذلك مع علمه انه جاهل باللسان يلتحق به (قال ابن الصلاح) فحق على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شين اللحن والتحريف ومعرتهما روينا عن شعبة قال من طلب الحديث ولم يتصل بالعربية فمثله كمثل رجل عليه برنس وليس له رأس وللعراقي في ألفيته

وليحذر اللحان والمصحفا * على حديثه بأن يحرفا

فيدخلا في قوله من كذبا * فحق النحو على من طلبا

* وأما الفقه فاحتياجه الى النحو ظاهر للمقلد في عدة أبواب كالاقرار والعتق والطلاق ونحوها وللمجتهد في كل باب لان النحو من جملة شروط الاجتهاد المطلق * وأما أصول الفقه فقد قال ابن الحاجب في مختصره وأما استمداده فمن الكلام والعربية أما الكلام فلتوقف الادلة الكلية على معرفة الباري وصدق المبلغ * وأما العربية فلان الادلة من الكتاب والسنة عربية * وأما علم البلاغة فقال ابن الاثير في كتابه المثل السائر هذا الفن يفتقر الى ثمانية أنواع من الآلات النوع الاول معرفة علم العربية من النحو والتصريف ثم قال أما علم النحو فهو من علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد في تعليم الخط وهو أول ما ينبغي اتقان معرفته على انه ليس مختصا بهذا العلم خاصة بل بكل علم ينبغي معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن من معرة اللحن ثم ان من الكلام ما يضطر اليه

لضرورة

يبيل

لضرورة الافهام فلو قال قائل ما أحسن زيد ولم يبين الاعراب لم يعلم غرضه اذ يحتمل أن يريد التعجب من حسنه أو يريد الاستفهام عن أي شيء فيه أحسن أو يريد الاخبار بنفي الاحسان عنه فاذا بين الاعراب فقال ما أحسن زيدا وما أحسن زيد وما أحسن زيد علم مراده لانفراد كل قسم من هذه الاقسام بما يعرف به من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو اذ كان ضابط المعاني الكلام حافظا لها من الاختلال اهـ كلام السيوطي باختصار كثير وزيادة يسيرة وحيث كان علم الحديث من جملة العلوم المتوقفة على علم النحو حرم تصدي من لا معرفة له به لسرد الحديث وقراءته فقد سئل العلامة الشيخ الرهوني هل يجوز تصدي من لا يحسن علم العربية للوعظ وسرد الحديث فأجاب تصدي من لا معرفة له بالنحو ولا يعرف ما يستحق الرفع والنصب والجر من الكلام ونحو ذلك لسرد كتب الحديث والوعظ حرام لا يجوز حتى قال غير واحد من الائمة انه يشمله وعيد قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد أشار الى ذلك الحافظ زين الدين العراقي في ألفيته بقوله وليحذر اللحان البيتين السابقين وانظر شرحه في هذا المحل فانه أشبع الكلام في ذلك ويحرم على من هو كذلك أخذ ما حبس على من يقرأ تلك الكتب من المرتب لانه مخالف لغرض المحبس لان المحبس انما حبسه ليقرأ على الصواب وكذا يحرم على غيره الاستماع له وتوليته وتركه ان ولي على من قدر على ذلك وقد سئل عن المسئلة بعينها أئمة فاس رضي الله عنهم فأجابوا بنحو هذا كسيدي محمد بناني وأبي حفص الفاسي وشيخ الجماعة سيدي محمد جسوس وغيرهم والله سبحانه أعلم قاله وكتبه عبد ربه تعالى محمد بن أحمد الحاج وفقه الله اهـ ولاجل احتياج العلوم بأسرها اليه وابتنائها عليه قال بعضهم

النحو قنطرة الى العلوم وهل * يجاز نهر على غير القناطير
ان النحاة أناس فاق مجدهم * فوق العباد جميعا بالقياد
أهل الفصاحة لا يخشون من أحد * عند القراءة في أعلى المنابر
فهل علمتم بذئب خاف من غنم * أو الاسود تذل للخنازير

(ثم قال)

(ص ٧٥) ﴿وَمَنْ لَمْ يُحَصِّلْهُ فَبَاعُهُ قَصِيرْ * لَا يَسْتَوِي يَاصَاحِ الأَعْمَى وَالبَصِيرْ﴾

من اسم موصول مبتدأ ولم حرف جزم ويحصله مجزوم به وفيه ضمير مستتر يعود على من والضمير البارز يعود على النحو وباعه مبتدأ والفاء الداخلة عليه واقعة في جواب الموصول المشبه بالشرط في العموم والابهام والضمير المضاف اليه باع يعود على من أيضا وقصير خبر باع والباع في الاصل طول ذراعي الانسان وعضديه وعرض صدره ثم كني بقصره الحسي عن القصر المعنوي وقوله لا يستوي الخ لا نافية ويستوي مضارع مرفوع والاعمى فاعل والبصير معطوف عليه وياصاح حرف نداء ومنادى مرخم على غير قياس معترض بين الفعل والفاعل ﴿والمعنى﴾ من لم يحصل علم النحو فهو قاصر عن درجة العلماء لان مثله مثل الاعمى وهو لا يستوي مع البصير ففي كلامه ارسال المثل والتلميح لقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير وذلك لان علم النحو من أنفع الآلات لادراك العلوم وهو أول ما يستدل به على الانخراط في سلك ذوي الفهوم فهو من سائر العلوم كالملح من الطعام وحق أن يقال في جاهليه أولئك كالانعام (وللكسائي في مدحه)

انما النحو قياس يتبع * وبه في كل علم ينتفع
فاذا ما أبصر النحو الفتى * مر في المنطق مرا فاتسع
فاتقاه كل من جادله * من جليس ناطق أو مستمع ٣

٣ فيه سناد التوجيه وهو مغتفر للمولدين اهـ مؤلفه

واذا لم يبصر النحو الفتى * هاب أن ينطق جبنا فانقطع
فتراه ينصب الرفع وما * كان من خفض ومن نصب رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما * صرف الاعراب فيه ومنع
والذي يعرفه يقرؤه * فاذا ما شك في حرف رجع
ناظرا فيه وفي اعرابه * فاذا ما عرف اللحن صدع
فهما فيه سواء عندكم * ليست السنة فينا كالبدع
كم رفيع وضع النحو وكم * من شريف قد رأيناه وضع

(وقال علي بن حسين الاصبهاني)

أحبب النحو من العلم فقد * يدرك المرء به أعلى الشرف
يخرج القرآن من فيه كما * تخرج الدرة من بين الصدف

(وقال أبو عثمان المبروقي)

النحو زين للفتى * يكرمه حيث أتى من لم يكن يعرفه * فحقه أن يسكتا

وقال التاج ابن مكتوم ونسبهما بعضهم [1] للكسائي

النحو علم شريف * وفضل معناه بادي وربه في أمان * من زيغه في اعتقادي

(وقال أيضا)

النحو للعلم زين * مثل الطراز لكم فاشدد يديك عليه * وصنه عن كل فدم [2]
وكن به ذا اعتناء * تدرك به علم علم

(وقال ابراهيم بن خلف الهمداني)

النحو يبسط من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره * فتراه يسقط من لحاظ الاعين
وترى الذكي اذا تكلم معربا * حاز النباهة بالبيان المعلن
ما ورثت الآباء فيما ورثوا * أبناءهم مثل العلوم فأتقن

(وقال علي بن بشار)

رأيت لسان المرء عنوان عقله * وغايته فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه * به يبتلى ما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله * ويسقط من عيني ساعة يلحن

(وقال أبو حيان من قصيدة)

وقد قصرت أعمارنا وعلومنا * يطول علينا حصرها ونكابده
وفي كلها خير ولكن أصلها * هو النحو فاحذر من جهول يعانده
به يعرف القرآن والسنة التي * هما أصل دين الله من أنت عابده

(ويروى) أن بعض الاعراب دخل سوقا فوجد الناس يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون (وكان أبو موسى) بعض قواده فلحن فقال لم لا تنظر في العربية فقال بلغني ان من نظر فيها قل كلامه قال ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر بالخطا (وفي المثل) اللحن في الكلام كالجدري في الوجه وقال السيوطي في فريدته

[1] هو سيدي الطالب ابن الحاج في الازهار اه مؤلفه

[2] الفدم بفتح فسكون العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم اه قاموس

النحو خير مابه المرء عنى * اذ ليس علم عنه حقا يغتنى

(وقال ابن الوردى)

بعد فالجاهل بالنحو احتقر * اذ كل علم فاليه

(وقالت)

النحو علم ذو شرف * فكن به أخا شغف

فمن غدا جاهله * فأى فضل قد عرف

وقد شطرها بعض الادباء من أصحابنا بقوله

(النحو علم ذو شرف) * قد اعتنى به السلف

فان تحاول شرفا * (فكن به أخا شغف)

(فمن غدا جاهله) * لم يدر ماحوى الصدف

من حاد عنه مائلا * (فأى فضل قد عرف)

(فائدة) حد علم النحو أنه علم تعرف به أواخر الكلم ١ العربية اعرابا وبناء وهذا على ان التصريف غير داخل فيه وعلى دخوله فيه وهو الانسب هنا لان مراد الناظم بقوله النحو مايشمل التصريف بدليل انه لم يذكره بعد فى هذا ٢ السياق فيعرف بانه انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتصغير والتكسير والاضافة وغير ذلك ليلحق من ليس بأهل اللغة بأهلها فى الفصاحة فهذا التعريف الاخير يشمل علم التصريف كما علمت وأما بقية مبادى علم النحو المذكورة بعد فهى خاصة بعلم النحو وسيأتى مبادى علم التصريف ان شاء الله عند قول الناظم فى آداب كيفية الاقراء ثم اذا احتجت الى التصريف الخ وأصل النحو من نحوت بمعنى قصدت ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم كما ان الفقه فى الاصل مصدر فقهت بمعنى فهمت ثم خص به علم الشريعة وموضوعه الكلمات لانه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية من الاعراب أو البناء وكيفية التركيب وغيرها وواضعه اختلف فيه على أقوال لاسباب مختلفة قال فى سعود المطالع يمكن الجمع بينها بتعدد الوقائع اه وللسيوطى تقييد حسن جمع فيه تلك الاقوال أشهرها أن واضعه أبو الاسود الدؤلى بأمر سيدنا على رضى الله عنهما قال أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى أخبرنا أبو جعفر الطبرى النحوى عن أبى عثمان المازنى عن أبى عمر الجرمى عن أبى الحسن الاخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى عن عنبسة الفيل وميمون الاقرن عن يحيى بن يعمر الليثى أن أبا الاسود الدؤلى دخل على ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم أى زمان الحر أشد فقال شهر ناجر ٣ فقالت له يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك فأتى على بن أبى طالب فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم ويوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذلك فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها اه وقيل ان ابنته قالت له يا أبت ما أحسن السماء برفع أحسن وجر السماء على صورة الاستفهام فقال نجومها فقالت يا أبت لم أرد أى شئ أحسن فى السماء وانما أردت التعجب من حسنها فقال هلا قلت ما أحسن السماء فوضع النحو (وقال) العلامة الاديب سيدى على مصباح اليالصوتى فى كتابه سنا المهتدى بعد ذكر نحو مامر ورأيت فى بعض طبقات النحويين فى ترجمة أبى الاسود ذكر ابن أبى سعد عن عمر بن أبى شيبة عن أبى بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود قال أول من وضع العربية أبو الاسود الدؤلى جاء الى زياد وهو ابن أبى سفيان عامل معاوية على البصرة فقال ان العرب قد خالطت هذه الاعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لى أن أضع للعرب كلاما

١ خرج بقوله أواخر الخ علم التصريف والخط لانهما يبحث فيهما عن الكلمة باسرها اه مؤلفه

٢ احترازا عن غير سياق ترتيب العلوم فقد ذكره فى باب آداب التدريس اه مؤلفه

٣ ناجر رجب أو صفر وكل شهر من أشهر الصيف كما فى القاموس اه مؤلفه

يقيمون به ألسنتهم قال لا فجاء رجل الى زياد فقال أصلح الله الامير مات أبانا وترك بنون فقال زياد قل مات أبونا وترك بنين ادعوا الى أبا الاسود فدعوه فجاءه فقال ضع للناس ما نهيتك عنه اهـ والله أعلم (قال في سعود المطالع) ومقتضى ما ذكروه من الخلاف في واضع علم النحو أنه لم يكن معروفا قبل ذلك في العرب وانما كان كلامهم بالسليقة وفيه كلام فصلناه في القصر المبني قاض أن هذا العلم عقلا ونقلا كان معروفا عند العرب فلعل معنى قولهم أول من وضعه أبو الاسود انه أول من دونه وجعل له قواعد وأبوابا كما قالوه في ان أول من وضع التوحيد أبو الحسن الاشعري وغير ذلك اهـ ﴿قلت﴾ صريح كلامه ان علم النحو كان معروفا عند العرب بقواعده وأسمائه الخاصة غير انه لم يكن مدونا وقد نقل العلامة الشيخ يس في حواشي التصريح في باب البدل عن الدنوشري أن العرب لا يعرفون تسمية الشئ بدلا وفاعلا ومفعولا ونحو ذلك (وأبو الاسود) اسمه ظالم بن عمرو بن واو الدرق توفي بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف وعمره خمس وثمانون سنة وقيل انه مات قبل الطاعون بعلة الفالج وقيل توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز والله أعلم * واسمه علم النحو وعلم العربية وعلم الاعراب وقد يطلق كل منها على ما يشمل علم التصريف * وسبب تسميته بعلم النحو قول سيدنا علي رضي الله عنه لابي الاسود لما علمه الاسم والفعل والحرف انح على هذا النحو كما في رواية واستمداده من كلام العرب وحكمه الوجوب الكفائي والعيني على قارئ الحديث ومسائله قضاياه التي تطلب نسبة محمولاتها الموضوعاتها بالبراهين على وجه اجمالي وفضيلته شهيرة تقدمت في الاحاديث والآثار والاشعار ونسبته أنه كلي للعلوم لتوقفها عليه كما تقدم وهي كالجزئي له (وقال بعضهم) التصريف أم العلوم والنحو أبوها وقرر ذلك بان معنى قوله أم العلوم أصلها كما يقال للفاتحة أم القرآن لانها أصل القرآن ومبدؤه وشبه التصريف بالام والنحو بالاب أما الاول فمن حيث التولد فكما أن الام سبب لتولد الولد كذلك التصريف سبب لتولد الكلمات اشعارا بشدة احتياج العلوم اليه وأما الثاني فمن حيث الاصلاح يعني كما أن الوالد سبب لاصلاح الاولاد كذلك علم النحو سبب لاصلاح الكلمات والالفاظ وفائدته الاستعانة على جميع العلوم عموما وعلى فهم الكتاب والسنة خصوصا ومعرفة صواب الكلام من خطئه والاحتراز عن الخطا في اللسان وفي ألفية ابن شعبان

فائدة النحو صلاح الالسنة * والكشف عن وجه المعاني الحسنة

فاللسان العربي والعلم النحوي من أجل قوام علوم الديانات وشرع الاسلام وقد سئل الحافظ ابن رشد كما في أجوبته عمن قال لا يحتاج الى اللسان العربي وماذا يلزمه من الادب فأجاب بما نصه وفقك الله هذا جاهل جدا فلينصرف عن ذلك وليتب منه فانه لا يصح شئ من أمور الديانة والاسلام الا بلسان العرب لقوله تعالى بلسان عربي مبين فقال له السائل ان قائل هذا ليس بجاهل ولكن ممن يقرأ الحديث والمسائل فقال وان كان فان هذا منه جهل عظيم يقال له تب وأقلع عنه ولا يلزمه شئ الا ان يرى أن ذلك نلبث منه في دينه ونحو ذلك فيؤدبه الامام على قوله ذلك بحسب ما يرى فقد قال قولا عظيما والله الموفق للصواب اهـ بلفظه من أجوبته ﴿فائدة﴾ قال الشيخ بهاء الدين السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب الاصلي لا يلزم من التكلم بما لا يجوز لغة الاثم الشرعي فمن لحن في غير التنزيل والحديث كأن نصب الفاعل ورفع المفعول لا نقول انه يأثم الا أن يقصد ايقاع السامع في غلط يؤدي الى نوع ضرر فعليه حينئذ اثم هذا القصد المحرم اهـ ﴿لطائف تتعلق بعلم النحو﴾ استأذن رجل على سيبويه فقال سيبويه لغلامه قل له ينصرف فقال الرجل للغلام أنا أحمد وأحمد لا ينصرف فقال سيبويه للغلام قل له أحمد اذا عرف لا ينصرف واذا نكر ينصرف * وقرع رجل باب نحوي فخرج اليه ولده فقال له أبوك أباك أبيك هنا فقال له الولد لو لا ابي * ودخل خالد بن صفوان الحمام فسمع رجلا يقول لابنه وهو يريد أن يعرف خالدا

لاغته إبدأ بيدك وثن برجلك ثم قال يا ابن صفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد بل ما خلق الله له أهلا * وكان مسلمة بن عبد الملك يعرض الجند فقال لرجل منهم ما اسمك فقال عبد الله بالنصب فقال ابن من فقال ابن عبد الرحمن بالجر فأمر بضربه فقال بسم الله بالرفع فقال دعوه فلو كان تاركا اللحن لتركه تحت السياط * وحضر مجلس الاعمش قوم يسمعون الحديث فقال ما اليوم فقال واحد منهم الاثنين فقال الاعمش الاثنان ارجعوا فأعربوا كلامكم ثم اطلبوا الحديث * وعاقب بعض الولاة نحويا وأمر بالاطافة به فى الاسواق فكان المطوف يقول هذا جزاء فقال والله لو خيرت بين طريحة أخرى وبين أن لا أسمع صوت هذا الفاحش اللحن لاخترت ذلك ثم التفت للمطوف وقال يا محروم بين الاعراب وقل هذا جزاء لانه مبتدأ أو خبر فقال له المطوف اسكت وأنخل رأسك فقال له بالدال قلها واقطع الهمزة لانه فعل أمر فقال له والله ما ضربت أبرد منك فلما دخل داره وكانت له قطة فجاءت تنعق الدم وتصيح ميو فقال لها قولى ميئو بالهمز ثم أخذها ورمى بها فقيل له فى ذلك فقال لئلا يقال قطة أبى عبد الله لحانة * وقال رجل لآخر ما فعل أبوك بحماره قال له باعه فقال له لم قلت باعه أى بكسرة على العين قال له ولم قلت أنت بحماره فقال للباء الجارة قال سبحان الله باؤك تجر وبائى لا تجر * ومن اللحن المستحسن قول الشعبى وقد سأله عبد الملك بن مروان بقوله كم عطاءك بنصب عطاء فقال الشعبى ألفين قال له لحنت قال لما تركت أمير المؤمنين الاعراب كرهت أن أعرب * وعلى ذكر علم النحو تذكرت قول النور الاسعردى يهجو نحويا اسمه زيد على طريق التورية

أرى النحوى زيدا ذا اجتهاد * جزى الرحمن بالخيرات غيره
أراه ضاربا عمرا نهارا * ويعلم إن خلا ليلا عميره

﴿وقول أبى الفتح البستى﴾

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مناظرا فاجتنيت الشهد من شفته
وأورد الحجج المقبول شاهدها * محققا ليرينى فضل معرفته
ثم افترقنا على رأى رضيت به * الرفع من صفتى والنصب من صفته

﴿وقول القاضى أبى المكارم أسعد البصرى﴾

وأهيف أحدث لى نحوه * تعجبا يعرب عن ظرفه
علامة التأنيث فى لفظه * وأحرف العلة فى طرفه

﴿وقول القيراطى﴾

أيرى نحوى وأفعاله * فى حركات ذات اعراب قام بزيد الجر لما غدا * منتصبا يرفع أثوابى

وعلى البال قطع شعر ونوادر أخرى تناسب فن النحو تركناها الاستهجانها (ثم قال الناظم)

٦١ ﴿كذا البيانُ فاقتطف أزهارَهُ * من روضِه ولتقتبسْ أنوارَهُ﴾

كذا جار ومجرور خبر مقدم والبيان مبتدأ مؤخر والاشارة بذا راجعة الى قوله فيه استغرق وكل زيت الى آخر الابيات الثلاثة وقوله فاقتطف الفاء زائدة أو واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ان البيان كالنحو فاقتطف الخ ومعنى اقتطف اجتن وأزهاره جمع زهر بسكون الهاء وقد تفتح كما فى المصباح وهذه قاعدة فى كل اسم ثلاثى عينه حرف حلق فيجوز فيها الفتح والسكون والضمير فى أزهاره يعود على البيان والروض فى الاصل البستان والواو فى قوله ولتقتبس عاطفة واللام لام الامر وتقتبس مضارع مجزوم بها ومعنى اقتبس خذ وأنواره جمع نور بضم النون مفعول تقتبس والضمير للبيان أيضا والجملة معطوفة على الجملة قبلها ﴿والمعنى﴾ استغرق أيها الطالب الوقت فى علم البيان واحرق كل زيت فى طلابه

فان العلوم بمنزلة الحبالة للصيد به المفهوم تدرك العلوم وباع من لم يحصله قصير اذلا يستوى الاعمى والبصير فعليك باقتطاف الازهار من روضه واقتباس الانوار من ومضه أى لان علم البيان من أجل العلوم قدرا وأدقها سرا اذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها ويكشف عن وجوه الاعجاز فى نظام القرآن أستارها ومعرفة اعجاز القرآن وسيلة الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم وهو وسيلة الى الفوز بجميع السعادات فيكون من أجل العلوم لكون معلومه وغايته من أجل المعلومات والغايات وفى قول الناظم اقتطف أزهاره استعارة تصريحية مرشحة شبه مسائل علم البيان بالازهار بجامع الحسن وتشوق النفس للجميع ثم اقتصر على المشبه به والقطف ترشيح لانه من ملائمات المشبه به والقرينة اضافة الازهار الى ضمير البيان ومثل هذا بعينه يجرى فى قوله ولتقتبس أنواره وفى قوله روضه استعارة تصريحية أيضا شبه الكتب الموضوعة فى علم البيان بالروض أى البستان بجامع الحسن وتمنى التطلع على كل ثم اقتصر على المشبه به ومراد الناظم بعلم البيان ما يشمل علم المعانى وعلم البيان وعلم البديع اذ كثيرا ما يطلق علم البيان على الثلاثة كما فى التلخيص لان البيان هو المنطق الفصيح المعبر عما فى الضمير ولا شك أن العلوم الثلاثة لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحا وتحسينا ولم يرد الناظم بالبيان المعنى الخاص بدليل قوله بعد *ان البيان كاسمه بيان* لان البيان أى المنطق الفصيح انما يتم بالثلاثة لا بعلم البيان فقط ولا يقال ذكره المعانى بعد فى قوله *وكيف يرتقى الى المعانى* يدل على أنه أراد بالبيان هنا المعنى الخاص لانا نقول ليس مراده بذلك فيما يأتى علم المعانى كما سيتضح لك هناك (ثم قال)

٦٧ ﴿إنّ البيانَ كاسمه بيانُ * دل على ماقلته العيانُ﴾

إن بكسر الهمزة لوقوعها فى الابتداء فتكون مؤكدة والجملة واقعة موقع التعليل المستأنف ويحتمل أن تكون مفتوحة لوقوعها موقع التعليل أى انما أمرتك بقراءة علم البيان لان البيان كاسمه الخ وهل هى مؤكدة حينئذ أم لا جزم العلامة الدسوقى فى بعض تآليفه كغيره بان المفتوحة غير مؤكدة وعدها ابن هشام فى المؤكدات وعليه المحقق الصبان وغيره وقد نظمت المؤكدات مع بيان الخلاف المذكور فى أن المفتوحة بقولى

أكد بانّ كسرت والقسم * ولام الابتداء فاحفظ وافهم
ونونى التوكيد زد ضميرا * ان كان للفصل تكن خبيرا
حرف بنبه أوقد زيدا * والسين ان تليت الوعيدا ٢
ليت ولكن كأن انما * لعل تكرير انى فاعلما
٣ إما اذا تكن لشرط وكذا * تقديم من فعل معنى نخذا
وقد لتحقيق كذا المكرر * من جملة ولو بحكم عبروا
وجملة قد صدرت بالاسم * عدوه من مؤكدات الحكم
لكن بعضهم واحدهما فرط * الى اعتبارها فحاذر الغلط
وأنّ إن تفتح فلا تؤكد * لان ما يتبعها قد يفرد
وبعضهم ضمنها تأكيدا * فاحفظه نظما حسنا أكيدا

٢ أو الوعد اه مؤلفه

٣ بكسر الهمزة اه مؤلفه

والبيان اسم ان وبيان خبرها ولا يقال الخبر نفس الاسم لانا نقول المراد بالبيان الاول العلم المخصوص وبالثانى معناه اللغوى الذى هو الايضاح وكاسمه متعلق بمحذوف حال من بيان الواقع اسما لان وقوله دل فعل ماض وفاعله العيان بتخفيف الياء مصدر عاينه أى شاهده ورآه وعلى ماقلته متعلق بدل وما موصولة وصلتها قلته والرابط ضمير الغائب (والمعنى) ان علم البيان بيان كاسمه أى بهذا العلم يقع البيان

والظهور

والظهور للعلوم ويدل لذلك العيان والمشاهدة فان المشاهد أن من أدرك هذا العلم اكتسب به بيان العلوم ووضوحها له (ثم قال)

43 ﴿وكيف يرتقي الى المعاني * من ليس ذا نحو ولا بيان﴾

الواو للاستئناف وكيف اسم استفهام مبني على الفتح خرج مخرج التعجب على حد قوله تعالى كيف تكفرون بالله وهي في محل نصب على الحال من فاعل الجملة بعدها لكونها وقعت قبل ماله تغني وقد كنت جمعت أدوات الاستفهام بقولي

يا طالبا صيغا تستفهمن بها * خذ لها بيت شعر بسط الاملا
فهمزة هل وما وأي كم ومتى * أيان أين وأني كيف من كملا

ويرتقي مضارع ارتقى أي اعتلى والى المعاني متعلق بيرتقي والمراد بالمعاني معاني قواعد العلوم فهو جمع معنى ومن فاعل بيرتقي وليس فعل ماض ناقص جامد وضميره المستتر يعود على من وذا خبر ليس وهو مضاف لنحو ولا توكيد للنفي و بيان معطوف بالواو على نحو ﴿والمعنى﴾ كيف يمكن أن يصل الى معاني العلوم من ليس ذا علم بالنحو وعلم البيان هذا عجيب بعيد أي لانهما من أعظم الآلات وأنفعها الصحة الادراك وليس مراد الناظم بالمعاني علم المعاني لانه قدمه في مضمون قوله كذا البيان ولا يصح أن يراد قوله سابقا كذا البيان المعنى الخاص ويراد بالمعاني هنا علم البيان لامور * منها المخالفة الاطلاق فقد مر أن الكثير من العلماء يطلق علم البيان على الثلاثة * ومنها أن البيان اذا ذكر وحده ولم يقابل بالمعاني والبديع كان المراد به مايعم الثلاثة فالثلاثة اذا اجتمعت افترقت واذا افترقت اجتمعت كالفقير والمسكين عند الفقهاء والظرف والمجرور وعند النحويين * ومنها أنه يبقى عليه الحض للطالب على علم البديع لانه لم يذكره بعد ومنها انه يلزمه تقديم الكلام على علم البيان بالمعنى الخاص على علم المعاني مع ان علم المعاني مقدم لكونه من علم البيان بمنزلة المفرد من المركب والمفرد مقدم على المركب طبعا لان رعاية المطابقة لمقتضى الحال هو مرجع علم المعاني معتبرة في علم البيان مع زيادة شئ آخر وهو ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة كما أشار له السعد في المطول والمختصر ﴿فائدة﴾ أما علم المعاني فحده كما في التلخيص انه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال وموضوعه اللفظ العربي من حيث مطابقته الحال وواضعه الامام عبد القاهر الجرجاني والمراد أنه أول ١ من دون فيه وفي علم البيان وحرر قواعدهما في كتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة قال الحافظ السيوطي وهما ٢ الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين والبهما انتهى علم من تأخر في ذينك العلمين اه (توفي) الامام عبد القاهر سنة احدى وسبعين وأربعمائة والله أعلم * واسمه المعاني وسمي بذلك لانه يبحث عن الكيفية التي بها يحصل تطبيق الكلام لمقتضى الحال وهذا التطبيق متعلق بالمعاني ونقل السيوطي في حواشي البيضاوي عن ابن الانباري أن علم البلاغة وتوابعها يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وفيه ألف العسكري كتابا سماه الصناعتين أي صناعة النثر وصناعة النظم وألف قدامة كتابا سماه نقد الشعر وانما التسمية بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتأخرين واستمداده من كلام البلغاء وحكمه الوجوب الكفائي والعيني على من انفرد ومسائله قضاياه التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالي وفضيلته أنه من أجل العلوم قدرا وأعظمها فخرا اذ به يعرف أسرار التنزيل و بيان التأويل كامر (ولبعضهم في مدحه)

ما الدر تنظم في سلوك من ذهب * في جيد خود كم بها عقل ذهب
كلا ولا وصل الحبيب بغير ما * وعد وقد غفل الرقيب وما ارتقب

١ والا فقد كان في سليقة العرب اجمالا يعتبرونه في موارد الكلام وان لم يعلموا هذه الاصطلاحات وتفاصيلها كما صرح به السيد في شرح المفتاح اه مؤلفه

٢ أي دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة اه مؤلفه

كلا ولا زهر الرياض مفتحا * وطيورها تشدو بألحان الطرب

بأجل من علم المعاني والبيا * ن مع البديع فالاعتناء بها وجب

ونسبته مختلفة أما الى البيان والبديع والنحو فالترادف لان كلا منها يبحث عن اللفظ فموضوعاتها متحدة ووقع الاختلاف من جهة بحث كل واحد عن هذا الموضوع فالمعاني عن اللفظ العربي من حيث مطابقته لمقتضى الحال والبيان يبحث عنه من جهة اختلاف مراتبه في وضوح الدلالة والبديع من حيث التحسين والنحو من جهة العوارض التي يؤدى بها المعنى المراد وهذا لا يوجب اختلافا بينها لان هذه الحيثيات عوارض تعرض للفظ العربي وليست من ذاته يسرى اختلافها الى اختلافه وأما الى التصريف فالعموم والخصوص باطلاق لان علم المعاني يبحث عن اللفظ العربي مفردا ومركبا والتصريف عن المفردات لا غير فعلى اجتماعهما المفردات ومحل انفراد المعاني المركبات وكذلك الى العروض لان علم المعاني يبحث عن الالفاظ موزونة أم لا والعروض يبحث عنها من حيث وزنها فقط وأما الى الاصول والفقه والفرائض والحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والطب ونحوها فالتباين وفائدته الخاصة به الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ﴿وأما علم البيان﴾ فحده كما في التلخيص انه علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وانما يتأتى الاختلاف في الدلالة الالتزامية دون غيرها وذلك كما اذا أردت أن تعبر عن كرم زيد فتقول زيد حاتم وزيد كحاتم وزيد كثير الرماد وزيد جبان الكلب فهذه طرق بـ[illegible]ـها وهو زيد كحاتم وزيد حاتم أوضح مما بعده في ذلك والاول أوضح من الثاني وموضوعه اللفظ العربي من حيث اختلاف مراتبه في وضوح الدلالة وواضعه عبد القاهر الجرجاني أيضا واسمه البيان وسمى بذلك لتعلقه بايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح والبيان لغة الايضاح وتقدم أنه كان يسمى عند الاقدمين بنقد الشعر ونقد الكلام واستمداده من كلام البلغاء أيضا وحكمه الوجوب الكفائي أيضا أو العيني على من انفرد ومسائله قضاياه التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها الموضوعاتها على وجه اجمالي وفضيلته كالمعاني ولبعضهم فيهما

علم المعاني والبيان كلاهما * روح العلوم وزينة التحرير

ما ان يصح لجاهل بهما الكلا * م على الحديث ولا على التفسير

ونسبته كالمعاني أيضا وفائدته الشاملة له ولفني المعاني والبديع انهما وسيلة الى الاطلاع على جملة وافرة من أسرار القرآن ولطائفه وخواصه الخارجة عن طوق البشر ﴿وأما علم البديع﴾ فحده أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وأما اذا روعى التحسين قبل رعاية ما ذكر كان كغمد من ذهب لسيف من خشب وكذى نفس خسيسة للابس حلة نفيسة (وفي ذلك قلت)

ولا تراع جناسا أو مطابقة * أو كل ما يكسب الاقوال تحسينا

الا اذا أنت أسست الكلام على * أس البلاغة واستوفيت تبيينا

فالطيب من فوق نجس ماله أثر * والحلى للكلب لا يوليه تزيينا

﴿ولابن الوردي﴾

اذا أحببت نظم الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذا امتناع

ولا تقصد مجانسة ومكن * قوافيه وكله الى الطباع

فاذا صار الانسان في شعره يعتبر أولا المحسنات فاته الاساس وبنى على شفا جرف هار وأتى الشعر بادى التكلف ظاهر التعسف ولا شئ عند الادباء أقبح من الشعر المتكلف وتبا لقوم هم في الشعر أدعياء وفي الشعراء دخلاء يحسبون أن الشعر هو التجنيس فيصرفون هممهم اليه ذاهلين عن المعاني اللطيفة

والاشارات

والاشارات الدقيقة ونظم الحكم وضرب الامثال في أنون بأشعار يستحسنها لهم من كان مثلهم جاهلا وعن المقصود من الشعر ذاهلا فيحسبون أنهم يحسنون صنعا ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون ولهذا لا تكاد تجد في كلام الفحول من الشعراء استعمال تجنيس الا اذا صار عن غير قصد (قال العلماء) وانما تجنب الفحول من الشعراء ذلك لانه لا يأتي الا عن ارتكاب عمل وتكلف يحمل صاحبه على اتباع الالفاظ وتصويغها وتصنيع التجنيس بينها غافلا عن المعاني التي هي المقصد الاعظم والغرض الاهم عند البلغاء وانما يحسن التجنيس ويعد من أنواع البلاغة ماقل منه على شرط التوفية بالمعنى ومراعاة مايقتضيه الحال ومهما أكثر الشاعر منه صار مقيتا وانحط عن رتبة الكلام لانه يدل لاشك على تكلف صاحبه (قال أبو جعفر الاندلسي) أنواع البديع في الكلام كالملح في الطعام والخال في الوجنات اذا كثر قبح اه ورحم الله الاديب سيدي على مصباح اليالصوتي اذ يقول من قصيدة

صنع امرئ ليس في التجنيس همته * الا اذا دون ماقصد له جانا

وليس هذا بحمد الله قصورا مني عن استعماله ولا من البعد عن الانتظام في سلك رجاله فراجع دواننا ترفيه منه مالنا فاذا احتجنا اليه أومالنا واذا رأيناه أقوى لنا حسنابه أقوالنا واذا حسن لنا أوراقنا حبرنا به أوراقنا وموضوعه اللفظ العربي من حيث التحسين وواضعه عبد الله بن المتوكل بن المعتصم ابن هرون الرشيد والمراد انه أول من دونه واستنبطه وسماه بهذا الاسم ووضع فيه كتابا والا فقد كان في طبائع العرب مركوزا كالمعاني والبيان وغيرهما من سائر علوم الادب (وابن المعتز) هو الشاعر المشهور المنفرد بأبدع التشبيهات والاوصاف كما تفرد أبو تمام بالاجادة في الخبر والتنبيع والمراثي والبحتري بالاجادة في الطيف والعتاب وأبو نواس بالاجادة في الخمر والصنوبري في ذكر النور والطير وديك الجن في المراثي وأبو الطيب في الامثال وذم الزمان وأهله وابن الرومي في الهجاء حتى انه غلب عليه حتى صار يقال أهجى من ابن الرومي * ولد ابن المعتز لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين وقيل سنة ست وأربعين ومائتين ومات مقتولا في قصة وقعت له مذكورة في ابن خلكان وغيره من كتب التاريخ وكان مقتله يوم الخميس ثاني شهر ربيع الاخير سنة ست وتسعين ومائتين والله أعلم * واسمه البديع لانه يبحث عن المحسنات لفظية ومعنوية وغير خفي بداعتها وغرابتها ولطافتها من بدع الشئ بضم الدال اذا كان غاية فيما هو فيه من علم أو غيره حتى صار غريبا فيه لطيفا واستمداده من كلام البلغاء وحكمه الوجوب الكفائي أو العيني على من انفرد لتوقف فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه لاشتمالها على مالا يحصى منه ومسائله قضاياه التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالي وفضيلته مثل فضيلة المعاني والبيان ونسبته كنسبتهما أيضا ٦ وفائدته كفائدتهما أيضا وقد تقدم ذلك *ولابي حفص الفاسي في مدح علم البيان بالمعنى الاعم الشامل للفنون الثلاثة المتقدمة

من رام تأويل الكتاب ولم يكن * يدري البيان فذاك من تسويله
ان البيان هو البيان كلفظه * فاذا جهلت فكف عن تأويله

(ثم قال الناظم)

---

٤٤ ﴿ثم الأصول ثم علم المنطق * لا تغفلن عنهما وحقق﴾

ثم للعطف والترتيب الرتبي والاصول على حذف مضاف أي علم الاصول وهو مفعول بفعل محذوف يفسره المذكور من معناه لا من لفظه تقديره لازم الاصول وعلم المنطق لا تغفلن عنهما هذا هو المختار ويجوز الرفع على الابتداء والمراد بالاصول أصول الفقه وأما أصول الدين وهو التوحيد فقد تقدم وعلم المنطق معطوف بثم المفيدة للترتيب على الاصول ولا ناهية وتغفلن مجزوم بها مبني على الفتح

---

٦ فيكون البديع مساويا للفنين قبله (فان قلت) لا يصح ذلك لما قاله السيوطي في شرحه لعقود الجمان نقلا عن أبي جعفر الاندلسي ان البديع أخص من الفنين قبله لتركبه منهما وزيادة قال وهما بالنسبة اليه كالحياة والنطق بالنسبة الى الانسان فلا يوجد البديع بدونهما كما لا يوجد الانسان بدون الحياة والنطق والمعاني بالنسبة الى البيان كالحيوان بالنسبة الى النطق فتوجد المعاني بدونه كما يوجد الحيوان بلا نطق ولا عكس كما لا عكس (قلنا) معلوم ان النسب بين العلوم انما تعتبر بين موضوعاتها وعليه فموضوع الجميع اللفظ العربي وقول أبي جعفر انه أخص منهما معناه ان مسائله لا تعتبر محسنة في الكلام المحلى بها حتى يستحق أن يسمى بديعا الا اذا روعي فيه أولا المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة أي خلوه عن التعقيد المعنوي أما ان عرى الكلام عنهما وكسي بالمحسنات كان كملق الدر على خنزير قاله بعضهم اه مؤلفه

لاتصاله بنون التوكيد الشديدة وهو بضم الفاء من باب قعد وفى لغة من باب تعب حكاها الزرقانى فى شرح المواهب عند الكلام على شق صدره صلى الله عليه وسلم عن الانصارى ولم يذكره فى المصباح ولا فى القاموس ولا فى الصحاح وعنهما متعلق بتغفلن والضمير المجرور بمن يعود على علم الاصول وعلم المنطق وحقق معطوف على لا تغفلن ومفعوله محذوف أى العلوم أو العلمين المذكورين والاول أولى لعمومه والثانى أنسب بالمقام ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك لما تقدم لا تغفلن عن قراءة علم أصول الفقه ثم بعده علم المنطق واعتن بهما وحققهما ﴿تنبيهان * الاول﴾ ظاهر الناظم ان علم الاصول سابق فى التعلم على علم المنطق لان الاصل فى ثم هو الترتيب سيما وهو مراد فى العلوم السابقة وكما يؤخذ من قوله فى الترجمة أول ما يبدأ به من العلوم والصواب تقديم علم المنطق لان قواعده تؤخذ مسلمة فى علم الاصول ولان علم الاصول يستمد من علم المنطق كما يأتى وفى كشف الظنون ما نصه ويقدم الادب على المنطق ثم هما على أصول الفقه اهـ ﴿الثانى﴾ لا قائل بمنع قراءة شئ من العلوم التى ذكرها الناظم عدا علم المنطق فقد جرى فيه خلاف مشهور هو فى السلم وغيره مذكور غير أن جمعا من المحققين خصوا الخلاف بالقدر المخلوط بشبه الفلاسفة وأما المخلص المنقح منه كمختصرى ابن عرفة والسنوسى ونظم القادرية والخريدة وغيرها فلا خلاف فى جوازه ﴿قلت﴾ وعندى فيه نظر فان كلام المانعين ظاهر فى العموم وبعضه صريح فى ذلك أو كالصريح كما يعلم من تأمل عباراتهم وملاحظة مقاصدهم وتعليلاتهم ولا حاجة بنا لنقل كلامهم لانه ضعيف اذ المانعون له عللوا المنع بأنه من علم الفلاسفة وبأن الصحابة والسلف الصالح لم يشتغلوا به فوجب الكف عنه وغير خفى ان العلم من أصله من علم الفلاسفة وان الصحابة والسلف الصالح لم يشتغلوا بشئ منه أصلا وهذا الحافظ السيوطى من القائلين بمنعه بالغين فى التنفير منه لما ذكر فى نظمه عقود الجمان أن من نكات تقديم المسند اليه على المسند افادة العموم قال فى شرحه وهذا أمر يقضى به الذوق واستعمالات العرب قال ووقع فى التلخيص تعليله على طريقة أهل المنطق ورده ثم قال وأسقطنا التعليل ورده لانا معاشر أهل السنة لا نحس تصانيفنا بقذر المنطق الذى اتفق أكثر المعتبرين خصوصا المحدثين والفقهاء من كل المذاهب خصوصا الشافعية وأهل المغرب على تحريمه والتغليظ على المشتغلين به واهانتهم وعقوبتهم وقد جمعت فى ذلك تأليفا نقلت فيه كلام الائمة فى الحط عليه وهو كتاب مهم وقد نص أئمة الحديث كالسلفى والذهبى على عدم قبول رواية المشتغل به وقد تركت الاخذ عن جماعة لذلك وبالله التوفيق اهـ والطريقة التى لم يرد أن يحس بها كتابه رحمه الله على زعمه هى مجرد استدلال صاحب التلخيص بأن الموجبة المهملة المعدولة المحمول فى قوة السالبة الجزئية والسالبة المهملة فى قوة السالبة الكلية ثم قال فى التلخيص من جملة رده للدليل على الوجه المنطقى السابق آنفا ولان النكرة المنفية اذا عمت كان قولنا لم يقم انسان سالبة كلية لا مهملة اهـ فانظر هذا الذى قال السيوطى انه طهر منه كتابه فانما هو من علم المنطق الذى ليس فيه شئ من شبه الفلاسفة وضلالهم فكيف يخص كلام المانع بالقسم المخلوط فقد تبين لك ان من يمنع المنطق يطلق فى المنع وان كان القول بالمنع ضعيفا قال العلامة المحقق أبو مدين المكناسى فى شرحه للسلم واعلم ان ما ذكره المانع لم نطلع له على شبهة يتمسك بها فضلا عن الدليل أما الاشتغال عن الوظائف الوقتية فلا يختص به نعم الاكثار من مسائل فيه صعبة التحصيل قليلة الجدوى مما لا ينبغى تضييع جزء نفيس من العمر فيه

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعة

فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعة اهـ

وهذان البيتان لابى الوليد الباجى كما نسبهما له اليوسى فى حسن المحاضرة والمشهور المعول عليه أنه

بالطاء المهملة أى ذمه اهـ مؤلفه

مندوب

مندوب وهو مقتضى كلام الغزالى وابن عرفة فى نقل الابى عنه والسنوسى وغيرهم قال بعض المحققين وهو الحق لانه وسيلة الى تحصيل العلوم التى منها مندوب وواجب وانما لم يكن واجبا مع أنه يتوصل به الى العلم الواجب كالعقائد لان تحصيل العلوم الواجبة ليس موقوفا عليه لحصولها لمن لا يحصى كثرة من العلماء الذين لم يتعاطوه فليس حصول العلوم الكسبية بدونه من خوارق العادات بل هو شائع كثير كما ذكره السنوسى خلافا لما ذكره الشيخ اليوسى فى حاشيته ولما فى شرح المطالع من الحكم بوجوب معرفته فانه ضعيف اه وبوجوبه صرح ابن عرفة فى منطقه وعليه فهل وجوبه عينى أو كفائى قولان أما القول بالوجوب العينى فهو مبنى على عدم صحة ايمان المقلد قال الشيخ مرتضى فى شرح الاحياء وهو أبعد الاقوال وأليق بأن يقال لصاحبه

أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا يا سعد تورد الابل

وأما القول بالوجوب الكفائى فقد رده ابن القيم بانه لا فرض الا ما فرضه الله ورسوله فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم أن يكون منطقيا فان فرض الكفاية كفرض العين فى تعلقه بعموم المكلفين وانما يخالفه فى سقوطه بفعل البعض اه وتأليف السيوطى الذى أشار اليه فيما نقلناه عنه سماه القول المشرق فى تحريم المنطق واعتنى بالرد عليه فى ذلك معاصروه بأنه منازع فى نقل ما نقله فيه وفى صحته ولما أرسل السيوطى بتأليفه المذكور لمعاصره الشيخ المغيلى أجابه بأبيات يقول فيها * سمعت بأمر ما سمعت بمثله * الى أن قال

أيمكن أن المرء فى العلم حجة * وينهى عن الفرقان فى بعض قوله
هل المنطق المعنى الاعبارة * عن الحق أو تحقيقه حين جهله

(الى أن قال)

ودع عنك أبداه كنور وذمه * رجال وان أثبت صحة نقله الخ

وانظر شرح أبى على اليوسى على شرح كبرى السنوسى وقد حض على علم المنطق جماعة كثيرة رتبتهم فى التحقيق شهيرة فقد نقل أبو على اليوسى فى حواشيه على مختصر السنوسى عن بعضهم أنه قال ان هذا العلم لا يعطيه الله الا لمن أحبه من أوليائه قال الامام السنوسى وهو الحق فان العلوم كلها طوع اليد لمن حقق المهم من هذا الفن وجعل من يعزى اليه تحريمه لا معرفة له بحقيقته وجعل إرسطاطاليس النفس النافرة عنه بهيمية غير انسانية ولقد كشف القناع عن حاله أبو حامد الغزالى اذ قال فيه

حكمة المنطق شئ عجب * واختلاف الناس فيه أعجب
كل علم فهو قانون له * وبه يدرك ما يستصعب
وله فى نفس من لم يره * نفرة توجب ما لا يجب
وكذا ينفر من ليس له * أدب عمن لديه أدب

وقال فى أول كتابه المستصفى كما نقله شارح الاحياء هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلمه أصلا وقال بعض المحققين من لا يحسنه لا يعد من طبقات العلماء الباحثين المفتشين على الحق المخرجين له من العدم الى الوجود المخاطبين بقوله تعالى يا أولى الالباب اه وجعله السيد فنا شريفا وعلما منيفا وحض على تعلمه الامام ابن عرفة وغيره (وقال داهية العلوم الشيخ داود الانطاكى فى أول تذكرته) ان علم الميزان هو المعيار الاعظم الموثق للبراهين الذى لا ثقة بعلم من لم يحسنه وقد ثبت أن سبب الطعن عليه فساد بعض من تطرفيه قبل أن تهذبه النواميس الشرعية فظن انها برهانية كالحكمية فلما تبين له ذلك استخف لها وتبعه أمثاله والفساد من الناظر لا من المنظور فيه بل المنطق يؤيد الشرائع

وكذا الحكميات لانه قد ثبت فيها ان الكلي اذا حكم عليه بشيء تبعه جزئيه وان النبوة كلي أجمع على صحتها فاذا لم نجد لبعض جزئيات جاءت بها كتخصيص رمضان بالصوم وتجرد الثياب في الميقات في الاحرام حجة كان برهانها القطع بالحكم الكلي وهو صدق من جاء بها اه ﴿فائدة﴾ أما علم الاصول فحده انه علم بأصول يعرف بها أدلة الفقه الاجمالية وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفيدها وعرف بغير هذا وموضوعه الدليل الشرعي الكلي كالكتاب والسنة من حيث ٣ معرفة كيفية استنباط الاحكام منه وواضعه الامام الشافعي رضي الله عنه أي انه أول من تكلم فيه وأخرجه من القوة الى الوجود وألف فيه كتاب الرسالة التي أرسل بها الى ابن مهدي وهي مقدمة الام وفيه قال أبو حيان من قصيدة يشير الى انه واضعه

هو استنبط العلم الاصولي فاكتسى * به الفقه من ديباج انشائه وشيا

﴿واسم الامام الشافعي﴾ محمد بن ادريس ولد سنة خمسين ومائة بمدينة غزة على الاصح وتوفي بمصر يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعد العصر رحمه الله والله أعلم * واسمه أصول الفقه ووجه هذه التسمية واضح لان الفقه مبني عليه قال حلولو في شرح جمع الجوامع وعلى هذا فكل مسئلة مرسومة فيه لا ينبني عليها فقه ولا تكون عونا فيه فوضعها في أصول الفقه عارية كمسئلة أمر المعدوم ونحوها اه منه * واستمداده من العربية لان الكتاب والسنة عربيان فلابد من معرفة ما يفهم من الالفاظ اللغوية كالامر والنهي والعام والخاص وانما يقع ذلك من فنون العربية ويستمد أيضا من الاحكام الشرعية كالوجوب والندب مثلا لان المراد من الفن اثباتها كقولنا الامر للوجوب أو الندب والنهي للتحريم أو الكراهة ويستمد أيضا من المنطق كالتصور والتصديق والحد والدليل قال ابن الحاجب في مختصره ويستمد من علم الكلام أيضا لتوقف الادلة الكلية على معرفة الباري وصدق المبلغ ﴿قلت﴾ وقد بحث الامام اليوسي في أول شرحه على جمع الجوامع في استمداده من علم الكلام بما يعلم بالوقوف عليه * وحكمه الفرض الكفائي كما قاله الامام في المحصول ونقله حلولو في شرح جمع الجوامع قاله العلامة سيدي الطالب ابن الحاج في الازهار الطيبة النشر فيما يتعلق بالمبادي العشر ﴿قلت﴾ وراجعت حلولو فلم أجد فيه ما نسبه له نعم نقل ذلك عن الامام في المحصول أبو علي اليوسي في شرحه لجمع الجوامع فلعل العلامة المذكور سبقه القلم في النسبة والله أعلم * ومسائله قضاياه التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالي * وفضيلته على قدر شرف موضوعه وهو الكتاب والسنة وعلى قدر شرف فائدته وتأتي * ونسبته من العلوم نسبة الاصل من الفرع قاله العلامة سيدي الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في شرح مقدمة جده سيدي عبد القادر في علم الاصول ﴿قلت﴾ ولا يخفى أن النسبة التي ذكر انما هي من علم الفقه خاصة لا من العلوم كلها ولم أر الآن من تعرض لنسبته من بقية العلوم بعد البحث والظاهر انها مختلفة أما الى الفقه فالعموم لانه مبني على الاصول كما مر وأما الى علم الآلة كاللغة والنحو والمعاني مثلا فهي أصل له لتوقف الاجتهاد عليها وكذا علم التفسير والحديث لانهما من الادلة وأما للحساب والهندسة والطب ونحوها فالتباين والله أعلم * وفائدته العلم بأحكام الله تعالى ومعرفة كيفية استنباطها من الادلة وناهيك بذلك ﴿وأما علم المنطق﴾ فحده أنه العلم الباحث عن أحوال المعلومات التصورية والتصديقية من حيث التأدي بها الى مجهول تصوري أو تصديقي ورسمه باعتبار غايته هو أن تقول علم يعرف به كيفية التوصل بالمعلوم الى المجهول وبعموم لفظ المعلوم والمجهول يخرج منه علم الحساب لانه يتوصل به من معلوم خاص الى مجهول خاص وباعتبار انه آلة تقول هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في فكره * وموضوعه المعلومات

٣ انما زدت هذه الحيثية ليخرج علم التفسير لان موضوعه الكتاب لا من هذه الحيثية بل من جهة فهم معانيه فقط وزدت قولي معرفة كيفية الخ ليخرج علم الفقه فان موضوعه الكتاب والسنة لا من هذه الحيثية بل من جهة الاستنباط بالفعل على وجه التفصيل اه مؤلفه

التصورية

التصورية والتصديقية من حيث انها توصل الى المجهول من تصور أو تصديق * وواضعه الحكيم إرسطاطاليس بهمزة مكسورة وطاء بن بعد كل واحدة منهما ألف وياء بعد اللام اسم عجمي ويقال فيه أيضا إرسطو بفتح الراء والسين قال في سعود المطالع وليس هما اسمين له بل اسم واحد زيد فيه على عادتهم من أن كل من مهر في علوم زيد في اسمه فكان يسمى أولا ارسط ثم سمي إرسطاطاليس اه ويقال له أيضا إرسطاليس بطاء واحدة قال

اذا شوركت في أمر بدون * فلا يلك منك في هذا نفور
ففي الحيوان يجتمع اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

ويقال له أيضا ارسطاليس باسقاط الهمزة وضم الراء قال المتنبي

من مبلغ الأعراب أني بعدها * جالست رسطاليس والاسكندر

وهو حكيم كان قبل الاسلام بكثير لم أقف على تحقيق زمنه والله أعلم * واسمه المنطق قال الآمدي في شرح ايساغوجي وجه تسمية هذا العلم بالمنطق ان المنطق يطلق بالاشتراك على التكلم وعلى ادراك الكليات وعلى قوتها ولما كان هذا العلم يقوي الأول ويعطي الثاني اصابة والثالث كمالا سمي بالمنطق اه ويسمى أيضا علم الميزان لوزن القوة الناطقة به ماتذكر فيه من الادراكات فتدرك صحة الصحيح وسقم السقيم ويسمى أيضا مفتاح العلوم لانه به تفتح أبوابها وبه يتأتى سلوكها وسماه الغزالي معيار العلوم لان المعيار مايختبر به الشيء ليعرف نقصانه من تمامه حسا أو معنى وغير خفي أن المنطق كذلك واستمداده من مباديه الاصطلاحية وهي ماينبني عليه الفن من أمور تصورية أو تصديقية فالتصورية كحدود الاشياء التي تستعمل فيه ويكثر دورها فيه كحدود الكلي وأقسامه والجزء والقضية والموضوع والمحمول والمقدم والتالي والتصديقية منها كقولنا النقيضان لايجتمعان ولا يرتفعان ونفي الاعم يوجب نفي الاخص والكل أعظم من الجزء ونحو ذلك من البديهيات * وحكمه فيه أقوال أربعة الجواز والندب والوجوب والحرمة وبانقسام الوجوب للكفائي والعيني وتقدم أنهما قولان تصير الاقوال خمسة ومشهور الاقوال هو الندب كما مر ومسائله قضاياه التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالي وفضيلته تقدمت في كلام من حض عليه وأوصى به ولبعضهم في مدحه أيضا

اذا شئت أن تستوعب العلم والحجا * وتستكشف المجهول وهو ظنون
وتعقل أسباب الوجود بأسرها * على نسق بالفعل وهي فنون
فبالمنطق الشافي يطيعك ماعصى * من العلم والصعب المنال يهون

(ولآخر)

ان رمت ادراك العلوم بسرعة * فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا الميزان العقول مرجح * والنحو اصلاح اللسان بمنطق

(ولآخر)

كل حقيقة منطوق بمنطقهم * أكرم بتحقيق علم من قواعده
فكل علم رقيق علم مقصده * وكل فهم دقيق من فوائده

ونسبته انه كلي لسائر العلوم لان أعلى العلوم الشرعية علم الكلام وحاصله استدلال خاص بالله تبارك وتعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام وعلم المنطق يبحث عن مطلق الاستدلال فصار أعم وفائدته الاحتراز عن الخطأ في الفكر (ثم قال الناظم)

ثم للعطف والترتيب الرتبي والحديث مبتدأ وهو على حذف مضاف أى علم الحديث والحديث لغة ما يتحدث به وينقل سمى بذلك لقرب عهده ومدته قاله بعضهم وعليه فهو من الحدوث ضد القدم وقال الفخر الرازى أوائل تفسيره والسبب فى هذه التسمية أن هذه الكلمات انما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية فكل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه فلهذا السبب سميت الكلمات بالحديث ويمكن أيضا أن يكون السبب فى هذه التسمية أن سماعها يحدث فى القلوب العلوم والمعانى اه ثم سمى به هذا العلم الخاص وبعد ظرف مقطوع عن الاضافة لفظا مبنى على الضم متعلق بمحذوف حال من الحديث وقوله والتفسير على حذف مضاف أيضا معطوف على الحديث والتفسير لغة مصدر فسر أى بين ثم صار علما على العلم المخصوص وقوله عنك متعلق بيذهب وكذلك بهذا والتعسير فاعل يذهب والجملة من قوله يذهب الخ خبر المبتدأ والرابط هو الاشارة فى قوله بهذا لانها عائدة على ما ذكر من الحديث والتفسير ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك لما تقدم من العلوم تقرأ علم الحديث ثم علم التفسير فان التعسير والتعكيس يذهب عنك بقراءتهما والمراد بالحديث فى كلام الناظم ما يشمل رواية ودراية وانما كانت قراءة الحديث والتفسير سببا لاذهاب التعسير والاشتغال بهما هو سر الاكسير لانهما أشرف مقاصد العلوم على الاطلاق من غير نزاع ولا شقاق أما علم التفسير فلانه مبين لكلام رب العالمين الذى تضمن أخبار الاولين والآخرين وتكفل باحكام التكاليف وبه التعرف والتعريف وأما علم الحديث فلان فيه البحث عن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبين من القرآن ما انبهم وقد دعا صلى الله عليه وسلم لحملة حديثه بقوله نضر الله امرأ سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه رواه الشافعى والبيهقى وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح واليه أشار أبو العباس العزفى بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة * لألاؤها كتلألؤ البرق
ياليتنى معهم فيدركنى * ما أدركوه بها من السبق

وفى مدح العلمين المذكورين قال أبو بكر حميد القرطبى من قصيدة

ما العلم الا كتاب الله أو أثر * يجلو بنور هداه كل ملتبس
نور لمقتبس خير الملتمس * حمى لمحترس نعمى لمبتئس
فاعكف ببابهما على طلابهما * تمحو العمى بهما من كل ملتمس
ورد بقلبك عذبا من حياضهما * تغسل بماء الهدى ما فيه من دنس

ثم يحتمل أن الواو فى قول الناظم والتفسير مرتبة على مذهب بعضهم فتكون قراءة علم الحديث سابقة على علم التفسير وهذا أظهر لان سياق كلامه فى الترتيب ويحتمل أنها غير مرتبة فيكون المراد انهما يقرآن بعد ما تقدم ويخير الطالب فيما يقدم منهما والله أعلم ﴿فائدة﴾ أما حد علم الحديث عند من جعله مرادفا للسنة فهو العلم المشتمل على نقل ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم قولا له أو فعلا أو تقريرا وأسانيد ذلك وروايته وضبطه وتحرير ألفاظه وعند من جعل الحديث أعم قال فيه انه العلم المشتمل على نقل ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى صحابى أو الى من دونه من الاقوال والافعال والتقارير والاحوال والايام حتى الحركات والسكنات فى اليقظة والمنام فزاد ما أضيف الى الصحابى الخ ليشمل الموقوف والمقطوع وزاد الاحوال والسير والايام لتدخل الاحاديث التى فيها صفته الشريفة الخلقية

والخلقية

والخلافية لانها من المرفوع باتفاق كما نص عليه الحافظ ابن حجر وغيره * وموضوعه الآثار من حيث كونها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقاريره (وقيل) ان موضوعه ذات النبي صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبي لا من حيث انه بشر ليخرج علم الطب وهذا القول أصله للكرماني ٣ قال السخاوي في غنية اللبيب في شرح التقريب وانتقده بعض المتأخرين بان المباحث الواقعة فيه راجعة الى أقواله وأفعاله لا الى ذاته وان كانت الاقوال والافعال متعلقة به ألا ترى ان موضوع الفقه أفعال المكلفين من حيث انها تحل وتحرم لا المكلفون وان كانت أفعالهم قائمة بهم قال السخاوي وفيه نظر لان المبحوث فيه هنا عوارض الذات الشريفة وهي الاقوال والافعال لا عوارض الاقوال والافعال المبحوث عنها في الفقه اه (قلت) واستظهره بعض شيوخنا وهو ظاهر والله أعلم * وواضعه الله سبحانه وعلم المصطفى صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى ثم منه ما أوحي اليه لفظه ومعناه وهو الاحاديث القدسية ومنه ما أوحي اليه معناه فقط وترجم عنه النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى بالاحاديث النبوية ثم ورث ذلك عنه أصحابه رضي الله عنهم وأول من دوّن فيه ابن شهاب الزهري كما قاله الحافظ ابن حجر ونحوه في الحلية واسم ابن شهاب محمد بن مسلم توفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وقيل ثلاث وعشرين وقيل خمس وعشرين ومائة وهو ابن اثنين ... ـل ثلاث وسبعين سنة وقيل مولده سنة احدى وخمسين للهجرة والله أعلم * واسمه علم الحديث رواية والاثر والسنة والخبر وطريقة المتقدمين كالبخاري ترادفها وطريقة الغزالي ومن تبعه ان الحديث كلام النبي صلى الله عليه وسلم والخبر والاثر كلام السلف وقيل غير هذا والله أعلم * واستمداده من علم المولى سبحانه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى ولقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ولقوله اقرأ وربك الاكرم الآية وذكر بعض أشياخنا عن غيره وأقره ان استمداده من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته (قلت) قد علمت ان أفعاله وأقواله وتقريراته هي نفس العلم فيلزم استمداد العلم من نفسه والظاهر ما قلناه أولا من ان استمداده من علم الله تعالى ونص عليه جماعة والله أعلم * وحكمه الفرض العيني على المنفرد والكفائي على المتعدد وقد مثل شراح الشيخ خليل لقوله كالقيام بعلوم الشرع بالفقه وما يتوقف عليه من حديث وتفسير * ومسائله هي قضاياه التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها الى موضوعاتها على وجه اجمالي وفضيلته على قدر شرف موضوعه وحكمه وقد تقدما وفائدته وستأتي ففضيلته الفوز بسعادة الدارين فهو أفضل العلوم بعد كتاب الله ولفظه أفضل ما فاهت به الشفاه وللشرف الدمياطي في مدحه

علم الحديث له فضل ومنقبة * نال العلا به من كان معتنيا

ما حازه كامل الا ونقصه * أو حازه عاقل الا به حليا

وقطع الشعر في مدحه جمة تنبئ بان طلبه من أجل نعمة * ونسبته مختلفة أما الى علوم الشرع من تفسير وتوحيد وأصول وفقه وفرائض فالخصوص لان كلا منها مستنبط ومأخوذ منه فهو أصل له وأما الى علوم الآلة فالتباين * وفائدته التحلي بالآداب النبوية والتخلق بالاخلاق المصطفية ٤ وذلك سبب النجاة في المحيا والممات هذا هو الظاهر في فائدته وقال بعض شيوخنا فائدته الاحتراز عن الخطأ في النقل اه وتأمله فانه والله أعلم يصلح فائدة لعلم الحديث دراية (تنبيه) هذه المبادي المذكورة هي لعلم الحديث رواية وأما علم الحديث دراية فله مباد تخالف هذه من حيث الجملة فأما حده فهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن هذا أحسن حدوده * وموضوعه السند والمتن من حيث القبول والرد * وواضعه ابن شهاب الزهري في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بأمره بعد موته صلى الله

٣ بعضهم ضبطه ... وبعضهم بكسر ... الذي ارتضاه هو ... وقال نحن أعلم به ... مؤلفه

٤ بلا واو والقول ... * والالف الجائز ... خلافا لما يجري على ... من قولهم المصد... مؤلفه

عليه وسلم بمائة عام ولولاه لضاع الحديث ولذلك دخل فيه الضعيف والشاذ ولو كتب فى زمنه صلى الله عليه وسلم لكان مضبوطا مثل القرآن قاله فى سعود المطالع وهو الظاهر خلافا لما قاله بعضهم وارتضاه بعض شيوخنا من أن واضعه هو القاضى أبو محمد الرامهرمزى و أن ابن شهاب هو الواضع للحديث بالمعنى الاول فهو غير ظاهر لان واضع الحديث بالمعنى الاول هو الله تعالى وابن شهاب أول من دوّن فيه فقط كما مر لا أول من وضعه ﴿وأما علم الحديث دراية﴾ فأول من وضعه ابن شهاب كما فى سعود المطالع وغيره والرامهرمزى أول من دوّن فيه كما فى مقدمة القسطلانى لا أول من وضعه والله أعلم (والرامهرمزى) هو القاضى أبو محمد حسن بن عبد الرحمن بن خلاد المتوفى كما فى كشف الظنون سنة ستين وثلثمائة قال الحافظ ابن حجر وكتابه المحدث الفاصل بين الراوى والواعى هو أول كتاب صنف فى علوم الحديث فى غالب الظن اه نقله فى كشف الظنون والرامهرمزى بفتح الراء وفتح الميم الاولى بينهما ألف وضم الهاء والميم الثانية بينهما راء ساكنة والزاى مكسورة نسبة الى رامهرمز بلد بخوزستان كما فى القاموس وأصل رام بالفارسية مقصود وهرمز ملك العجم ثم صار الجميع علما على البلد المذكورة وقد ذكر جماعة من العلماء نسبة الحافظ المذكور للبلد المذكورة على الوجه الذى رأيت والذى للشيخ مرتضى فى شرح القاموس نقلا عن العباب أن النسبة الهارامى وهرمزى ولم يذكر النسبة الى اللفظين معا ﴿قلت﴾ وقد تقرر فى باب النسب من علم النحو أن فى النسبة الى المركب المزجى خمسة أوجه انظر الاشمونى منها النسبة الى اللفظين معا وعليها نسبة الحافظ المذكور على ما ذكره الجماعة غير أن هذا الوجه شاذ والله أعلم * واسمه علم الحديث دراية وعلم الاسناد واصطلاح الحديث وآداب الحديث * واستمداده من أوصاف الرواة والمروى بمعنى كون الراوى ثقة أم لا ثبتا أم لا والمروى مقطوعا بنسبته للنبى صلى الله عليه وسلم أم لا لان من هذا وشبهه يستمد هذا العلم كما هو ظاهر وان لم أره لاحد والله أعلم ثم وجدت لبعضهم أن استمداده من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ونقله بعض شيوخنا وسلمه فيكون استمداده مساويا لاستمداد علم الحديث رواية وفيه ما لا يخفى على من استحضر معنى الاستمداد * وحكمه الوجوب العينى على من انفرد والكفائى عند التعدد * ومسائله قضاياه التى يطلب فى العلم نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالى * وفضيلته على قدر شرف موضوعه وحكمه وقد تقدما وفائدته وتأتى ففضيلته الفوز بسعادة الدارين كما مر أيضا فى فائدته على الاطلاق الاول * ونسبته كنسبة علم الحديث رواية على ما ظهر وان لم أره لاحد والله أعلم ثم وجدت بعضهم نص على ان نسبته كنسبة علم الحديث رواية ونقله بعض شيوخنا وسلمه فالحمد لله على الموافقة * وفائدته معرفة ما يقبل وما يرد من الاحاديث والله أعلم ﴿استطراد﴾ قال القاضى أبو العباس أحمد بن الخطيب المعروف بابن قنفذ فى شرحه شرف الطالب فى اسناد المطالب على منظومة غرامى صحيح فى اصطلاح الحديث ما نصه وكل محدث فقيه وليس كل فقيه محدثا (قال الشيخ أبو الطاهر السلفى رحمه الله) سألت شيخنا الامام أبا الحسن على بن محمد الطبرى ببغداد فى أواخر المائة الخامسة عن رجل أوصى بثلث ماله للفقهاء فى بلده هل يدخل أهل الحديث معهم أم لا (فأجاب بخط يده) نعم فكيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها فالحديث منه اه وأسند أبو الحسن القابسى الى على بن الجعد جاء رجل الى سفيان الثورى فقال حلفت بالطلاق أنى عالم فقال ان كان مستندك علم فلان وأبى فلان فقد حنثت وان كان عندك أربعون حديثا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت لم تحنث اه ﴿فائدة﴾ اختلفوا هل ثواب قارئ الحديث كثواب قارئ القرآن قال الجلال السيوطى فى ألفية الحديث

وهل

وهل ثواب قارئ الاخبار * كقارئ القرآن خلف جاري

قال الشبرخيتي وانظر هل ثواب مستمعه كمستمع القرآن وقد عدّ ممن يؤتى أجره مرتين أم لا اه والله أعلم
﴿وأما التفسير﴾ فحده على ما نقله في الاتقان عن أبي حيان انه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ
القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات
لذلك وقال أبو علي اليوسي في القانون التفسير هو العلم الباحث عن معاني القرآن الظاهرة افرادا
وتركيبا وما يتوقف عليه ذلك خاصا به أو كالخاص قال وقيدنا بالظاهرة احترازا عن فهوم أهل
الاشارات فانها ليست بالتفسير المتعارف اه وعرّف أيضا بغير هذا *وموضوعه المفهوم الكلي
الصادق على ما بين الدفتين وهو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتحدى به وقد ورد عليه بحث
لكن أجيب عنه *وواضعه يصح أن يقال هو الله تعالى لان القرآن قد فسر بعضه بعضا فهو علم قرآني
ويصح أن يقال هو النبي صلى الله عليه وسلم لانه أوّل من فسر وبين معانيه ثم ورث ذلك معظم الصحابة
رضوان الله عليهم ثم ورث ذلك عنهم التابعون *وأوّل من صنف في التفسير بطريق الاسناد الامام
مالك رضي الله عنه كما في سعود المطالع وغيره (ولد الامام مالك رضي الله عنه) في ربيع الاول سنة ثلاث
أو أربع وهو الاشهر أوست أوسبع وتسعين وقيل سنة تسعين ولا خلاف أنه مات سنة تسع وسبعين
ومائة بالمدينة قاله الحطاب ونقله شيخنا العلامة أبو عبد الله كنون في تعليقه على الموطا وأقره ﴿قلت﴾
بل ذكر ابن خلكان في تاريخه وفيات الاعيان قولا بأنه مات سنة ثمان وتسعين ومائة والله أعلم *واسمه
التفسير وهو تفعيل من الفسر كالضرب وهو البيان والكشف وقيل مقلوب السفر كالضرب أيضا
يقال سفرت الشئ سفرا اذا كشفته وأوضحته وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به
الطبيب المرض والاول أولى كما في القانون والتفسير والتأويل بمعنى واحد عند أبي عبيدة وطائفة وأنكر
ذلك آخرون حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين
التفسير والتأويل ما اهتدوا اليه اه وعليه فالتفسير كما قال الماتريدي القطع على أن المراد من اللفظ
هذا وانه المعنى الذي أراده الله فان كان بدليل قطعي فصحيح والا فهو من قبيل الرأي وهو المنهي عنه
المتوعد عليه والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع وقيل التفسير يتعلق بالدراية بمعنى ان ما وقع
مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لان معناه قد وضح وظهر وليس لاحد أن
يتعرض اليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد ولا يتعداه والتأويل ما استنبطه العلماء
العالمون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم وقال الراغب التفسير أعم من التأويل وأكثر
استعماله في الالفاظ والمفردات وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر استعماله في الكتب
الالهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها انظر الاتقان *واستمداده من الكتاب والسنة والآثار وقال
الزركشي هو مستمد من علم اللغة والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراآت ويحتاج لمعرفة
أسباب النزول والناسخ والمنسوخ نقله في الاتقان *وحكمه الفرض الكفائي اجماعا *ومسائله ما يذكر
في نفس التفسير من مسائله التي يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها لموضوعاتها على وجه اجمالي *وفضيلته
انه من أجل العلوم الثلاثة الشرعية كما في الاتقان وقال الاصبهاني في تفسيره أشرف صناعة يتعاطاها
الانسان تفسير القرآن اه وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله
تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال هي المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه
ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقد ورد في فضله من الآثار كثير *ونسبته
مختلفة أما الى علم الرسم فالترادف لان كلا منهما يبحث عن اللفظ المنزل الا أن التفسير يبحث فيه

من حيث فهم المعنى والثانى من حيث رسمه وهذه عوارض لا توجب الاختلاف وأما الى الفقه والفرائض فالعموم لانه أصل لهما وأما الى الحديث والاصلين وسائر علوم العربية فالخصوص وفائدته معرفة كتاب الله على الوجه الاكمل وذلك موصل للتمسك بالعروة الوثقى والحبل الاقوى (ثم قال الناظم)

(46) ﴿ثم التصوف به اختم العدد * هداك ربنا الى سبل الرشاد﴾

ثم للعطف والترتيب الرتبى والتصوف على حذف مضاف أى علم التصوف وهو مفعول بفعل محذوف يفسره المذكور من معناه تقديره لابس التصوف اختم به العدد ويجوز رفعه على الابتداء نظير ما مر وبه متعلق باختم والعدد مفعول به وهداك ربنا جملة من فعل وفاعل ومفعول والهداية الارشاد والى سبل متعلق بهدى والسبل فى النظم بسكون الباء وهو مخفف سبل بضمها جمع سبيل وهو الطريق والرشاد مضاف اليه سبل والرشاد بالالف بعد الشين فى جميع النسخ التى وقفت عليها وفيه الردف وحقيقته حرف مد قبل الروى وهو من الامور التى اذا أتى بها الشاعر فى بيت وجب عليه التزامها اتفاقا حيث التقى ساكنان آخر البيت كما قاله المحقق الصبان وغيره ولا يخفى ان قافية البيت الذى قبله وهى العدد خالية منه فلعل زيادة الالف فى الرشاد غلط من الناسخ والصواب حذفها إذ يقال رشد يرشد رشادا ورشدا والظن ان ذلك لا يقع من الناظم لمعرفته بصناعة نظم القريض كما يعلم من استقصاء نظمه والله أعلم وجملة هداك الخ خبرية لفظا قصد بها انشاء الدعاء لطالب العلم بالهداية وخص الدعاء له بذلك بعد علم التصوف دون غيره تلميحا الى أن المقصود من علم التصوف هو سلوك الطريق المستقيم ﴿والمعنى﴾ ثم بعد قراءتك لما تقدم اقرأ علم التصوف واجعله خاتمة علومك التى تطلبها وانما كان هو المتأخر فى الطلب لان التصوف عبارة عن العلم والعمل والعلم سابق على العمل لانه دليل العمل ولان تحصيل ما تقدم من التوحيد والفقه شرط فى صحة التصوف وباقى العلوم المتقدمة آلة لتحصيل التوحيد والفقه فيكون جميع العلوم المتقدمة شرطا إما بنفسه وإما بكونه آلة والشرط متقدم على المشروط فلا تصوف الا بفقه كما لا فقه الا باعتقاد وايمان اذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة الا به كما لا فقه أيضا الا بتصوف إذ لا عبرة بفقه لا يصحبه صدق التوجه ولهذا قيل من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم للكشف عن المراد والعمل للعون على المطالب والموهبة للتبليغ الى غاية الامل ﴿فائدة﴾ حد علم التصوف أنه العلم الباحث عن الآداب اللائقة بين العبد وبين رب الارباب وقال فى شرح محصل المقاصد علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أى عيوبها وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء والرياء وغير ذلك هذا حد العلم وأما التصوف نفسه أى كيفية التخلق بهذا العلم فقد ذكر الزرقانى فى شرح المواهب أن فى تعريفه زهاء ألف قول بل قال الشيخ زروق حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الالفين وترجع كلها لصدق التوجه الى الله تعالى وانما هى وجوه فيه وجملة الاقوال راجعة الى تفاصيله واعتبار كل واحد له على حسب مناله علما وعملا وحالا وذوقا وغير ذلك ومن أجل ذلك ألحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى بغالب أهل حليته عند تحلية كل شخص قولا من أقوالهم يناسب حاله قائلا وقيل ان التصوف كذا فاقتضى أن كل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف وان تصوف كل أحد صدق توجهه فافهم اه وكل ما جرى من الاقوال فى تعريف التصوف يجرى فى تعريف الصوفى لانه مشتق منه وقد عرف الجنيد رحمه الله التصوف بقوله هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به ومعناه استقامة

العبودية

العبودية بأن يفني مراد العبد في مراده به وعلمه في علمه حتى لا يبقى الا عبودية تعلقت بربوبية وربوبية تولت عبودية وهذا مقام رفيع وهو الذي طلبه أبو يزيد اذ قال أريد أن لا أريد (وقيل) التصوف تجريد القلب لله واحتقار ما سواه وهو لابي حامد ونسبه في النقاية ٣ للجنيد قال الكمال بن أبي شريف على قوله واحتقار ما سواه أي بالاضافة الى عظمته سبحانه والا فلا خفاء في أنا مأمورون بتعظيم الانبياء والملائكة والعلماء ولما كان تعظيمنا اياهم ليس الا لأن الله تعالى هو الذي عظمهم وأمر بتعظيمهم لم يكن خارجا عن تجريد القلب لله * ورأى بعض الصوفية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسأله عن التصوف فقال هو ترك الدعاوى وكتمان المعاني * وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع الى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وموضوعه) الذات العلية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتها اما بالبرهان أو الشهود والعيان مآلا فالاول للطالبين والثاني للواصلين وقيل موضوعه النفوس والقلوب والارواح لانه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الاول لقول يحيى بن معاذ من عرف نفسه عرف ربه وقيل موضوعه الآداب اللائقة بالعبد بين يدي مولاه (وواضعه) سيدنا علي رضي الله عنه أي هو أول من تكلم فيه كما قاله الحسن البصري رضي الله عنه ذكره عنه أبو الحسن الششتري في رسالته العلية قال بعضهم أعطى علي رضي الله عنه العلم اللدني ولا تصح النسبة للولاية الا من جهته وحقيقته فهو امام الاولياء المحمديين كلهم وأصلهم ومنشأ انتسابهم الى الحضرة المحمدية ومظهر نور الولاية الاحمدية وهو أرفع عارف في الدنيا مما خصه صلى الله عليه وسلم بقوله أنا دار الحكمة وعلي بابها وبقوله أنا مدينة العلم وعلي بابها اهـ (مات) سيدنا علي كرم الله وجهه مقتولا ضربه ابن ملجم أشقى الآخرين كما في الحديث وكان ذلك ليلة الجمعة سابعة عشر رمضان ومات ليلة الاحد تاسعة عشر من الشهر المذكور وهو ابن ثلاث وستين على الصحيح والله أعلم (ثم ان التصوف) كان في صدر الامة عند الصحابة والتابعين بالعكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن الدنيا وزينتها ثم لما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية (قال في كشف الظنون) وأول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠ انتهى * واسمه علم التصوف وعلم الباطن وعلم القلب والعلم اللدني وعلم المكاشفة وعلم الاسرار والعلم المكنون وعلم الحقيقة واختلف في اشتقاق التصوف فقيل من الصفاء وهو المختار كما في لطائف المنن نقلا عن المرسي قال أبو الفتح البستي

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا * فيه فظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

(قال في الفيض الوارد) والذي يميل اليه كثير من السادات هو ما يفهم من هذين البيتين (وأنشد في المدخل)

ليس التصوف لبس الثوب ترقعه * ولا بكاؤك اذ غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب * ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر * وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا * على ذنوبك طول الدهر محزونا

ولطاهر بن حسن المخزومي في المعنى

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى * وعليه من نسج المسوح مرقع
بطرائف بيض وسود لفقت * فكأنه فيها غراب أبقع
ان التصوف ملبس متعارف * يخشى الفتى فيه الاله ويخشع

بحر الكامل

٣ كتاب للحافظ السيوطي وهي بضم النون اهـ مؤلفه

(قال بعضهم) والاشتقاق لا يساعد القول بأنه مشتق من الصفاء اه أى لان الواو سابقة على الفاء فى المشتق بخلاف المشتق منه فان الفاء سابقة على الواو ولأن أصل ألف الصفاء واو إذ أصله صفو (والجواب) ما قاله غير واحد أن فيه قلبا فقدمت الواو على الفاء فى المشتق منه وقيل ان التصوف مشتق من الصوف قال بعضهم وهو الاظهر حيث قيل بالاشتقاق اه وقال أبو حفص الفاسى ظهر لى أنه منسوب الى الصوف لانه فى الغالب شعاره ودثاره ولان هذا اللفظ مشتمل على ثلاثة أحرف مقتطعة من ثلاث كلمات دالة على معان ثلاثة هى أوصافه المختصة به فالصاد من الصفاء والواو من الوفاء والفاء من الفناء وقد أشرت الى ذلك فى ثلاثة أبيات فقلت

صفا منهل الصوفى عن علل الهوى * فما شاب ذاك الورد من نفسه حظ
ووفى بعهد الحب اذ لم يكن له * الى غير من يهوى التفات ولا لحظ
محا آية الاظلام شمس نهاره * وقد ذهبت منه الاشارة واللفظ اه

وقيل مشتق من الصوفة الملقاة فى الارض والرياح تحركها لانهم يؤثرون التواضع والذلة وسقوط القدر كحالة الصوفة المذكورة وقيل من صوفة القفا للينها فان المؤمن هين لين وقيل الى صوفة قبيلة كانوا يجيزون الحاج فى منى لاختصاصهم بالمزية والزى وقيل من الصفة بضم الاول وتشديد الثانى وهى مظلة فى المسجد النبوى كانت مأوى الفقراء المتجردين لأن الصوفى تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية قال الشيخ زروق وهو الاصل الذى رجع اليه كل قول فيه *(هذا)* وقد قال الامام القشيرى رحمه الله لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر أنه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوى وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه انتهى *واستمداده من الكتاب والسنة قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ربما تقع فى باطنى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبلها الا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة *وحكمه الوجوب العينى كما فى الاحياء اذ لا يخلو أحد من أمراض القلوب الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام والوجوب العينى هو المأخوذ من قول صاحب المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين حيث جعل جميع ما ذكره فى نظمه من قبيل ما هو ضرورى من علوم الدين أشار له الشيخ جسوس فى شرحه على تصوف المرشد وهو المأخوذ أيضا من قولهم من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن قول الجنيد والشاذلى من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ومن قول بعض العارفين كما نقله فى القوت والاحياء من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله (وقيل) من رزق قلبا سليما من الامراض لم يلزمه البحث عنه لأن الدواء انما يحتاج اليه العليل والمختار الاول لان أمراض القلوب جبلية وقد لا يتفطن لها فوجب البحث عن علاجها *ومسائله قضاياه التى يطلب بالبرهان نسبة محمولاتها الى موضوعاتها على وجه اجمالى ككون الاخلاص شرطا فى العمل مثلا لدلائل الكتاب والسنة *وفضيلته لا تخفى اذ هى على قدر شرف الموضوع والحكم والفائدة وقد قال الجنيد لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه (وقال الشيخ الصقلى فى كتابه أنوار القلوب فى العلم الموهوب) كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يدرك والبحر الذى لا ينزف وقال فى القوت واتفقوا على أنه علم الصديقين وان من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين (وقال آخر) اذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذه الطريقة فبشره واذا رأيت من فتح له فى الفهم فيه فاغتبطه واذا رأيت من فتح له فى

النطق فيه فعظامه واذا رأيت منتقدا عليه فتزمنه واهجره وما من علم الا ويتم الاستغناء عنه فى وقت ما الا علم التصوف فلا يستغنى أحد عنه فى وقت من الاوقات وكان الجنيد كثيرا ما ينشد

علم التصوف علم ليس يعرفه * الا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

(ولله در من قال)

يامن تقاعد عن مكارم خلقه * ليس التفاخر بالعلوم الظاهرة
من لم يهذب علمه أخلاقه * لم ينتفع بعلومه فى الآخرة

ونسبته الى العلوم انه كلى لها وشرط فيها اذلا علم ولا عمل الا بصدق التوجه الى الله تعالى فالاخلاص شرط فى الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية وباعتبار الجزاء والثواب وأما باعتبار الخارج فالعلوم توجد بدونه لكنها ناقصة أو ساقطة ولذا قال الجلال السيوطى نسبة التصوف الى العلوم كعلم البيان مع النحو يعنى هو كمال فيها ومحسن لها * وفائدته إفراد القلب لله سبحانه وناهيك به شرفا وهذا للمخلصين أما المخلطون فيحصل لهم بالاكباب عليه مزايا عظيمة كتقوية أنوار الايمان بمعرفة كلام القوم رضى الله عنهم وكمعرفة آداب العبودية وكعلم المطالع على كلامهم بتقصيره وقصوره عن مرتبتهم فيستصغر نفسه فينتفى عنه الكبر والعجب وكانتاج معرفة كلامهم وأحوالهم لمحبتهم وتعظيمهم وكالتصديق بهذا العلم والتصديق به ولاية الى غير هذا من الفوائد التى لا تحصر والله الموفق بمنه وكرمه

﴿استطراد﴾ قال العلامة أبو الحسن على التسولى رحمه الله فى نوازله ما نصه وجدت فى بعض التقاييد مانصه * مسئلة * من أوصى بمال للصوفية فيراعى فى المستحق خمس صفات الصلاح والفقر وزى الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطا لهم بطريق المسكنة فمن كان هكذا فيعطى له الوصية والفسق يمنع من الاستحقاق فى الظاهر وفسق الباطن الذى لو علمه الموصى والمعطى لما أوصى له ولما أعطاه يحرمه عليه باجماع المسلمين واذا أكله حراما محضا والاسباب تمنع الاستحقاق أيضا ولا يعتبر الزى مع وجود ذلك انظر الاحياء للغزالى رحمه الله اه من النوازل المذكورة ببعض تغيير لاجل تصحيف فى النسخة التى بيدى ﴿تنبيه﴾ أخذ من ترتيب الناظم لهذه العلوم فى التعلم أنه ينبغى للطالب أن لا يتعاطى فنين مثلا فى زمن واحد كما يفعله المتعاطون فى هذا الزمان فتجدهم يقرؤن الفقه فى الصباح والنحو مثلا فى المساء بل ينبغى لمن سمت همته الى فنين أو أكثر أن يقرأ أولا الاوكد كما مر حتى يحكمه ثم يتعاطى بعد ذلك غيره قال بعضهم وغير هذا خطأ فى التعلم والتعليم وقل أن يحصل طالب العلم مع ذلك على طائل أو تستحكم له فيه ملكة اه (ثم قال الناظم)

(٤٧) ﴿وكن مشاركا بكل علم * من غير ما ذكرت ياذا الفهم﴾

الواو للعطف وكن فعل أمر معطوف على قوله أول الباب أول ما تبدأ وجاز عطفه على المضارع لانه فى معنى الامر فكانه قال ابدأ أولا بعلم التوحيد ثم بكذا ثم بكذا وكن مشاركا الخ ويجوز عطفه على قوله اختم فى البيت قبل هذا وهو أقرب والاحتمال الاول أظهر كما لا يخفى على ذى ذوق سليم والضمير فى كن يعود على المخاطب هو اسمها ومشاركا خبرها وبكل علم متعلق بمشاركا والباء بمعنى فى وقوله من غير متعلق بمحذوف حال من علم وغير مضاف الى ما وهى واقعة على العلوم السابقة فى كلامه وذكرت صلتها والعائد محذوف أى ذكرته وقوله ياذا الفهم حرف نداء ومنادى ومضاف اليه والفهم بسكون الهاء وقد تفتح هو العلم كما فى الجوهرى وقد يطلق الفهم على جودة الذهن وجملة ياذا الفهم تتميم ونكتته أن الذى يقوى على علم جميع ما تقدم من العلوم وزيادة غيرها مما لم يذكره انما هو ذو الفهم أى الكامل فال فيه

للكمال ان أراد بالفهم العلم أى الادراك فان أراد بالفهم جودة الذهن فلا يحتاج لوصف بالكمال وأما من كان ذهنه ناقصا وادراكه قاصرا فانه يعجز عن ادراك كل العلوم ﴿والمعنى﴾ كن أيها الطالب الفهم مشاركا فى جميع العلوم غير التى ذكرتها أى لان ذلك أرفع وأكمل وأحسن وأجمل وذلك لان العلوم بعضها مرتبط ببعض فمن لم يشارك فيها لم يكمل فى واحد منها كما قاله أبو على اليوسى فى القانون (وقال الغزالى فى الاحياء) الوظيفة الخامسة أى من وظائف المتعلم أن لا يدع فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة و بعضها مرتبط ببعض و يستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم وقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى وقال يحيى بن خالد لابنه خذ من كل نوع من العلم فان المرء عدو ما جهل وأنا أكره أن تكون عدو الشئ من العلم وأنشد

تفنن وخذ من كل علم فانما * يفوق امرؤ فى كل فن له علم
فأنت عدو للذى أنت جاهل * به ولعلم أنت تتقنه سلم

(ولابن دريد)

جهلت فعاديت العلوم وأهلها * كذاك يعادى العلم من هو جاهله

(وقيل) من لم يعلم إلا فنا واحدا من العلم سمى الخصى من العلماء وقال العلامة الاديب سيدى على مصباح اليالصوتى فى كتابه سنا المهتدى فكذلك ينبغى للعالم أن يكون جامعا لجميع ما يحتاج الناس اليه من جذ العلوم وهزلها حتى يكون كالسوق العظمى فكل من قصده لحاجة وجدها عنده ولله در القائل

أخو الجد إن جد الرجال وشمروا * وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

وأتى بهذا الكلام إثر قضية ذكرها قال روى أن حامد بن العباس سأل على بن عيسى الوزير فقال له ما دواء الثمل فأعرض عنه الوزير وقال ما لنا ولهذه المسئلة فخجل حامد فاذا بقاضى القضاة أبى عمرو قد ورد عليهم فتقدم اليه حامد وسأله عن دواء الثمل فجلس وقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة فى الجاهلية وقد قال فى ذلك

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

فأشرق وجه حامد سرورا وقال للوزير ما ضرك يا بارد لو أجبت ببعض ما أجاب به قاضى القضاة وقد استظهر فى الجواب بقول الله تعالى وبقول رسوله صلى الله عليه وسلم و بين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل الوزير من كلام حامد أكثر من خجل حامد منه أولا ﴿قلت﴾ وقد سئل الحافظ ابن حجر العسقلانى عن مسئلة هى أقرب الى الهزل منها الى الجد وذلك أنه سئل

ماذا تقول إمام العصر فى دنف * أضحى قتيل الهوى من أسهم المقل

فهل يجوز له احياء مهجته * من ثغر محبوبه بالرشف والقبل
وهل يجوز له يوما معانقه * ويتبع القول فى قول وفى عمل
فهذه قصتى من أمرها عجب * فاسمح برد جوابى يامنى أملى

﴿فأجاب﴾

ان صح دعواه فى اتلاف مهجته * وان رشف اللمى يشفى من العلل
فليرشفن رضاب الثغر محتسبا * وليقطفن بفيه وردة الخجل
فذاك فى ملة الاسلام أسهل من * قتل امرئ مسلم لله فى الازل

(وتذكرت بهذا قول بعضهم)

قرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أر تقبيل الملاح محرما
لقد حرم المولى الزنا فى كتابه * وما حرم الرحمن خدا ولا فما

ولا تغترّ بهذا أيها الناظر فانه من قبيل مزاح الشعراء أومن قبيل نفى التحريم بالصراحة والتنصيص على خصوص ذلك والافظواهر القرآن وعموماته المفيدة للتحريم كثيرة أومن قبيل نفى تحريم الكبائر لامطلقا على أن الصغيرة باستصغارها تكون كبيرة وتحريم تقبيل الاجنبية والولدان من المعلوم من الدين ضرورة ودلائله كثيرة مشهورة *ولكن نذكر من ذلك دليلا لاطيفا أدبيا يناسب المقام روى أن عزة معشوقة كثير دخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهى أخت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكانت امرأة الوليد بن عبد الملك فقالت لها ياعزة ما الدين الذى مطلت به كثيرا حتى قال

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت كنت وعدته بقبلة ثم تحرجت منها فطلته بها سنة فلما ألح علىّ فيها هجرته ثم لقيته بمكة بموضع ضيق فاستحييت منه فضربت بيدى على جمله وقلت حياك الله ياجمل وانصرفت فقال فى ذلك

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحىّ ويحك من حياك ياجمل
لو كنت حييتها مازلت ذامقة * عندى ولامسك الادلاج والعمل
لحق من وله اذ قلت ذاك له * وظل معتذرا قد شفه الخجل
وردّ من جزع ما كنت أعرفها * ورام تكليمها لوتنطق الابل

فقالت لها أم البنين أنجزيه بقبلته وعلىّ وزرها ثم ان أم البنين تابت الخطا فى قولها فندمت منه غاية الندامة فأعتقت من أجل هذه الكلمة أربعين رقبة وكانت اذا تذكرتها تقول ليتنى لم أقل ذلك اه ﴿رجع﴾ ولقد أجاد من قال

تعلمن كل علم تبلغ الاملا * ولايكن لك علم واحد شغلا
فالنحل لما رعت من كل نابتة * أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا
فالشمع نورمبين يستضاء به * والشهد يشفى باذن ربه العللا

والغالب أن العالم اذا كان مشاركا فى فنون شتى لابدوأن يكون باعه فى واحد منها أطول وعارضته فيه أكمل ومن غلب عليه فن يرجع اليه فيه دون غيره كما قاله ابن حجر الهيتمى ﴿قلت﴾ وأصل هذا حديث استعينوا على كل صناعة باهلها أخرجه السيوطى فى الدرر المنتثرة فى الاحاديث المشتهرة وفى المعنى لابن الخطيب من قصيدته المشهورة فى السياسة

وكل أمر له قوم به عرفوا * فانديب لكل مهم أهل بلواه

ثم ان العلوم التى لم يذكرها الناظم تفصيلا ودخلت فى قوله كن مشاركا بكل علم كثيرة جدا فمنها علم اللغة

فانه فرض كفاية كما نص عليه الرازى فى المحصول وابن عبد السلام وغيرهما وصرح به الحافظ السيوطى للاجماع على توقف معرفة الكتاب والسنة عليه ولبعضهم

حفظ اللغات علينا * فرض كحفظ الصلاة فليس يحفظ دين * الا بحفظ اللغات

(وقال ابن خلدون) علم اللغة أهم من جميع العلوم العربية ومقتضى ذلك أن يقدم على جميعها فى التعلم وانما قدموا النحو عليه فيه لان أكثر الالفاظ العربية باقية على أصلها بخلاف الاحكام العربية فانها غيرت كلها وذهبت جميعها فقدمت معرفتها لهذا العارض اه بمعناه ومما يدل لفضل اللغة العربية ان الله تعالى أظهر فضل آدم للملائكة عليهم السلام بتعليمها اياه قال السيوطى فى المزهر وهذه فضيلة عظيمة ومنقبة شريفة لعلم اللغة اه * ومنها علم العروض والقوافى فانهما فنان أكيدان حتى قال بعض المحققين ان علم العروض دينى شرعى لان فى القرآن آيات موزونة على الضروب الشعرية فان قال قائل انه شعر رده العروضى بان شرط الشعر مع الوزن القصد فتزول شبهته وزوالها شرعى بلا نزاع اه * ومنها علم الحساب فانه من آكد العلوم وأنفسها لتوقف علم الفرائض عليه (وللامام الطرطوشى)

ان الحساب من العلوم جليل * وعلى دقيقات الامور دليل
فاحرص على علم الحساب فانه * برياضة المستضعفين كفيل
لولا الحساب لعلم كل فريضة * لم يعلم التحريم والتحليل

ولذا كان فرض كفاية كما فى سعود المطالع (ولبعضهم فى مدحه)

ان علم الحساب علم رفيع * فيه عون تشرى به وتبيع
لم يضع قط درهم بحساب * وألوف بلا حساب تضيع

* ومنها علم التجويد فانه فرض كفاية والعمل به فرض عين ومعنى العمل به تجريد الكلمة عن اللحن الجلى * ومنها علم الرسم * ومنها علم الوضع * ومنها علم الجدل * ومنها علم آداب البحث * ومنها علم الامثال * ومنها علم النلك والميقات * ومنها علم الهندسة * ومنها علم التشريح * ومنها علم الطب فانه علم أكيد شريف اذ فيه حياة الابدان وقد بالغ الناس فى الحض عليه خصوصا صاحب المدخل انظره ولابد * ومنها فن التاريخ * ومنها فن الحرف * ومنها فن السياسة والفراسة الى غير هذا من العلوم انظر الاقنوم والقانون وكشف الظنون ﴿تنبيه﴾ الكلية المستفادة من قول الناظم وكن مشاركا بكل علم الخ مخصوصة بغير العلوم المذمومة التى ورد النهى عن تعاطيها كالقدر الزائد على المحتاج اليه من علم النجوم وكعلم الطلاسم والعزائم العجمية وعلم الخط وكل ما يوهم الاطلاع على الغيب وكذلك علم الحروز والكنوز والرابو زفان هذه الامور من أعظم الآفات على طالب العلم وقد نهى العلماء عنها وحرموها لانها كثيرا ما تصرف الطالب عن طلب العلم وتوقعه فى الوزر والاثم ولقد أجاد سيدى أحمد زروق اذ قال

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث أقوام بكونهما * ولا أظنهما كانا ولا وقعا

(ولغيره)

أعيا الفلاسفة الماضين فى الحقب * أن يصنعوا ذهبا إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة * إلا من الفضة المعروفة النسب

ولآخر وقد اختبر ما فى ذلك ولا ينبئك مثل خبير

شغلت بالكيمياء عمرى * فلم أفد غير كل خسر
أتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

ولقد أجاد ما أراد من قال

قد نكس الرأس أهل الكيميا خجلا ❊ وقطروا أدمعا من بعد ما سهروا

ان طالعوا كتبا في العلم عندهم ❊ أضحوا ملوكا وان هم جربوا افتقروا

وقد أطال الناس في التحذير من الاشتغال بذلك عما تميل اليه النفس وتقبله العقول السليمة وقد كنت شرعت بحول الله في تأليف سميته فتح المقفلة العمياء بالقول بتحريم الكيمياء كمله الله بالتمام آمين فالمراد بكل علم العلم المحمود الموصل للدين لا الموصل للدنيا ولله در الشهاب المنصوري اذ قال

لا تتبعن لعلم لا ثواب له ❊ واجنح لما فيه أجر غير ممنون

ان العلوم ثمار فاجن أحسنها ❊ وأحسن العلم ما يهدي الى الدين

(ثم قال)

(٤٩) ﴿والشعر لا تدنيه خزرجية ❊ منك ولكنه بالسجية﴾

لما قال سابقا وكن مشاركا بكل علم وكان من جملة العلوم علم نظم الشعر نبه هنا على ان صناعة نظمه لا تكتسب بل هي طبيعة وسجية فقال والشعر الخ فالواو للاستئناف والشعر مبتدأ وهو على حذف مضاف أي ونظم الشعر والشعر لغة العلم واصطلاحا هو النظم من كلام العرب أو ما وافقه وزنا وهو بهما وسمي شعرا لانهم شعروا به أي علموه واستنبطوه من استقراء أوزان العرب وكل معلوم يقال له في الاصل شعر أي مشعور به لكن خص به الكلام الموزون على الاوزان الخاصة كاختصاص الفقه بالعلم بالاحكام الشرعية لان شأن العرب اطلاق اسم الجنس على نوع من أنواعه تعظيما كقولهم الكعبة بيت الله وذلك كله من قبيل الاعلام بالغلبة وقد تقدم بسط الكلام على النظم الذي هو مرادف للشعر عند قول الناظم ❊ وبعد فالقصد بذا المنظوم ❊ الخ وجملة قوله لا تدنيه أي تقربه خزرجية في محل رفع خبر ومنك متعلق بتدنيه ولكن للاستدراك والضمير العائد على الشعر هو اسمها وبالسجية أي الطبيعة متعلق بمحذوف خبر أي حاصل بالسجية ﴿والمعنى﴾ أن نظم الشعر لا يحصل لك بتعلم علم العروض والقوافي الذي احتوت عليه الخزرجية بل صناعة قرض الشعر سجية وطبيعة ذوقية كما قال ابن ابراهيم الراعي الدمشقي

لا يعيب الشعر الا ❊ جاهل بين البريه

لا تقول الشعر سهل ❊ انما الشعر سجيه

فلا توقف للشاعر على ذينك العلمين والا كان متكلفا فيه بلا مين كما قال أبو فراس الحمداني

تناهض الناس للمعالي ❊ لما رأوا نحوها نهوضي

تكلفوا المكرمات كدا ❊ تكلف النظم بالعروض

﴿وللبهاء السبكي﴾

اذا كنت ذا ذكر سليم فلا تمل ❊ لعلم عروض يوقع القلب في كرب

فكل امرئ عاني العروض فانما ❊ تعرض للتقطيع واشتاق للضرب

﴿ولابن حجاج﴾

مستفعلن فاعلن فعول ❊ مسائل كلها فضول

قد كان شعرا يرى صحيحا ❊ من قبل أن يخلق الخليل

وللعلامة الاديب أبي الحامد سيدي العربي الفشتالي ثاني بيتين ذكرهما في فهرسته

لعمرك ما نظم القوافي بحيلة ❊ فان الهالم تكتسب بالمراود

(وقال بعضهم) لا حاجة لعلم العروض لان من نظم بالعروض شق عليه ذلك وأتى به متكلفا ولا ينظم بيتا

حتى ينظم ذو الطبع السليم قصيدة اهـ وليس فى كلام الناظم ولا هؤلاء المنفرين من علم العروض والقوافى انكار فائدتهما ولا جهل بغايتهما وانما المراد أن تعلمهما لا يحمل على نظم الشعر ولا يولى سجية الفكر نعم يعرف بهما صحيح الوزن من سقيمه وفاسده من سليمه وعلمهما يكسب المهارة فى ضروبه ودراية مستقيمه من مقلوبه ومن كانت له طبيعة سليمة استغنى بها عن ذلك وتحترز عما يعاب هنالك وهذا مشاهد بالعيان فى جماعة ممن هم فى نظام الشعر أعيان ولبعضهم يرد على من يذم علم العروض مطلقا مع كون نفعه على الوجه الذى ذكرناه محققا

ان عاب قوم ذوو جهل أناخ بهم * علم العروض فلا تعتب ولا تلم
فالعين تنكر ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

ولابن عبد العزيز والد يرد على بيتى البهاء السبكى السابقين لانه ناقض معناهما مع الاتفاق فى البحر والروى والتزام ما لا يلزم

اذا كنت ذا فكر سليم فلا تحد * عن الادب الغض المنفس للكرب
ومن فنه علم العروض فلا تمل * لعائبه جهلا بمنصبه المربى

(وقال أبو على اليوسى) فى القانون ليس كل من يعرف علم العروض يقول الشعر فقول الشعر موقوف على ثلاثة أمور أحدها معرفة علم العروض تعلما أو طبيعة[٢] الثانى معرفة النحو كذلك الثالث وجود سليقة فيه والا فلا ينفعه العلم الا تكلفا اهـ (والخزرجية) قصيدة معروفة مقصورة من الضرب الثانى من بحر الطويل فى علمى العروض والقوافى جامعة لزبدة الفن مع الايجاز الذى يوشك أن يعد من الالغاز أكثر تصريحها بالرمز الحرفى على اصطلاح أبجد فصارت لذلك تسمى بالرامزة أول ما ظهرت بالمغرب صدر المائة الثامنة وتنافس الحذاق من أهل الادب فى حل مقفلها بالشرح فألفوها بكر الاستطاع وعقيلة لا تتعلق بنيلها الاطماع الى أن اتصلت بيد قاضى غرناطة الشريف أبى القاسم بن أحمد الحسينى السبتى فكانها كما قال فى أول شرحها أن تضع القناع فوضعته كرها بعد طول امتناع وفض ختامها حينئذ بشرح أصاب فيه الغرض وميز فيه بين الجوهر والعرض وبعده وجد الفرسان مجالا فسيحا للقول فتسابقوا لشرحها كالدمامينى وابن مرزوق والزمورى وزكرياء[٣] وابن زاكور وأحمد بن عبد الرحمن النقاشى وشمس الدين محمد العثمانى وغيرهم الى هذا العهد وبها وبشروحها اليوم العناية بالمغرب وما عدا ذلك صار نسيا منسيا وصريح كلام الدمامينى فى أول شرحه عليها انه سبق لكشف معانيها وسهل لها معانيها قبل أن يعثر على شرح الشريف الغرناطى فلما وقف عليه وجده موافقا لما ابتكره وقصده فحمد الله على موافقته له * والخزرجية منسوبة لناظمها ضياء الدين أبى محمد عبد الله بن محمد الاندلسى الخزرجى المالكى هكذا فى كشف الظنون وغيره كشرح الدمامينى والشيخ زكرياء وبعضهم قال انه أبو عبد الله محمد الخزرجى وهو الذى عند الشريف الغرناطى فى شرح القصيدة المذكورة وقال بعض شراحها أيضا هو أبو الحسن على بن محمد بن على الخزرجى الاشبيلى أصلا الفاسى مولدا حج وجاور بمكة ودخل الاندلس وقطن مدة بسبتة وتوفى سنة عشر وستمائة وقيل فيه غير هذا والله أعلم بحقيقة الحال (ثم قال)

[٢] أى تعلما أو طبيعة اهـ مؤلفه

[٣] المتوفى سنة ٩٢٦ كما فى كشف الظنون اهـ مؤلفه

---

(٧٩) ﴿وان حصلت عندك تلك الشنشنة * تنقل بدائعه عنك الألسنة﴾

ان حرف شرط وحصلت فعله وعندك ظرف معمول للفعل وتلك فاعل حصلت والشنشنة بكسر الاول والثالث أى الطبيعة بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه وتنقل مضارع مجزوم فى جواب الشرط وبدائعه أى محاسنه مفعول بتنقل مقدم على الفاعل والضمير المضاف اليه بدائع يعود على الشعر وعنك

متعلق بتنقل والالسنة جمع لسان فاعل تنقل ﴿والمعنى﴾ ان حصلت لك أيها الطالب تلك الصحبة التى تقدر بها على نظم الشعر فانك تنظمه وتقوله حتى تنقل الالسنة عنك محاسنه فكنى باللازم وهو نقل الالسنة للشعر عن الملزوم وهو القدرة على نظمه ان حصلت لك الصحبة ونكتة ذلك الاشارة الى ان الشعر الذى يستحق أن ينقل ويحفظ هو الحسن البديع لا البارد الشنيع كالشعر الذى قيل فيه تعريضا ببرودته واختلاف قوافيه

فلو مازج النار فى حرها * قريضك أطفأ منها اللهب

(وفى المعنى لبعضهم)

يا فاتر العقل غليظ الهوى * أنت على نفسك لى شاهد

ليست لحى خيبر رقة * تعرف إلا شعرك البارد

خيبر هو المحل المعروف بالمدينة المنورة التى كانت فيها غزوته صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة الحمى ويضرب المثل بحماها وما ألطف قول ابن المعذل أو ابن العميثل ١ فى هجو أبى تمام لانه كانت فى لسانه حبسة

يا نبىّ الله فى الشعر ويا عيسى ابن مريم * أنت من أشعر خلق الله مالم تتكلم

﴿قلت﴾ معنى قوله يا نبىّ الله فى الشعر انك لا ينبغى لك الشعر كالا ينبغى للانبياء ومعنى قوله يا عيسى انك كعيسى بن مريم فى أنه لا ينبغى لك قول الشعر لانه ليس لك بحق وقد قال عيسى عليه السلام سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ولا يخفى ان فى هذا تحاملا على أبى تمام لانه من فحول الشعراء والحبسة التى فى لسانه لا توجب له أحقية ترك الشعر (ولبعضهم) ٢ فى هجو بعض الاشراف ببرودة الشعر وخلوه عن الخصال الحميدة ولقد أساء أقبح الاساءة فى هجو الشريف غفر الله لنا وله

يا سيدى انى أعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر

مالك فى جدك النبىّ سوى * انك لا ينبغى لك الشعر

ولولا النفى والاثبات فى البيت الثانى لكانت برودة شعره على تقدير صحتها مدحا فيه لقول الامام الشافعى لا يكاد يجود شعر القرشى ولا خطه لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره عنه الحافظ ابن حجر فى كتابه توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس * وعلى ذكر برودة الشعر تذكرت قول الاديب أبى العباس أحمد ونان المولى الفاسى صاحب الشمقمقية

قد بان لى عذر الكرام فصدهم * عن أكثر الشعراء ليس بعار

لم يسأموا بذل النوال وانما * جمد الندى لبرودة الاشعار

(وللمفضل)

يموت ردىّ الشعر من قبل ربه * وجيده يبقى وان مات قائله

(ولبعضهم)

ليس كل القريض يقبله السمع * وتصغى لذكره الافهام

ان بعض القريض ذو هذيان * ليس شيأ وبعضه أحكام

(ويحكى) أن بعضهم أراد أن يمدح أمير وقته فقال فيه

الله أكبر والنبىّ محمد * والحق أبلج والخليفة جعفر

(فقال بعض الحاضرين وأحسن)

أراد حبيب أن يقول قصيدة * يمدح أمير المؤمنين فأذنا

فقلت له لا تعجلن باقامة * فلست على طهر فقال ولا أنا

١ الذى فى سنا المهتدى انه مخلد بن بكار اه والله أعلم اه مؤلفه

٢ هو أبو محمد الحسن بن أحمد ابن محمد بن جكينا البغدادى الحريمى الشاعر المشهور والشريف هو أبو السعادات هبة الله بن الشجرى نقيب الاشراف الطالبيين فى وقته بالكرخ كما فى ذيل ابن خلكان لابن شاكر المسمى فوات الوفيات اه مؤلفه

فالشعر لا ينبغي أن يعرض بمجرد ما يقرض بل حتى يصحح و يكامل التويحة ينقح وقد يقال يقال شعر ليلة وتنقيح عام (وقيل)

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوساً تهذي بها

(وقال الشهاب المنصوري)

اذا قلت شعرا فاجتهد أن تجيده * لعلك يوما أن تفوز بأغربه
فان كان درا ألبسوك جماله * وان كان صخرا حق أن يرجموك به

(وقال أيضا)

اذا كلفت نفسك نظم شعر * فخذ حذرا من اللفظ الركيك
فليس الجزع مثل الدر نظما * وليس الصفر كالذهب السبيك

(وقال أيضا)

انما شعرك نصل * فاجتهد في صقل نصلك
وهو عقل المرء حقا * فاسع في تهذيب عقلك

(وقيل)

٣ وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا
وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(ولأبي بكر يحيى بن محمد الخراز)

اياك من زلل الكلام فانما * عقل الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يختبر الاناء بنقره * فيرى الصحيح به من المصدوع

(وللخطفي جد جرير)

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالعلم أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

(وقال اسمعيل الثقفي) عقول الرجال في أطراف أقلامها (وقال ابن المبارك) ما قرأت كلام رجل قط الا عرفت مقدار عقله (وقال أبو علي اليوسي في زهر الاكم) بعد كلام واستخراج هذه العبارات الدقيقة هي مرمى البلغاء ومجال فرسان الشعراء والخطباء وهو محط البيان والسحر الحلال فليس الكلام في مجرد الجمع والتلفيق ولا ان الشعر هو الوزن والتقفية ولقد أطلع هذا الزمان قوما اغفلا اغلفا جفاة جهالا يأتون بأشعار مغسولة من كل معنى رئيسهم من صح له الوزن والقافية لا غير ذلك ولله در القائل

اذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده * فقل أنا وزان وما أنا شاعر

(قلت) ولقد صدق أبو علي فيما قال فالشعر الذي احتوى على مجرد الوزن والقافية والمعاني الباردة ليس للنفس اليه التفات أصلا وقد عدوا شعر الحمقى والمغفلين أحسن منه وألذ على السمع (قال ابن رشيق في العمدة) عن بعضهم الشعر شعران شعر جيد محكك وردىء مضحك ولا شئ أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط اه (وفي المثل) أثقل من غناء وسط بمعنى ان المغني ان كان جيدا فائقا أمتع وأطرب وان كان باردا جدا أضحك وألهى وذلك ممتع أيضا (قال الجاحظ) وانما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالانفاس الغناء الوسط الذي لا يمتع بحسن ولا يضحك بلهو اه فكذلك الشعر الوسط وانظر ما يأتي عند قول الناظم * وان يكن للنظم فيك ملكة * الخ وعند قوله * وان تكن في الشعر ممن حرره * الخ

(٣) رأيتهما في بعض التقاييد منسوبين لسيدنا حسان رضي الله عنه ثم رأيت أبا الحجاج البلوي نسبهما في كتابه ألف با للأصمعي وكذلك نسبهما للأصمعي غيره اه مؤلفه ثم رأيت ابن عبد ربه في العقد نسب ثانيهما لزهير والله أعلم اه مؤلفه

وفي

وفي نسخة من النظم تنقله ياصاح عنك الالسنة وعليها فتنقله بالرفع ورفع المضارع الواقع جوابا لشرط فعله ماض كثير حسن وصاح منادى مرخم على غير قياس كامر ثم قال

(٥٥) ﴿وان تعذرت فلا تكلفا * له محصل ولا تعسفا﴾

هذا مفهوم قوله ان حصلت عندك تلك الشنشنة الخ صرح به لاجل قوله فلا تكلفا الخ لانه لما ذكر ان وجود السجية سبب لقول الشعر البديع من غير توقف على علمي العروض والقوافي احتمل أن نظم الشعر الجيد يمكن مع عدم السجية لكن بالتكلف والتعسف واحتمل انه لايمكن أصلا لاذكر أن المراد هو الامر الثاني فقوله وان تعذرت الخ الواو للعطف وان شرط وتعذرت فعل الشرط والتاء للتأنيث والضمير المستتر يعود على الشنشنة في البيت قبله والجملة معطوفة على قوله ان حصلت الخ وقوله فلا تكلفا الفاء رابطة للجواب بالشرط ولا نافية وتكلفا اسمها مبني معها على الفتح والتكلف تحمل المشقة ومحصل خبرها وله متعلق بمحصل والضمير المجرور باللام يعود على الشعر وقوله ولا تعسفا الواو عاطفة ولا مؤكدة للنفي وتعسفا اسمها والتعسف تحمل التعب فعطفه على ماقبله عطف تفسير والخبر محذوف تقديره محصل دل عليه ماقبله والجملة معطوفة على الجملة قبلها ﴿والمعنى﴾ ان تعذرت عليك سجية نظم الشعر فلا يحصل لك بديعه وجيده تعسف ولا تكلف وذلك لان الشعر لا يحصل الا للذي الفطنة السليمة ولا يكون في الغالب الا لمن مارس علم البيان والمعاني لادراك معرفة الفصيح والافصح ومما يعين على نظم الشعر مطالعة الرسائل والخطب والاشعار والدواوين فتتولد من ذلك دراية وملكة وعين تنبع في القلب بسبب هذه الامور وأعظم مايدعو اليه ويبعث عليه العشق والهوى واصطلاء الفؤاد بنار الجوى كما قيل

الشعر شئ حسن * فاصرف اليه الاعتنا ... وما عليه باعث * الا الولوع والضنا
أسله الرقة في * قلب عليها ينثني ... فمن يكن ذا صبوة * يجب نحضا حسنا
ويهواه دائما * مشتغلا مفتتنا ... فكيف لا يهتف بالشعر ويجفو الوسنا
والشعر يبرئ غليه * لا في الحشا قد وطنا ... وناره تشب في القلب أسا وشجنا

وينبغي أن يراعى في ذلك ماقاله أبو تمام للبحتري قال البحتري كنت أروم الشعر في حداثتي وكنت أرجع فيه للطبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أباتمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان أول ماقال لي ياأباعبادة تخير الاوقات وأنت خال من الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت في الاوقات أن يقصدها الانسان لتأليف الشئ وحفظه ومن ذلك وقت السحر لان النفس تكون قد أخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرف مقامه ونقض المعاني واحذر المجهول منها واياك أن تشين شعرك بالالفاظ الهجينة وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعرا الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة تجمع النفس وشهوة الحال الى ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وماتركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة ﴿واعلم﴾ أن التحلي بحلية الشعر من كمال الطالب وأشرف المطالب وقد تقرر عند العلماء انه من العلوم الجامعة الكاملة النافعة وقد جاء في الحض عليه كثير من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء والاشعار مما يطول بنا ايراده هنا فعليك بصدر

ديواننا المسمى (تبسم ثغور الاشعار بتنسم عبير الافكار) ففيه ايذان واعلام بالحض عليه من الائمة الاعلام بما يسر الواقف عليه ويجعله ذخيرة لديه * ثم بدا لى أن أذكر ذلك هنا على غير الوجه المذكور فى صدر الديوان مع زيادة على ما فيه اقتضاها المكان والاوان وتكون الاحالة هناك على هذا الصنيع هنا لورع الا يستغنى عن أحد المحلين بالآخر فنقول وبالله التوفيق (روى) البخارى من حديث أبى ابن كعب والترمذى من حديث ابن مسعود مرفوعا ان من الشعر حكمة وفى رواية أبى داود من طريق بريدة بن الحصيب وان من الشعر حكما قيل وسبب هذا الحديث أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا اليه فرط رعاف بأخيه فقال له اعرابى من الحاضرين استنشقه كافورا فقال صلى الله عليه وسلم للاعرابى من أين لك هذا يا أخا العرب قال من قول الشاعر

فكرت ليلة وصلها فى هجرها * فجرت مدامع مقلتى كالعندم
فطفقت أمسح ناظرى فى جيدها * من عادة الكافور امساك الدم

فقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقال صلى الله عليه وسلم الشعر جدل من كلام العرب يشفى به الغيظ ويتوصل به الى المجالس وتقضى به الحاجة وأما قوله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا رواه أحمد والستة فأجيب عنه بأجوبة أولاها ما قاله النووى من انه محمول على التجرد للشعر بحيث يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر (قلت) وهذا الذى قاله النووى فى حمل الحديث هو قول البخارى أيضا لانه ترجم لهذا الحديث فى الصحيح بقوله باب ما يكره أن يكون الغالب على الانسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن ثم ساق الحديث وبهذا أيضا أجيب عن قول الشافعى رضى الله عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد

اذ لو كان قصده أن نظم الشعر يزرى بالعلماء مطلقا لما تعاطى هو انشاءه مع أن مرتبته فيه حيث علم وقد ثبت عنه انه قيل له لم لا تشرب النبيذ فقال لو علمت ان شرب الماء يخل بمروءتى لتركت شربه قال الطبرى والاحاديث التى فيها النهى عن الشعر ضعيفة وعلى تقدير قوتها فهى محمولة على الافراط فيه والاكثار منه (وقال سيدنا عمر رضى الله عنه) تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى (وقال أيضا) تعلموا محاسن الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق (وقال أيضا) أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وكتب الى أبى موسى الاشعرى مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على مكارم الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الانساب (وقالت عائشة رضى الله عنها) علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم (وقال كعب الاحبار) انا نجد قوما فى التوراة أناجيلهم فى صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة وأظنهم الشعراء (وذكر السهروردى فى كتابه عوارف المعارف) قال دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال صلى الله عليه وسلم من هذا مرة ومن هذا مرة (وعن شعبة) انه ضجر يوما من املاء الحديث فرأى أبا زيد الانصارى فانشد

استعجمت دارى ولا تكلمنا * والدار لو كلمتنا ذات اخبار

ثم قال الى يا أبا زيد فجاءه فتناشدا فقال بعض أصحابه نقطع اليك ظهور الابل لنسمع منك الحديث وأنت تقبل على الاشعار فغضب شديدا وقال أنا أعلم بالاصلح لى (وقال محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة) ترك أبى ثلاثين ألف درهم أنفقت نصفها على الفقه والحديث ونصفها على النحو والشعر (وقيل) لسعيد ابن المسيب ان قوما بالعراق يكرهون الشعر فقال نسكوا نسكا أعجميا (وقال الحجاج للمساور بن عبد مالك)

تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت قال أرعى به الكلأ وأشرب به الماء وتقضى لى به الحاجة فان كفيتنى ذلك تركته ، وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده روّهم الشعر روّهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، وبعث زياد بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالما بكل ما سأله ثم استنشده الشعر فقال لم أرو منه شيأ فكتب معاوية الى زياد ما منعك أن ترويه الشعر فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر وان كان البخيل ليرويه فيسخو وان كان الجبان ليرويه فيقاتل وقال الشيخ العارف سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله عنه ونفعنا به

انظم الشعر وخالف * كل من حذر منه
لا يعيب الشعر إلا * كل من يعجز عنه

(ولابراهيم الراعى الدمشقى)

لا يعيب الشعر إلا * جاهل بين البريه
لا تقول الشعر سهل * انما الشعر صعيه

(وللسيد محمد المرادى الدمشقى)

انظم الشعر ولا تصـ * ـغ الى قول جهول
حبذا شئ أتى فيـ * ـه حديث عن رسول
٣ فاقطع الايام فيه * تحظ فى أنس جزيل

ولابى اسحق الغزى وقد أجاد

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم * باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرومون عن المناقب والعلا * والشعر طيب لا يحل لمحرم

ولابى العباس أحمد وانان صاحب الشمقمقية

واعن بقول الشعر فالشعر كما * ل للفتى ان به لم يرتزق
وهو للمجد نجاد سيفه * وللعلى كالعقد فوق العنق
فقله غير مكثر به ولا * تعبأ بقول جاهل أو أحمق
وان تكن منه عقيم فكرة * فاعن بجمع شمله المفترق
من سامه بالعيب غير منصف * لعرفه الذكى لم يستنشق
كم حاجة يسرها وكم قضى * بفك عان وأسير موثق
وكم أديب عاد كالنطف غنى * وكان أفقر من المذلق
وكم حديث جاءنا بفضله * عن سيد عن الهوى لم ينطق
وقد تمثل به وكان من * أصحابه يسمعه فى الحلق
وقد بنى المنبر لابن ثابت * ينشد فيه الشعر حين يرتقى
وقال لابن أهتم فى مدحه * وذمه للزبرقان الاسمق
مقالة ختمها بقوله * ان من الشعر لحكمة تقى
وعند ما سمع من قتيلة * رثاء نضرها الذى لم يعتق
رد لها سلبه وقد بكى * شفقة بدمعه المنطلق
وقد حبا كعبا غداة مدحه * ببردة ومائة من أينق
وبشر الجعدى وابن ثابت * بجنة جزاء شعر عنق ١

٣ هذه مبالغة فقط اه مؤلفه

١ العنق وزان قفل تمام الحسن اه قاموس

كم خامل سما به الى العـلا * بيت مديح من بليغ ذلق
مثل بني الانف ومثل هرم * وكالذي يعرف بالمحلق
وكم وكم حط الهجا من ماجد * ذي رتبة قعسا وقدر سمق
مثل الربيع وبني العجلان مع * بني غير جمرات الحرق
لولم يكن للشعر عند من مضى * فضل على الكعبة لم يعلق
لولم يكن فيه بيان آية * ما فسرت مسائل ابن الازرق
ماهو الا كالكتابة وما * فضلهما الا كشمس الافق
وانما نزه عنهما النبي * ليدرك الاعجاز بالتحقق
فهم به فانه لاشك عنـ * ـوان الحجا والفضل والتحذلق ٤
وهو اكسير وتدبير لمن * رام اصطياد ورق بورق
من غير تقطير وتصعيد وتكـ * ـليس وترطيب وقتل زئبق
وكن له راوية كالاصمعي * والجهل أولى بالذي لم يصدق
ولك فيمن كان مثل الاموي * اسوة به اقتدى كل تقي
هذا هو المجد الاصيل فاتبع * سبيله على الجميع ترتقي

٤) اظهار الحذق أي كياسة اه مؤلفه

وقال ابن فارس الشعر ديوان العرب وبه حفظت الانساب وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله وحديث صحابته والتابعين والشعراء أمراء الكلام يقصرون الممدود ويمدون المقصور ويقدمون ويؤخرون ويومئون ويشيرون ويختلسون ويعيرون ويستعيرون فأما لحن في اعراب أو ازالة كلمة عن نهج الصواب فليس لهم ذلك

(ولبعضهم في هذا)

للسادة الشعراء فضل ثابت * ولهم مقام شامخ ومكان
وهم وسلاطين الكلام أمائري * كل امرئ منهم له ديوان

ولآخر في ذكر مقام الشعراء وبيان رتبتهم وهو دعبل بن علي الخزاعي

وللشعراء ألسنة حداد * على العورات موفية دليلة
ولكن السعيد من اتقاها * ودار اهم مداراة جميلة
اذا وضعوا مكاويهم عليه * وان كذبوا فليس لهن حيلة

(ولابن سكرة يهجو بعض الرؤساء)

تهت علينا ولست فينا * ولي عهد ولا خليفة
فتـه وزد ما على جار * يقطع عني ولا وظيفة
ولا تقل ليس في عيب * قد تقذف الحرة العفيفة
والشعر نار بلا دخان * وللقوافي رقى لطيفة
لو هجي المسك وهو أهل * لكل مدح لصار جيفة

(وللشافعي في ذلك من أبيات)

الشاعر المنطيق أسود سالخ * والشعر منه لعابه ومجاجه
وعداوة الشعراء داء معضل * ولقد يهون على الكريم علاجه

(ولآخر)

قوم اذا عرفوا عدوا حاسدا * سفكوا الدماء بألسن الاقلام
ولضربة من شاعر ببيانه * أمضى وأبلغ من رقيق حسام

﴿ولآخر﴾

لاتقبلن الشعر ثم تعافه * فتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهمو اذا لم ينصفوا * حكموا بألسنهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى * وهجاؤهم يبقى على الايام

﴿وقال ابن المنير﴾

جحود فضيلة الشعراء غى * وتعظيم المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب * وأعلت كعبه فى كل ناد
وما احتاج النبى الى قصيد * مشببة تبين من سعاد
ولكن من اسداء الايادى * وكان الى المكارم خير هاد

﴿وقال ابن الرومى﴾

أرى الشعر يحيى الباس والجد بالذى * تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الا معاهد * وما الناس الا أعظم نخرات

﴿وقال الاديب البارع سيدى على مصباح﴾

هو الشعر فلتخضع اليه العوالم * وتدعى لتعواه الملوك الاعاظم
له كلمات نافذات كأنها * سيوف بأيدى الفاتكين صوارم
فكم نهضت من خامل الذكر فارتقى * مراقى تحكيها النجوم الرواجم
وكم وضعت من شامخ العز قدره * فذاك وذا بين الانام حواكم
فلولا شهود من قوافى أمية * روتها الناعنه الرواة الاقادم
لما عرف الناس ابن جدعان بالندى * وكان كزهر أضمرته الكمائم
ولولا قواف من زهير لما درت * ندى ابن سنان قط تميم ودارم
ولولا معانى الشعر ماحن وامق * ولا صدحت فى ايكهن الحمائم
ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

والبيت الاخير لابى تمام فى أبيات له فى المعنى وهى

ولم أر كالمعروف ترعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم
ولا كعلا مالم ير الشعر بينها * فكالارض غفل (٢) ليس فيها معالم
ولولا خصال سنها الشعر مادرت * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم
يرى حكمة مافيه وهو فكاهة * ويرضى بما يقضى به وهو ظالم

﴿وله أيضا﴾

ان القوافى والمساعى لم تزل * مثل النظام اذا أصاب فريدا
هى جوهر نثر فان ألفته * بالشعر صار قلائدا وعقودا
فى كل معترك وكل مقامة * يأخذن منه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراءها * لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل هذا كانت العرب الالى * يدعون هذا سوددا محدودا

(٢) هو وصف كاشف اذ الارض الغفل هى التى ليس فيها علم ولا ساكن اه مؤلفه

وتنقذينهم العــــلا الاعـلا * جعلت لها مرر ٣ القريض قيودا

(وقال آخر)

٤ ومادها الشعر عندى سخف منزلة * بل سخف دهر بأهل الارض منقلب
صناعة هان عند الناس صانعها * وكان فى حال مرجو ومرتقب
يرضى رضاه ويخشى منه بادرة * أمضى على حقب ٥ الدنيا من الحقب
اذا جهلت مكان الشعر من شرف * فأى مكرمة أبقيت للعرب
كم خامل الذكر منسى أشاد به * بيت من المدح أغناه عن النسب
ونابه حطه ارسال قافيــــة * جــــدت به فالهاهاج على لعب
مات الكرام فلا عين ولا أثر * إلا أساطير قد أبقين فى الكتب

(وقال آخر)

لو قيل لى خذ الدنيا بأجمعها * ولا تكون أديبا تحسن الادبا
لقلت لا أبتغى ذا كابهذا ولا * أرى الى غيره مستدعيا أربا

(وقال آخر)

لجلسة مع أديب فى مذاكرة * تشفى الغليل وقد تستجلب الطربا
أشهى الى من الدنيا وزينتها * وملئها فضـــة وملئها ذهبا

(وقال ابن رشيق)

الشعر شئ حسن * ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها * ب الهم عن نفس الشجى
كم نظرة حسنها * فى وجه عذر سمج
وفرحة بردها * عن قلب صب منضج
ورحمة أوقعها * فى قلب قاس حرج
وحاجة يسرها * عنـــد غزال غنج
وشاعر مطرح * مغلق باب الفرج
قـــربه لسانه * من ملك متـــوج
فعلموا أولادكم * عفا رطب المهج

(وقال ابن رشيق أيضا) العرب أفضل الامم وحكمها أشرف الحكم وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور لكل نوع منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديئة فاذا اتفقت الطبقتان فى القدر وتساوتا فى القيمة ولم يكن لاحداهما فضل على الاخرى كان الحكم للشعر ظاهرا فى التسمية لان كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه فى معترف العادة ألا ترى ان الدر أخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه اذا كان منثورا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به فى الباب الذى له كسب ومن أجله انتخب وان كان أعلى قدرا وأغلى ثمنا فاذا نظم كان أصون له من الابتذال وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال وكذلك اللفظ اذا كان منثورا تبدد فى الاسماع وتدحرج عن الطباع ولم يستقر منه الا المفرط فى اللطف فاذا أخذه سلك الوزن وعقدة القافية تألفت أشتاته وازدوجت فرائده وأمن السرقة والغصب (وقال السيوطى فى المزهر) فان احتج أحد على تفضيل النثر على الشعر بان القرآن منثور وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له قيل له ان الله تعالى بعث رسوله آية وحجة على الخلق وجعل كتابه منثورا ليكون أظهر برهانا بفضله على الشعر الذى من عادة صاحبه أن يكون قادرا على ما يحب من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر كذلك أعجز الخطباء وليس بخطابة والمترسلين وليس بترسل واعجازه الشعراء أشد برهانا ألا ترى ان العرب كيف نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم الى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم فقالوا هو شاعر لما فى قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وانه يقع منه ما لا يلحق والمنثور ليس كذلك فمن هنا قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له أى لتقوم عليكم الحجة ويصح قبلكم الدليل وقال ابن رشيق

أيضا

٣ جمع مرة بالكسر وهى القوة والشدة كما فى القاموس اه مؤلفه

(٤) الدها جودة الرأى كالدهاء بالمد اه مؤلفه

٥ حقب الدنيا أى مدتها وأمدها ومعنى حقب الواقع فى القافية الدهر والله أعلم اه مؤلفه

أيضا) كانت العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس وتتباشر الرجال والولدان لانه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة لذكرهم وكانوا لا يهنؤن الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج (وقال المطرزي في شرح المقامات) كان يقال اختص الله العرب بأربع العمائم تيجانها والحبى حيطانها والسيوف سيجانها والشعر ديوانها قال وانما قيل الشعر ديوان العرب لانهم كانوا يرجعون اليه عند اختلاف الانساب والحروب ولانه مستودع علومهم وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم ولهذا قيل

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به * والشعر أفخر ما ينبي عن الكرم

لولا مقال زهير في قصائده * ما كنت تعرف جودا كان في هرم

﴿وقيل﴾

لولا جرير والفرزدق لم يكن * ذكر جميل في بني مروان

(وقال الآبي في اكمال الاكمال على قول حسان رضي الله عنه) قد آن لكم أن ترسلوا الى الاسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ما نصه اختلف العلماء أيما أفضل الكاتب الناثر أو الناظم الشاعر وأحد ما فضل به الناظم انه ليس لاحد أن يمدح نفسه في غير منافرة الا الشاعر فان ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه وهذا المدح وان كان من حسان في غير الشعر لكنه في سياق الشعر اهـ (وقال بعضهم) عدوا من فضائل الشعر أنه يحسن فيه مدح الانسان نفسه وتزكية النفس والكذب ومدح المحرمات من خمر ونساء أجانب مما لا يسوغ في غيره اهـ (وأخرج) ابن النجار في تاريخه من طريق ابراهيم بن المنذر قال حدثني أبو سعيد المكي عمن حدثه عن ابن عباس أنه دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال عمرو ان قريشا تزعم انك أعلمها فلم سميت قريش قريشا قال بأمر بين قال فسره لنا ففسره قال هل قال أحد فيه شعرا قال نعم قال سميت قريش بدابة في البحر وقد قال المشمرج عمرو الحميري

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيها لذي الجناحين ريشا

هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا ٢

ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا ٣

تملأ الارض خيله ورجال * يحشرون المطي حشرا كشيشا ٤

(وسئل) المأمون عن ألذ الاشياء فقال التنزه في عقول الناس يعني قراءة الشعر (وقال سيف الدولة الحمداني) اعطاء الشعراء من فروض الامراء (وقال الاصمعي) خير العلم ما أطفأت به الحريق وأخرجت به الغريق وبالجملة فمعرفة الشعر وملكة نظمه من أجل الذخائر عند أهل البصائر ولا يذمه وينقصه الا جاهل به لم يمنح حلية أدبه ولله در أبي العباس أحمد البربير اذ قال

اذا انتقصوا شاعرا * ولم يعرفوا فضل نظمه

فذرهم فقد كذبوا * بما لم يحيطوا بعلمه

(وفي المثل) ويل لعالم شيء من جاهله ولبعضهم

محاسن الاشعار لا تنتهي * الا اذا ما ينتهي عنها

غابت عن الاغمار والاغبيا * اذ لم يذوقوا ما حلاوتها

فأصبحوا أعدى الاعادي لها * فكلهم عن قربها ينتهي

ماذا الذي منهم غير جهلها * اذ ما دروا يوما لها كنها

١ جمع ساج وهو الطيلسان الاخضر كما في الصحاح وزاد المجد أو الاسود اهـ مؤلفه

٢ أي سريعا اهـ مؤلفه

٣ أي الجرح اهـ مؤلفه

٤ أي ذا صوت وهدير اهـ مؤلفه

ولا دليل لذامه ومنقصه فى قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون لان الآية من قبيل العام المراد به خصوص الكفار بدليل الاستثناء الذى هو للعموم معيار وهو قوله تعالى إلا الذين آمنوا الخ وكيف تحمل الآية على العموم مع أن آخرها شاهد للخصوص فالواقف على ماقبل الاستثناء فيها كالواقف على قوله تعالى ويل للمصلين وقوله تعالى لاتقربوا الصلاة وما أحد من الصحابة رضى الله عنهم الا وقد قال شعرا وذلك من دليل التخصيص أيضا (روى) أن أبا الدرداء رضى الله عنه قيل له مالك لاتشعر فانه ليس رجل له بيت فى الانصار الا قال شعرا قال وأنا قلت فاسمعوا

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى * وتقوى الله أفضل ما استفادا

خرجه أبو نعيم فى الحلية وخصوصا الائمة الاربعة الحائزين من شرف الصحبة أرفعه وقد وقفت من شعرهم على مايطول ومما اشتهر من كلامهم رضى الله عنهم قول سيدنا أبى بكر الصديق

الموت باب وكل الناس داخله * ياليت شعرى بعد الباب ما الدار

(فقال سيدنا عمر)

الدار دار نعيم ان عملت بما * يرضى الاله وان عصيت فالنار

(فقال سيدنا عثمان)

هما محلان ما للمرء غيرهما * فانظر لنفسك أى الدار تختار

(فقال سيدنا على)

ماللعباد سوى الفردوس ان عملوا * وان هفوا هفوة فالرب غفار

وقد جمع صاحب ورد المصر لجده الصديق رضى الله عنه ديوان شعر ولولا خوف الاطالة لاثبت البعض مماله رضى الله عنه ومن شعره وهو مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار

لو صغى بيت غزل والحبيب به * لكان فى ذاك ظل لى وبستان

وأطيب الارض ما للنفس فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

(وله أيضا)

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد

سقينا من ابن الحضرمى رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وكانت ابنته رضى الله عنها أشعر من الخنساء وكانت تحفظ من كلام الشعراء مالا يحفظه الرجال فضلا عن النساء ومن شعرها فى مدحه صلى الله عليه وسلم

وأكمل منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

(ومما يروى لسيدنا عمر رضى الله عنه)

لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * إلا الاله ويفنى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التى كانت نوافلها * من كل أوب اليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

وما

بديع الانعيم زهر

(ومما يروى لسيدنا عثمان رضى الله عنه)

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها * لاخير فى لذة من بعدها النار

وقد كنت وقفت لسيدنا على كرم الله وجهه على ديوان شعر حفيل لم أضبط جامعه لمروره مطويل ومن مشهور شعره رضى الله عنه فى تحدثه بنعم الله تعالى عليه

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى * منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها * فمن ذا يدعى سهما كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا مابلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت ردأ * فمن ذا يدعى يوما كيومى
وأوجب لى الولاء معا عليكم * رسول الله يوم غدير خم ١

والشعر المنسوب اليه كثير جدا وقيل لم يصح عنه أنه قال شعرا الا قوله

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك مابروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين ٢ لا يعفو لها أثر

ولا يخفى أن من شعراء الصحابة من هو فى هذا الباب أسد الغابة ذو القدم الثابت سيدنا حسان بن ثابت كان اذا أطلق مفصله فى عرض معدقه حتى حاف بالله انه لو أمره على صخر لحقه وقد دعا له صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين بقوله اللهم أيده بروح القدس ٣ فأعانه جبريل كما روى بسبعين بيتا ببركة دعاء ذى النسب القدس (وفى الحديث) ان جبريل مع حسان ما نافح عنى (وفى الشمائل) انه صلى الله عليه وسلم كان يضع له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى الحديث) أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى (وعن جابر رضى الله عنه) قال لما كان يوم الاحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال النبى صلى الله عليه وسلم من يحمى أعراض المسلمين فقال كعب أنا يارسول الله وقال عبد الله بن رواحة أنا يارسول الله وقال حسان بن ثابت أنا يارسول الله قال عليه السلام نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس (وحدث) الاصمعى قال جاء الحرث بن عوف الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أجرنى من شعر حسان فلو مزج البحر بشعره لمزجه وكان السبب فى ذلك أن الحرث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابعث معى من يدعو الى دينك فانى له جار فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الانصار فغدرت بالحرث عشيرته فقتلوا الانصارى فقدم الحرث على النبى صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤنب ٤ أحدا فى وجهه فقال ادعوا لى حسانا فلما رأى الحرث أنشده

ياحار من يغدر بذمة جاره * منكم فان محمدا لم يغدر
ان تغدروا فالغدر فيكم شيمة * والغدر ينبت فى أصول السخبر ٥

فقال الحرث اكففه عنى يا محمد وأؤدى اليك دية الخفارة ٦ فأدى الى النبى صلى الله عليه وسلم سبعين عشراء ٧ وكذلك كانت دية الخفارة وقال يا محمد انى عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه (وحدث) يوسف بن ماهك عن أمه قالت كنت أطوف مع عائشة رضى الله عنها فذكرت حسان فسبيته فقالت بئس ماتقولين تسبينه وهو الذى يقول

١ غدير خم بضم الخاء موضع بين الحرمين اه مؤلفه

٢ ذات ودقين الداهية نسأل الله العافية اه مؤلفه

٣ أى جبريل هذا هو المراد هنا من معانيه كما فى القسطلانى وشرح المواهب اه مؤلفه

٤ أى يلوم اه مؤلفه

٥ شجر يشبه الاذخر كما فى القاموس اه مؤلفه

٦ الخفارة بتثليث الخاء وهى العهد والامن أى دية نقض الخفارة والله أعلم اه مؤلفه

٧ العشراء من النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر والجمع عشار ومثله نفساء ونفاس ولا ثالث لهما قاله فى المصباح وفى القاموس أو التى أتى على حملها ثمانية أشهر أوهى كالنفساء من النساء اه مؤلفه

فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

فقالت أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه الذي يقول

حصان رزان ماتزن ١ بريبة * وتصبح ٢ غرثى من لحوم الغوافل

فان كان ماقد جاء عني قلته * فلا رفعت سوطي الي أناملي

ومن شعره في قصيدة يجاوب بها قبيلة بني دارم بأمره صلى الله عليه وسلم

بني دارم لاتفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم ٣ علينا تفخرون وأنتمو * لنا خول مابين قن وخادم

فان كنتمو جئتم لحقن دمائكم * وأموالكم أن تقسموا في المغانم

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * ولا تلبسوا زيا كزي الاعاجم

الى غير هذا من شعره الذي أنجبه قياس فكره ومن مشهوره قوله في الرد على أبي سفيان بن الحرث

هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت مطهرا برا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

ومن مشهوره أيضا قوله من قصيدة جليلة في مدح حضرته صلى الله عليه وسلم الجميلة

له راحة لو أن معشار ٤ جودها * على البر كان البر أندى من البحر

له همم لامنتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

ونسب له أبو الحجاج البلوي في كتابه ألف با

رب علم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى ٥ عليه النعيم

الى غير هذا من شعره المقرط للآذان المفرد بالديوان انظر بعض أخباره في المواهب وشرحها في مبحث شعرائه صلى الله عليه وسلم وانظر معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص (ومن شعراء الصحابة أيضا) كعب بن زهير ذو الفضائل المشهورة والقصائد المأثورة منها بانت سعاد المشهورة في كل محفل وناد ومن جيد شعره

لو كنت أعجب من شئ لأعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ماعاش ممدود له أمل * لاتنتهي العين حتى ينتهي الاثر

(ومن اللطائف) ماروى أن النابغة الجعدي كان بمجلس النعمان بن المنذر فقال فيه

تخف الارض ان تفقدك يوما * وتبقى مابقيت بها ثقيلا

فنظر اليه النعمان نظر غضبان وكان كعب بن زهير حاضرا فقال أصلح الله الملك ان مع هذا بيتا ضل عنه وهو

لانك موضع القسطاس منها * فتمنع جانبيها أن تميلا

ولهذا قالوا ان كعبا أصلح للنابغة مالولاه لهلك ذكره الزرقاني في شرح المواهب (ومن شعراء الصحابة أيضا) كعب بن مالك وشعره منتشر مشهور منه بيتان كانا سبب اسلام دوس قبيلة معلومة وهما

قضينا من تهامة كل قصد * وخيبر ثم أجممنا السيوفا

تخبرنا ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فلما بلغ ذلك دوسا قالوا خذوا لانفسكم لئلا ينزل بكم مانزل بثقيف (وروى) أحمد عن كعب المذكور قال

١ أي لاتظن بها ريبة في القاموس زن فلانا بخير أو شر ظنه به اه مؤلفه

٢ غرثى أي جائعة وذلك كناية عن عدم اغتيابها رضي الله عنها لاحد من الناس اه مؤلفه

٣ ما ظلمتم علينا حال كونكم تفخرون والحال انكم خول لنا دائرين بين قن وخادم هذا هو المختار من معانيه عند شارح المواهب اه مؤلفه

٤ مما شاع وذاع قراءة معشار من هذا البيت بالرفع نائب فاعل أن ومعنى ان صب وعندي أن هذا ان كان رواية فيتقى والا فان حرف تأكيد ومعشار بالنصب اسمها وعلى البر ظرف مستقر متعلق بمحذوف خاص دل عليه المقام هو الخبر أي مصبوب على البر والله أعلم اه مؤلفه

٥ بتخفيف الطاء أي علا وارتفع قاله البلوي في كتابه المذكور وحمله عليه ان غطى بالتشديد بمعنى ستر متعد بنفسه وغطى في البيت متعد بالحرف والا فالوزن يقبل التشديد اه مؤلفه

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجوا المشركين بالشعر فان المؤمن يجاهد بنفسه وماله والذي نفس محمد بيده كأنما ينضحونهم بالنبل (ومن شعراء الصحابة أيضا) الزبرقان ومن شعره يناضل المشركين قوله من قصيدة

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

(الى أن قال)

فلا ترانا الى حي نفاخرهم * الا استكانوا وكاد الرأس يقتطع

فمن يفاخرنا من ذاك نعرفه * فيرجع القوم والاخبار تستمع

انا أبينا ولم يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

(ومن شعراء الصحابة أيضا عبد الله بن رواحة) ومن أحسن ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

أخرج ابن سعد وابن عساكر عن عروة لما نزل قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون قال ابن رواحة قد علم الله اني منهم فأنزل الله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وعند ابن عساكر عن هشام بن حسان أن عبد الله بن رواحة لما قال للمصطفى صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما آتاك من حسن * كالمرسلين ونصرا كالذي نصروا

قال له صلى الله عليه وسلم وإياك يا سيد الشعراء ومن شعره

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

(وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثل بقوله يبيت يجافي الخ وفي الترمذي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل (ومن شعراء الصحابة أيضا لبيد) ومن شعره قصيدته المشهورة التي أولها

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

(الى أن قال)

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وكل ابن أنثى لو تطاول عهده * الى الغاية القصوى فللقبر آيل

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

(وفي الترمذي) عن أبي هريرة مرفوعا ان أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * (ومن شعراء الصحابة أيضا) سيدنا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الله بن عباس ومن شعره قاله لما ذهب بصره

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور

عقل ذكي وقلب غير ذي دغل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

(ومنهم النابغة الجعدى ١) روى انه أنشد النبى صلى الله عليه وسلم أبياته التى فيها

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى أمر اذا لم يكن له * حكيم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال له صلى الله عليه وسلم أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغرا ذكره فى عوارف المعارف (ومنهم) العباس بن مرادس وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب ومعاوية بن أبى سفيان وأبوه أبو سفيان والمغيرة بن شعبة وامرؤ القيس بن عانس ٢ الكندى وغيرهم من الشعراء الفحول الذين أتوا من أسرار البلاغة بما يذهل العقول * وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر عليا بقتل النضر بن الحرث قالت أخته ٣ قتيلة

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتا فان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت لمائحها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء ٤ كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف ٥ المقيد وهو عان موثق

فيقال ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى اخضلت لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل موته لمننت عليه قال ابن المنير وليس معنى كلامه صلى الله عليه وسلم الندم لانه لا يفعل ولا يقول الا حقا والحق لا يندم على فعله ولكن معناه لو شفعت عندى بهذا القول لقبلت شفاعتها ففيه تنبيه على حق الشفاعة والضراعة ولا سيما الاستعطاف بالشعر فان مكارم الاخلاق تقتضى اجازة الشاعر وتبليغه قصده اه (وفى ذخيرة سيدى المعطى نفعنا الله به ما نصه) ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الصفة ومعه ابن عباس رضى الله عنه ما وجدهم يتناشدون الشعر فيما بينهم فلما رأوه أمسكوا اجلالا له فلما استقر بالس عندهم قال هل فيكم من ينشدنا شيأ من الشعر قالوا انعم يا رسول الله فأنشد بعضهم

قد لسعت حية الهوى كبدى * فلا طبيب لها ولا راق
الا الحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتى ودرياقى

فتواجد صلى الله عليه وسلم حتى سقط رداؤه عن جسده فأعطاه لاهل الصفة وكانوا أربعين رجلا فقطعه عليهم أربعين قطعة اه (قلت) وفى هذا الحديث كلام لاهل الفن من علماء الحديث ونفس المحدثين من الشعراء لا غنى على صفحات البيتين والله أعلم * ومما روى لسيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

ان كنت تعلم ان الله ناظر * يرى ويسمع ما تأتى وما تذر
وأنت فى غفلة عن ذاك تركبها * عنه نهاك فأين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن * حثالة الناس تستحيى وتستتر
فانظر لنفسك يا مسكين فى مهل * ما دام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها * لله درك ماذا تستر الحفر

١ احترازا من غيره فان النوابغ أربع انظرهم فى المزهر اه مؤلفه

٢ بالنون قبل السين على الصواب احترازا من غيره فان جميع من سمى بذلك ستة عشر انظرهم فى المزهر اه مؤلفه

٣ هذا هو الصحيح وقيل انها بنته اه مؤلفه

٤ بالضاد الساقطة والنون وفى رواية يا خير صنو والخ اه مؤلفه

٥ مصدر نوعى ليقال من معناه اذا رسف كما فى الصحاح وغيره مشى المقيد اه مؤلفه

فقيهم

ففيهم لك يا مغرور موعظة * وفيهم لك يا مغرور معتبر

وأما من كان يقول الشعر من الائمة ذوي الجد فهم كثير لا يدخلون تحت الحد كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحد الفقهاء السبعة حتى كان ابن المسيب اذا انشده يقول له هو حيا بالفقيه الشاعر وفيه قول عبيد الله لابد للصدور أن ينفث وكالامام مالك بن أنس والامام الشافعي رضي الله عنهما والحافظ ابن حجر والقاضي عبد الوهاب المالكي وأبي حفص الفاسي وغيرهؤلاء من أعيان العلماء الذين لا يحصون بالاحصاء ولا يحصرون بالاستقصاء انظر آخر محاضرات أبي علي اليوسي فقد قال بعد ان ذكر جملة منهم وافرة فهؤلاء الائمة المقتدى بأقوالهم وأفعالهم وقد وقع ذلك لاكابر العلماء من أهل الدين كثيرا شهيرا اه‍ (وقال في زهر الاكم) وما من أهل البيت الا قال الشعر غير النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الخلفاء الاربعة وقد ذكر المتنون بهذا الشأن ما ثبت عن كل واحد منهم الى آخر كلامه انظره وقد وقع الاجماع على ان الشافعي كان أشعر أهل زمانه فقد كان بعض العلماء يقول ان الشعر البليغ المحكك لا يخرج الا من فاجر غالبا وما قال صالح شعرا الا وظهر عليه أثر الضعف الا ما كان من محمد بن ادريس الشافعي فانه كان امام الدنيا وشاعر الدنيا اه‍ (وروي) ان العباس الازرق شاعر وقته جاء الى الشافعي فقال له يا أبا عبد الله قد تركنا لك الاجتهاد والفقه والحديث ولم نشاركك فيها وتراك قد شاركتنا في الشعر وقد نظمت أبياتا ان أنت أجزت لي مثلها لا توبن عن قول الشعر ما بقيت فقال له الشافعي رحمه الله إيه فأنشد يقول

ما همتي الا مقارعة العدا * خلق الزمان وهمتي لم تخلق
والناس همتهم الى طلب الغنى * لا يسئلون عن الحجا والاولق ١
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق

فلما فرغ من انشاده قال الشافعي مرتجلا

ان الذي رزق اليسار فلم يصب * حمدا ولا أجرا لغير موفق
فالجد يدني كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا فأثمر في يديه فصدق
واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فحقق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

فلما سمع الازرق انشاده تاب من قول الشعر والشافعي هو القائل يذكر غزارة علمه بالشعر

ماذا يخبر ضيف بيتك أهله * ان سيل كيف معاده ومعاجه
أيقول جاورت الفرات ولم أنل * أربا لديه وقد طفت أمواجه
ورقيت في درج العلا فتضايقت * عما أريد شعابه وفجاجه
ولتخبرن خصاصتي بتملق * والماء يخبر عن قذاه زجاجه
عندي يواقيت القريض ودره * وعلي اكليل الكلام وتاجه
تربي على روض الربا أزهاره * ويرق في نادي الندى ديباجه
والشاعر المنطيق أسود سالخ * والشعر منه لعابه ومجاجه
وعداوة الشعراء داء معضل * ولقد يهون على الكريم علاجه

١ قال الجوهري الاولق شبه الجنون وقال المجد الاولق الجنون أو شبهه والمعنى هنا ان سوى هذا القائل صرف همته لجمع المال ولم يسأل بنفسه كان عاقلا أو مجنونا اه‍ مؤلفه

وهو القائل يذكر ذلك أيضا

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع فى الوغا من كل ليث * وآل مهلب وبنى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربى * لقلت الناس كلهم عبيدى

ومن حكمه رضى الله تعالى عنه قوله

ماحك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك
واذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

(وقوله)

لسانك لاتذكر به عورة امرئ * فعندك عورات وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك معايبا * لقوم فقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * وفارق ولكن بالتى هى أحسن

وكم له من معنى دقيق فى لفظ رقيق اطلبه من تأليف البيهقى فى مناقبه أومن كتاب التأنيس بمعالى ابن ادريس للحافظ ابن حجر ويأتى الجواب عن قوله * ولولا الشعر بالعلماء يزرى * الخ وأما أهل الحقائق الذين خاضوا فى بحور الشعر فاستخرجوا منها نفائس الرقائق فهم جم غفير أيضا لاتحصى لجدا ولهم فيها كالجنيد والشبلى وابن أدهم وذى النون المصرى وأبى مدين والغزالى وابن العربى وابن الفارض والسيد مصطفى البكرى والشيخ عبد الغنى النابلسى فقد أبدوا فى هذه الصناعة وأعادوا وأحسنوا فيها وأجادوا وغردوا بها فى جميع الادواح من غزل ونسيب وهجو وأمداح ولا يرد على ماسطرناه وقررناه قوله تعالى فى جناب نبيه ومصطفاه وماعلمناه الشعر وماينبغى له ومثله فى ذلك جميع الانبياء ذوى الفخر والفضل لانه أجيب عن ذلك بأن الآية نزلت ردا لقول من يقول انه شاعر وان القرآن شعر فأخبرهم تعالى انه كلام قديم ليس بشعر حادث وان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل على ترتيله وتبليغه ومن كان مقبلا على الكلام القديم لاينبغى له الاقبال على كلام حادث فتبين من هذا ان الآية ليس فيها ذم للشعر ولا غض منه كما ان كونه صلى الله عليه وسلم أميا ليس ذما للكتابة ولا غضا منها وقد قال بعض العلماء ان فى قوله تعالى وماينبغى له اشعارا بأنه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على انشاء الشعر ولم يقله بناء على انما كان ينبغى له فنفى تعالى الانبغاء دون القدرة وقد ألف بعض العلماء رسالة فى اثبات القراءة والكتابة والشعر له صلى الله عليه وسلم قال فيها لقد ثبت فى الحديث ان الشعر حكمة وهى كمال ولا ينبغى أن يخلو صلى الله عليه وسلم من كمال لانه النسخة الجامعة لجميع صفات الكمال الانسانية بل والملكية وايقاع النفس فى التهمة بالنظر الى القرآن انما يرد بالنسبة لما قبل نزول الوحى وثبوت النبوة أما بعده فلا كما قيل فى الكتابة والقراءة وكل ماصدر عنه من النطق بالشعر انما هو بعد النبوة ولم ينقل أحد قط انه صلى الله عليه وسلم كان ينظم الشعر أو يرويه أو يجالس الشعراء قبلها وأما بعد النبوة فقد نطق به صلى الله عليه وسلم ورواه واستنشده وأنشدت القصائد بحضرته وأصلح من كلامهم كما أصلح قول كعب من سيوف الهند بقوله من سيوف الله فلا اخلال فى نبوته بل هو معجزة أخرى وكمال آخر فلا مانع من تجويزه له اه بنقل صاحب الشرح الجلى على بيتى الموصلى ومن استنشاده الشعر من الصحابة مافى مسلم والترمذى عن الشريد بن سويد قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم فأنشدته مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كلما أنشدته بيتا قال لى النبى صلى الله عليه وسلم هيه حتى أنشدته مائة ومن ذلك أيضا مانقله السيوطى فى المزهر عن القالى فى أماليه قال

حدثنا

حدثنا أبو بكر بن الانبارى حدثنى أبى عن أحمد بن عبيد عن الزيادى عن المطلب بن المطلب عن أبى وداعة عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر على باب بنى شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحوّل رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار

قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذى بعثك بالحق لكنه قال

يا أيها الرجل المحوّل رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين فقيرهم بغنيهم * حتى يعود فقيرهم كالكافى
ويكللون جفانهم بسديفهم ١ * حتى تغيب الشمس فى الرجاف ٢

والحاصل أن الشعر والشعراء فضلا لا يجحد ونبلا وشرفا يغتبط ويحمد فكم من جناية سترها وحاجة يسرها ووضيع رفعه ورفيع بالهجاء وضعه واذا أريد تتبع ما وقع من هذا طال واتسع المجال ولكن لا نخلى المحل من ذكر بعض من رفعه شعر قيل فيه مدحا بعد ما كان يعهد فى منصبه قدحا ومن خفضه الهجاء بعد الرفع وأتاه الضر بعد النفع اذ ذاك من فضيلة الشعر التى هى مقصد المقام ومحط المرام * أما من وضعه ما قيل فيه من الهجو بالشعر فهم كثيرون جدا أشهرهم بنو نمير وبنو عجلان وبنو عبد المدان والربيع بن زياد العبسى * وأما من رفعه ما قيل فيه من المدح بالشعر فكثيرون جدا أيضا أشهرهم بنو أنف الناقة وعبد العزيز بن حنتم المعروف بالمحلق وهرم بن سنان المرى ولا بأس بذكر وقائع هؤلاء باختصار (أما الفريق الاول) فمنهم بنو نمير فكانوا يفخرون بنسبهم فخرا عظيما حتى ان الواحد منهم اذا سئل من أنت قال من بنى نمير وفخم بها صوته ومد لسانه اذ لا يعزبه وكانت قبائل العرب يحالف بعضهم بعضا ويستنجد بعضهم ببعض الا بنى نمير فانهم لم يحالفوا أحدا لعزتهم ومنعتهم وحسبهم شرفا أنهم كانوا احدى جمرات العرب الثلاثة انظرهم فى القاموس فبقيت بنو نمير على أكمل عز وأعظم شرف حتى أطلع الله عليهم جريرا الشاعر المشهور فهجا منهم عبيد بن حصين المعروف بالراعى بقصيدته البائية المشهورة التى سماها الدامغة وكان سهر عليها الليلة كاملة فلما بلغ فيها الى قوله يخاطب الراعى

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو وضعت شيوخ بنى نمير * على الميزان ما عدلت ذبابا

قال العلامة أطف السراج فقد والله أخزيتهم آخر الدهر فرق ديباجة عزهم كل ممزق ولم يرفعوا بعدها رأسا الا نكس وصاروا يفرون من النسبة الى نمير فاذا سئل الواحد منهم من أنت قال من عامر بن صعصعة وهو جده ويتجاوز ذكر أبيه نمير هربا من ذكره وكان لم تبق أمة ولا سقاءة الا حفظت هذا البيت وهو فغض الطرف الخ حتى انه روى أن امرأة مرت ببعض مجالس بنى نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بنى نمير ما امتثلتم واحدة من اثنتين لا قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا قول جرير فغض الطرف الخ ثم ان بعض بنى نمير أجاب عن قصيدة جرير التى قتلهم فيها فقال من بحرها ورويها

نمير جمرة العرب التى لم * تزل فى الحرب تلتهب التهابا
وانى اذ أسب بها كليبا * فتحت عليهم للخسف بابا
ولولا أن يقال هجا نميرا * ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بنى كليب * وكيف يشاتم الناس الكلابا

قال أهل الادب غاضر جواب هذا الشاعر جريرا ولا كليبا ولا نفع نميرا فان كلمة جرير علا أطباق الدنيا

١ السديف السنام كما فى الجوهرى وعبارة المجد وكأمير شحم السنام اه مؤلفه

٢ الرجاف البحر كما فى الصحاح وأنشد عليه هذا الشطر بصدر آخر وفى القاموس وكشداد البحر لاضطرابه اه مؤلفه

ولا يقاومها كلمة شاعر كاثنا من كان فان جريرا هجي خلق الله وهو أشعر شعراء الاسلام وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر العلماء كما في ابن خلكان (ومنهم بنو العجلان) فانهم كانوا يفخرون بهذا الاسم ويتشرفون به وسبب تسميتهم به أن جدهم عبد الله بن كعب كان يعجل القرى للاضياف فسمي بالعجلان لذلك فكان بنوه يفخرون بهذا الاسم حتى هجاهم النجاشي واسمه قيس بن عمرو فصار هذا الاسم سبة لهم وانقلب ذما يخزون به فضجروا منه واستعدوا على النجاشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا يا أمير المؤمنين ان النجاشي قد هجانا قال وما قال فيكم فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة ١ * فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر انما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا وانه قال

قبيلة لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر ليتني من هؤلاء القوم الذين لا يظلمون أحدا فقالوا وانه قال

ولا يردون الماء إلا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر ذلك أصفى للماء وأقل للزحام فقالوا وانه قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه فقالوا وانه قال

وما سمي العجلان الا لقولهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر كلنا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا قال ما أسمع ذلك فقالوا اسأل حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكنه سلح عليهم قال في العمدة وكان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهة فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي وقيل انه حده (ومنهم بنو عبد المدان) فانهم كانوا طوالا وحسن الصورة وكمال الخلق فكانوا يفتخرون بحسن صورهم وكمال خلقهم حتى قال فيهم حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه قال العلماء ولعل ذلك كان في الجاهلية

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فنكسهم بهذا الكلام وصاروا يستحيون بصورهم ويتلبون بها فجاؤوا الى حسان فاستعطفوه وشكوه ما أصابهم من هجوه فرق لهم وقال عدحهم

وكنا قائلين اذا رأينا * لذي جسم يعد وذي بيان

كأنك أيها المعطى بيانا * وجسما من بني عبد المدان

(ومنهم الربيع بن زياد العبسي) فانه كان أيضا ذا شرف لا يدرك ورفعة لا تزاحم وحسبه أنه كان نديما للنعمان بن المنذر وكان لا يواكله سواه اذا حضر وكان الربيع مجاشا ٢ عيابا لجميع من يفد على النعمان لا يكاد يسلم منه أحد حتى رماه الله بداهية لبيد بن ربيعة فرق عزه وأنزله الى الحضيض الادنى وذلك ان وفد بني جعفر وهم أعمام لبيد الاربعة وفدوا على النعمان وهو معهم وكان اذ ذاك غلاما مراهقا فلما دخلوا على النعمان وتركوا لبيدا يرعى لهم رواحلهم فحضر منهم الربيع بن زياد وتنقصهم بحضرة الوفود فلما رجعوا الى لبيد أخبروه بما أصابهم من الربيع فقال لهم اذا كان غد فانطلقوا بي معكم اليه فأنا أكفيكموه فاستصغروه عن ذلك فقال والله لا أرعى لكم راحلة الا اذا كان ذلك فلما راوا منه الجد قالوا له أرنا الآن ما تلقى به الناس فقال ان لم تكن لي بديهة لم تنفعني روية ولكن اختبروني في غير ذلك فقالوا صف لنا هذه البقلة فقال ان هذه البقلة دقيقة الحطان ذليلة الاغصان لا تذكو نارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وخيرها قليل وبلدها شاسع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أوخم البقول

١ الدقة بكسر الدال الخساسة اهـ قاموس

٢ (قوله مجاشا) كذا بالاصل ولم أجده في القاموس بمعنى مناسب فلعله محرف عن هجاء كما هو المناسب لما بعده اهـ مصححه

فرعا وأخبر امرعي بخبر بالجارها وجدعا ثم التفت الى أعمامه وقال لهم اقوا بي أخابني عبس أرجعه عنكم بتعس فقالوا أنت والله لها فلما أصبحوا ارتدوه وجاءوه معهم فلما وصلوا الى قبة النعمان والربيع معه فيها نادى من وراء القبة وقال

أنام أم يسمع رب القبه * ياأوهب الناس لعنس اصابه
ذات هباب في يديها خربه * ضرابة بالمشفر الادبه ٢
في لاحب كأنه الاطبه

فسمعه النعمان فأذن لهم فدخلوا وجاءوا وجاءت المائدة فوضعت بين يدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه وكانت أم لبيد من قوم الربيع فقام لبيد وأنشد

يارب هيجا هي خير من دعه * نحن بنو أم البنين الاربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه * المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه * مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه

فقال النعمان ولم فقال ان استه من برص ملمعه فقال النعمان وما علينا في ذلك فقال

وانه يولج فيها أصبعه * يولجه حتى يوارى أشجعه * كأنه يطلب شيأ أودعه

فرفع النعمان يده عن الطعام وقال أف لهذا الطعام ثم التفت الى الربيع وقال له ما أنت بآكل معنا بعد اليوم فقال أبيت اللعن كذب الغلام علي فقال لبيد دعه فليجب فقال أجب ياربيع فقال والله لما تسومني به من الحيف أشد علي مما عضهني به هذا الغلام والله لقد فعلت بأمه راغبة في فقال لبيد ان فعلت فأنت أهل لذلك اذ كانت ابنت عمك في حجرك ومثلك فعل ذلك بمن في حجره وكان ضمرة بن ضمرة حاضرا فانتصر للربيع فنكسه أيضا لبيد بقوله

ياضمر ياعبد بني كلاب * ويا ابن كلب عاق بياب
أكان هذا أول الثواب * لايمانعكم ظفري ونابي * اني اذا عاقبت ذو عقاب

وكان ضمرة هذا قد أسره قوم لبيد مرة ثم منوا عليه فلذلك عاتبه بقوله أكان هذا أول الثواب ثم ان الربيع بن زياد انصرف الى رحله وبعث الى النعمان يقول له اني برىء مما رماني به الغلام ولكن ابعث الي من أتجرد له حتى يشاهد براءتي من ذلك فكتب اليه النعمان

شرد برحلك عني حيث شئت ولا * تكثر علي ودع عنك الاباطيلا
قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول وقد قيلا

فذهب الربيع عن حضرة النعمان ولم يره بعد (وأما من رفعه الشعر بعد الوضع) فهم بنو أنف الناقة وهم بنو جعفر بن قريع بضم القاف وفتح الراء وبالعين المهملة وهو أبو بطن من سعيد بن زيد مناة وكان سبب جريان هذا اللقب على جعفر بن قريع أن أباه قريعا نحر ناقة وقسمها بين نسائه فبعثته أمه الى أبيه ولم يكن بقي من الناقة الا رأسها فقال له أبوه شأنك به فأدخل يده في أنف الناقة وجعل يجره حتى دخل به على أمه فلقب بأنف الناقة من يومئذ فكان بنوه يخزون به ويغضبون منه اذا سئل الواحد منهم عن نسبه ينتسب لجده قريع ويتجاوز ذكر أبيه جعفر أنف الناقة فبقوا كذلك دهرا حتى أضاف رجل منهم الحطيئة الشاعر وأحسن اكرامه فمدحه بقوله

سيري أمام فان الاكثرين حصى * والاكرمين اذا ماينسبون أبا
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
أولئك الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

١ العنس الناقة الصلبة كما في القاموس فقول لبيد صلبة وصف كاشف اه مؤلفه

٢ جمع ادب وهو الجمل الكثير الشعر كما في القاموس اه مؤلفه

(قوله مما عضهني به الخ) أي نم علي به وكذب اه مصححه

فانقلب لقبهم مدحا وفخرا بسبب شعر الحطيئة وصاروا يتطاولون بهذا اللقب فتمثيل التعاذ به لما أشعر بضعة المسمى اغا هو باعتبار ما كان والا فقد صار مدحا فى آخر الامر كما علمت (ومنهم) المحلق بحاء مهملة وبعدها لام مشددة مفتوحة واسمه عبد العزى بن حنتم ولقب بالمحلق لحلقة كانت فى وجهه من عضة بعير وقيل غير ذلك ومن حديثه انه كان أولا خاملا لفقره وكثرة عياله وبناته وكن سبعا وكانت له أم عاقلة حازمة فقالت له وقد مر بهم الاعشى الشاعر يا بنى ان الاعشى رجل مجدود الشعر ما مدح أحدا الا رفعه ولا ذم أحدا الا وضعه وأنت رجل خامل فقير ولك بنات قد عنسن فى حجرك فلو سبقت اليه وأكرمته فبادر اليه ودعاه لمنزله مع عصابة كانت معه فنحر لهم ناقة كانت عنده واحتال فى شراب فقدم اليهم جفنة الطعام فأكلوا وشربوا فلما دب الشراب فى الاعشى طرب وقال يا محلق كيف حالك فأخبره بحاله وبشأن بناته اللاتى عنسن عنده من عدم الخطاب فقال له كفيتهن فلما أصبح ذهب الاعشى حتى وقف موقف الانشاد بسوق عكاظ فاجتمع الناس عليه ووقف المحلق فى أخريات القوم ينتظر ما يكون فقال الاعشى

أرقت وما هذا السهاد المؤرق * وما بى من داء وما بى معشق

فلما قال فى مدحه

نفى الذم عن آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم * مع القوم ولدان من النسل دردق [1]

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار فى يفاع [2] تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا * بأسحم داج عوض لا نتفرق

ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

انصرف راجعا الى منزله فلما أتم الاعشى القصيدة بادرت أشراف العرب الى المحلق من كل ناحية وحدب يهنؤنه ويخطبون منه بناته فلم تمس واحدة منهن الا وهى فى عصمة زوج أشرف من أبيها بكل ذلك بمدح الاعشى (ومنهم هرم بن سنان المرى) فانه كان رئيسا فى قومه وسيدا ماجدا ولكن كان أخوه خارجة بن سنان أنبه منه بكثير حتى كان هرم بالنسبة اليه كلا شئ حتى سخر الله لهرم زهير بن أبى سلمى الشاعر فجعل يمدحه بالقصائد التى سارت فى الدنيا فظهر هرم ظهور الشمس وخفى أخوه خارجة حتى انه لا يكاد يعرفه الا الخاصة بخلاف هرم فانه أشهر من ابن جلاء وأوضح من ابن ذكاء [3] وقصائده وأمداحه فيه كثيرة شهيرة منها قوله من قصيدة

لعمر أبيك ما هرم بن سلمى * بملحى اذا اللؤماء ليموا

ولا ساهى الفؤاد ولا عيى اللسان اذا تشاجرت الخصوم

وهو غيث لنا فى كل عام * يلوذ به المخول والعديم

له فى الذاهبين أروم صدق * وكان لكل ذى حسب أروم

(وقوله من أخرى)

الى هرم سيرى ثلاثا من اللوى * فنعم مسير الواثق المتعمد

سواء عليه أى وقت أتيته * أساعة نحس تتقى أم بأسعد

أليس بضراب الكماة بسيفه * وفكاك أغلال الاسير المقيد

أليس بفياض يداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد [4]

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت * ولكن حمد الناس ليس بمخلد

[1] أى صغار اه مؤلفه

[2] اليفاع التل كما فى القاموس وهو الجبل اه مؤلفه

[3] ابن ذكاء هو الصبح كما فى القاموس اه مؤلفه

[4] المحمد وصف للكثير الحمد وهو نعت لفياض أو لثمال لا بدل لأنه مشتق اه مؤلفه

احتدانى ١ فجبته فقال عبد الله ماضر أحدكم ان يقى عرضه بشطر ماله فوالله لو خيرت بين أن أملك الارض شرقها وغربها وبين أن أهجى بهذا البيت لاخترت أن لا أهجى ﴿وروى﴾ ان أبا عبيدة كان يقع كثيرا فى عرض ابن المناذر الشاعر المشهور فجاء ابن المناذر فكتب فى جدار المسجد قبالة مجلس أبى عبيدة هذا البيت

صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما جلس أبو عبيدة رأى البيت فقال من فعله فأنكروا فقال أنا أعرفه هو ذلك الدعى يعنى ابن المناذر وقام وهجر المجلس حولا فقالوا قد حرمنا الانتفاع بك يا أبا عبيدة فعاود مجلسك فقال الا أن تمحوا البيت فمحوه إلا لفظ لوط فقال والله لو تركتم الطاء وحدها لما نلتم ما تعدتم به قال ابن الفارى أنا رأيت الحائط الذى قلع منه البيت وماذاك الا ان الهجو كان لا يزال عندهم بخطر عظيم كما وقع لابى دلامة انه مرض له ولد فاستدعى طبيبا ما لجه على جعل سماه فلما شفى ولده استقضاه الطبيب أجره فقال ليس لى مال أقضيك منه ولكن ادّع على فلان اليهودى بقدر أجرك فان طلبك بشاهد أشهد لك أنا وولدى فادعى الطبيب على اليهودى فأنكره فرفعه الى القاضى وكان هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وقيل عبد الله ابن شبرمة فقال القاضى من يشهد لك فجاء أبو دلامة وولده فشهدا عند القاضى فولى أبو دلامة وهو يقول بسمع من القاضى خوفا من أن يطالبه بالتزكية

اذا الناس غطونى تغطيت عنهم * وان بحثوا عنى ففيهم مباحث
وان حفروا بئرى حفرت بئارهم * ليعلم قومى كيف تلك النبائث ٢

فخاف القاضى من لسانه وحكم بشهادته وألزم اليهودى اعطاء المال الطبيب ثم غرمه القاضى من مال نفسه لليهودى جمعا بين المصلحتين وذلك من سياسة التدبير فان الشعراء ألسنة حداد تظهر العوراء الكامنة وتحدث شيأ لم يكن وتبقى جراحها امد الدهر وتقدم قول دعبل * والشعراء ألسنة حداد * الخ الابيات الثلاثة لانهم وان كانوا قد يكذبون فيما يقولونه لكن الناس لا محالة يتحدثون بما تصير ثابتة بذلك ولا ينفع حينئذ الاعتذار عنها كما قال الاول

قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول وقد قيلا

(وقال العلماء) ان الشعر حاكم من أجل الحكام وأنفذها حكما وفى رواية من الحديث المشهور ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما بضم الحاء حكاها الامام التنسى عن جماعة من المحققين وان كانت رواية حكمة أصح لانها التى فى البخارى ومعنى الرواية التى حكاها التنسى عمن ذكر أن الشعر حاكم يتبع ما حكم به ولا يتعقب فان حكم بمدح وجب نفوذه أو بذم وجب نفوذه ولكونه حاكما رفع قوما ووضع آخرين بعد وضع الاولين ورفع الآخرين كما قدمنا جملة منهم وقد يرفع الشاعر نفسه بالشعر وان كان وضيعا فيصير بعد الوضع رفيعا بقصيدة يرتفع بسببها أو بتورية يتجوبها كما يحكى انه نشأ ببغداد غلامان برعا فى الادب وكان أبو أحدهما حجاما وأبو الآخر مزاقا يبيع المرق فخرج الغلامان ليلة وهما ثملان فأخذهما العسس وأتوا بهما صاحبهم فلما مثلا بين يديه وقد كان أمره السلطان بضرب عنق كل من يقبض ليلا وقال لهما ما أخرجكما فى هذا الوقت فلا القدر فقال من أنتما فقال ابن الحجام

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه طوعا اليه خاضعة * يأخذ من مالها ومن دمها

(ثم قال ابن المزاق)

أنا ابن الذى لا تنزل الارض قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

١ أى استعطانى فرددته اه مؤلفه

٢ النبائث جمع نبيثة وهى تراب البئر والنهر اه قاموس

ترى

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال فى نفسه لعل الاول من أبناء الملوك والثانى من أبناء الاجواد فقال لأعوانه خلوا عنهما فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم فلما انصرفا قيل له ان أحدهما ابن حجام والآخر ابن مرّاق فغضب واستردهما بالغد وقال لهما ويحكما أخدعتمانى فقالا ما خدعناك ولكن أخبرناك بما شوصفة والدينا فلما أعلم كلامهما وجده صدقا وقال اذا الفاضل لم يكن منهما شريفا فقد كان ظريفا * وقريب من هذه الحكاية ما روى أن فتى وجد متمايلا من السكر فأتى به عبد الملك بن مروان فقال أين شربت فقال

شربت مع الجوزاء كأسا روية * وأخرى مع الشعرى اذا ما استقلت

معتقة كانت قريش تعافها * فلما استحلت قتل عثمان حلت

فاستظرفه وأمر باطلاقه وأعطاه عشرة آلاف درهم قال بعضهم فانظر كيف صارت الجناية قربة واستجلاب المواهب من باب النوائب كل ذلك من فضل الادب اه وبالجملة ففضائل الشعر جمة ونعمته من ألطف نعمة وأشرف الشعر ما صدر عن سجايا الاشراف أهل العفة والهمة العالية والانصاف كما قيل قديما

فخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

فما أخس الشعر من شاعر اتخذه صناعة يتكسب بها ويبيع بها ماء محياه مهما رأى من عنده دنيا امتدحه بشعره وحياه فان بالغ رجاه والاذمه وهجاه وفى مثل هذا قيل

الكلب والشاعر فى رتبة * وددت أنى لم أكن شاعرا

(قال ابن رشيق فى عمدته) وقالوا كان الشاعر فى مبدإ الامر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر فى تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفا من شاعرهم على نفسه وعلى قبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطعموا أموال الناس وجشعوا وخشعوا واطمأنت بهم دار الذلة إلا من وقر نفسه وعرف لها مقدارها حتى قبض نقى العرض مصون الوجه ما لم يكن به اضطرار يحل معه أكل الميتة فأما من وجد البلغة والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر فقد حكى عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمة يقول فيها

فوجدت حين لقيت أعين طائر * ووليت حين وليت بالاصلاح

وعفوت عن كسر الجناح ولم تكن * لتطير ناهضة بغير جناح

قوم اذا جلب الثناء اليهمو * بيع الثناء هنالك بالارباح

فأتاه راعى ابله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد عزم على الرحلة فقال سبحان الله أفد على الامير وهذه الشربة تكفينى فصرف عزمه عن قصده فلم يفد عليه هذا على انساقة الشعراء فأنت ترى كبر نفسه وعلو همته وتنزهه عن ذهابه الى الامير ليصيب جائزته اه (وقال) الاديب العلامة سيدى على مصباح اليالصوتى فى كتابه سنا المهتدى وكانت فضلاء الشعراء من العرب تأنف من التكسب بالشعر وتراه سبة ورذيلة وانما كان يصنع أحدهم ما يصنع مكافأة عن نعمة لا يقدر على أداء حقها الا بالشعر اعظاما لها وأى شكر أعظم من بيت واحد يمدح به مسدى النعمة فما بالك بالقصيدة والقصائد لما فيها من تخليد محاسن الممدوح فى الصحف الى يوم القيامة فكانوا يرون ان شكر المنعم بالمدح بالشعر غاية الشكر كما قال امرؤ القيس يمدح بنى تيم رهط المعلى

أقرّ حشى امرئ القيس بن حجر * بنو تيم مصابيح الظلام

لان المعلى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء فقيل لبني تيم مصابيح الظلام من ذلك اليوم لاجل مدح امرئ القيس حتى نشأ النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى فتكسبوا بالشعر وتنالوا به الملوك وغيرهم فانحط قدرهم عندهم عمن تنزه عن ذلك وأنف منه كامرئ القيس ونظرائه والحاصل ان التكسب بالشعر مذموم ممقوت فاعله شرعا وطبعا ولشناعة التكسب بالشعر نافيه من رذيلة السؤال روى ان حبيب بن أوس لما عزم على الخروج الى البصرة ليستفيد من أهلها مالا بمدحه وكان بالبصرة عبد الصمد بن المعذل الشاعر فلما علم بقدومه بعث اليه هذه الابيات

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك راجيا لوصال * من حبيب أو طالبا لنوال

أيّ ماء لحرّ وجهك تبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فانظر كيف هجاه برذيلة السؤال بشعره وجعله مثلبة وسبة له وماذاك الا لانه عار وما أدراك ما العار فروى أن ابن أوس لما وصلته الابيات افتر عزمها وتقاعس عما كان عزم عليه من الخروج وقال شغل هذا ما وراءه ونحو هذه القصة ما روى أن بعضهم هجا المتنبي بقوله

أيّ فضل لشاعر يطلب الفضـ * ـل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع بالكوفة الما * ء وحينا يبيع ماء المحيا

لان والد أبي الطيب كان سقاء بالكوفة ولشناعة التكسب بالشعر بردت نار الشعر وجف ماء هيبته منذ أزمان اه ولصاحبنا المهتدي في هجو من يتكسب بالشعر

تراه الدهر صيّر اليوم جوهرا * من الشعر منبوذا كبعض جنادله

فلا فضل أبقى للاديب ولو جرت * بمصر مبين والكتاب أنامله واكرهات

ولا جود للمثري فلم يك لو حوت * يداه غنى قارون يوما يباذله

ولما رأيت الامر في الناس هكذا * طوى عنهم فكري ظباه مصاوله

أبت همتي مجد الإنالة ذي غنى * مديحا لاجني بالثنا بعض نائله

وتالله ما أبقت يد الدهر فاضلا * يشام بعذب المدح برق فواضله

نهاني النهى عن أن أرى كشو يعر * يحمل ذما بالثنا فوق كاهله

١ وما نال حتى شاب إلا عطية * يقوم بها مصرورة في أنامله

يجوب لها ظهر الفلا فاذا بدت * بكفيه لا تقضي كراء رواحله

فخار من الخزي الشنيع سرادقا * يمد على أعقابه وأوائله

وما أحسن قول شهاب الدين أبي العباس أحمد المنصوري مورّيا

لا أطلب الرزق بشعر وان * كنت على جيده أقدر

كيف وعلمي ان لي سيدا * يرزقني من حيث لا أشعر

وقوله أيضا من قصيدة يخاطب فيها شهاب الدين الحجازي

شهاب الدين مرتقى الشعر صعب * يزل بأفقه الفطن اللبيب

وما أدراك فيه بنظم قدم[٢] * تعالى فكره المعنى الغريب

فكم من ليلة في نظم معنى * تجافت عن مضاجعها الجنوب

أحاول صيد لجيده فيأبى * ويفني فكرتي منه المعيب

١ هذا البيت مضمن من قول بعضهم يهجو مروان ابن أبي حفصة ويعيبه بأخذه من العامة ويفخر هو بأخذه من الملوك

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمة من هؤلا وأولئكا

وما نلت حتى شبت الا عطية تقوم بها مصرورة في ردائكا

ذكرهما صاحب العقد الفريد اه مؤلفه

٢ القدم الجاهل

علي انى أعانيــــه انبساطا * وما أنا للحطام به كسوب

(وقلت) وانى بحمد الله ماقلت شعرا فى أحد أصلا لهذا الغرض الدنى، ولا ذكرت أحدا بوصف كرم فى أشعارى أبغى نائله لا والله وأعوذ بالله من ذلك اذ ذلك لا يرضاه ذو همة عالية وما ذكرته فى امداح الملوك من الصحابة العلوية الا تكميلا لذكر أوصافهم واخبارا بالواقع لا بقصد السؤال ولقد كان يعرض لى ارادة الوصف بالكرم فى بعض قصائدى فى غير الملوك وان كان فى الواقع حقا فأعرض عنه قصدا خوفا من توهم التعريض بالسؤال اللهم انى أعوذ بك من ذلك على ان سؤال الملوك والاكابر لا نقص فيه ولا محالة كانصوا عليه فقد روى أن الوليد بن عقبة وجه بمائة من الابل للبيد بن ربيعة ليستعين بها على مروءته وقد كان لبيد نذر أن يطعم للناس كلما هبت الصبا فقل ماله وكبر فقال لابنته اشكرى هذا الرجل على ما أهداه الينا فانى لا أجد نفسى تجيبنى ولقد أرانى لا أعيا بجواب شاعر فقالت هذه الابيات

اذا هبت رياح أبى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
أغر الوجه أبيض عبشميا * أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا
أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى يابن أروى أن يعودا

قال ابن هشام فعرضت الابيات على أبيها فقال لها أحسنت لولا أنك استعدته كراهية فى قولها فعد الخ فقالت يا أبت ان سؤال الاكابر لا عار فيه فقال لها وأنت فى هذه يا بنية أشعر منك فى شعرك وهذا المذهب هو سؤال الملوك والاكابر دون السوقة والاسافل هو مذهب آخر ليس تقييد الاول بل هو دونه وعليه سلك مروان بن أبى حفصة اذ قال يفتخر بأخذه جوائز الملوك والوزراء ويتنزه عن غيرهم

ولقد حبيت بألف ألف لم تكن * الا لكل خليفة ووزير
مازلت آنف أن أؤلف مدحة * الا لصاحب منبر وسرير
ماضرنى حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذو والتقصير

يعرض فى قوله ماضرنى الخ بسلم الخاسر فانه كان يحسده على ما كان يأخذ من الجوائز وقال ذو الرمة فى ذلك

وما كان مالى من تراث ورثته * ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة * الى كل محجوب السرادق خضرم

وانى ابرو فى قول بعضهم

وما كنت أرضى بالقريض فضيلة * ولن كان مما يرتضيه الافاضل
ولست أذيع الشعر فخرا وانما * محاذرة أن تدعيه الاراذل

(ولآخر)

وماقلت شعرا رغبة فى لقا امرئ * يعوضنى جاها ويكسبنى فخرا
ولا طربا منى الى شرب قهوة * ولا لحبيب ان نأى لم أطق صبرا
ولكننى أيقنت أنى ميت * فقلت عساه أن يخلد لى ذكرا

(وقلت) مخبرا بطبعى فى الولوع بنظم القريض على قدر وسعى

مانظمت القريض أبغى به الفخـــر ولا سائلا فضــول نوال
كيف أنشيه قصد ذاك وانى * بجمال من العلوم اشتغالى
شغلتنى عنه العلوم ولم أر * ض أعمى بشاعــــر سؤال

انما قلت ما نظمت من الشعـ * ـر ولوعا ورغبة فى الكمال
ان أتانى للخوض فيه رجال * كنت تاجا لى رؤس الرجال
أو بدانى الاديب يرمى بقول * بر عنى محبر الاقوال
أو تشوقت للحبيب ترانى * مظهرا حبه بسحر حلال
لست أصبو للفحش حاشا ولكن * علك القلب حسن كل غزال
صح عند الافاضل الغر قطعا * ان طبع الكرام حب الجمال
ليس نظم القريض بالحبر عيبا * بل تراه مكملا للمعالى
ان أتاه سؤال علم بنظم * يعرف النظم فى جواب السؤال
انما العيب أن ترى شاعرا خا * و امن الفضل والعلوم العوالى
تنسج المدح راجيا مال قوم * طامحا طامعا بوجه مذال
هاجيا من يسوم شعرك بالرخـ * ـص اذا ما أرمته بالسؤال
أنت يا ذا رخيص قدر وهل يا * ملى ذو الرخص أن يبيع بغالى
فلعمرى من ذى صفاته مالن * هو عندى الا كمثل البغال
ليس يرضى بذى الصفات همام * ذو اهتمام بهمة وكمال

وبالفظ كما ينبغى امساك جواد القلم عن تطويل الكلام فربما يعل التطويل فتعود الافادة بالملام ﴿تنبيه﴾ الشعر مجمع على جوازه أى الاذن فيه حيث لم يكن متعلقا بهجو من لا يجوز هجوه والا حرم ثم هو مندوب حيث كان فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم أو أهل بيته أو الاولياء أو العلماء أو فى علم كهذه المنظومة ومكروه حيث تعلق بمكروه كالمبالغة فى المدح التى لم تبلغ حد الاطراء والا فقد صرحوا بان الاطراء حرام ومباح ان تعلق بمباح كالتغزل فى غير معين قال بعضهم ولا يكون واجبا اه ﴿قلت﴾ وقد يجب كالذى تعين لانقاذ من أريد قتله ظلما فانه من أجل ما يستعطف به وقد سلم رجل عند المهدى من القتل بعد ان أراده به ان لم يكن يقول الشعر فوجده يقوله فعفا عنه انظر ترجمة اسمعيل بن القاسم الشاعر المعروف بأبى العتاهية من ابن خلكان والله أعلم (وقال فى زهر الاكم فى تفصيل أحكام الشعر ما نصه) فما كان متضمنا للثناء على الله تعالى والمدح النبى صلى الله عليه وسلم أو الانبياء أو الملائكة وكل من يجب تعظيمه وتوقيره والثناء عليه فهو مندوب اليه مرغب فيه وما كان متضمنا للتنبيه والوعظ والتزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة ونحو ذلك فكذلك أيضا وما كان متضمنا للهجو ٣ وايذاء من عرضه معصوم فهو حرام ويتفاوت فى القبح والشدة بحسب الاذى حتى ينتهى الى الكفر كما فى حق الانبياء وما كان خاليا من هذين الامرين فهو مباح فى الجملة الا انه ان اشتمل على وصف الخدود والقدود والمجون التى تحرك دواعى الشهوة والغواية فهو وقد يحرم وقد يكره وقد يباح بحسب حال القائل والمخاطب اه (وفى المعيار) وسئل الشيخ الخطيب الرحال الحافظ الضابط أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشد الفهرى السبتى رحمه الله عن الشاعر هل له رخصة فى وصف الخدود والقدود والنهود أم لا فأجاب اختلف العلماء فى الرخصة للشاعر فى وصف الخدود والقدود فمن مبيح ومن محرم قال أبو الفرج ابن الجوزى ان الامام أبا حامد الطوسى قال ان التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء الصحيح لا يحرم ﴿قلت﴾ وما قاله صحيح اذا كان فيمن يملكه الانسان أو غير معين وكان فى وصف النساء وأما المذكور فى المعين الظاهر التحريم لانه يبعث الهوى ويثير الجوى وفى غير المعين اذا نوى به التفنن فى الكلام والتمرن فى النظم أو الغرض الجميل من حيث هو هو لا ذكر

٣ قلت ليس الهجو كله حراما بل المحرم منه ما لم يتعرض لك مهجوك بايذاء والا فهو مباح فقد أذن صلى الله عليه وسلم لجمع من شعراء الصحابة بهجو الكفار الذين آذوه صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع فيهم أمران كل واحد منهما يبيح الهجو على حدته الكفر والايذاء فلو كان المؤذى لك مسلما ساغ هجوه قال العلماء ان فى قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا ان الله أرخص للشعراء بهذه الآية فى هجاء من تعرض لهم اه ويشعر بهذا قول أبى على وايذاء من عرضه معصوم اذ من تعرض لاذاية غيره لم يبق معصوم العرض اذ الانتصار مباح كما فى غير ما آية وان كان العفو أحب وأولى اه مؤلفه

رشيد

ولا

ولا أنثى وان كان لفظ المذكر فالظاهر الجواز ولا يخلو من الكراهة وقد أكله الافاضل والاماثل وهو الله وراء ذلك كله والاعمال بالنيات والله ولي التوفيق بفضله وهو الهادي له (وقال القاضي عياض في الاكمال) وأما وصف الخمر والذنب بشعره بشعر جريا على عادة العرب فيستخف منه القليل ولم ير أصحابنا مثل هذا جرحة اهـ (ثم قال الناظم)

﴿باب اعارة الكتب والنساخة﴾

هذا الباب عقده لآداب اعارة الكتب وآداب النساخة أي حرفة نسخ الكتب فقوله باب خبر لمبتدا محذوف أي هذا باب وهو مضاف الى اعارة على حذف مضاف كما أشرنا اليه أي باب آداب اعارة وانما لم نقدر حكم عوض آداب لان الناظم لم يذكر حكم الاعارة وانما ذكر آدابها واعارة مصدر أعار وألفه بدل عن واو لانه من التعاور أي التداول واعارة مضاف الى الكتب جمع كتاب وهو في اللغة ما يكتب فيه كما في القاموس ثم صار يطلق على المكتوب الخاص ومادة الكتب تدل على الضم والجمع ومنه الكتيبة بالمثناة أي الجماعة من الجيش ثم استعمله المؤلفون فيما يجمع مسائل وأشياء من نوع واحد * والنساخة اسم للحرفة وكل ما كان لها فهو بالكسر كالتجارة والحراثة والزراعة والكتابة ومن ذلك النساخة والفعالة بالفتح للاخلاق الجليلة نحو السماحة والفصاحة والفعالة بالضم لما يطرح من المحقرات كالكناسة والقلامة وفي نسخة اعارة الكتب ونسخها فهو مصدر نسخ كنفع والضمير يعود للكتب قال نسخت كتابي من كتاب فلان وانتسخته واستنسخته بمعنى كتبت ما فيه عن معارضة أي حرفا بحرف والنسخة بالضم اسم للمنقول منه كما في القاموس ﴿واعلم﴾ أن الناسخ في عبادة عظيمة كما في المدخل قال اذ لا يخلو أن يكون نسخه في كتاب الله تعالى أو حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو في الفقه أو غيره من العلوم الشرعية فان كان في كتاب الله تعالى فقد جمع بين التلاوة وهي محض العبادة وبين الكتابة سيما ان تدبر فيما هو يكتبه وتفكر في معانيه فبخ على بخ وان كان يكتب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقريب منه في الثواب ولو لم يكن فيه من الفضيلة الا ما ورد من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب بقيت الملائكة تصلي عليه ما دامت الصلاة عليه مكتوبة في ذلك الكتاب وكفى بها نعمة اهـ (ثم قال الناظم)

(51) ﴿وان أعارك كتابه خليل * فصن كما يصان درهم البخيل﴾

الواو للاستئناف وان حرف شرط وأعار فعل الشرط والكاف مفعول أول وكتابه مفعول ثان وخليل أي صاحب فاعل أعار وعليه يعود الضمير في كتابه فهو عائد على ما بعده لفظا فقط لا رتبة لان رتبة المفعول بعد رتبة الفاعل وقوله فصن الفاء رابطة للجواب بالشرط وصن أي احفظ فعل أمر ومفعوله ضمير محذوف يعود على الكتاب وقوله كما جار ومجرور وما موصول حرفي ويصان فعل مضارع مبني للمفعول ودرهم نائب الفاعل والبخيل مضاف اليه وجملة يصان درهم البخيل صلة ما المسبوكة بها أي كصيانة درهم البخيل والجار والمجرور متعلق بمحذوف نعت لمفعول مطلق محذوف والتقدير صن الكتاب صيانة كائنة كصيانة البخيل درهمه ﴿والمعنى﴾ ان أعارك أيها الطالب صاحب كتاب كتابه فاحفظه كما يحفظ البخيل درهمه ففي كلام الناظم ارسال المثل لان حفظ البخيل لماله مما اشتغل به العرب لمحبة الشيء والاعتناء به (قال الاصمعي) رأيت امرأة ترقص طفلا لها وتقول

أحبه حب البخيل ماله * قد كان ذاق الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بدا له

ومن الصيانة للكتاب ما يأتي في قوله واحفظه من ماء ومن نيران وليس المراد بالصون ما يعوق عن الانتفاع به كما قيل

صن الكتاب ولا تجعله منديلا * ولا يكن صونه للدرس تعطيلا
وسل فتيهك فيما كنت جاهله * فربما كنت بعد اليوم مسؤلا

فالمراد بالصيانة الصيانة عن الامتهان بما لا ينبغي لان كتب العلم يجب اكرامها واحترامها واعظامها كما قيل وما الكتب الا كالضيوف وحقها * بان تتلقى بالقبول وأن تقرا

وقوله أعارك كتابه خليل خرج مخرج الغالب فلا مفهوم لقوله خليل بل يجب حفظ الكتاب المعار ولو كان المعير غير صاحب خليل أو يقال بالاعارة يصير خليلا واغما شبه صون الكتاب بصون البخيل لدرهمه لان درهم البخيل عنده أكبر همه لا يتزلزل فيه ولا يضيعه ولا يخرجه من ظرفه ولا يذيبه فقد روى عن خالد بن صفوان وكان من المشهورين بالبخل انه كان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لاطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عنه ويأتي الكلام على البخل والبخلاء ﴿فائدتان ـ الاولى﴾ قال السيوطي في كتابه قطع المجادلة عن كعب ان أول من ضرب الدنانير والدراهم آدم عليه الصلاة والسلام اه (وفي ارشاد الساري) ان أول من ضرب الدنانير هرقل ملك الروم الملقب قيصر الذي توفي النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه ذكره إثر كلامه في بدء الوحي (وأما) أول من ضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها اسم الله تعالى واسمه فهو عبد الملك بن مروان ولم يكن قبل ذلك على الدنانير الا النقش بالرومية وعلى الدراهم نقش بالفارسية ﴿الثانية﴾ من الرسوم السلطانية نقش اسم الملك على الدينار والدرهم ويكره أن ينقش عليه كلمة التوحيد خشية أن يقع في المحال القذرة وتحت الاقدام ﴿اشارة﴾ آخر الدرهم هم وآخر الدينار نار ﴿قلت﴾ وفي ذلك تلميح التهديد من لم يؤد فيهما الحق الواجب بالمقدار (قال بعضهم)

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء مالم يفد من غيره ورعا * مقسم القلب بين الهم والنار

(ولابن شرف)

تتابدينار وهما بدرهم * وآخر ذاهم وآخر ذانار

وقد ورد على أهل فاس في بعض الايام الامر من مولانا الامام بمنع التعامل ببعض السكك الناقصة وكانت هي الكثيرة الشاخصة فوقع بذلك في أول الامر تعطيل على الناس في المعاملات وتعذرت بين الناس المصارفة حتى في شراء الاقوات فقلت في ذلك

أصبح اليوم ظاهرا من غدا ليس له في الورى ولا ربع درهم
قال يامعشر التجار غدوتم * في خسار وكلكم صار في هم

والكلام في مدح الدراهم والدنانير كثير شهير (أخرج) أبو نعيم عن وهب بن منبه قال الدنانير والدراهم خواتم رب العالمين في الارض لمعايش بني آدم ولا تؤكل ولا تشرب فأين ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك (وأخرج) الطبراني بسنده عن أبي هريرة مرفوعا الدنانير والدراهم خواتم الله في أرضه فمن جاء بخاتم مولاه قضيت حاجته ذكره في الجامع الصغير (وقال الغزالي) من نعم الله تعالى خلق الدنانير والدراهم وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا نفع في عينهما لكن يضطر الخلق اليهما لأن كل انسان يحتاج الى مطعم وملبس وسائر حوائجه وبعجز عما يحتاجه ويملك ما يستغني عنه فاحتيج اليهما في المعاوضات ومعرفة قيم الاشياء فجعلهما الله تعالى حاكمين متوسطين بين سائر الاموال لتقدر الاموال بهما فكانا كالحكم العدل ليتوصل بهما الى جميع الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في عينهما ونسبتهما الى سائر الاموال واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا ثوبا فلو احتاج

٢ العيار الكثير الذهاب المتفلت والكلام هنا على المجاز اه مؤلفه

انه وطعام لم يرض صاحبه بالثوب فاحتيج الى شئ هو فى صورته ليس بشئ وهو فى معناه كأنه كل الاشياء وكان المرآة لا لون لها وتحكى كل لون فالنقد لا غرض فيه وهو وسيلة لكل غرض كالحرف لا معنى له فى نفسه وتظهر به المعانى فى غيره قاله المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير (ولابن رشيق)

صدق المرء كالدينار طبعا * وكيف يفارق المرء الطباعا
تراه اذا أقام بتيم جاها * وان فارقته أجدى انتفاعا

ويقال ان الدرهم حكيم حاكم يقضى الاوطار كما قيل

اذا كنت فى حاجة مرسلا * رسولا وأنت بها مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه * وذاك الحكيم هو الدرهم

وقد خاطب بعض الشعراء امرأة بقوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

﴿فأجابته﴾

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * ان الدراهم تدنى كل انسان

وللحريرى فى الدينار من مقامته الدينارية

أكرم به أصفر راقت صفرته * جوّاب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته * وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته
وان تفانت أو توانت عترته * يا حبذا انضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته * كم آمر به استتمت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

وقد ذم الدنانير والدراهم جملة من الشعراء وذمهم مع ضمهم له كذب وافتراء ولله در الزاهد بن عمران بقوله

ان المروءة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم
كلف الانام بذمه وبضمه * فتعجبوا لمذمم مضموم

ليس فى كلام الناظم رحمه الله ما يشعر بمدح البخل وكيف يمدح ما هو مذموم شرعا وطبعا وان كان قد مدحه جمع من الاعلام وأدخلوا بابه على علو مرتبتهم وشهرتهم فى العلوم ورفع الصيت فكان البخل لهم لبة فلنذكر منه جملة ﴿فمنهم أبو الاسود الدؤلى﴾ ذكر حماد بن سلمة الراوية أن أبا الاسود خرج مع أصحابه الى الصيد فى الماجلة وللطعام جاء اعرابى فقال السلام عليكم فقال أبو الاسود كلمة مقولة فقال الاعرابى أأدخل قال أبو الاسود وراءك أوسع لك فقال الاعرابى ان الرمضاء أحرقت رجلى فقال أبو الاسود بل عليها فقال الاعرابى هل عندك شئ تطعمنيه فقال أبو الاسود نأكل ونطعم العيال فان فضل فأنت أحق به من الكلب فقال الاعرابى ما رأيت ألأم منك (وقال بعضهم) بلغنى أن أبا الاسود انتبه ليلة ودابته تقضم الشعير فقال لها أراك تأكلين وأنا نائم فلما أصبح باعها (ويذكر عنه) أنه وقف سائل

بابه فأدخله وأطعمه كسرة فلما أكلها اقتاده الى الصبح وقال والله لا أسامرك هذه الليلة على غيري
﴿ وتصدق يوما على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها (وكان يقول) لو أطعنا المساكين
في أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم ﴿ ومر به أعرابي ومعه رطب ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه
الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود فقال لا أدعها للشيطان فقال الاعرابي
والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها ﴿ومنهم خالد بن صفوان﴾ وقد تقدم ما كان يقوله
للدرهم اذا دخل في يده وقيل له يوما مالك لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه ﴿ومنهم
حميد الارقط﴾ وقد كان هجاء للضيفان فاشيا انه نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر انهم
أكلوه بنواه ومن هجائه لضيف له

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أظفور

(وقال أيضا فيه)

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

﴿ومنهم الحطيئة﴾ فقد ذكر انه مر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى
العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها ﴿ومنهم يعقوب الكندي﴾ وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن
الصباح الكندي المعروف بفيلسوف العرب كان مشهورا بالبخل ويذكر عنه كلام كثير في مدحه
وكان يقول من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ورأسك فوق ومن ذم العطاء أنك تقول للسائل نعم
ورأسك أسفل ومن وصاياه لولده يا بني كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتحتال حتى
تأخذ شيئهم فان مالك اذا خرج من يدك لم يعد اليك واعلم ان الدينار محموم فاذا صرفته مات وكان
يقول سماع الغناء برسام أي داء عظيم لان الانسان اذا سمع الغناء طرب فيجود فينفق فيسرف فيفتقر
فيموت فانظر كيف سولت له نفسه اللئيمة أن الجود سبب الهلاك ﴿ومنهم المتلمس﴾ الشاعر المشهور
الجاهلي صاحب طرفة بن العبد والمتلمس هو القائل

وقليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من نفاد * وسير في البلاد بغير زاد

﴿ومنهم سهل بن هرون﴾ وهو المذكور في رسالة ابن زيدون في قوله وان سهل بن هرون مدون كلامك
وكان بليغا حكيما وله في البخل حكايات كثيرة نذكر عنه تأتي قضية من قضاياه في الديك عند قول الناظم
وانقر انقر الديك الخ وقد ألف كتابا في تفضيل البخل وأهداه الى الحسن بن سهل وطلب منه الاجازة
عليه فكتب اليه الحسن بن سهل مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله وما يقوم صلاح لفظك
بفساد معناك وقد جعلنا ثوابك فيه قبول قولك فما نعطيك شيأ (قال ابن نباتة) وكان سهل بن هرون
من أبخل خلق الله وألأمهم ﴿ومنهم أبو جعفر بن النحاس النحوي﴾ قالوا كان لئيم النفس شديد التقتير
على نفسه وكان ربما وهبت له العمامة فيقطعها على ثلاث عمائم وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل
فيها على أهل معرفته ﴿ومنهم مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور﴾ قال الهيثم بن عدي نزل رجل
على ابن أبي حفصة في منزله فأخلى له المنزل ثم خرج منه مخافة قراه فخرج الرجل واشترى ما يحتاج اليه من
الطعام ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

﴿ واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فعل

القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان * ومرّ يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهبني أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه يمين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق ﴿ومنهم المبرد وثعلب﴾ ففي بعض طبقات النحويين في ترجمة المبرد قال أبو بكر بن عبد الملك كان المبرد أبخل الناس بكل شيء اهـ وفيها وكان أحمد بن يحيى ثعلب بخيلا جدا يحاسب أهله على الدراهم ويشكوهم لاصحابه وله حكايات في ذلك مع أهله تركناها ﴿ومنهم أبو الطيب المتنبي﴾ مدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير فقال والله لو نذفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا والعجب منه يبخل وهو القائل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي صنع الفقر

على أنه في رتبة المجد والشعر حيث علم وقلما خلت قصيدة من قصائده من ذكر الجود والتمدح به وكان يتملق بالشعر جدا حتى كان يمدح بالخمسة دراهم وأقل (قال في العمدة) وأحق الناس بالاتصاف بالجود والتخلي عن رذيلة البخل الشعراء فان الشاعر كثيرا ما يصف من يريد هجوه بالبخل فاذا كان الشاعر نفسه بخيلا فهو أخزى له ولله در أحمد بن أبي فنن اذ قال

ذريني واتلافي المال فانني * أحب من الاخلاق ما هو أجمل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

﴿ومنهم عبد الله بن المعتز العباسي الشاعر المشهور﴾ كان يصرح بتفضيل البخل على الجود وهو القائل كما في كتاب نظم الدرر والعقيان

يارب جود جرّ فقر امرئ * فقام في الناس مقام الذليل
فاشدد على مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

﴿ومنهم الامام أثير الدين أبو حيان النحوي الاندلسي﴾ قالوا كان بخيلا جدا ناصرا لمذهبه فيه حتى ألف كتابا فيه بذكر محاسنه ومساوي الجود فالله حسيبه ﴿ومنهم عمر بن يزيد الاسدي﴾ أصابه يوما القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة واسرج به ﴿ومنهم المنصور﴾ مرّ به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغذى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت بهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشي بينهما حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدو به في ذهابه وايابه بغير مؤنة ﴿ومنهم محمد بن الجهم﴾ وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي واستهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق ولا يمتد الي آمل آمل ولا يبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا قال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء ﴿ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو﴾ يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون اللحم في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل واحد خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق * واشتكى رجل مروزي صدره من سعال فوصف له دهن اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف

عليه فبينما هو عاطل الايام ويدافع الآلام اذ وصف له بعض أصدقائه ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر وأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجد فيه نفعا فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها نافعا ويجلو الصدر فقالت له لقد جمع الله في هذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة الى غير هؤلاء وهم أكثر من أن يعدهم المعروفون بالعلم والرياسة الزائدة فسبحان من أضلهم حتى سلكوا طريق البخل وتزيوا بزيه وحبب اليهم ومدحوه وفضلوه على الجود والسخاء وقد تضافر العالم على تقبيحه والانفة منه وكانت العرب على جاهليتهم تذم البخل وجاء الشرع بالثناء على السخاء وذم البخل في كم من آية قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية وقال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه الآية وقال الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الآية وأحضرت الانفس الشح وان تحسنوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم ما محق الاسلام محق الشح شيء رواه أبو داود من حديث أنس * وروى الترمذي خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله حسن الخلق والسخاء وخلقان يبغضهما الله البخل وسوء الخلق وفي حديث ذكره في شرح جامع الجواهر والغزالي في الاحياء ان الجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل وفي بعض الاحاديث القدسية ما معناه اذا وسع عبدي على نفسه وسعت عليه واذا ضيق ضيقت عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويكره سفسافها وقال صلى الله عليه وسلم أعط اللهم كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله كريم يحب الكريم وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم لبني لحيان وهم قوم من الانصار وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا الجد بن قيس الا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح فقال الشاعر منهم في ذلك

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تعدون سيدا

فقلنا له الجد بن قيس على الذي * نبخله فيها وان كان أسودا

فتى ما تخطى خطوة لدنية * ولا مد في يوم الى سوءة يدا

فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندى أن يسودا

اذا جاءه الركبان أنهب ماله * وقال خذوه انه عائد غدا

فلو كنت يا جد بن قيس على التي * على مثلها عمرو لكنت المسودا

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما) قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان ثم قال لها أظهري أنهار الخمر وأنهار اللبن وأنهار العسل ثم قال لها أظهري سررك وكراسيك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال تعالى وعزتي وجلالي لا أسكنتك بخيلا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ رأى القلب للاسخياء الاحباء وان كانوا فجارا وللبخلاء الابغاض وان كانوا أبرارا ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس لعنه الله في صورته فقال يا ابليس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغضهم الي الفاسق السخي قال ولم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى ما أخبرتك * وخوف بخيل سخيا فقال ان أعطيت افتقرت فقال له الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله

يدكم مغفرة منه وفضلا (وعن المهلب بن أبي صفرة) أنه مر بكناسة فيها عظم الجيف والاقذار فقال ان الذي يبخل عما يصير الى هذا البخيل (قال العلماء) وسبب البخل أمور هي أقبح منه وأشنع وأسمج وأفظع وهي للحرص وطول الامل وخوف الفقر وسوء الظن بالله وعدم الثقة بالرزق من عنده قال محمود الوراق

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

ولا يكون البخيل أبدا الا ممقوتا في القلوب هدفا للمثالب كلا على الناس الاصحاب منهم والاجانب ولا يوجد غالبا الا منعزلا مقبوضا يابسا قتير الوجه دائم العبوس قليل الاصحاب نزر الزوار والاخوان ولله اسحق الموصلي في قوله أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل

(والحاصل) ان كلام الناس في البخل وأهله طويل المنامنه بنزر قليل (تنبيه) في حد البخل المذموم خلاف فقيل هو منع الواجب فكل من أدى ما عليه فهو غير بخيل واعترض بأن من دفع لعياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها من ماله فانه يعد بخيلا (وقيل) البخيل هو الذي يستصعب العطية واعترض بأن الغني قد يستصعب العطية اذا جاءت على جميع ماله أو جله والبخيل قد لا يستصعب العطية اذا كانت قليلة جدا كالحبة (وقيل) البخيل هو الذي يمنع ما يوجبه الشرع أو المروءة واختاره الغزالي في الاربعين وقال في الاحياء خلق الله المال لحاجة الخلق فامساكه حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود انظر الاحياء وشرحه * وحيث ذكرنا جملة من البخلاء نذكر جملة من الاجواد وان كانوا كثيرين خصهم الناس بالتأليف (وأجود الخلق) على الاطلاق سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم

فانه صلى الله عليه وسلم كان أجود بالخير من الريح المرسلة * وكان في الجاهلية أجواد كحاتم الطائي وعبد الله ابن جدعان وكعب بن مامة وغيرهم وأشهرهم حاتم فانه جاد حتى بنفسه في قضية يذكرونها حاصلها ان فتى خطب امرأة فأجابته على شرط أن يأتيها برأس حاتم وكان لا يعرفه فذهب فلقي راعيا فقال له أتعرف حاتما قال نعم فذكر له القصة فقال الراعي فامض فاذا اشتد الحر من غد فأتت تلك الشجرة فانك تجده نائما تحتها فشأنك به فودعه وكان الراعي هو حاتم فذهب في الغد فغطى رأسه تحت الشجرة وتناوم فأتى الفتى فجرد سيفه وهم بضربه ثم قال لا أفعل حتى أكشف عن وجهه فكشف فاذا هو صاحبه بالامس فبهت الفتى فقال الراعي افعل ما اليه قدمت فاني أنا هو حاتم اني حلفت أن لا أرد سائلا بدون حاجته فان لم تقتلني فاحملني مغلولا اليها وقل لها طلبت عضوا من أعضائه فأتيتك به كله فقال الفتى لا أفعل شيأ من ذلك فان كان ولا بد فصاحبني اليها فذهب معه فلما رأته المرأة استعجبت ذلك وسألته شرح القصة فشرحها فقالت قضى الله حاجتك وقالت لحاتم انصرف راشدا قالوا لم يفعل ذلك في الجاهلية سواه كما أنه قرى الاضياف وهو دفين في قبره ولم يسمع ذلك عن غيره (قال ابن دارة) في عدي ابنه

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل * لدن شب حتى شاب في الخير راغبا

قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وشرح القصة أن رجلا يسمى أبا الخيبري بات على قبره مع ركب فجعل يخاطب القبر ويقول يا أبا عدي اقر أضيافك فلما نام الرجل ساعة قام مذعورا وهو يصيح وا راحلتاه فقالوا ما لك فقال رأيت والله حاتما خرج من قبره وفي يده السيف فضرب به ناقتي فقالوا قد قرى حاتم أضيافه فنحروا الناقة أبي الخيبري فقصروها وتمشوا منها فلما أصبح ولا مركوب لابي الخيبري رأوا رجلا قاصدهم يقود جملا فاذا هو عدي بن حاتم فقال أيكم أبو الخيبري فقال أنا فقال عدي ان أبي جاءني البارحة وأنا نائم فقال انه قرى

أصحابك راحاتك وقال فى ذلك أبياتا انتهت وأنا أحفظها وهى هذه

أبا الخيبرى وأنت امرؤ * ظلوم العشيرة شتامها
فاذا أردت الى رمة * بداوية [١] ضجعت هامها
أتبغى لها الذم عند المبيت * وحولك طير وأنعامها
وانا لنطعم أضيافنا * من الكوم بالسيف نعتامها

وقد أمر فى مماتك على بعير عوض ناقتك فهى له وقد ونكه * وكان فى الاسلام أجواد كثيرون كطلحة الطلحات ومعن بن زائدة الشيبانى وسيأتى شئ عنه عند قول الناظم فى آداب المدارس وكن أخاحلم وابن أخيه يزيد بن مزيد وأبى دلف القاسم بن موسى العجلى والبرامكة والمهالبة وغيرهم وأما فى زماننا هذا فقد نسخت آياته وخربت أبياته وضربت على آذان الجود ونام نومة عبود [٢] فلو ناديت عليه بأعلا تناد لقيل لك قد ذهب فماله من معاد و

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

إلا ما يوجد فى بيت الملك المفرد أمير المؤمنين الذى بالعز تفرد ووزيره الحصن المنيع الاحد لا زال بكل خير يعد أقام الله بجده الدنيا والدين وجعله من الائمة المهتدين

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضم اليها ألف آمينا

وأخبار البخلاء والاجواد منزع شهير طويل شهرته فى للدواوين تغنى عن الاطناب به هنا والتطويل فاذا تقررت رذيلة البخل وفضيلة الجود فقصود الناظم رحمه الله من التشبيه فى قوله

* فصن كما يصان درهم البخيل * مطلق الصون والحفظ لا بقيد كون الصون مطلوبا فى المشبه والمشبه به أو يقال الصون مطلوب فى الجميع لكن صون الكتاب محمود عند الكل بالاتفاق وصون البخيل لدرهمه مطلوب له باعتبار نفسه فقط والله أعلم (وللشهاب المنصورى ملغزا فى الدرهم يخاطب الشهاب الحجازى)

يامن الملك النظام مستوجب * ومن الى أم القرى ينتسب
ومن غدت أبكار أفكاره * تحتقر الاكفاء اذ تخطب
فالنثر منك المجتنى المجتبى * والنظم منك المرقص المطرب
أرسلت لغزا صيغ من فضة * وهو بما فقته مذهب
أبيض يزلق المحيا اذا * لاح حكى تكوينه الكوكب
حليته درّا وحليته * شهد بالفظ منك يستعذب
يقضى لك الحاجات مستعجلا * فهو لو يرضى عنك من يغضب
صاغوه معلوما فان غيروا * صيغته قدرهم ويلعبوا
فاعكسه من أكثره تلقه * فريضة أو بعض ما يركب
يمسى ويضحى تحت مكتوبه * مثلى ولا يعلم ما يكتب
عن اسم سلطان الورى مخبر * بلا لسان أو فم فاعجبوا
محجب مبتذل فى الورى * خل عدو حدث أشيب
على الصفا يبدى أنينا ولا * يرهب تكديرا ولا يرغب
ياويحه لما قسا قلبه * كم يصطلى نارا وكم يضرب
فنصفه لفظا كما يبدى * ضما وعن سائره تحجب
صدره بالميم تكن مدرها [٣] * نلت من الخيرات ماتطلب

[١] الداوية بتشديد الياء وبخفف الفلاة اه قاموس

[٢] قال فى القاموس وعبود كتنور رجل نوام نام فى محتطبه سبع سنين ثم ذكر له قصة طويلة انظرها فيه اه مصححه

(٣) (قوله مدرها) قال فى القاموس المدره كمنبر السيد الشريف والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال اه مصححه

وله أيضا ملغزا في ذهب الدينار

ماصاحب ان أنت أمسكته * ضر وان فارقته ينفع
هو لعمري للفتى ان جنى * جناية أفضل من يشفع
يريك عينا كم لها حاجب * وحسن وجه بالبها يلمع
جنباه مضروبان لم يؤلما * وعينه بالضرب لا تدمع
وهو على ما فيه من صفرة * على هواه الناس قد أجمعوا
قد ذهب العمر على حبه * والعين من رؤياه لا تشبع
ففكرن فيه وكن عالما * ان اسمه في بعضه مودع

(وقول الناظم كتابه) تقدم معنى الكتاب ومأخذ اشتقاقه في شرح الترجمة وللعارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى ملغزا فيه

وذى وجوه كلما * سألته رد الجواب
على الخطا اصراره * وتارة على الصواب
لكنني رأيته * ان راح منه الرأس تاب

(ولابن الخشاب النحوى ملغزا فيه أيضا)

وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تنظر

(ولبعضهم ملغزا فيه أيضا نثرا ونظما) ما ذاقى ما اسم رباعى يدور بين عربى وأعجمى اذا حذفت أوله فهو فعل سعيد من استعمله مقلوبه من ناقص الافعال ومصحفه اسم طرده عكسه ولازم فى كل الحال نصفه الاخير له أجر غير ممنون وعكسه حرف هجاء تصحيفه النون طرفاه فعل سكب وعكسهما حرف واسم عند العرب اجتمعت فيه من الاضداد عشرة وهى هنا منحصرة

فصالح اذ ليس يرضى اللظى * وطالح ببعض ماء النعيم
وصالح كم فسقاك الهنا * وطالح كم قد أراك الجحيم
ومقعد وأبكم انما * يمشى ويحكى كالفصيح الحكيم
ومضحك ومحزن جامع * مفرق سبحان ربى العليم

(وأجاب عنه بعضهم مورّيا بقوله)

ألا يا من تسامى فى نهاه * بفكر دونه ضوء الشهاب
لقد أبدعت فى لغز تحلت * معانيه ببدر مستطاب
واذ قد شئت كشفا عن حجاب * ومنا رمت تصريح الجواب
بعثت اليك هذا الحل يزهو * مع الاشواق فى طى الكتاب

(ولبعضهم ملغزا فى لفظ خليل نثرا بقوله) ما اسم رباعى الحروف كل محب للقائه تائق مشغوف اذا حذف أوله استوى كيف انقلب وبحذف ثانيه يقى الناس من التعب نصفه الاول فعل واسم لسائل مشهور وان صحف أوله كان وصفا للكل وقور وان حذفت ذيله بعد التصحيف بدا لك كالظاهر دون تكليف وان أضيف الى رأسه المصحف واحد جاء دليلا لمعرفتما أتابه قاصد (وأجاب عنه بعضهم نظما بقوله) خليل الروح قد أبديت لغزا * تسامى بالجلالة والكمال
رعاك الله قصدك فى خليل * يكون على الوفا طبق المقال

(تنبيه) حكم الاعارة للكتب أو غيرها هو الاستحباب وقد يعرض ما يوجبها كابرة اضطر اليها جائعة

أو كتاب احتيج لاستفادة حكم منه في وقت يفوت العمل به بفوات ذلك الوقت ويمنع ممن يعلم أنه يستعملها فيما لا يجوز قال ابن رشد في المقدمات اعارة المتاع من عمل المعروف وأخلاق المؤمنين اه وفي المختصر صح وندب اعارة الخ وقال أبو علي اليوسي رحمه الله في القانون وقد اختلفت أحوال الناس وأقوالهم في اعارة الكتب فمنهم من كرهها صونا للكتب عن الضياع وقد ماقيل آفة الكتب العارية ومنهم من يحض عليها لأنها من التعاون على البر والحق التفصيل فمن كان أهلا لأن يعطى ويعار بظهور نجابته وظهور صيانته للكتب فينبغي أن يعار وفي مثله يقال حبس الكتب عن أهلها من الغلول وقال رجل لابي العتاهية أعرني كتابا فقال اني أكره ذلك فقال الرجل أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره فأعاره (وينسب للامام الشافعي يخاطب محمد بن الحسن)

يا ذا الذي لم تر عين من رآه مثله العلم يأبى أهله * أن يمنعوه أهله اه

وقال المحقق ابن حجر الهيتمي في فتاويه نقلا عن شيخ الاسلام ابن جماعة وتسن اعارتها أي الكتب حيث لا ضرر وقيل تكره ولا وجه له كيف وفيها من الاعانة على العلم والخير ما لا يخفى وللوسائل حكم المقاصد ثم قال وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك ويجزيه خيرا ولو بالدعاء اه وقوله تسن أي تستحب وأدخل بعضهم منع اعارة الكتب في قوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ويجب أن يقيد بالقيود السابقة في قوله وسائل عن فرضه مكلف الخ وقوله حيث لا ضرر أي على المعير بان يخشى على كتابه الضياع والتلف أو يشترق من أوراقه ما التلف أو يعلم من المستعير عدم المحافظة عليه أو توقيعه فيه ما لا يجب أن يصل اليه الى غير هذا من صور الضرر التي تؤدي للغرر (ولبعضهم)

أصون كتابي عن يد لا تصونه * صيانة نفسي عن يد لا تصونها

وقد تلطف بعضهم في خطابه اذ قال متنصلا من اعارة كتابه

ألا يا مستعير الكتب دعني * فان اعارتي للكتب عار

فمحبوبي من الدنيا كتابي * وهل أبصرت محبوبا يعار

(ولآخر)

اني حلفت يمينا غير كاذبة * أن لا أعير كتابي قط انسانا

إلا برهن وأيمان مغلظة * كيما يعود كتابي أينما كانا

(ولآخر)

لا تعيرن كتابا * واجعل العذر جوابا أو بأخذ الرهن عنه * ان في ذلك صوابا

فاذا خالفت قولي * أنت ضيعت الكتابا

(ولآخر)

فلا تعيرن كتابا أخا * فالطبع مجبول على حبسه

وغيرة المرء على كتبه * كغيرة المرء على عرسه

(ولآخر)

آليت بالله وان لم تكن * نفسي من معروفه عاريه

أن لست ما عشت ولو ساعة * أرى كتابي في يد عاريه

(ولآخر)

كتابي لم أعره ولو برهن * مخافة أن يلوث بالمداد

فني تحريره أفنيت عمري * وفي تحصيله أنفيت زادي

(ولبعض الادباء من أصحابنا)

اعارة الكتب قد جرت بهلا منى * فكلها نصب يفضي الى محن
فالمطل عمت به البلوى التي انتشرت * فنادر الناس لم يغدر ولم يخن
فصن كتابك عمن جاء يطلبه * فالجود بالكتب عندى ليس بالحسن

(وله أيضا)

اعارة الكتب تفضي * الى الذى ليس يرضى فمنعها اليوم حتم * به الموفق يقضي

و ينبغي أن يحمل هذا حيث خيف عليه شيء مما سلف من الامتهان أو التعريض للتلاف والخسران والا فاعارته من مكارم الاخلاق والاعانة على طاعة الملك الخلاق ولم تزل من قديم الايام سنة معلومة بين الاعلام كما قيل

كتبي لاهل العلم مبذولة * أيديهم مومثل يدى فيها
متى أرادوها بلا منة * عارية فليستعيروها
أعارنا أشياخنا كتبهم * وسنة الاشياخ نحييها

وقد سلكت طريق التفصيل الذى هو الصواب عند أهل التحصيل في قولي

حافظ على الكتب تسمو * لدى ذوى العلم طرا ولا تضعها وصنها * فان فيها افتخارا
واعن بجمع غريب * لها واعل المقرا وان هممت بذخر * أعظم بكتبك ذخرا
وان أردت انتفاعا * تنفعك دنيا وأخرى وان أتاك خليل * يرجوك فيها البقرا
فأولينه مناه * ان كان أهلا وحرا برده في احتفاظ * ولا ينيلك ضرا
لمثل هذا أعرها * تحرز ثوابا وأجرا ومن يكون مضيعا * فذاك بالمنع أحرى

وقد رد على قائل القطعة الاولى حيث لم يكن له في التفصيل يد طولى بعض الكتاب من أدباء الاصحاب كان الله لنا وله وبلغ كلا منا أمله بقوله

اذا ما المستعير أتى حبيبا * فما للكتب في بيتي قرار
فان الكتب بالاثمان تفدى * ولا يفدى الحبيب ولا يعار

ورد عليه بعض من لقيته من أهل العصر من المشارقة رحمه الله تعالى بقوله

ألا يا مالكا كتبا أعرها * فما باعارة الكتب عار
اذا أحببت في الدنيا كتابا * فمحبوب الاحبة قد يزار

وقلت رادا على صاحب القطعة الثانية

انى نذرت لمن أولى الورى نعما * جلت عن العد والتكييف اتقانا
أن أمنح مستعير الكتب حيث أتى * يبغي كتابي وأولينه احسانا

وقال بعض من المشارقة المذكور رادا على صاحب القطعة الثالثة

أعر الخل كتابا * لا يك العذر جوابا لا تقل لا رهن فيه * ليس هذا لك صوابا
فاذا خالفت قولي * أنت ضيعت الصحابا

وقلت رادا على صاحب القطعة الرابعة

لا تمنعن من كتاب أخا * ولا تعل يوما الى حبسه
فغيرة الحر على خله * كغيرة الحر على نفسه

وقلت أيضا راداعلى صاحب القطعة الخامسة

آليت بالله الذي لم تزل * نعمه على الورى باديه
انى لكتبي لا أرى مانعا * ان أتى يطلبها عاريه

وقلت أيضا راداعلى صاحب القطعة السادسة

كتابي ان أتى خل يرجى * اعارته تولى بالمراد
وان حصلته من بعد جهد * فقصدى النفع في يوم المعاد

وقلت أيضا راداعلى صاحب القطعة السابعة

اعارة الكتب قد جزتها زمنى * فكلها منح تفضى الى منن
فالجهل عمت به البلوى التى عظمت * فغالب الناس من لم يدر بالسنن
أنى كتابك من قد جاء يطلبه * فالبخل بالكتب عندى ليس بالحسن

وقلت أيضا راداعليه في القطعة الثامنة

اعارة الكتب تفضى * الى منافع ترضى * فضها اليوم حتم * به الموفق يقضى

وما أحسن قول بعضهم مرغبا في الاعارة مطلقا على طريق التورية سالكا مسلك التفصيل الذى هو الحق بلا مرية

أعر ما كان عندك من متاع * لموثوق به فالمنع عار
ولا تبخل عليه فكل شئ * ظفرت به من الدنيا معار

وما ألطف ما كتب به السراج الوراق لبعض أصحابه يستنجزمنه الوعد باعارة كتاب وفيه تورية

لك في المكارم سنة مألوفة * معروفة الانساب والاسباب
فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تتلو الك تشفع سنة بكتاب

وللعلامة الدماميني يستعير من بعض الرؤساء كتاب صحاح الجوهرى مورّيا

مولاى ان وافيت بابك طالبا * منك الصحاح فليس ذلك ينكر
البحر أنت وهل يلام فتى سعى * للبحر كى يلقى صحاح الجوهر

وللاديب البارع سيدى على مصباح الباصوتى يستعير من بعض أصحابه كتاب الزهر على طريق التورية أيضا

اليك أبا عبد الاله الذى له * قباب علا تسمو على الانجم الزهر
كتبت وقد أيقنت أنك روضة * تجود اذا ما جادها الفكر بالزهر

وكتبت لبعض العلماء الاعلام ممن جمع بين شرفى الانساب والاحساب أستنجزمنه صادق وعده باعارة كتاب

الوعد أوفى الذى وفاه عليالك * والرفد أيسر ما أسديته عنالك
يا فخر أهل العلا هذا محبك من * فرط المحبة جا شوقا لمنوالك
مستنجزا منكم الوعد الذى سمعت * به معالى نداك لاعدمنالك
فاسمح ان قد أتى مستمنحا كتبا * يرى بها الاقتناص العلم أشراكا
لازلت بعدك ربا يستجاربه * للعلم والانس والعليا وجدواك

﴿فروع * الاول﴾ من استعار كتابا من مالك رقبته فلا يمنع من اعارته لغيره لان مدار الاعارة على كون المعير مالك منفعة الشئ المعار ففى المختصر صح وندب اعارة مالك منفعة بلا حجر وان مستعيرا والمبالغة بقوله وان مستعيرا في الصحة لا في الندب اذ يكره للمستعير ثوبا أو كتابا مثلا اعارته لغيره كما في الزرقانى ومحل صحة اعارة العارية ما لم يمنع المالك من اعارتها كما أشار له خليل بقوله بلا حجر أى شرعى كالصبى والعبد أو جعلى من المالك فانه اذا منعه من الاعارة لا يعير فليس مراد خليل بقوله بلا حجر حجر المالك

فقط

فقط ولا فرق فى الحجر الجعلى بين أن يكون صريحا أو بقرينة كقوله لولا أخوتك أو ديانتك أو صداقتك ما أعرتك قاله الزرقانى ﴿قلت﴾ وينبغى أن يكون الحكم كذلك فيما اذا لم يحجر عليه لا تصريحا ولا تلويحا لكن يعلم من حاله أنه لا يرضى ذلك وانظر اذا جهل حاله هل يمنع أو يكره وهو الظاهر بل المتعين والالم يبق للكراهة صورة يحمل عليها قول خليل وان مستعيرا وأما اذا أذن له فى الاعارة تصريحا أو تلويحا فالظاهر الجواز من غير كراهة والله أعلم فقول الناظم صن الامر للوجوب بالنسبة لغير الاعارة ولها حيث حجر عليه المالك تصريحا أو تلويحا وللندب بالنسبة للاعارة حيث لم يحجر عليه وجهل حاله ﴿الثانى﴾ من استعار كتابا وقفا على جميع المستحقين فليس له أن يعيره لأنه مالك الانتفاع فقط كما أجاب بهذا بعض شيوخ الشيخ أحمد الزرقانى وأبو الارشاد عج واليه أشار خليل بقوله مالك انتفاع زاد عج لكن لغيره أن يأخذه منه على أنه مستحق ومن جملة الموقوف عليهم لا على وجه العارية اه أى ويسقط حق الاول منه بمجرد أخذ الثانى ﴿فان قلت﴾ ما الفرق بين المستعير من المالك وبين المستعير من الوقف حتى أجزتم اعارة المستعير فى الاول دون الثانى ﴿فالجواب﴾ أن المستعير من المالك مالك لمنفعة الشئ المعار والمستعير من الوقف مالك للانتفاع دون المنفعة كما أشرت لذلك فى كل من الفرعين ﴿فان قلت﴾ ما الفرق بين مالك المنفعة ومالك الانتفاع ﴿فالجواب﴾ أن مالك الانتفاع تقصد ذاته مع وصفه كامام وخطيب ومدرس وقف على كل بالوصف المذكور وكمستعير منع من أن يعير بخلاف مالك المنفعة فانما يقصد الانتفاع بالذات لا بى منتفع كمستعير لم يمنع من اعارة ﴿الثالث﴾ من وقفت عليه كتب ينتفع بها فليس له اعارتها كما أجاب بذلك عج ونقله العلامة الشيخ عليش فى نوازله وقوله فليس له اعارتها أى ولو من مستحق قام به الوصف الذى فى الموقوف عليه لان المحبس قصد عين هذا الشخص الموقوف عليه وفى المختصر واتبع شرطه ان جاز ولا يجرى فى هذا قول صاحب العمل

وروعى المقصود فى الاحباس ✽ لا اللفظ فى عمل أهل فاس
ومنه كتب حبست تفرق فى ✽ خزانة فأخرجت من موقف

لان ذلك فى المحبس على الوصف وما هنا على الشخص ففتوى عج صحيحة لا اشكال فيها والله تعالى أعلم ﴿الرابع﴾ من استعار كتابا من مالك أو من وقف فلا يودعه غيره لغير ضرورة فان دعت ضرورة كخوف سرقته أو غصبه فلا بأس بذلك ﴿الخامس﴾ قال فى المسائل الملقوطة سئل الشيخ تقى الدين اذا وقف كتابا على عامة المسلمين وشرط أن لا يعار الا برهن فهل يصح هذا الرهن أم لا فأجاب لا يصح هذا الرهن لانها غير مأمونة فى يد موقوف عليه ولا . قال لها عارية أيضا بل الآخذ لها ان كان من أهل الوقف مستحق للانتفاع فيده عليها يد أمانة فشرط أخذ الرهن عليها فاسد ويكون فى يد الخازن للكتب أمانة لان فاسد العقود فى الضمان كصحيحها والرهن أمانة هذا اذا أريد الرهن الشرعى وأما اذا أريد مدلوله لغة وأن يكون تذكرة فيصح الشرط لانه غرض صحيح واذا لم يعلم مراد الواقف فيحتمل أن يقال بالبطلان بالشرط حملا على المعنى الشرعى ويحتمل أن يقال بالصحة حملا على اللغوى وهو الاقرب لصحته اه هذا الفرع الخامس من الحطاب فى الفرع الرابع عند قول خليل فى الوقف واتبع شرطه ان جاز

هو كتاب لولد ابن فرحون سماه المسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة كما قاله الحطاب نفسه فى التنبيه الخامس عند قول خليل فى الشهادة وانما تفترق للدار من غيرها فى الاجنبى الخ اه مؤلفه

(ثم قال) (٥٤) ﴿ولا تقبضنه وباليد غمر ✽ أو وسخ بين الأصابع استقر﴾

لا ناهية وتقبضنه مضارع مجزوم بها مبنى على فتحة الضاد لاتصاله بنون التوكيد الشديدة وفاعل تقبض ضمير مستتر يعود على المخاطب المستعير والهاء مفعول به عائد على الكتاب فى البيت قبله وقوله وباليد الواو للحال وباليد خبر مقدم وغمر مبتدأ مؤخر والمسوغ للابتداء بالنكرة تقدم الخبر وهو جار ومجرور فان التحقيق ان المتقدم دخلا فى التسويغ كما حققه العلامة يس والمحقق الشيخ الامير

ابن كيران فى حاشيتهما على التوضيح والجملة من المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال من الفاعل فى تقبض والرابط بين الجملة الواقعة حالا وبين صاحبها أل فى قوله وباليد لانها نائبة عن الضمير والاصل وبيدك غمر والغمر بفتحتين دسم اللحم وقوله أو وسخ أو عاطفة ووسخ معطوف على غمر وبين الاصابع متعلق باستقر والضمير فى استقر يعود على وسخ والجملة نعت لوسخ وصرح باستقر مع انه كون عام يجب حذفه لاجل الضرورة وقد يقال صرح به لانه بمعنى الثبات وعدم التزلزل على حد ما قيل فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده وفيه بعد هنا فالاولى الاول ﴿والمعنى﴾ لا تقبض الكتاب المستعار وبيدك دسم وادام أو وسخ له تقرر بين أصابعك ولا مفهوم لما بين الاصابع وانما خصه بالذكر لانها محل استقرار الوسخ فى الغالب فالنهى فى كلام الناظم للتحريم لان قبض الكتاب على الصفة المذكورة ذريعة لتلطيخه بما ذكر وفيه من الافساد له وادخال الضرر على صاحبه ما لا يخفى (وللشهاب المنصورى) ملغزا فى الاربعة الاصابع السبابة والوسطى والخنصر والبنصر

وأربعة حال الوقوف تطاولت * قدودهم فالبعض أطول من بعض
ولكن اذا ناموا رأيت قدودهم * سواء ولم يوافى سهاد ولا غمض

(ثم قال الناظم)

(٥٣) ﴿واحفظه من ماء ومن نيران * والفار والسارق والدخان﴾

الواو للعطف واحفظ بفتح الفاء فعل أمر وفاعله ضمير المخاطب والضمير البارز يعود على الكتاب ومن ماء متعلق باحفظ وقد وجدت لبعضهم لغزا فى الماء لكن فيه اختلال فى بعض ألفاظه ومعناه فتصرفت فيه بالاصلاح وهو

وما اسم ثلاثى اذا ما عددته * وبالقصر قل حرف وما ثم مانع
نظير أبان تمكنه وضمه * يرادف قولى اقصد وذلك شائع
وليس له رجل وليس له يد * ولكن له فى السالكين كوارع
يميت ويحيى وهو لا شك ميت * وفيه مضرات وفيه منافع
ويكتم للاسرار لا شك تارة * وتارة أخرى عنده السر ذائع
ولا له فى أرض ملا وفى السما * له نلتقاها ليس فى ذا منازع
وتنظره فى الغرب حينا وربما * يشرق حينا وهو فى الغرب وادع
وليس له رجلان لكن رأيته * على الارض يجرى فوقها وهو يسارع
ويحمل قنطارا وأكثر فوقه * وعنه من حمل الابرة مانع
وليس له لون فينعت لامرئ * ولكن له طعم مضر ونافع
ويطغى كجبار عنيد وتارة * تراه ذليلا فى الورى وهو خاضع
وان جاء محتاجا لمسكن موضعا * فلا بد فيه من غريم ينازع
ويجمعه عشر وعشر وواحد * وعشر اضبط الحاسبين ورابع
ومن عجب قال النحاة بأنه * لعشر معان لفظه هو جامع
وقد قال أهل الطب عنه بأنه * كاحد قوى للعناصر رابع
ويسمع أحيانا وليس بناطق * وكم فى بلاد الله منه مقاطع
أبنه لنا لازلت للبس كاشفا * فانك فرد للفضائل جامع

(ولصاحبه مجيبا عنه)

أجبتك عما قد سألت ملخصا * لعمري وهذا القول كاف وجامع
أما قات ما يخفى وما هو مشكل * وهذا جواب عن سؤالك رافع
لعمري ذا جهد المقل فان تجد * بما قد ترى عيبا لخاطك واسع
بلا نصب في خفض عيش بقيت لي * وقدرك مرفوع وسعدك طالع

(وقول الناظم من نيران) هو جمع نار وهي مؤنثة (ولبعضهم ملغزا فيها)

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يعد لسانا يرعب الناس بأسه * ويقهرهم في الحرب كالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه عاجلا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك حلها * والا فمن عنها وتنبيه لها عمر

(وقوله والسارق والدخان) معطوفة على ماء والمعنى احفظ الكتاب الذي استعرته من كل ما يؤدي لفساده أو تلفه كالماء والدخان والفأر والسارق والنار قال أبو علي اليوسي في القانون ثم اذا وقعت العارية فواجب على المستعير صيانة الكتاب فلا يعرضه لتلف ولا فساد ولا هو ان كأن تكون يده تلوثه أو ترسخه بما فيها أو ينظر فيه حال غلبة النوم فربما سقط من يده أو على المصباح أو سقط عليه المصباح أو يزيته أو يعرضه للندى أو الشمس أو للدخان أو للسارق أو غير ذلك من الآفات كما قيل

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب * فان للكتب آفات تفرقها
اللص يسرقها والفأر يخرقها * والنار تحرقها والماء يغرقها

وأن لا يؤديه للسعي به لظالم يأخذه أو افشاء ما عسى أن يجد فيه مكتوبا من أسرار مالكه أو غيره وبالجملة يجب أن يعمل به ما يفعله لنفسه كما قيل

أيها المستعير مني كتابا * ارض لي فيه ما لنفسك ترضى

ومتى علم من نفسه انه عاجز عن القيام بذلك لم تجز له الاستعارة لان مقدمة الحرام حرام اهـ ومثله عناء في وصيته لاولاده وليحذر كل الحذر من الفأر فانه لا يبقي ولا يذر وليس في الحيوانات أفسد ولا أعظم أذى منه لانه لا يبقي على حقير ولا جليل ولا يأتي على شيء الا أهلكه وأفسده وخصوصا الاوراق والذهب فهو لهما أفسد وأنهب (عجيبة) حكى الفنجديهي شارح المقامات الحريرية بسنده عن أبي محمد الحسن ابن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا أنسخ في السراج وبين يدي قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة فأخذت لوزة فمضت ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذي في القدح فمادت فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلي ساعة فاذا فأرة أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك والفأرة الاخرى تشقشق من داخل القدح فلم تجد حيلة في خلاصها فمضت أختها فأتت بدينار فوضعته ووقفت ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت ولم أرفع القدح ففعلت ذلك الى ان أتت بسبعة دنانير ووقفت ساعة ولم أخل عن الفأرة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت انه لم يبق عندها شيء فخليت عن الفأرة قال الفنجديهي رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات * وقريب من هذه القصة ما رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ضباعة بنت الزبير زوج المقداد بن الاسود قالت ذهب المقداد بن الاسود لحاجة ببقيع الخبخبة وهو بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الباء الاولى اسم موضع بنواحي المدينة فدخل خربة فاذا جرذ يخرج من جحر دينارا دينارا حتى أخرج سبعة عشر دينارا ثم أخرج طرف خرقة خضراء قال المقداد فقمت فمددت طرف الخرقة فوجدت فيها دينارا فكانت ثمانية

عشرة دنانير فذهب بها المقداد فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه أخبره بذلك وقال خذ صدقتها يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أهويت بيدك الى الجحر قال المقداد لا والذي بعثك بالحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك للمقداد خذها بارك الله لك فيها وفي رواية هذا رزق ساقه الله اليك اه (وللشهاب المنصوري ملغزا في الفار)

يا سيدا بالدر من نطقه * حل محل البدر في أفقه
ما قولكم في فاسق مفسد * لم ينهه الشارع من فسقه
يأكل مال الغير غصبا ولا * اثم ولا تحريم في رزقه
وهو على افساده متق * مراقب والخوف من خلقه
ملازم للخمس في قول من * فضله الله على خلقه
فأعمل الفكرة في حله * لتوصل المعنى الى حقه

وسقط على بعض الادباء تراب من جحر فأر في سقف بيته ثم بعده حجر فأنشأ

أيها الفار الذي أرقني * أرسل التراب واياك الحجر
فسقوط الترب عندي هين * وسقوط الصخر أدهى وأمر
لا تلمني ان تزدني انني * أرفع الشكوى لفظ معتبر

(فرع) اختلف في أكل الفأر في مذهبنا على أقوال ثلاثة الاباحة والكراهة والتحريم وعلى الاباحة في الذي لا يصل للنجاسات والكراهة فيما يصل لها اقتصر الزرقاني في شرحه على المختصر في باب الطاهر والنجس عند قول المصنف وبول وعذرة من مباح وعند قوله ومحرم ومكروه وفي باب المباح أيضا عند قوله وخلد وتعقب عليه العلامة البناني في المواضع الثلاثة بأن المشهور من الاقوال كما في التوضيح والحطاب هو المنع لكن انتصر الشيخ زروق في باب الطاهر والنجس عند قول المصنف ومحرم ومكروه للعلامة الزرقاني بان القول بالكراهة مشهور أيضا فتحصل ان المنع والكراهة قولان مشهوران والقول بالاباحة لا يقوى قوتهما وقال الامام الدميري في حياة الحيوان يحرم أكل الفأر بجميع أنواعه اه وهو مذهب شافعي والله أعلم ولا يخفى ان أكل النجاسة لا يؤثر في التحريم ولا في الكراهة (ذكر) ابن قتيبة أن رؤبة بن العجاج الشاعر المشهور الراجز كان يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكل العذرة وهل يأكل الفأر الا نقي البر ولباب الطعام اه فالحاصل ان العادة في هذا الباب لها أثر عظيم ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم في الضب الذي وقع الاجماع على جواز أكله لم يكن ٢ بأرض قومي فأجدني أعافه (فائدة) الفأر أمة ممسوخة لقوله صلى الله عليه وسلم فقدت أمة من بني اسرائيل لا أدري ما فعلت ولا أراها الا الفار ألا ترونها اذا وضع لها ألبان الابل لم تشربها واذا وضع لها ألبان غيرها شربتها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وهذا على ان الممسوخ يعيش ويعقب وهو قول الزجاج وابن العربي وغيرهما واحتجوا بحديث مسلم المار وبحديثه أيضا عن أبي سعيد وجابر قالا ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بضب فأبى أن يأكله وقال لا أدري لعله من القرون ٣ التي مسخت والجمهور ان الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب لقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يهلك قوما أو يعاقب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل هذا أخرجه مسلم في كتاب القدر وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب والجواب عن حديثي الضب والفار بأن ذلك قبل أن يوحى اليه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يجعل للممسوخ نسلا هذا ملخص هذا البحث

٢ استشكل بوجود الضب في أرض الحجاز وكثرته فيها حتى شهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة وأجيب بان المعنى لم يكن بأرض قومي مأكولا اه مؤلفه

٣ قوله من القرون هو جمع قرن ومن معانيه كما في القاموس الامة التي هلكت ولم يبق منها أحد وهذا هو المراد هنا اه مؤلفه

من الدميري والله أعلم ﴿فرع﴾ لو تلف الكتاب من يد المستعير أو وقع فيه ما ينقص قيمته بشيء مما ذكر فان كان ذلك بسببه بان عرضه له وجب عليه غرم قيمته في التلف لانه مما يغاب عليه وأداء ما نقص من قيمته فيما دونه ويحلف في التلف انه ضاع لأنه يتهم على أخذه بقيمته من غير رضى صاحبه والقيمة المعتبرة انما تعتبر يوم انقضاء أجل العارية على ما ينقصه الاستعمال المأذون فيه فان اختلفا في القيمة فالقول للمستعير مع يمينه ما لم يأت بما لا يشبه قاله اللخمي وان لم يكن ذلك بسببه وصدقه رب الكتاب أو قامت بينة على عدم تعريضه لذلك فلا ضمان عليه لا في التلف ولا في التغيير فان لم يصدقه ربه ولم تقم له بينة على ذلك حلف انه ما فرط وبرئ فان نكل غرم بنكوله ولا تنقلب هذه اليمين لانها يمين تهمة ولو اشترط المستعير على المعير أنه لا يضمن ان ضاعت العارية أو حصل فيها آفة فهل هذا الشرط يلزم المعير لانه معروف من وجهين العارية معروف واسقاط الضمان معروف آخر ولان المؤمن عند شرطه أولا يلزمه لانه من اسقاط الحق قبل وجوبه ولانه يؤدي الى زيادة تهمة المستعير في ذلك تردد هذا حاصل ما في المختصر وشروحه وهو جار في كل عارية كتابا كانت أو غيره (ثم قال)

(٥٤) ﴿وعند طرحك له يا مستعير * ضعه على وقاية فوق الحصير﴾

الواو للعطف وعند ظرف زمان معمول لقوله ضعه وهو مثلث العين مع سكون النون وتفتح النون مع فتح العين وتكون لمعان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندي زيد وبمعنى الملك كقولك عندي مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندي أفضل من عمرو أي في حكمي وبمعنى الفضل والاحسان كقوله تعالى فان أتممت عشرا فمن عندك ولا تجر الا بمن قال الحريري في درة الغواص ويقولون ذهبت الى عنده فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليها من أدوات الجر الا من وحدها اهـ وطرحك مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير المخاطب واللام في له مقوية للعامل وهو طرح لانه ضعيف بنيابته عن الفعل في العمل على حد قوله تعالى فعال لما يريد والضمير المجرور باللام يعود على الكتاب وقوله يا مستعير حرف نداء ومنادى وقوله ضعه فعل أمر والضمير البارز يعود على الكتاب أيضا وعلى وقاية متعلق بالفعل وفوق الحصير متعلق بمحذوف صفة لوقاية والجملة من قوله ضعه عند طرحك له على وقاية الخ معطوفة على قوله في البيت قبله واحفظه الخ ﴿والمعنى﴾ اذا أردت أيها الطالب أن تضع الكتاب المعار من يدك فلا تضعه بالارض لان فيه اهانة له بل بالغ في تعظيمه ورفعه من الارض واجعله على وقاية كائنة فوق الحصير والوقاية ما يقي كلبدة أو وسادة أو نحو ذلك والمراد بالغ في حفظه ورفعه من الارض بان تجعله على وقاية فوق الحصير أو على مرتفع أو في خزانة مثلا فليس ما ذكر من الوقاية والحصير شرطا مقصودا لذاته وظاهر قوله ضعه الخ ان ذلك واجب ووضعه على الارض حرام وهو ظاهر كلام غيره أيضا وصرح به جماعة قال أبو علي اليوسي في القانون واجب على المستعير أن لا يعرض الكتاب لهوان كان يضعه على الارض اهـ وقال ابن حجر الهيتمي في فتاويه واذا وضعها أي الكتب بمكان فليجعل بينها وبين الارض حائلا وراعى الادب في وضعها باعتبار شرفها وجلالة مصنفها فيضع الاشرف أعلاها والمصحف أعلا الكل وتعليقه بمسمار في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس أولى ثم كتب الحديث الصحيح الصرف كصحيح مسلم أي لكن ينبغي تقديم البخاري عليه لانه مع كونه أصح أكثر قرآنا وسيأتي ان الاكثر قرآنا من المستويين في علم يقدم ثم تفسير القرآن ثم شرح الحديث فأصول الدين فأصول الفقه فالفقه فالنحو فالصرف وعلوم المعاني والبيان والبديع ونحوها وأشعار العرب فالعروض وعند استواء كتابين في فن يعلى الاكثر قرآنا فحديثا فجلالة المصنف فأكثرهما وقوعا في أيدي العلماء والصالحين فأصحهما والاولى في وضع الكتاب أن يكون أوله المفتتح بنحو البسملة الى فوق اهـ وبعضهم عنف في وضع الكتب على الارض

فقد سئل أبو العباس على التالوتى أخو الشيخ السنوسى لامه كما فى المواهب القدوسية فى المناقب السنوسية واختصارها عن وضع الكتب على الارض هل يجوز فقال حكى شيخنا الحسن أبركان فيه قوا بين لمتأخرى البجائيين والتونسيين بجواز وعدمه اه وقد سئل عن ذلك أيضا الامام سيدى أحمد بن ناصر نفعنا الله به فأجاب كما فى أجوبته بقوله وأما وضع الكتب على الارض فلا بأس به مالم تكن نجسة اه ﴿قلت﴾ وهذا هو الظاهر حيث لم يقصد بوضعها فى الارض اهانتها وقد يقال وضعها بالارض مظنة لذلك فنع سدا للذريعة والله أعلم وقد يستروح الجواز من قوله تعالى فى حق موسى عليه السلام وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه لان القاعدة ان شرع من قبلنا شرع لنا حتى يرد ناسخ (ثم قال)

(٥٥) ﴿والكتب لا تجعل وسادة ولا * مستندا أو تحت رجل واحظلا﴾

الواو عاطفة والكتب بسكون التاء للتخفيف جمع كتاب وهو مفعول مقدم بتجعل ولا ناهية وتجعل مضارع مجزوم بها ووسادة مفعول به وهى مثلثة الواو كما فى القاموس وقوله ولا مستندا الواو عاطفة ولا مؤكدة للنفى ومستندا بصيغة اسم المفعول معطوف على وسادة وقوله أو تحت رجل أو عاطفة وتحت ظرف مكان معطوف على المفعول الثانى ورجل مضاف اليه الظرف وجملة لا تجعل الكتب الخ معطوفة على قوله ضعه فى البيت قبله وقوله واحظلا فعل أمر من حظل كقتل أى منع والفه مبدلة من نون التوكيد الخفيفة وهو تتميم بالمعنى المعروف عند علماء البديع لان النهى فى قوله لا تجعل لما كان يحتمل المنع والكراهة بين المراد بقوله واحظلا ومفعوله محذوف أى احظلن ما ذكر من جعله وسادة أو مستندا أو تحت رجل ﴿والمعنى﴾ يحرم عليك أيها الطالب أن تجعل الكتاب مخدة للنوم أو تتكأ أو تحت رجلك لما فى ذلك من الاستهانة به ثم ان المنع من جعله وسادة مالم يخف عليه والا جاز قال ابن حجر الهيتمى فى فتاويه ويحرم جعله أى الكتاب مخدة الا عند الخوف عليه وظاهر ان مثله جعله متكأ أو مستندا لامر وحاجة الا امتهان فيه بالنسبة لما قبله ويحرم توسد المصحف ولو خاف سرقته بخلاف مالو خاف عليه نجسا أو كافرا فيجوز توسده بل يجب اه ﴿قلت﴾ وفى الحديث لا توسدوا المصحف وقال أبو على اليوسى فى القانون لا ينبغى أن يوضع على الكتب شئ من غير الكتب أو ما هو وقاية لها ولا أن تتوسد وقد حكى أن رجلا بات متوسدا رسالة الشيخ ابن أبى زيد فأصبح أعمى وقد أفتى فى الاوراق المكتوبة أن لا تكون صوانا لشئ احتراما لها اه وقال فى محل آخر منه من المهمات تعظيم الكتب واحترامها فلا يضعها على الارض ولا عند رجليه أو تحت رأسه والكتب كلها مشتركة فى هذا المعنى وان كانت تتفاوت فى شدة الاعتناء ببعضها أكثر من بعض وان الكتاب لو فرض أن يكون ما فيه غير حق فقد ثبت الحرمة للورق والحروف اه وقال سيدى ابن عباد فى رسائله الكبرى بعد كلام ما نصه فعلى هذا ليس من الادب أن يفعل ما اعتاد الناس من جعل ورق مكتوب فيه الاسماء وعاء لغيره ولا يجمع فيه كراريس مخيطة أو غير مخيطة ولا يعمد الى كتاب من الكتب فيجعل وسادة الرأس أو يكون منزلا فى موضع فيجعل عليه شئ من متاع البيت وقس على هذا ما أشبهه مما يكون الكتاب آلة ووسيلة اه ﴿تنبيهات * الاول﴾ مثل وضع الكتاب تحت الرجل فى المنع مد الرجل اليه على ما قاله الزركشى ونصه ويحرم مد الرجل الى شئ من القرآن أو كتب العلم اه وتعقبه المحقق ابن حجر الهيتمى فى فتاويه بان الاوجه عدم الحرمة اذا لم يقصد بذلك ما ينافى تعظيمه اه ﴿قلت﴾ وقد يقال ان مد الرجل اليه مظنة عدم التعظيم فنع سدا للذريعة والله أعلم ﴿الثانى﴾ لا ينبغى جعل الدواة فوق الكتاب ويكتب منها كما لا ينبغى جعل الورق فوق الكتاب ليتمكن من كتابته فان ذلك من اهانة الكتب وذلك فى المصحف آكد قاله الامام سيدى أحمد بن ناصر رضى الله عنه فى أجوبته ﴿الثالث﴾ يكره تقبيل المصحف والخبز كما قاله الزرقانى فى شرح

ذكره فى القاموس فى مادة وسد اه مؤلفه

المختصر عند قول خليل في باب الحج والمزحمة اس يد ثم عود ﴿فوائت﴾ وأحرى غير المصحف من الكتب فقول الزركشي ونقله ابن حجر في فتاويه يسن تقبيل المصحف هو مذهب الشافعية لانهم مامنهم والله أعلم

(ثم قال)

(٥٦) ﴿لا تجعل البصاق في أناملك * لتقلب الأوراق في تناولك﴾

لا ناهية وتجعل مضارع مجزوم بها والبصاق مفعول به وفي أناملك متعلق بتجعل والانامل جمع أنملة وهي رأس الاصبع وفيها لغات تسع كالاصبع بزيادة لغة عاشرة فيه جمع ذلك كله بعضهم في قوله

وهمز أنملة ثلث وثالثه * والتسع في أصبع واختم بأصبوع

أي بضم الهمزة للقاعدة وهي

وكل ما أتى على أفعول * فضمه أصل من الاصول

وقوله لتقلب الاوراق اللام للتعليل متعلقة بتجعل وتقلب مضارع منصوب بان مضمرة بعدها والفاعل ضمير المخاطب مستتر والاوراق جمع ورق مفعوله وفي تناولك متعلق بتقلب ﴿والمعنى﴾ لا تجعل أيها الطالب في أناملك البصاق ليسهل عليك بسببه قلب الاوراق أي لان ذلك مؤذ للاستهانة بالكتاب لان البصاق وان كان طاهرا فهو مستقذر بلا ارتياب وقد شدد ابن العربي النكير على من يلطخ أوراق المصحف وكتب العلم بالبزاق ليسهل قلبها وجعل ذلك من الجهل المؤدي للكفر ومراده بذلك المبالغة في الزجر لا الحقيقة قال العلامة البناني على قول خليل مشبها فيما يوجب الردة كالقاء مصحف بقذر وهو ظاهر اذا لم يفعل ذلك للضرورة أما اذا بل أصابعه لقصد قلب أوراقه فهو وان كان محرما لا ينبغي أن يتجاسر على القول بكفره وردته لانه لم يقصد التحقير الذي هو موجب الكفر في هذه الامور اه وقال الشيخ الامام سيدي أحمد بن ناصر نفعنا الله به كما في أجوبته بعد ما حذر من قلب الاوراق بالبصاق ومهما أراد شيأ من ذلك فليبله بالماء المطلق اه فالنهي في كلام الناظم للتحريم وقد اغتفر الشافعية قلب الاوراق بالبصاق كما قاله شيخنا أبو عبد الله جنون في الاختصار عند قول خليل في باب قضاء الحاجة ومكتوب ﴿تنبيهان * الاول﴾ جميع ما تقدم من أول الباب الى هنا يجري في الكتاب المملوك للانسان نفسه أو الموقوف ولا يختص بالمعار كما لا يخفى على ذي استشعار قال أبو علي اليوسي في القانون بعد أن ذكر ما يلزم المستعير من التحفظ على الكتاب المعار وكل هذا مطلوب منه في كتب نفسه وكتب الاحباس فان حفظ المال واجب وتضييعه حرام والكتب اذا ضيعت كان فيها تضييع المال وتضييع العلم اه ﴿الثاني﴾ ينبغي الحرص على تحصيل الكتاب بالملك ولا يستعار حتى يعجز عن تملكه كما قاله الفاكهاني في آداب المتعلم والمعلم من طالعة شرحه للرسالة وأبو علي اليوسي في القانون وغيرهما ولله در القاضي عبد الوهاب اذ قال

سأجعل فضل ثوبي في كتابي * وألتزم التقشف في ثيابي

لعمري ان درسا في كتاب * ألذ من المطاعم والشراب

ومن فرش الحرير ولبس خز * وأشهى من ملاعبة الكعاب

ومن زهر الرياض اذا تناهى * وسال عليه تسكاب السحاب

﴿ولآخر﴾

أبت نفسي الدنيا فأنفس مالها * كتاب أبت الا اليه سكونها

وقال ابن المعتز انفاق الفضة على كتب الآداب يخلفك عليه ذهب الالباب اه ... وكتب الفقيه هي عدته بها أنسه ولذته تغنيه عن الانيس وتنعل فيه فعل الخندريس ولله در من قال

ولكل صاحب لذة نزه * أبدا ونزهة عالم كتبه

(وقال ابن عربي قدس سره في مسامراته) دخلت على بعض مشايخي وقد جلس في حضيرة من كتبه وقال اذا أردت محادثة الحق أخذت المصحف فلا أزال أناجيه ويناجيني واذا أردت محادثة الرسول صلى الله عليه وسلم أخذت كتاب حديث وكذلك كل من أردت مناجاته من الاولين والآخرين ثم اني أجالس من لا يتبرم بمجالسي ولا ينقل حديثي ثم أنشدني لبعضهم

لنا جلساء لا نمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم * معينا على نفي الهموم مؤيدا
يفيدوننا من عندهم علم من مضى * وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فلا ريبة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فان قلت أموات فلست بكاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا اهـ

وفي معنى كلام ابن عربي قول بعضهم

اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤنس لي دفتري
فلم أخل من شاعر محسن * ومن مضحك طيب منذر
وكم حكم بين أثنائها * فوائد للناظر المفكر
فان ضاق صدري بأسراره * وأودعته السر لم يظهر
فلست أرى مؤثرا ما حييت * عليه نديما الى المحشر

(وقولي غفر الله لي)

اذا ما خلوت بكتبي * فحسبي من الخلق حسبي
تسوق لعقلي نشاطا * وتعرف أسباب كربي
وأخلو بها عن مريب * يصوغ مساوي كذب
وأسلو بها عن هموم * يهيج انثيالها بقلبي
وتغني عن المطربين * وتطرد أشجان صب
وتؤنس من وحشتي * ويصفو بها ما لي
فدعني من الخلق طرا * اذا ما خلوت بكتبي

(وقال ابن المعتز) الكتب بساتين العقلاء وقال أيضا الكتب أصداف الحكم والكلام في مدح الكتب وفضلها كثير عقد ابن عربي في أول مسامراته فصلا (ثم قال)

---

(٥٧) ﴿وَإِنْ يَكُنْ لِلنَّسْخِ مِنْهُ أَخَذَا * فَضَعْ عَلَى عُودٍ لِذَاكَ اتَّخَذَا﴾

أخذ رحمه الله يتكلم على آداب الناسخة فالواو للاستئناف وان حرف شرط وأخذ فعل الشرط في محل جزم وألفه للاطلاق والضمير في أخذ نائب عن الفاعل يعود على الكتاب المعار وقوله فضع الفاء رابطة للجواب بالشرط وضع فعل أمر وفاعله مستتر فيه تقديره أنت ومفعوله محذوف أي الكتاب الذي أخذ للنسخ واتخذ فعل ماض وفيه ضمير نائب عن الفاعل يعود على عود ولذاك متعلق باتخذ والاشارة عائدة على الوضع المأخوذ من ضع ﴿والمعنى﴾ وان تكن استعرت الكتاب من مالكه لاجل أن تنسخ منه فضعه وقت النسخ منه على عود متخذ لوضع الكتاب عليه والمراد بالعود محمل من خشب يتخذه الناسخ يطوى كالمقص يوضع الكتاب فيه ليرفع من الارض ويسند جانباه على لوحتي المرفع المعلينك لا ينفتح فتحا فاحشا (ولظافر الحداد على لسان هذا المحمل)

انظر بعينك في بديع صنائعي * وعجيب تركيبي وحكمة صانعي
فكأنني كفا محب شبكت * يوم الفراق أصابعا بأصابع

(ولآخر فيه حيث حمل عليه المصحف)

حملت على ضعفي الذي كلماته * لهيبتها تصدع الجبل الراسي
تداخل مني البعض في البعض هيبة * لأن كتاب الله أضحى على راسي

(ولآخر ملغزا فيه)

حامل للعلوم غير فقيه * ليس يخشى أمرا ولا يتقيه
يحمل العلم فاتحا قدميه * فإذا انضم فلا علم فيه

فإن لم يتيسر هذا العود الخاص فليجعل على أي مرتفع كمخدة أو غيرها قال أبو علي اليوسي في القانون إذا اشتغل بالنسخ فليستعمل الآداب في ذلك وهي أن يضع الكتاب المنسوخ منه على مرفع ونحوه لا على الارض اه وفي فتاوى ابن حجر وإذا نسخ منه أو طالع فيه فلا يضعه في الارض مفروشا منشورا بل يجعله بين شيئين أو على كرسي لئلا ينقطع حبكه اه وفي قول الناظم * وإن يكن للنسخ منه أخذا * إشعار بأن المستعير لا ينسخ من الكتاب المعار إلا بإذن مالكه وهو كذلك ففي فتاوى ابن حجر ولا ينسخ منه إلا بإذن صاحبه إذ مطلق الاستعارة لا تتناول النسخ إلا إذا قال له المالك انتفع به كيف شئت ولا بأس بالنسخ من موقوف على من ينتفع به غير مرهون ولا بإصلاحه ممن هو أهل لذلك وحسن أن يستأذن ناظره اه (قلت) وهو ظاهر جدا وقوله على من ينتفع به أي إذا قال الواقف وقفته على من ينتفع به أما إذا قال على من يقرأ فيه مثلا وقامت قرينة على إخراج النسخ منه عمل عليها وأحرى أن صرح بذلك (تنبيه) لا ينبغي نسخ الكتاب إلا لتعذر تملكه بالشراء كما مر نظيره في العارية كما لا ينبغي الولوع بالمناسخة فإنها تاوي وتعوق عن تحصيل العلم فلا يحصل صاحبها على طائل كما في القانون (ثم قال)

(٥٨) (وإياك من تلويثه بكالمداد * أو غيره من كل ما يولي الفساد)

إياك في محل نصب مفعول بفعل محذوف وجوبا تقديره باعد فهو تحذير ومن تلويثه أي تلطيخه متعلق بالفعل المحذوف والاصل باعد نفسك من تلويثه الخ ثم حذف باعد وفاعله المستتر فصار نفسك من تلويثه ثم حذف المضاف وهو نفس فانفصل الضمير وانتصب لاقامته مقام المضاف المنصوب والضمير المضاف اليه تلويث يعود على الكتاب المنتسخ منه وقوله بكالمداد متعلق بتلويث والكاف حرف زائد وقوله أو غيره معطوف على المداد والضمير المضاف اليه غير يعود على المداد ومن كل متعلق بمحذوف نعت لغير أي أو غيره الكائن من كل وما موصولة مضاف اليها كل ويولي صلتها والضمير المستتر في يولي يعود على ما وهو الرابط بين الصلة والموصول والفساد مفعول يولي ولم نجعل الكاف في قوله بكالمداد اسما بمعنى مثل لئلا يتكرر مع قوله أو غيره لأن الغير حينئذ يدخل تحت الكاف (والمعنى) احذر أيها المستعير من تلطيخ الكتاب بالمداد عند نسخك منه أو تلطيخه بغير المداد من كل ما يكسبه فسادا كالادام ومن ذلك قبضه باليد وهي مبتلة بالماء أو بالعرق ونحو ذلك في أوان الصيف فينبغي أن يقبض نحو خرقة لئلا يدنسه من العرق وكثير من الطلبة لا يتحفظ من هذا ويحتمل أن يكون قوله أو غيره معطوفا على تلويث وعليه يعود الضمير المضاف اليه غير وتكون الكاف اسما بمعنى مثل فيصير المعنى إياك من تلويث الكتاب بالمداد أو شبهه كالادام مثلا وإياك من غير التلويث من كل ما يولي الفساد كجعل قلم أو عود خلال أوراقه بقصد تعليمه أو طي ورقة منه أو طرفها لذلك وليعلم بنحو رقعة وهذا الاحتمال الثاني أولى لعمومه وبذكر التلويث بالمداد تذكرت قول ابن سهل

كأن الخال في وجنات موسى * سواد العتب في نور الوداد
وخط بخده للحسن واو * ونقط خده بعض المداد
لواحظه محبرة ولكن * بها اهتدت الشجون الى الفؤاد

(ومن اللطائف) أن سلمة بن أحمد كان يكتب من محبرة في يد غلام مليح فسقطت من يده وتلوثت ثياب سلمة بالمداد فخجل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا * تأثير لحظك في فؤادي أكبر

وفي معناه قول الاديب البارع سيدي علي مصباح صاحب كتاب سنا المهتدي الى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي ومن خطه نقلت في ديوانه

رعاك الله من ظبي غرير * يطيب بوصله عيشي وأنسي
خجلت وقد أرقت لنا دواة * ولم تخجل غداة أرقت نفسي

ونظر جعفر بن محمد فتى تلطخت ثيابه بالمداد وهو يسترها فقال له

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

(ولآخر من معناه)

مداد الفقيه على ثوبه * أعز علينا من الغالية

ورأى عبد الله بن سليمان في ثوبه صفرة زعفران فطلاها بالحبر وقال المداد أحسن بنا من الزعفران وأنشد

انما الزعفران عطر العذارى * ومداد الدوي عطر الرجال

(وقال أبو العيناء) كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فنقطت من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه فتعجبت فقال لا تعجب المال فرع والقلم أصل والاصل أحوج الى المراعاة من الفرع وبهذا السواد جاءت هذه الثياب ثم أطرق قليلا وقال

اذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود الى العيان
ووشاه فنمنمه جواد * فصيح في المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات * تجلى بينها صور المعاني

(وقيل) من مروءة الرجل أن يرى على ثوبه أثر المداد (ثم قال)

(٥٦) ﴿ثم لا تفتحنه فتحا فاحشا * ورده لربه متى يشا﴾

ثم لا عطف مع الترتيب للاذكار والتاء اللاحقة لها للتأنيث كما مر ولا ناهية وتفتح مضارع مجزوم بها والهاء مفعول به تعود على الكتاب وفتحا مفعول مطلق منصوب بالفعل وفاحشا أي كثيرا نعت له فهو مصدر مبين للنوع وجملة لا تفتحه الخ معطوفة على معنى البيت قبله والتقدير لا تلوثه بالمداد ولا تفتحه وقوله ورده فعل أمر ومفعوله وهو عائد على الكتاب أيضا والجملة معطوفة على لا تفتحه ولربه أي مالكه متعلق برد وضمير ربه يعود على الكتاب أيضا ومتى ظرف زمان معمول لقوله رد والظرف مضاف الى جملة يشا ويشا مضارع مرفوع بضمة مقدرة في الالف على الاظهر فيما كانت حركة اعرابه ظاهرة على حرف حذف للضرورة كما حققه العلامة ابن عبد السلام الفاسي في شرح لامية الافعال ويحتمل أن يكون مرفوعا بضمة ظاهرة على الهمزة المحذوفة للضرورة ﴿والمعنى﴾ لا تفتح أيها الطالب الكتاب المعار فتحا كثيرا أي لان ذلك يؤدي لاختلاله وتفرق أوراقه وانقطاع حبكه واذا طلبه منك ربه المعير له فرده له ولا تتقاعد عليه وفي القانون من كلام فواجب على المستعير صيانة الكتاب فلا يعرضه لتلف ولا فساد

ولا هو ان كان ينفعه فتعاوا احشاؤا ولا يؤذى صاحبه بالتلوى عليه حين يريده اه وفى فتاوى ابن حجر ولبردّ الكتاب بعد فراغ حاجته أو عند طلب مالكه اه وقال القرطبي فى تفسير سورة آل عمران من الغلول منع الكتب من أهلها وكذلك غيرها انتهى الحطاب أول العارية وذكره بلفظ فائدة قال الشبرخيتى عن سيدى أحمد بابا ومن عنده امساكها عن صاحبها بعد استعارتها منه وهو واضح ويبعد أن يريد منع اعارتها لمن هو أهلى للنظر فيها لانه ليس بغلول فتأمله اه ونقله العلامة الشيخ التاودى ابن سودة رحمه الله مختصرا وقال عقبه عن بعضهم بل المراد أن يبطئ بها اه وقال الفاكهانى فان استعار لم يبطئ به لئلا يفوت الانتفاع على صاحبه ولئلا يكسل عن تحصيل الفائدة منه ولئلا يمتنع أى صاحبه من اعارة غيره * وقد جاء فى ذم الابطاء بالكتب المستعارة عن السلف أشياء كثيرة نظما ونثرا (منها) عن الزهرى اياك وغلول الكتب وهو حبسها عن أصحابها اه وقال بعضهم اذا أعارك أخوك كتابا لتنسخه فلا تعذبه بالمطل ولتحرص على المبادرة الى نسخه لتردّه عليه اه (ولبعضهم)

اذا استعرت كتابى وانتفعت به * فاحذر وقيت الردى من أن تغيره

واردده لى سالما انى شغفت به * لولا مخافة كتم العلم لم تره

﴿فرع﴾ فلو امتنع المستعير من ردّ الكتاب وقال حتى أستوفى منه غرضى فان كانت العارية وقعت بأجل فالى انتهائه والا فالمعتاد خليل ولزمت المقيدة بعمل أو أجل لانقضائه والا فالمعتاد اه ﴿قلت﴾ وينبغى أن يكون المعتاد فى الكتب ما روى عن عياض رحمه الله أنه كان اذا أعار كتابا لاحد عدّ أوراقه وطلبه منه بعد مضى أيام بعدة ورقه فلكل ورقة يوم لان فى ذلك توفية بالغرض المقصود منه سواء قصد لقراءته أو النسخ منه ﴿مسئلة﴾ من المعيار وسياقه أن المسئول سيدى عبد الله العبدوسى ما نصه وسئل عن رجل استعار من رجل كتابا وبقى عنده مدة ثم ان رب الكتاب طلب كتابه فادّعى الرجل انه خرج من يده بالبيع على وجه التعدى ولم يصدقه ربه فى ذلك واتهمه فى حبسه وقد فعل مثل هذا مع أناس جملة استعار منهم كتبا وادّعى ضياعها وحلفوه على ذلك فهل سيدى نعله هذا مع هذا الرجل ومع من قبله يدل على خيانته وان الكتب لم تبع وانما يريد امساكها فيلزمه الحبس والضرب ان رآه القاضى حتى يستبرأ أمره أم لا يلزمه الا اليمين والغرم ولو اعتيد منه هذا الفعل وقد قال له بعض الناس الادب يلزمه على مثل هذا حتى يرد الكتاب الى أربابه فقال له الرجل المذكور لا يقول هذا مسلم فهل سيدى يلزمه شئ على قوله لا يقول هذا مسلم أم لا وهل يلزمه شئ أيضا على اقراره بالتعدى على أموال الناس بينوا لنا ذلك مأجورين مشكورين ﴿فأجاب﴾ أما ان ثبت تعديه على أموال الناس بالبيع بما بينة لا مطعن فيها أو باقرار منه فيلزمه الادب الوجيع على ما يؤديه اجتهاد القاضى ويشدد عليه فى استخراج ما غاب عليه مما استعاره بالتهديد بالضرب أو السجن على قدر قوة التهمة أو ضعفها فان أصر على دعواه استحلف انه خرج من يده بالبيع فان حلف خير ربه بين امضاء بيعه وأخذ ثمنه أو اغرامه القيمة وترك الثمن وان لم يثبت عليه تعديه وانما زعم أنه ضاع له فلا يؤدب بل يستحلف ويغرم قيمته لانه لا يعاقب عليه وأما قوله لمن قال له لا يقول هذا مسلم فان كان قاله فى أمر يجب عليه فيه الادب فانه يزاد فى أدبه لتبديله الشرع ولحق المقول له ذلك والادب فيه على قدر القول والمقول له ذلك وان قاله فى أمر لا يجب عليه فيه أدب كان أدبه أخف أو يتجافى عن أدبه والمفهوم من مقاصد الناس فى هذه المقالة المبالغة فى التجهيل والتجرى على الدين لا الحقيقة وبالله سبحانه التوفيق انتهى والله أعلم (ثم قال)

(٦٥) ﴿وَجَوِّدِ المِدَادَ ان نَسَخْتَا * وَحَسِّنِ الحُرُوفَ مَا اسْتَطَعْتَا﴾

الواو للعطف وجوّد فعل أمر والمداد مفعوله والجملة معطوفة على قوله فضع على عود لان هذا من الآداب

أيضا ويحتمل عطفه على لا تفتحه بالبيت قبله وقوله ان نسختا ان حرف شرط ونسخت فعله والتاء ضمير الفاعل والالف للاطلاق وجواب ان محذوف لدلالة ما تقدم عليه وقوله وحسن الحروف جملة من فعل وفاعل ومفعول معطوفة على الجملة قبلها او ما حرف مصدري واستطعت أى قدرت فعل وفاعل والالف أيضا للاطلاق (والمعنى) ان نسخت أيها الطالب فجود المداد وحسن الحروف قدر الاستطاعة ومن تجويد المداد كونه طاهرا وتحرم الكتابة بالحبر المتنجس لان كتب العلم لا تخلو من اسم الله تعالى أو اسم نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام (قال البرزلي) الصواب غسل أوراق مصحف كتبت بدواة وتبين بعد الفراغ انه كان بها فأرة ميتة منذ بدئ به حيث أمكن ذلك مثل أن يكون في رق والمداد لا يثبت وان لم يمكن فيحتمل أن يدفن أو يحرق كما فعله عثمان أى بمصاحف مخالفة لرسمه لا لانها كتبت بدواة متنجسة كما قد يتوهم (وقال بعضهم) انه ينتفع به كذلك كما أجيز لبس الثوب المتنجس في غير الصلاة وذكر الله طاهر لم يدركه شئ من الواقعات فان لم يتيقن ان الفأرة فيه من الابتداء حمل على الطهارة قاله الحطاب ونقله الزرقاني وقوله وقال بعضهم الخ تعقبه الشيخ الرهوني رحمه الله تعالى بان هذا البعض هو البرزلي نفسه لا غيره ومع ذلك فانما ذكره احتمالا في الحكم وهو غير صحيح لانهم نصوا على أن من رأى شيأ من القرآن في قذر وتركه يكون مرتدا فاذا لم ينته الامر هنا الى الردة فلا أقل من التحريم (قال) واعتراض الرهوني صحيح ففي نوازل الطهارة من المعيار ما نصه وسئل بعض فقهاء الشورى عمن كتب مصحفا فلما فرغ منه وجد في الدواة التي كتب منها فأرة ميتة فأجاب ان كان يتيقن ان الفأرة كانت في الاناء مذ بدأ في الكتاب فالواجب عندي أن لا يقرأ فيه ويحفر صاحبه في الارض ويدفنه فيها وان كان لا يتيقن ذلك فليحمله على الطهارة اه فلم يعرج على القول بالانتفاع به كذلك ولا يخفى ان هذا يجري في غير المصحف لما تقدم من أن كتب العلم لا تخلو من اسم الله تعالى أو اسم النبي من أنبيائه ولهما من الحرمة ما للقرآن فقد ذكر الزرقاني وغيره من شراح المختصر عند قول خليل في الردة أو القاء مصحف بقذر ان مثل المصحف أسماء الله تعالى وأسماء الانبياء لحرمتها (ومن تجويد المداد أيضا) كونه شديد السواد قال بعض الكتاب عطروا دفاتركم بجيد الحبر فان الكتب غوان والحبر غوال وقال بعض الكتاب أيضا في مدح رائحة الحبر

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الأسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو بأسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

(ومن تجويده أيضا) أن لا يكون يخرق الورق ففي المدخل ويتعين عليه أى على الناسخ أن لا ينسخ بالحبر الذي يخرق الورق فان فيه اضاعة المال واضاعة العلم المكتوب فيه سيما ان كانت نسخة الكتاب الذي كتبه معدومة أو عز وجودها ويلحق بذلك النسخ بالحبر الذي يمحى من الورق سريعا وأما النسخ بالمداد الذي تسود به الورقة وتختلط الحروف بعضها ببعض وهذا مشاهد مرئي فلا شك في منعه اه وكما يطلب تجويد المداد يطلب تجويد الورق بكونه طاهرا جيدا رطبا صقيلا كما في القانون وغيره فان حسن الورق هو ربع حسن الكتابة كما قيل

ربع الكتابة في سواد مدادها * والربع منها صنعة الكتاب
والربع في قلم تسوي بريه * وعلى الكواغد رابع الاسباب

(ولآخر)

تعلم فان الخط قطب مداره * على الكف والقرطاس والحبر والقلم
متى اختل منها بعضها اختل كله * كأن طبعه من طبع آدم قد نظم

كذا بجزيئة (؟) القرآن ... [illegible]

جمع أفواه الذي هو جمع فوه وهو الطيب اه مؤلفه

(وكيفيات صنع المداد كثيرة) أشهرها ما أشار له بعضهم بقوله

جزآن من عفص وجزء من سواد * ثلاثة من علك ثم تصنع المداد

(وذيلته بقولي)

يدق كل ناعما ويرى * فيما يناسب له من الما

ثم يشمس الى امتزاج * وصفه واحفظه في الزجاج

٣ يقرأ بكسرة واحدة للوزن اه مؤلفه

وما ألطف ما كتب به بعضهم ان أهدى له مدادا

ياسيدي وسنادي * أمددتني بمداد كمثل كفك جميعا * من ناظري وفؤادي

أو كالليالي اللواتي * رميتنا بالبعاد

(واستهدى) أبو اسحق ابراهيم بن اسمعيل بن أبي عثمان القيسي الشقوري حبرا من ابن قادم فبعثه اليه وكتب معه

خذه مداد امثلها * فقة الغراب أو الصدود

لوحدقت زرق العيو * ن اليه عادت وهي سود

وحروفه في الطرس كالـ * ـخيلان في بيض الخدود

ولبعضهم مستهديا حبرا بالالغاز فيه وقد أبدع

تفضل على بمقلوب ضد مصحف قولي خبت ناره

تصحيف قوله خبت ناره خبت نارة ضده زهارج مقلوبه حبر (وأما تحسين حروف الكتابة) فانه يدفع عن الكتاب القبح والكآبة أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخط الحسن يزيد الحق وضحا قال الحافظ السيوطي هو حديث ضعيف ووضحا بفتح الضاد أي وضوحا كما في رواية قال الحفني لان الخط الحسن يعين على المطالعة والنشاط فينبغي كتابة العلوم بخط حسن اه ووجدت في بعض التقاييد مانصه في الحديث عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق اه ولم أجده في جامعي السيوطي فابحث عنه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق مايشاء انه الخط الحسن والى هذا التفسير أشار من قال

تعلم الخط واستفده * فما على فضله عطاء

ألا ترى قوله تعالى * يزيد في الخلق مايشاء

(وعن ابن عباس) في قوله تعالى أو أثارة من علم انه الخط الحسن (وروى) جبير عن الضحاك في قوله تعالى علمه البيان قال الخط وقيل في قوله تعالى اني حفيظ عليم اني كاتب حاسب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاوية وهو يكتب بين يديه ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك خلف أذنك فانه أذكر للملي وقال ابن طاهر لكاتب له ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرق بين السطور وتوسط بين الحروف ومعنى ألق دواتك أي اجعل فيها الليقة (وجاء في الاثر) عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه ضرب كاتبا كتب بين يديه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يبين السين فلما خرج سئل عن سبب ضربه فقال في سين فصارت مثلا يضرب للامر السهل وقيل الكتاب بستان والخط ترجمه (وقال صاحب كتاب زاد المسافر) الخط لليد لسان وللخلد ترجمان فرداءته زمانة الادب وجودته تبلغ بصاحبه شرائف الرتب (وفيه) المرافق العظام التي من الله بها على عباده فقال جل ثناؤه وربك الاكرم الذي علم بالقلم (وقيل) الخط الحسن عند الفقير مال وعند الغني جمال وعند الاكابر كمال ولبعضهم

عليك بحسن الخط ياذا التأدب * ولازمه التعليم في كل مكتب

فان كنت ذامال فخط لك زينة * وان كنت ذا فقر فأفضل مكسب

(ونظر جعفر البرمكى) الى خط حسن فقال لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم * ومن كلام العرب الخط أحد اللسانين وحسنه احدى الفصاحتين * ونظر جعفر بن يحيى الى خط فاستحسنه فقال الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها * ونظر ابن رجاء الى خط بعض الكتاب فقال خط هذا متنزه الالحاظ ومجتنى الالفاظ (وقال على بن عبيد) حسن الخط لسان اليد وبهجة البصر (وقال ابن المعتز) الخط نصف الكتابة (وفى القانون) وليحذر الخط الردىء فان الخط الحسن يبسط النفس وينشط الفهم ويزيد الحق وضوحا وخطوط العلماء تكون غالبا رديئة لاشتغالهم عن التصنع فى الخط بما هو أهم غير انها تكون سالمة من اللحن متقنة مبينة فتكون نافعة واغلب البلاء مع الرداءة والفساد اه

﴿قلت﴾ وما ذكره من أن خطوط العلماء تكون فى الغالب رديئة نص عليه الامام الماوردى قبله فى كتاب أدب الدين والدنيا وزاد حتى قال الفضل بن سهل من سعادة المرء رداءة خطه لئلا يشغله تعلمه عن تعلم العلم اه كلام الماوردى وأنشد قبل كلامه هذا لبعض شعراء البصرة

اعذر أخاك على رداءة خطه * واغفر رداءته لجودة ضبطه

واعلم بأن الخط ليس يراد من * تركيبه الا تبين سمطه

فاذا أبان عن المعانى لم يكن * تحسينه الا زيادة شرطه

(وقال بعض العلماء فى المعنى)

الخط ليس له فى العلم فائدة * وانما هو تزيين لقرطاس

والدرس سؤلى لا أبغى به بدلا * بقدر علم الفتى يسمو على الناس

(وفى المدخل) وينبغى له أى للناسخ أن يبين الحروف فى كتابته ولا يعلق خطه حتى لا يعرفه الا من له معرفة قوية بل تكون الحروف بينة جلية فلا يترك شيأ من الحروف التى تحتاج الى النقط دون أن ينقطها لان الباء تختلف مع التاء والثاء ولا يقع الفرق بينها الا بالنقط وكذلك الجيم والحاء والخاء الى غير ذلك فليحفظ على ذلك لان به تم المنفعة لكثير من المسلمين بخلاف ما اذا لم ينقط أو يعلق خطه اه

(وقيل) الخط الردىء كالولد العاق والاخ الشاق (وقال المبرد) رداءة الخط زمانة الادب ويقال الخط الردىء يقذى العين ويشجى الصدر ويقال خير الخط ما قرئ ويقال الخط الردىء خط الملائكة لان خطهم غير بين للناس وأجود الخط أبينه (وكان الكاتب ابن مقلة) يضرب به المثل فى حسن الخط حتى قيل فى خطه

توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة كما فى كشف الظنون اه مؤلفه

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته * ودت جوارحه لو حولت مقلا

فالبدر يصغر لاستحسانه حسدا * والنور يحمر من نواره خجلا

(وقال فيه الصاحب بن عباد)

خط الوزير ابن مقلة * بستان قلب ومقلة

والماوشى به للملك وقطع يده صار يكتب باليسرى طول عمره ولم يتغير خطه وقد انتهت اليه رياسة الكتابة فى زمانه وقد أبدع بعض الكتاب اذ رثاه بعد موته بقوله

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت عليك بذلك الايام

فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

كذا قال بعضهم ان هذين البيتين فى ابن مقلة ﴿قلت﴾ والذى فى ابن خلكان أنهما فى أبى الحسن على ابن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور بحسن الخط وجودته وبالغ فى مدحه بانفراده بهذه الصناعة حتى فضله فيها على المتقدمين والمتأخرين قال وابن مقلة انما له فضيلة السبق اه لكن لا يخفاك

ان

أن ابن مقلة أشهر منه حتى صار مثلا في ذلك (ولبعضهم ضاربا المثل بحسن خطه)

سقى الله بشامصي وانقضى * بلا رجعة أرتجيها ونقلة
كوجه الحبيب وقلب الاديب * وشعر الوليد وخط ابن مقلة

ولاثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي مورّيا بحسن خطه

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذ نوى من أحب عني نقله
وأجاد السطور في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

(ولآخر)

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
لو اجتمعت في المرء والمرء مفلس * ونودي عليه لا يباع بدرهم

(ولآخر من معنى هذين البيتين)

لا تحسبوا ان حسن الخط ينفعني * ولا سماحة كف الحاتم الطائي
وانما أنا محتاج لواحدة * لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

(ولآخر من معناه)

واذا أخطأ الكتابة حظ * عدمت ناؤها فصارت كآبة

(فائدة) أول من كتب آدم عليه السلام ولا شك ان كل كال بشري من الحرف الآدمية والصناعات البشرية التي تحتاج اليها ذريته من المعاش كان أبونا آدم عليه السلام أخذها وكشفها من حضرة تعليم الاسماء الكلية علمه الله تعالى حين علمه الاسماء ألف حرفة (قال في محاضرات الاوائل) وقيل أول من كتب داود عليه السلام وقيل أول من كتب قوم من الاوائل أسماؤهم أبجد هوز حطي الخ وكانوا ملوك مدين روى هذا القول عن عروة بن الزبير وارتضاه ابن الطيب في حاشية القاموس انظاره وقيل غير هذا وكثرة المقالات دليل الجهالات والله أعلم بالواقع (ثم قال)

(٦١) ﴿اياك يا ناسخ ترقيق القلم * جدا فيعروك على ذاك الندم﴾

اياك منصوب بفعل محذوف تقديره جنب أو احذر أو نحوهما من كل ما يتعدى لاثنين ويا ناسخ حرف نداء ومنادى وترقيق مفعول ثان هذا مذهب والد ابن مالك في المحذر منه حيث كان بغير عطف ولم تذكر معه من ومذهب الجمهور تقدير من فيكون التقدير اياك يا ناسخ من ترقيق القلم وعلى ما يؤخذ من ابن مالك في التسهيل يقدر للثاني عامل آخر فيكون التقدير باعد نفسك يا ناسخ ودع ترقيق القلم والقلم معروف وجمعه أقلام وقلام كما في القاموس كجمل واجمال وجمال ويأتي وجه تسميته بذلك ويقال له اليراع والواحد يراعة وجدا بكسر الجيم أي كثيرا انه منصوب مطلق محذوف والتقدير اياك ترقيق القلم ترقيقا كثيرا أو حال من ترقيق وقوله فيعروك الفاء واقعة في جواب الامر ويعروك أي ينزل بك مضارع مرفوع ولم ينصب في جواب الامر لان الامر غير صريح والندم فاعل يعرو وعلى ذاك متعلق بيعرو والاشارة لترقيق القلم (والمعنى) لا ترقق أيها الناسخ القلم جدا فتندم على ذلك أي عند كبرك وضعف بصرك ومراد الناظم بترقيق القلم ترقيق الخط فعبر بالملزوم وأراد اللازم ففي القانون وليجتنب الخط الدقيق فانه يندم عليه وقت الكبر وضعف البصر مع أنه من أسباب الضعف فلا ينبغي النظر فيه من أول وهلة اه (وفي الفتاوى لابن حجر) ويجتنب دقيق الخط فانه لا ينتفع به عند الكبر ورعاية الانتفاع حينئذ أولى من رعاية خفة الحمل أو توفر مؤنة الكتابة أو الورق اه (ولبعضهم)

عليك أكاتبا تبغي نجاة * بتغليظ وتوسيع المساطر

وادمان التشكيل كل يوم * ولازم في الصباح وفي المساء طر

(وقيل) من رق الكتابة ان مات شتم وان عاش ندم ورأى الخليل مع رجل دفترا بخط رقيق فقال له أسأت يا هذا من طول العمر أي فعلت فعل الآيس من طول العمر حيث لم تغلظ الكتابة لتنتفع بها في آخر عمرك والمراد التغليظ المتوسط لا المفرط فالمطلوب أن يكون الخط غير دقيق خاف ولا غليظ جاف (ومما ينبغي) في القلم أن يكون من قصب صلب وأن يكون رأسه الذي يكتب به محرفا أي شقه الأيمن أزيد قليلا على الشق الآخر الذي يلي الكاغد لانه على الكتابة أعون وأبدع في اللطافة وأحسن وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاوية وحرف القلم * وكتب جعفر بن يحيى الى محمد بن الليث أما بعد فليكن قلمك محرفا لا مستويا ولا رقيقا فضيق القلب فابره برياسته وبا كتدار الحمامة أعطف بطنه ورقق شعرتيه {فائدة} سمى القلم بهذا الاسم لانه قلم أي قطع وسوى وكل عود قطع وحز رأسه وعلم بعلامة فهو قلم قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهاما فيها أسماؤهم مكتوبة * قيل لاعرابي ما القلم ففكر ساعة وجعل يقلب أصابعه ثم قال لا أدري فقيل له توهمه في نفسك قال هو عود قلم من جوانبه كتقليم الاظفار وقد أكثر الادباء والاعلام في مدح اليراع والاقلام فلا ينبغي اخلاء هذا المقام من شيء من بديع ذلك الكلام ولنحصر ذلك في ثلاثة مقاصد مدحه حتى فضل على السيف ووصفه واللغز فيه ولنقتصر في كل مقصد على مالا بد منه (فأما مدحه) فقال في محاضرات الاوائل أول ما خلق الله من الاشياء النباتية اليراع وهو القصب ثم خلق من ذلك اليراع القلم ثم قال له اكتب ما يكون الى يوم القيامة ذكره السيوطي عن مجاهد في الهيئة السنية (قال العلماء) ليس شيء أفضل من القلم في الكمالات الصناعية البشرية لانه به يمكن اعادة السالف والماضي وكفى في فضله وشرفه ما أقسم الله تعالى به في كتابه فقال تعالى ن والقلم وما يسطرون وقال عز من قائل الذي علم بالقلم اه {فان قلت} مقتضى مانقله السيوطي عن مجاهد أن القلم الذي كتب به في اللوح المحفوظ هو من القصب مع ان الاحاديث مصرحة بانه من نور طوله خمسمائة عام وفي خبر مرسل انه من لؤلؤ طوله سبعمائة عام {قلت} أجاب العلامة الزرقاني في شرح المواهب بان تجسمه من نور على صفة اليراع ونوره شبيه باللؤلؤ لشدة بياضه (وقال سهل بن هرون) القلم أنف الضمير اذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره (وقال الجاحظ) اللسان أكثر هذرا والقلم أبقى أثرا والكتاب يقرأ في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه (وقال بعض العلماء) من جلالة القلم أنه لم يكتب كتاب الله الا به (وقال بعض أهل الحساب) القلم من حساب الجمل نفاع وذلك لان الالف واحد واللام ثلاثون والقاف مائة واللام ثلاثون والميم أربعون فذلك مائتان وواحد ونفاع كذلك (وقال بعضهم) بالاقلام تساس الاقاليم (وقال ابن المعتز) القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة كأنه يقبل بساط سلطان أو يفتح باب بستان وقالوا محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس كما قال القائل

يمسك الفارس رمحا بيد * وأنا أمسك رمحا قصبه
فكلانا فارس في شأنه * انما الاقلام رمح الكتبه

(وقال أبو الفتح البستي)

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

(وقال أيضا)

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم

قوله وأنا أمسك الخ أثبت ألف أنا في الوصل وهي لغة تميم والثالثة الفصحى هي التي جاء بها القرآن هي حذف الالف وصلا واثباتها وقفا وفي أنا ثلاث لغات أخر ابدال همزتها هاء فيقال هنا الرابعة أن تجعل مدتها وسطا بين الهمزة والنون فيقال آن قال ابن مالك من قال آن فانه قلب أنا كما قال بعض العرب في رأى راء اه كقول بعضهم لو راء وجهك ما سرى سماء * الخامسة أن حكاه قطرب ومذهب البصريين ان الضمير الهمزة والنون والالف اشباع زائدة ومذهب الكوفيين ان الضمير جميع الاحرف الثلاثة اه مؤلفه

كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

(وقال أبو العباس التنوخي) وقيل هي لابن الرومي

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يغالبه * لازال يتبع ما يجرى به القلم
بذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

(وقال كشاجم)

هنيئا لاصحاب السيوف بطالة * تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من داهم الامن لم يرع * بحرب ولم ينهض لقرق مصمم
وكل ذوى الاقلام فى كل ساعة * سيوفهم ليست تجف من الدم

(ولعباس بن ليون)

وأسمر عريان من القشر جاهل * وأما اذا صرفته فعليم
فان خط قرطاسا بدا فوق صحنه * نثيرا لآل تارة ونظيم
يعطل نفث السحر سحر بيانه * ويغمد حد السيف حين يقوم

(وقال آخر)

قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * ما لا ينال بحد المشرفيات

(وللتهامي)

واذا راس فى الانامل منه * قلما واستمد ساء وسرا
قلما دبر الاقاليم حتى * قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره ان عشرين * ذراعا بالرأى يخدم شبرا

(ومن أبدع المعانى فى القلم قول الالوسى)

ومثقف يغنى ويفنى دائما * فى طورى الميعاد والايعاد
وهبت له الآجام حين نشابها * كرم السيول وهيبة الآساد

والكلام من هذا المعنى فى تفضيل القلم على السيف والرمح كثير جدا وما شذ عنهم الا أبو تمام الطائى فى قوله

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

ونحاه أبو الطيب فى قوله

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * فانما نحن للاسياف كالخدم

وقل من تبعهما وقد وضع بعضهم تأليفا يفضل فيه القلم على السيف تارة والعكس أخرى وذلك من أسرار البلاغة * وأما ما قيل فى أوصاف القلم فهو شئ كثير أيضا ولنلم ببعضه فنقول الاصل فى وصف الشعراء للقلم قول أبى تمام من قصيدة فى وزيرالمتوكل محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعلى الذى بشباته * تصاب من الامر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها * لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل

القرق بقافين بينهما راء هو القاع المستوى فيقرأ بالاضافة لمصمم اسم فاعل أى المكان المصمم على الحرب ويحتمل انه بالنون بعد الراء وهو القرن أى فى الحرب فالمصمم نعت له اه مؤلفه

فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان ناطقته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف الرماح وقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت * أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وشددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل
فتبعه الشعراء في ابتداعه وما منهم الا وقد تزود من متاعه فقال ابن دريد
نحيف جليل الخطب أخرس ناطق * يزف بنات اللب طوعا الى القلب
اذا اليد أصغته لتعمل غربه * رأيت بنات الفكر تصغي الى اللب
(وقال عبد الله بن المعتز)
واطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الافعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حتـ * ـف وعيش تضم تلك السطور
(وقال على بن عباس ازرمي يصفه ويفضله على السيف)
لعمرك ما السيف سيف الكمي * بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد إن تأملته * ظهرت على سره الغائب
أداة المنية في جانبيه * فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية في جانب * وحد المنية في جانب
وقال عبد الصمد الاندلسي يمدح الوزير ابن زيدون
لك القلم الذي ان خط سطرا * يوق المسك لو كان المدادا
سلالت على المهارق منه حدا * فلات به الصوارم والصعادا
(وقال أبو العلاء المعري)
يا من له قلم حكى في فعله * أيم الغضا لولا اسوداد لعابه
عرفت جدودك اذ نطقت بطالما * لفظ القطا فأبان عن أنسابه
الايم الحية وقال أيضا ومثله بالسيف
كأن حراما ان تفارق صارما * يكون لما أضمرت أول فاعل
فمن صارم فالكف يحمل كله * ومن صارم يختص بعض الانامل
(وقال حمدون الدمشقي)
للأيم نفثته وشق لسانه * وله اذا لم تجره اطرافه
كالحية النضناض الا أنه * من حيث يجري سمه ترياقه
(وقال آخر)
ما رأت عيني عجيبا * كيراع في دواة غائصا يستخرج الدر بحر الظلمات
(وقال آخر)
وأجوف مشقوق كأن سنانه * اذا استعملته الكف منقار لاقط
وتاه به قوم فقلتد ويدكم * فما كاتب بالكف الا كشارط
(وأما ما قيل في القلم من الالغاز) فللكميت ما نغز فيه

وبيض رقاق صحاح المتو * ن تسمع للبيض فيها صريرا
مهندة من عتاد الملوك * يكاد سناهن يغشى البصيرا

مجنسي

(وللامام ابن غازى) ملغزا فيه أيضا

وميت برمس طعمه عند رأسه * اذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم فيمشى صامتا متكلما * ويأوى الى الرمس الذى منه قوما
فلا هو حى يستحق زيارة * ولا هو ميت يستحق ترحما

(ولابن الجياب) ملغزا فيه أيضا

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى عطشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستقى دموعا * يرق كما يروق الابتسام

(وللاديب البارع سيدى على مصباح اليالصوتى) ملغزا فيه أيضا ذكرها فى سنا المهتدى

وأبيض تحمله خمسة * وذى الخمس يحملها واحد
فصيح متى ماء الا الخمس أخرس ان لم يكن فوقها ساجد

(وله ملغزا فيه أيضا) ومن ديوانه نقلت بخطه

وما شئ يرى فى قيد دفتر * وقد يغنو فيبلغ قيد شبر
اذا ما بل منه الرأس يوما * فرى واذا يجف فليس يفرى
ومهما جد فى سير تشاهد * لعاباً سائلا من فيه يجرى
أجب ان كنت فى الالغاز حبرا * وما بالابر ذا مراح لغز شعرى

وانما قال وما بالابر الخ لان هذه الاوصاف تجرى فى الابر أيضا فذكر انه غير مراد له وعلى ذكر هذا الاحتراز تذكرت لغزا له أيضا فى الابر ذكره فى ديوانه وهو

وذى بيضات لم يلدها وكم غدت * ذوات حر من أجلها حواملا
ويحضنها طول الزمان وانه * متى فقست بيضاته مات عاجلا

وله فيه لغز أيضا ذكره فى كتابه سنا المهتدى قال قلت ملغزا فيه أيام الصبا

ومغرى بعورات العباد طبيعة * ومازال من فرط الحياء يستر
ويبكى ولكن حيث يأتى مسرة * بصير بأعقاب الورى وهو أعور
ويحمله ظهران منذ نشا فلو * يموتان يوما فهو بالموت أجدر
على الوزراء والقائمين وجلة الـ * ـملوك تراه دائما يتأمر
ولم يعرف الموسى ألم برأسه * سوى مرة فاحتشوا عنه وانظروا

وقال قبل اللغز وقال بعضهم ويسمى الابر أعور لكونه ذا عين واحدة وقال بعده وأخذت قولى ويحمله ظهران الخ من قول بعض الشعراء أنشده الصلاح الصفدى

مصاحبتى ايا كما يابن راجتى * مصاحبة الخصيين للاير فاعلما
هما يحملان الاير حتى اذا بدت * له فرجة خلاها وتقدما

(قال) وأخذه هذا الشاعر من شعر لابى الحسين الجزار فى قصة ظريفة يحكى انه أتى فى جماعة الى الامير فأذن فى الدخول لجميعهم الا أبا الحسن فأخذ رقعة وكتب فيها هذا البيت

الناس قد دخلوا كالاير أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

ومن الالغاز الجميلة في القلم الشاعر من السريع
ودي خشوع راكع ساجد
ودمعه من جفنه جار
ملازم الخمس لاوقاتها
منقطع في خدمة الباري
ومن ترجمة المؤلف سيا…

ودسها الى غلام فبلغها للامير فلما قرأها ضحك هو ومن معه وقال للغلام اخرج الى الباب وناد باخصى ادخل حيث دخلت الايور اه كلام على مصباح (قلت) وفى شرح الخطيب الشربينى على قصيدة أبى شادوف انه لما امنع من الدخول رأى من خارج الباب الامير جالسا على بركة ماء نافذة الى خارج فكتب البيت فى ورقة وجعلها فى قصبة وألقاها فى البركة فوقعت بين يدى الامير ففضها وضحك وقال ادخل يا خصى فقال أبو الحسين ما هذا الا لوح عظيم أيد الله الامير فضحك كثيرا (وابعضهم) ملغزا فى الاير أيضا

وصاحب معجب لى طول صحبته • لا ينفع الدهر الا وهو محموم
تأتيك فى ناقض الحى منافعه • وان أفاق بدا فى وجهه اللوم

وحيث انجر الكلام الى الاير من الاقلام فيعذب ذكر ماقيل فى نومه واسترخائه عند الاحتياج الى نفع صحبته واخائه وذلك كثيرا ما يصدر ويقع عندما يعز الوصل ويتوقع فاذا سمح وحصل ضعف القلب وفشل ولم يطق الاير حركة وان حركه المحبوب وعركه فيعظم بالمحب الاسف على فوات الامل ويقع فى أشد الخجل (ومن ألطف ماقيل فى ذلك) قول ابن نباتة مضمنا

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد • فيا خجلتى لما دنوت واذلالى
فقلت امكيه بالانامل فالتقى • لدى وكرها العناب والحشف البالى

(وقول الآخر)

عهدى بأيرى وهو فيه تيقظ • كم قام منتصبا اذا انبهته
والآن كالطفل الذى فى مهده • يزداد نوما كلما حركته

(وقول الآخر)

تقول لى وهى غضبى من تلهفها • وقد دعتنى الى أمر فما كانا
ان لم تنكنى كنيك المرء زوجته • فلا تلمنى اذا أصبحت قرنانا
كأن أيرى شمع من رخاوته • فكلما مسسته راحتى لانا

(وقول صفى الدين الحلى مقتبسا)

ايرى الذى قد كان عند المنام • ينوبنى فى النوم عند القيام
أصبح لا يثنيه عن نومه • عتب ولا ينفع فيه الملام
عاتبته اذ نام عن حاجتى • فقال لى سبحان من لا ينام

(وقول الآخر مضمنا)

لى أير يقوم فى خلواتى • فاذا قابل الحبيب استحالا
قلت اذ قام قاصدا لخلافى • صدق الشاعر الذى فيك قالا
واذا ما خلا الجبان بأرض • ذكر الطعن وحده والنزالا

(وقول الآخر مضمنا أيضا)

لما رأيت قيام أيرى بعدما • ولى الحبيب ذكرت قول الشاعر
أسد على وفى الحروب نعامة • فتخاء تنفر من صفير الصافر

(وللآخر مضمنا أيضا)

لى أير لا بارك الله فيه • يقطع الليل والنهار قياما
واذا ما الحبيب نام بجنبى • ارتقى فوق خصيتيه وناما

(ومرض) أعرابى يوما بدمل وزكام فقيل له ان الشيطان يحسد بنى آدم على هذين قال لم فقيل له انهما

فضول

فضول تدفعهما الطبيعة وتعقمهما العافية فأنشد

أيحسدنى ابليس داءين أصبحا * بجسمى جسما دمّلا وزكاما
فليتهما فى جسمه وأزيده * رخاوة ايرلا يطيق قياما
اذا نهضت للنيك أرباب معشر * توسد احدى خصيتيه وناما

(وقلت أنا مشطرا بيتين لم أعرف قائلهما)

ولى ايرسوء كثير الجفا * قليل الوفا ممن يطعمه
تراه مدى الدهر من شؤمه * يعامل باللؤم من يكرمه
اذا جئت نام وان غبت قام * يطالبنى بالذى نعلمه
على العكس يمشى معى دائما * فلا رحم الله من يرحمه

ويكفى هذا القدر من قلم العصب ونرجع الى ما كنا فيه من الكلام على قلم القصب (وللشهاب المنصورى ملغزا فى قلم أبيض)

وأبيض يرمى الريق من فيه أسودا * بحكمة باريه وقدرة من خلق
وضيع رفيع صامت متكلم * وفى رأسه عين وفى قلبه ملق

(ولآخر)

وأبيض مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

(ولآخر)

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسرّه * اليه اذا ما حرّكته الاصابع

(ولآخر)

وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى خدمة البارى

(ولمحمد بن محمد الاصبهانى)

أخرس ينبيك باطراقه * عن كل ما شئت من الامر
يذرى على قرطاسه دمعة * يبدى بها السرّ ولا يدرى
كعاشق أخفى هواه وقد * نمت عليه دمعة تجرى
تبصره فى كل أحواله * عريان يكسو الناس أو يعرى
يرى أسيرا فى دواة وقد * أطلق أقواما من الاسر

(ولآخر)

وراقم يمشين تحت أراقم * وقطف الخطى نياله أقصى المدى
سود القوائم لا يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

(ولآخر)

عجبت لذى سنين فى الماء نبته * له أثر فى كل قفر ومهمر

(ولآخر)

وبيت بعلياء الفلاة بنيته * بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف

كأن عليه ما به اذ جلا حية * متيم فيأتي ولا يتخلف
جليل شؤون الخطب ما كان راكبا * يسير وان أرسلته فضعيف

يصف بيت شعر كتبه في الصحراء بالقلم * وفي كتاب نزهة الالباب الجامعة لفنون الآداب أن المأمون كان كثير الشغف بجارية جميلة اسمها مصف فرآها يوما وفي يدها قلم فقال

أراني منحت الحب من ليس يعرف * فيا أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت * وفي اصبعها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجبت له يوما وهذا لك معجب * بقوم تعريف العباد محرف اه

وقطعة الاصبهاني وما بعدها الى هنا ان لم تكن من اللغز بل من الوصف فقد كادت أن تكون من قبيل الالغاز فلذلك جعلناها هنا (ولاسحق بن خفاجة ملغزا في القلم أيضا)

ما ساقع العبرات لم * يحزن ولم يتنعم يجري ولا يدري ويعلم بالامور وليس يعلم
يا في سنان ربيعة[1] * في صدره ولسان أكثم[2] ان طار بارقه دجى * وجه الصباح به وعتم
يمشي ولا قدم تقل وما مشى الا تكلم * وتراه سادس خمسة * وتراه يفصح وهو أبكم

(وقال أحمد بن يحيى ثعلب) وقف على غلام فقال أسألك أيها الشيخ فقلت قل فقال

وعريان من حليه مكتس * عيس من الوشي في[3] يلمق
تغوص في البحر مستأنسا * ولم ير بؤسا ولم يغرق

فقلت هذا شيطان فقال الغلام

اذا أنت مشيته في الركوب * أتاك مجولا ولم يعنق

فقلت هذا فرس فقال الغلام

أقام بغور بن غور العراق * وينهى ويأمر بالمشرق
يسوق الى المطبق الناكثين * بسكاه في خندق المطبق

فقلت هذا قلم * ولولا حب السلامة من سهام الملامة لأرويت أوامك من عذب هذه المعاني ولكن في اشارة اللحظ كمال المرام لصب العاني غير أن لبعض أهل الادب فيه رسالة أبدى فيها فضله وكماله أحببت أن أجعلها تاجا على هذا المفرق اذ قد أضاء نورها على المغرب من المشرق واني أقسم بنون والقلم انها العروس في صون حجابها لم ترض في المهر بغير الذوق السليم من خطابها فها هي جمالها تجلوا ونص المراد منها ما تلوا (يلسانلي) عن صفة القلم انه في العلم علم علم يتراآى في بيداء النور والطور وكتاب مسطور في رق منشور يعجز عن بيان غرر وصفه بنان الافهام[4] ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام ذو اللسانين والحسن والبيان العذب الحسن نقيبه فائق سرح في رياض الهمم فاقتطف شقائق النعمان حكيم حاذق جالس على خوان الحكمه فالتقم حقائق لقمان درس العلوم الرسمية فهو المعلم الاول وجدد ما درس منها وما على رسم دارس من معول مدبايه في العلوم وقدره قيد شبر حبر ماهر اذا رأيت أثره تقول ما أحسن هذا الحبر قادر على تحرير العلم وتحبيره يتكلم فينثر على الكافور عنبرا فيا حسن تعبيره اذا أنشأ أغرب واذا أنشد أطرب واذا أعجم أعرب واذا أشكل رفع الاشكال واذا قيد أطلق العقول من العقال يترجم عن الوحي والالهام واذا رفعه الابهام رفع الابهام مزن منه شآبيب العلوم واكفة غصن عليه طيور النهى عاكفة طالما جال وجاب وسال وأجاب فأبدى العجب العجاب طورا يشرب من كؤس المحابر فيتمايل كشارب ثمل وطورا يخطب على رؤس المنابر

فتراه

[1] هو ربيعة بن مكرم الكناني يضرب به المثل في حماية الظاعن اه مؤلفه

[2] هو أكثم بالمثلثة ابن صيفي حكيم العرب اه مؤلفه

[3] اليلمق بفتح الياء وسكون اللام وفتح الميم هو القباء فارسي معرب اه مصححه

[4] هذه استعارة ركيكة كما لا يخفى على صاحب ذوق اه مؤلفه

وتراه كشيخ عبراته تنهمل وتارة يجلس في الدست مثل الكلاب الصيد ويبيت على كهف المحبرة باسط كفيه بالوصيد متجرد خلي نفسه للتزهد متعبد رافع اصبعه للتشهد يحدث بأحاديث الليالي للانام ويظهر ما جرى على لسانه في صفحات الايام كأنما يتنزه في مراتع الطرب ويتبختر في ملابس القصب اذا شطت داره وشط عنه مزاره فهو يبكي كالغمامة وينوح كالحمامة يتذكر لذاته وأترابه ويحن الى أول أرض مس جلده ترابه

ينوح على رسوم دارسات * كنوح حمامة بالرقمتين
وقد ينمي الى أهل التصابي * نوى الاحباب مثل غراب بين

ضربوا عنقه فطال عناؤه وشجوا رأسه فسال دماؤه أولج نفسه في المهالك وأدلج في ظلام حالك فارقه من خوف ذلك صب ناحل متى بلبله الفراق ترنح ولها وكريم اذا اجتداه معدم ما حل فهو يهتز لها على منبر الاصابع خطيب مصقع الف تراه تارة في الدواة وأخرى على الاصبع يبث مصونات السرائر فاشير اليه بالسيف والنطع وسرق مخزونات الضمائر فحكم عليه بالقطع يصبر مثل أيوب على البوسى ويصير كلما اذا مر على رأسه موسى غريب هجره هنده وواسطه وصار بين الهند والروم واسطه يقوم في خدمة الناس واذا فاته اجر يدور على الراس يش بكسب يمينه ويقتات من عرق جبينه

أرضعه الجدول من نعلما * رباه في منزلة شطه
ما ظهر الشعر على وجهه * فاعجب له كيف بدا خطه

يوسع كالاحرار جودا وطولا ورقبته كالعبيد في يد المولى فهو على ما يقاسيه من الحزن والكآبة لا يطلب من مولاه الا الكتابة مداح لكنه لا يفارق الهجا مسطر طرة الصبح تحت أذيال الدجا معدل معروف بالاستقامة أمين مجرد لا يميل الى اليسار فهو من أصحاب اليمين بطل يطأ في الطعان على الرؤس علم يأتيه الفتح والظفر وهو منكوس رمح من رماح الخط مارس الطعن وما انفك عنه قط طرف يجري في الميدان وهو معقود اذا قصدته لا يحصل المقصود ٣ وسهم في الاغراض مصيب وليس له منها سهم ولا نصيب ثعبان لا يزال يحرق ما مر عليه بأنفاسه تمشي الثعابين على بطونها وهذا يمشي على رأسه أرقم يلدغ الاساود أدهم تهدبه الاوابد حية تنغمس في بحر رق الماء وتخرج منه وفي فمها دودة سوداء يلدغ الاكباد كأنه عسال ذابل ويشفي الفؤاد كأن فيه أريا ٤ اشتارته أيد عواسل أكل أمره في السباحة وأفنى عمره في السياحة يقطع الفيافي وهو رجلان حافي تارة يخرج الفرائد من البحور ويجعلها قلائد بيض النحور عليه من السواد عمامة كأنه عباسي طالب للامامة سفاح ذو خلاعة ومجون رشيد أمين الا ان طبيعته غير مأمون يجر من الجنود جحفلا كالبحر ماجت راياته ولا تنقطع عن ممالك الروم دقائقه وماجرياته يرتب الكتائب في المصاف ويصدر عنه بالرمح الرعاف شاد اذا غنى شفى الفؤاد كأنه أوتي مزمارا من مزامير داود أشقر يحب أن يخب في المرج ألف القطع الا أنه لا يثبت في الدرج ألف اذا فارق النون فهو صاد حرف نفي كل دال عن عينه الرقاد مطلق لا يعتريه الاسر مرفوع الا أنه يدخل عليه الكسر يستعمل مفردا ويجمع ويكسر على قلة أجوف ويعتل ناقصا اذا كان في حرفه علة ثلاثي عينه لام صحيح الا ان فاءه عين السقام مشتق يصدر من حرفه الافعال عامل اذا كسر يبطل عن العمل في الحال لسانه ذاق وقلبه ماق لفظوا بابه فصيحا وهو محرف وارادوا أن يصحفوه فلم يصحف ميزاب عين الحكمة منه نابع مقياس يبصر العلم عليه بالاصابع أخرس لكن لسانه قارى يتكلم بعد ما جز راسه وهذه

٣ من معاني القصد الكسر يقال قصدته قصدا أي كسرته وهذا المعنى هو المراد هنا اه مؤلفه

٤ الارى العسل كما في الاساس اه مؤلفه

حكمة البارى تتعجب من أمره العقول ويسأل عنه الملغز ويقول

ما أمر دمنه القوام مقوم * والرأس منكوس كشخ فانى
أبصرته فرأيت منه عجائبا * حدث ترعرع منه اثنان اه

﴿فائدتان * الاولى﴾ أول من خط بالقلم ادريس عليه السلام قاله فى محاضرة الاوائل ﴿قلت﴾ ولا تعارض بين هذا وبين ما مر عن الأبضا من أن أول من كتب آدم عليه السلام لان الكتابة أعم اذ هى بالقلم وغيره كالاصبع والله أعلم ثم وقفت فى كشف الظنون على أن آدم لما كتب كتب فى طين وطبخه ليبقى بعد الطوفان وهو يؤيد الجمع الذى ذكرنا والله أعلم * وأول من خط بالعربية اسمعيل عليه السلام كما قاله السهيلى فى التعريف والاعلام راويا له من طريق ابن عبد البر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم نقله عنه فى كشف الظنون وقيل أول من خط الخط العربى قوم من طئ قال ابن خلكان والصحيح عند أهل العلم أنهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فساروا الى مكة فتعلمه منهم شيبة ابن ربيعة وحرب بن عبد شمس وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهشام بن المغيرة المخزومى ثم أتوا الانبار فتعلمه منهم نفر ثم أتوا الحيرة فتعلمه منهم جماعة منهم سفيان بن مجاشع بن عبد الله ابن دارم وولده يسمون بالكوفة بنى الكاتب ثم أتوا الشام فعلموه جماعة فانتهت الكتابة الى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحاك واسحق بن حماد وكانا يخطان الخط الجليل فأخذ ابراهيم بن السحرى الخط الجليل عن اسحق بن حماد واخترع منه خطا أخف فسماه الثلثين ثم جعل الناس يختصرون ويغيرون منه فمنهم المحسن ومنهم المسىء اه والله أعلم ﴿الثانية﴾ قال القرطبى فى تفسيره الاقلام ثلاثة فى الاصل القلم الاول الذى خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذى يكتبون به المقادير والكوائن والثالث أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم اه والقلم الاول هو المذكور فى الحديث الذى أخرجه الترمذى فى جامعه أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون وقد اختلفت الروايات والاحاديث فى أول ما خلق الله فورد أول ما خلق الله جوهرة أو درة فنظر اليها فذابت وأول ما خلق الله نورا وروحى وأول ما خلق الله اللوح وأول ما خلق الله العقل ونقل عن السلف أول ما خلق الله تعالى ملك الموت كروبى ووجه التوفيق بينها ما قاله بعض العارفين من أن الاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدى لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود تسمى جوهرة ودرة وباعتبار نورانيته تسمى نورا وباعتبار وفور علمه تسمى عقلا اذ قال له اقبل على الدنيا رحمة للعالمين فأقبل ثم قال له ارجع الى ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب الى منك بك أعرف وبك آخذ وبك أعطى وبك أعاقب وبك أثيب وباعتبار جريان الامور وفق متابعته والاقتداء به تسمى علما وباعتبار مظهريته للعلوم تسمى لوحا وباعتبار غلبة الصفات الملكية تسمى ملكا كروبيا اه والله تعالى أعلم (ثم قال)

(٦٢) ﴿والسطر قوم وانظر المناسبات * فليس خط الشرح خط الامهات﴾

الواو للعطف والسطر مفعول مقدم بقوم وقوم فعل أمر والجملة معطوفة على معنى قوله اياك ترقيق القلم اذ هى فى معنى قولك احذر ترقيق القلم كما مر وقوله وانظر المناسبات جملة معطوفة على ما قبلها والمناسبات جمع مناسبة أى مشاكلة وقوله فليس الخ الفاء زائدة وليس فعل ناقص وخط اسمها والشرح مضاف اليه وخط الامهات خبرها وهو مضاف الى الامهات جمع أمهة وأم بضم الهمزة وكسرها وأمة كما مر تحقيقه ﴿والمعنى﴾ قوم أيها الناسخ السطر وعدله وانظر فى مراعاة المناسبات التى منها أن يكون قلم المتن أغلظ من قلم الشرح ان لم يكن الا لون واحد أو خط المتن بلون حمرة مثلا وخط

الشرح

الشرح بالسواد وهو معنى قوله * فليس خط الشرح خط الامهات * أى فليس خط الشرح مثل خط الشروح * ومن المناسبات أيضا أن تكون السطور متساوية أى ليس بعضها أطول من بعض بأن يكون منتهى حدها واحدا ويغتفر تطويل البعض كالواحد والاثنين فى الجهة اذا اضطر لذلك وخط المطول بخط يخرجه عن السطور والاولى عدمه وأن يكون البياض الذى بين السطور متساويا فلا يكون ما بين بعضها أكثر مما بين الاخرى وطريق تقويم السطور وجعلها متساوية تسطير الاوراق بالمسطرة المعلومة عند النساخ وهى لوح تنسج فيه خيوط على عدد السطور المرادة وتكون متساوية فيما بينها بالقرب والبعد (وللاديب البارع سيدى على مصباح) ملغزا فيها ومن ديوانه نقلت بخطه

ناطقة بالعدل خرساء لم تكن * لتاتى متى حدثت لصاحبها حدا
توطئ للكتاب طرقا قويمة * ويوشك من لم يقفها الدهر أن يردى

والحاصل أن الناسخ يتجنب ما يستبشع ويستكره شرعا وعادة واللبيب يعرف ذلك من غير توقف على نص وتعيين (ثم قال)

(٦٣) * ولتجعلن حولك سكينا اذا * ما قلم عصى فرأسه ابتذا *

الواو للعطف وتجعلن مضارع مجزوم المحل بلام الامر الداخلة عليه وهو مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة وحولك أى بجنبك ظرف مكان معمول الفعل وسكينا بكسر السين مفعول بتجعل والسكين معروف وسمى بذلك لانها تسكن حركة المذبوح وحكى ابن الانبارى فيه التذكير والتأنيث * وقال السجستانى سألت أبا زيد الانصارى والاصمعى وغيرهما ممن أدركنا فقالوا هو مذكر وأنكروا التأنيث وربما أنث فى الشعر على معنى الشفرة وأنشد الفراء * بسكين موثقة النصاب * ولهذا قال الزجاج السكين مذكر وربما أنث بالهاء لكنه شاذ غير مختار ونونه أصلية فوزنه فعيل وقيل زائدة فهو فعلين مثل غسلين واذا ظرف مضمن معنى الشرط والعامل فيه جوابه الذى هو قوله ابتذا وما زائدة وقلم فاعل بفعل محذوف يفسره عصى لان اذا لا تضاف الا الى الجملة الفعلية على مذهب الجمهور وذهب الاخفش تبعا للكوفيين الى جواز اضافتها الى الجمل الاسمية وفصل ابن أبى الربيع فأجاز اضافتها الى الاسمية حيث أخبر عن مبتدئها بفعل والا فلا وهذا الشرط موجود فى كلام الناظم وعلى هذين المذهبين فقلم مبتدأ والمسوغ للابتداء بالنكرة وقوعها فى حيز الشرط نظير ما قالوا فى التسويغ بالاستفهام اما أن يكون المبتدأ نفسه أداة الاستفهام أو يقع فى حيزه على ان المعتبر عند سيبويه والمتقدمين انما هو حصول الفائدة وان لم يوجد شىء من المسوغات المذكورة عندهم وجملة عصى خبر المبتدا وجملة المبتدا والخبر فى محل جر باضافة اذا اليها والفاء رابطة للجواب بالشرط ورأسه مفعول مقدم بابتذا والضمير المضاف اليه رأس يعود على القلم وابتذا بكسر الباء لانه من باب ضرب وهو فعل أمر مؤكد بنون التوكيد الخفيفة المبدلة فى الوقف ألفا ومعنى ابتذ اطرح وجملة قوله رأسه ابتذا فى محل جزم جواب اذا (والمعنى) أجعل أيها الناسخ معك سكينا لتقطع بها رأس القلم اذا عصى أى امتنع من الكتابة لانكسار رأسه مثلا وسكين الكاتب معلومة قال الهالوسى هى من جملة آلاته ومن جملتها المقص (ولبعضهم) ملغزا فيهما بقيد كونهما مصطحبين فى دست الكاتب أنشده الشهاب الحجازى

ذكر وأنثى ليس ذا من جنس ذا * متصاحبان ببطن سجن مقفل
وتراهما لا ينزلان بمنزل * الا لقطع رؤس أهل المنزل

ويعنى بأهل المنزل الاوراق والاقلام (وكنت قلت قديما ملغزا فى المقص)

وذى جزءين انضما جميعا * أفادا قطع ما وصلت يدان

له أذنان ما خلقتا لسمع * وشكل العين أظهر في العيان
اذا ما قد حذفت الثالث منه * ترى الباقي اذا ٣ ذا بيان

٣ يقرأ باختلاس الضمير لاستقامة الوزن اهـ مصححه

(وكتب لي بعض الادباء من أصحابنا ملغزا في الموسى)

ما خادم توحده جميل * أمرد لكن نفعه أثيل
أهيف قد تحده أسيل * وطرفه عند اللقا صقيل
في وجهه الوضيء يا خليل * خال بديع الشكل مستطيل
اذا بدا في محفل عميل * يعنو له العزيز والذليل
يبدي له أسراره النبيل * لانه بكتمها كفيل
فيه علاج للاذى مزيل * يأتي له الكريم والبخيل
يهفو الى الشعر ولا يقول * وحلقه يشفي به الغليل
ليس الى صرف اسمه سبيل * لانه ذو عجمة معلول
بنص لفظه أتى التنزيل * وأصله مدحه الجليل
رغب في استخدامه الرسول * صحبته على التقى دليل
وتركه البتة مستحيل

فأجبته حين وصوله وقد استبنت معنى مقوله

وصلني لغزك يا نبيل * فكان لي لحله سبيل
اذ هو أمر ظاهر مبذول * واسمه في لفظه رسول
كله إلهنا الجليل

وبذكر السكين تذكرت ما أنشده في نفح الطيب للرصافي وقد بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * وقد صدقت مني القيافة والزجر
فكان من السكين سكناك في الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

(ومما يحسن ايراده هنا) الرسالة السكينية وهي لابن حجة كتب بها لمن أهدى له سكينا ونصها يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت بسام كروه الفقر عيون عزائمها وينهي وصول السكين التي قطع الملوك بها أوصال الجنا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا زرقاء كم شاهدت البيض منها ألوان خرسا ومن العجائب أنها لسان لكل عنوان ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الروس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ما روى مثلها قط كم وجد بها الصاحب في المضايق نفعا وأحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالنصاب والنصل معلمة الطرفين أغلها صبح تقنعت بسواد الدجا فعوذتها بالضحى والليل اذا سجى ولسان برقت لمعته في ظلمات الليل فتنكرت أشعة الانجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز في عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلنا تدخل في مضايق * ليس لسيف قط فيها مدخل
وكلما تفصله توجزه * والرمح في تعقيده يطول

ان هجمت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنمي حلاوة المقال فلا يظهر لما وله طائل وتغني عن آلات الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها

المحلى تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادلة شهد الرمح بعد التئامه أنه أقرب منه للصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يستكمل له النصاب ما للآل فى رأس القلم شعرة الاسمر حقوبا باحسان ولا طالما محت كتابا الازالات غلطه بالكشط من رأس اللسان تعتمد عليه الخناصر لانها عمدة من العدد وعدة وتالله ما وقعت فى قبضة الا أطالت لسانها وكمت بحده ان دخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو ابرزت من عمة كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف بأسنتها الباهرة عين الشمس وبأقامتها الحدة حافظت الاقلام على الجنس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر الغمد وهو غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من قربه الاذنين وقال لمعتدى رسالتك اذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها او كان لك بد تعتمد وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تماند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل لحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وفل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لبارئك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة كحدها لازالت صدقات مهديها تتحف عبيده بنحر وقرى وتأتى فى كل حين عبيده فى داء الفقر ويبرى عنه وكرمه اه (ولبعضهم على لسانها)

أنا أمضى من السيف الصقيل * وأنفذ من شباة الرمح الطويل

فان نظرا بقتل فى اتساع * فكم لى فى المضايق من قتيل

(ثم قال الناظم)

٣جمع شباة وهى حد الرمح وكأنه عنده فى كل ناحية من حد الرمح شباة اه مؤلفه

(64) ﴿وَابْشُرْ بِهِ مَا زِيدَ مِنْ حُرُوفِ * أَوْ مَا عَسَى يَكُونُ مِنْ تَحْرِيفِ﴾

الواو للعطف وابشر بضم الشين فعل أمر من بشر من باب قتل يقال بشر الاديم أو الورق اذا قشر وجهه وبه متعلق بابشر والضمير يعود على السكين لانه مذكر فى اللغة الفصحى وتأنيثه شاذ كما قاله الزجاج وغيره وما مفعول بابشر وزيد صلتها والضمير فى زيد نائب عن الفاعل يعود على ما هو الرابط ومن حروف متعلق بابشر على أنه بيان لما وأو حرف عطف وما معطوفة على ما الاولى وعسى فعل ماض ناقص معناه هنا الاشفاق وفيها ضمير يعود على ما هو اسمها ويكون فعل مضارع من كان التامة وتجريد المضارع الواقع خبر عسى من أن كما هنا قليل والضمير فى يكون عائد على ما أيضا وجملة يكون فى محل نصب خبر عسى ومن تحريف متعلق بيكون على انه بيان لما ﴿والمعنى﴾ ابشر أيها الناسخ بالسكين الذى تجعله حولك ما زدته من الحروف غلطا أو ما عسى أن يقع تحريفا فى الكتابة (وفى القانون) وليكن معه أى الناسخ سكين حاد لبرى القلم وابشر الورق المكتوب اه ثم ان تعبير الناظم بالحروف دون الكلمات أو السطور مثلا يشعر بانه انما يبشر نحو الحرف والحرفين والثلاثة أما اذا كانت الزيادة أكثر من ذلك كالكلمة والكلمات فان الضرب عليها أولى من بشرها وهو كذلك كما فى فتاوى ابن حجر بل أطلق التفروتى فى كتابه تنبيه الغافل فى كراهة أهل العلم البشر والكشط قال لان ذلك محتمل للتغيير وربما أفسد الورقة وما ينفذ اليه وستأتى عبارته فى التتميم آخر هذا الباب ثم ان الضرب على الثانى من المكرر سهوا أولى من الضرب على الاول لان التكرار انما حصل بالثانى ما لم يكن الثانى فى أول السطر فيضرب على الاول صيانة لاول السطر ما لم تكن التى فى آخر السطر مضافا اليها فاليتركها ولیضرب على التى فى أول السطر ليتصل المضاف بالمضاف اليه واذا سقط شئ من الكتابة أخرجه فى الحاشية ان احتملته ويسمى اللحق بفتح الحاء وأشار اليه من محله بخط لطيف وليكن التخريج الى جهة اليمين ان

أمكن وليكتبه فى أعلى الورقة ان أمكن ليبقى ما بعده نقيا فان وجد تغير بعدا آخر جعله فيه ثم يكتب على ذلك صح و يدع مقدار حك آخر الورقة مرارا فلا يوصل الكتابة به لزوالها عند حك ثم ادله قاله أبو على فى القانون وابن حجر فى الفتاوى ﴿فائدة لقلع الحبر من الورق بغير البشر﴾ يؤخذ اسفيداج وهو المعروف عندنا ببياض الوجه وكبريت ومقل أزرق أجزاء متساوية تجمع بالخل وتجعل امثال النوى وتجفف في الظل وتحك بواحدة منها الكتابة فانه ازيلها مع بقاء الورق على حاله ﴿ومركب آخر لذلك﴾ وهو شب يمانى وحب عفص وكبريت أبيض أجزاء متساوية تدق جدا وتخلط بالخل حتى تصير كالمرهم وتعمل حبوبا كالبندق وتحك بالواحدة الكتابة فانها تزول ذكر ذلك الديربى فى مجرباته (وقال الحكيم الشيخ داود الانطاكى فى تذكرته) من خواص الجبس أنه اذا سحق بالزيت وسمير الشب والبورق وهو المعروف عندنا بالمطرون ولطخ على الكتابة أزالها وذكر أيضا فى الفأر أن بوله يقلع الكتابة ومثله فى حياة الحيوان وزاد طريق أخذ بوله أن يصاد فى مصيدة حديد ويوضع اناء وتجعل المصيدة من ناحية الحديدة على فم الاناء ويرى الفأر السنور فانه يبول من ساعته لشدة خوفه اه (ثم قال)

(٦٥) ﴿وسطرك المنسوخ منه علم * بما يميز ولو بالقلم﴾

الواو للعطف وسطرك مفعول مقدم بعلم والمنسوخ نعت لسطر ومنه متعلق بالمنسوخ والضمير المجرور بمن يعود على سطر وعلم فعل أمر بمعنى اجعل العلامة وبما متعلق بعلم ويميز صلتها ومفعول يميز محذوف وهو ضمير يعود على السطر المنسوخ منه وجملة قوله وسطرك المنسوخ منه الخ معطوفة على قوله فى البيت سابقا ولتجعلن حولك سكينا ولو حرف شرط وبالقلم متعلق بمحذوف خبر عن كان محذوفة مع اسمها والتقدير ولو كان التعليم مستقرا بالقلم وجواب لو محذوف لدلالة ما تقدم عليه أى ولو كان التعليم بالقلم فعلم سطرك به ﴿والمعنى﴾ اجعل أيها الناسخ على سطرك المنسوخ منه علامة كورقة أو قلم ليتميز عن غيره من السطور أى فيسهل عليك النظر عند ارادة النقل منه وتقدم الكلام على القلم (ثم قال)

(٦٦) ﴿والمحو دع والضرب لا تكثره * و بين سطر يك النقا وفره﴾

الواو للعطف والمحو مفعول مقدم بدع أى اترك ومضارعه يدع ولا ماضى له وقد يستعمل له ماض شذوذا ومثله فى ذلك ذر بمعنى اترك أيضا ومضارعه يذر ولفظ القاموس فى الاول ودعه أى اتركه وأصله ودع كوضع وقد أميت ماضيه وانما يقال فى ماضيه تركه وجاء فى الشعر ودعه وهو مودوع وقرئ شاذا ما ودعك وهى قراءته صلى الله عليه وسلم قوله وقد أميت ماضيه الخ مثل الماضى اسم الفاعل أيضا كما فى الصحاح وكذلك المصدر وانما يقال تارك وترك ولا يقال وادع وودع الا شذوذا ومن ورود الماضى شذوذا قول الشاعر ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودعه

لا يكن برقك برقا خلبا * ان خير البرق ما الغيث معه

ومن ورود اسم الفاعل شذوذا قول الشاعر

فأيهما ما اتبعن فاننى * حزين على ترك الذى أنا وادع

ومن ورود اسم المفعول شذوذا قول الشاعر

اذا ما استحمت أرضه من سمائه * جرى وهو مودوع وواعد مصدق ٣

أى متروك لا يضرب ولا يزجر كما فى الصحاح ومن ورود اسم الفاعل شذوذا قوله عليه الصلاة والسلام لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين رواه ابن عباس وقال المحقق ابن الطيب فى حواشى القاموس على قوله وقد أميت ماضيه ما نصه * قلت هى عبارة أئمة

٣ قوله وواعد مصدق كذا بالاصل ولعله ووعد مصدق فليحرر اه مصححه

الصرف قاطبة وأكثر أهل اللغة وينافيه ما يأتي من وقوعه في الشعر ووقوع القراءة به فاذا ثبت وروده ولو قليلا فكيف يدعى فيه الاماتة اه قال الشيخ مرتضى عقب كلام شيخه ابن الطيب المذكور ما نصه * قلت وهذا بعينه نص الليث فانه قال وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر واستغنوا عنه بترك والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد رويت عنه هذه الكلمة قال ابن الاثير وانما يحمل قولهم على قلة استعماله فهو شاذ في الاستعمال صحيح في القياس وقد جاء في غير حديث حتى قرئ به قوله تعالى ما ودعك اه فتحصل أن استعمال الماضي والمصدر قياسي مستعمل على سبيل القلة والندور ومن قرأ بالتخفيف في الآية مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبي عبلة ويزيد النحوي كما في المصباح ونص القاموس في ذر ٣ وذره أي دعه يذره تركا ولا تقل وذرا وأصله وذره يذره كوسعه يسعه لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل أو قيل وذرته شاذا اه ونص ابن السكيت فيهما يقال ذر ذا ودع ذا ولا يقال وذرته ولا ودعته اه وقال ابن منظور في لسان العرب ودعه يدعه تركه وهي شاذة وكلام العرب دعني وذرني ويدع ويذر ولا يقال ودعتك ولا وذرتك استغنوا عنهما بتركتك والمصدر فيهما تركا ولا يقال ودعا ولا وذرا وحكاهما بعضهم اه ﴿فائدة﴾ قال المحقق ابن الطيب في حواشي القاموس اختلف أهل النظر هل دع وذر مترادفان أو مختلفان فذهب بعضهم الى الاول وهو رأي أكثر أهل اللغة وذهب أكثرون الى الفرق بينهما فقالوا ودع ويدع مستعملان فيما لا يذم من تركه لانه من الدعة وهي الراحة ولذا قيل لمفارقة الناس بعضهم بعضا موادعة وذر ويذر بخلافه لتضمنه الاهمال وعدم الاعتداد لانه من الوذر وهو قطع اللحمة الحقيرة كما أشار اليه الراغب فلذا قال تعالى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين دون تدعون مع ما فيه من الجناس وقيل دع أمر بالترك قبل العلم وذر بعده كما نقل عن الرازي قيل وهذا لا يساعده اللغة ولا الاشتقاق اه والله أعلم والجملة من قول الناظم والمحو دع الخ معطوفة على جملة قوله علم في البيت قبله والضرب مفعول مقدم أيضا لقوله لا تكثره ولا ناهية وتكثره مضارع مجزوم بها والضمير المفعول يعود على الضرب والجملة معطوفة على الجملة قبلها وقوله بين ظرف مكان معمول لقوله وفره وهو مضاف الى سطري تثنية سطر والمثنى مضاف الى الكاف والنقا أي البياض مفعول بفعل محذوف يفسره وفره المذكور والضمير المفعول بوفر يعود على النقا والجملة معطوفة على الجملة قبلها ﴿والمعنى﴾ اترك أيها الناصح المحو بالكلية أي محو ما كتبته غلطا أي لان ذلك يفسد الورق ولا تكثر الضرب أي التشطيب أي لئلا يظلم الكتاب واترك البياض بين السطرين أي فانه أبهج وأحسن في النظر فيكون بياض الورق بين سواد المداد كالقمر تحت جناح الليل والمراد بالبياض المتروك بين السطرين بياض قليل لا كثير اذ المطلوب التوسط في السطور بين التوسيع والتضييق (وفي القانون) وليحذر كثرة المحو والضرب لئلا يظلم الكتاب فيفسد أكثر مما يصلح اه لكن الاولى ترك المحو رأسا كما أفاده الناظم (ثم قال)

(67) ﴿واكتب بخلوة وقم عند الملل * وارصد فراغك ودع عنك العجل﴾

الواو للعطف واكتب فعل أمر من الكتابة وهي تنقيش ما في الذهن من العلوم مثلا بالخط بواسطة تركيب الحروف وبخلوة متعلق باكتب والخلوة مثلثة الخاء محل الاختلاء وهو المراد هنا على الاقرب فالباء ظرفية ويصح كونه مصدرا والباء بمعنى مع أي مع الاختلاء وعليه فهو بفتح الخاء لا غير وقم فعل أمر وعند ظرف زمان معمول له والملل أي الضجر مضاف اليه الظرف وارصد بضم الصاد فعل أمر بمعنى انتظر وارتقب وفراغك أي خلوك من الاشتغال مفعول بارصد ودع فعل أمر بمعنى اترك وعنك متعلق به والعجل مفعول به وهو مصدر عجل من باب تعب أي أسرع والبيت يحتوي على ثلاث جمل كل منها

٣ كذا بالاصل والمناسب ان يقال في مادة الوذرة لان هذا النص موجود بها اه مصححه

معطوف على ماقبله ﴿والمعنى﴾ اكتب أيها الناسخ بمحل خال من الناس واترك الكتابة عند ضجرك وملالك وارتقب للنسخ وقت الفراغ ولا تكتب في وقت العجلة (وفى القانون) ومحل كل من النسخ والمقابلة والتصنيف الخلوة والبعد عن الشواغل خاطئ الالباب يشغل ذوى الالباب وان كان الشاغل باطنا بجوع أوخوف أوعشق أوتفكر فى شئ مما أرهم منافع الخلوة اه وقيل أسباب فهم سرورك فقال فى قلم راشق وحبر بارق وكاغد صقيل ومكان ليس فيه قال ولا قيل (ثم قال)

(٤٨) ﴿واكتب بحمرة تراجم الكتاب * أو رأس قول أو سؤال أو جواب﴾

الواو للعطف واكتب فعل أمر وبحمرة متعلق به وهو على حذف مضاف أى لون حمرة لان الحمرة معنى من المعانى والمكتوب به هو الذات وتراجم مفعول اكتب وهو جمع ترجمة بفتح أوله وثالثه وهى مأخوذة من الرجم (قال فى شرح القاموس نقلا عن آداب الكاتب لابن قتيبة) ثم وقع الخلاف هل هى من الرجم بالحجارة لان المتكلم رمى بها أو من الرجم بالغيب لان المترجم يتوصل الذلك بها قولان لا تنافى بينهما اه ببعض تغيير والمراد بالتراجم الابواب والفصول ونحوهما والكتاب مضاف اليه تراجم وأو حرف عطف للتنويع ورأس معطوف على تراجم وقول مضاف اليه رأس وسؤال معطوف بأو التنويعية على قول مدخول لرأس وكذلك قوله أو جواب لان الذى يكتب بالحمرة هو رأس السؤال أو رأس الجواب نحو فان قلت أو فان قيل فالجواب لا جميع السؤال والجواب وكذا ما يأتى من المعطوفات ﴿والمعنى﴾ اكتب أيها الناسخ تراجم الكتاب أو رأس القول نحو قال فلان أو رأس السؤال أو رأس الجواب بالاحمر أو الاخضر أو الازرق أو غيرها مما يخالف لون المداد (وفى القانون) ولا بأس بكتابة الابواب والفصول وسائر التراجم بلون حمرة أو صفرة أو خضرة وكذا كل ما يقع فى خلال الكلام من تنبيه أو بحث أو سؤال أو جواب أو تنكيت أو فائدة أو لطيفة أو رجوع أو رجع أو نحو ذلك لانه أزيد فى البيان وفى حسن الكتاب اه (وفى فتاوى ابن حجر) ولا بأس بكتابة نحو الترجمة والمتن بالحمرة اه (ثم قال)

(٤٩) ﴿أو بحث أو لطيفة أو فائدة * أو عد أقوال تخذها قاعدة﴾

بحث بالخفض معطوف بأو التنويعية على قول مدخول لرأس كما مر وكذا قوله أو لطيفة أو فائدة وأما قوله أو عد أقوال فهو بالنصب عطفا على تراجم أو على رأس لان الذى يكتب بالحمرة منه لا هو عدد الاقوال نحو الاول الثانى الثالث وهكذا لا رأس العدد اذ لا معنى له الا أن يراد بالعد المعدود من اطلاق المصدر وارادة اسم المفعول والاضافة حينئذ من اضافة الصفة للموصوف أى الاقوال المعدودة فيصح على هذا الحمل قراءة عد بالخفض مدخولا لرأس وهذا الحمل أقرب بلفظ الناظم حيث قال عد ولم يقل أو عدد الاقوال تخذها قاعدة وجملة قوله اكتب بحمرة الخ معطوفة على جملة قوله فى البيت قبله وبين سطريك التفاوت فره ويقرأ قوله أو بحث أو بوصل همزة أو الواقعة بعد بحث للوزن وقوله تخذها قاعدة الفاء زائدة وخذ فعل أمر والهاء ضمير المفعول يعود على الكتابة المأخوذة من قوله واكتب وقاعدة منصوب على الحال من ضمير المفعول والقاعدة لغة الاساس جمعه قواعد ومنه قواعد البيت واصطلاحا حكم كلى يتعرف منه أحكام جزئيات موضوعه ﴿والمعنى﴾ واكتب أيها الناسخ بالحمرة أيضا رأس بحث أو رأس لطيفة أو رأس فائدة أو عد الاقوال أى أو المذاهب أو نحو ذلك تخذ كتابة ماذكرناه بالحمرة قاعدة من قواعد النساخة وآدابها وسيأتى الكلام على معنى الفائدة واشتقاقها عند قول الناظم فى آداب المدرس * والشئ لا تكثر لغير فائدة * وأخرنا الكلام عليها الى ذلك المحل لان

المقصود

المقصود منها هنا الرمز الى معناها وأما هنا فالمقصود مجرد لفظها (ثم قال)

(٧٠) ﴿أو شبه ذاك وان اللون اتحد * فغالط الخط فذاك أسد﴾

أو عاطف وشبه بالنصب معطوف على قوله عد أقوال وذاك مضاف اليه شبه والاشارة عائدة لما تقدم من قوله تراجم الكتاب الخ ويدخل تحت قوله أو شبه ذاك نحو تنبيه ونكتة ورجع وعجيبة ومستملحة وتتمة وغير ذلك مما لا يخفى على الطالب الحاذق وقوله وان اللون اتحد هذا جواب عن سؤال مقدر كأن قائلا قال للناظم فان لم يتيسر للناسخ لون الحمرة ماذا يصنع فيما ذكرت فأجاب بقوله وان اللون اتحد الخ فالواو للاستئناف البياني وان حرف شرط واللون فاعل بفعل محذوف يفسره اتحد المذكور وقوله فغالط الفاء رابطة للجواب بالشرط وهي لازمة لوقوع الجواب طلبا وغالط فعل أمر والخط مفعوله وهو في الاصل مصدر خط يخط أي كتب والمراد هنا المخطوط أي الكتابة وقوله فذاك أسد الفاء زائدة لتزيين اللفظ وذلك مبتدأ والاشارة الى التغليظ المأخوذ من غالط وأسد بالسين المهملة أي أصوب خبر المبتدأ ﴿والمعنى﴾ واكتب أيها الناسخ بالحمرة أيضا شبه ما تقدم وان اتحد اللون أي كان واحدا بان لم تجد الا الحبر فغالظ الخط في كتابة شيء مما ذكرت لك كتبه بالحمرة فذلك أصوب وأرشد للمراد من كتابته بالحمرة وهو البيان (وفي القانون) فان لم يوجد غير الحبر فليغلظ الخط ويطله أكثر ليعلم ذلك اهـ (وللشهاب المنصوري ملغزا في الخط)

أيها البارع الذي كم أماج * حل من ربقة المعمى ولغزا
أي شيء حاكى الدياجي وحاكت * عند تفويقه الانامل طرزا
ومن البيض كم تملى بوصل * واليه ما زالت السمر تعزى
وبه تحفظ الشرائع حتى * صار صونا لكل علم وحرزا
أخرس يوسع الانام حديثا * وله الدهر لست تسمع ركزا
فأجب فهو في الجلاء جلي * زادك الله رفع قدر وعزا

(ثم قال)

(٧١) ﴿وان تجد بالاصل لحنا ظاهرا * وكنت في العلوم بحرا زاخرا﴾
(٧٢) ﴿فلتصلحن لحنه والملبس * اكتب كذا عليه فهو أقيس﴾

الواو للاستئناف وان حرف شرط وتجد مضارع مجزوم بها وبالاصل متعلق به والمراد بالاصل الكتاب المنسوخ منه ولحنا مفعول بتجد وظاهرا نعت للحنا وقوله وكنت الواو للحال وكنت فعل ماض ناقص واسمه وبحرا خبره وزاخرا أي ممتدا نعت له وفي العلوم متعلق ببحرا أو بزاخرا والمراد بالمتبحر المتعمق وجملة وكنت في العلوم الخ في محل نصب على الحال وقوله فلتصلحن الفاء رابطة للجواب بالشرط وهي لازمة واللام لام الامر وتصلحن مضارع مجزوم المحل بها مبني على فتحة الحاء لاتصاله بنون التوكيد الشديدة ولحنه مفعول بالفعل والضمير المضاف اليه لحن يعود على الاصل والاضافة على معنى في أي اللحن الواقع فيه والجملة في محل جزم جواب الشرط وقوله والملبس الواو للاستئناف والملبس مبتدأ وهو اسم فاعل من ألبس بمعنى أشكل واكتب فعل أمر وكذا في محل نصب مفعول بالفعل وهو محكي قصد لفظه أي اكتب عليه هذا اللفظ وهو كذا وعليه متعلق باكتب والضمير المجرور بعلى يعود على الملبس وجملة قوله اكتب كذا عليه في محل رفع خبر المبتدا على الصحيح من جواز وقوع الجملة الطلبية خبرا وعليه السعد رحمه الله في شرحي التلخيص خلافا لمن منع ذلك واحتاج الى تأويل ما ورد من ذلك على ان الخبر قول مضمر والجملة الطلبية مفعول به فيقدر هنا والملبس مقول فيه اكتب كذا عليه وهذا وان ارتضاه

السيد رحمه الله فى حواشى المطول فقد تكفل بالرد عليه المحقق عبد الحكيم السيالكوتى فى حواشيه وقد خص بعض الافاضل من أهل العصر المسئلة بانما أليف والتصرف فيه للسعد وقوله فهو أوبس مبتدأ وخبر والفاء زائدة لتحسين اللفظ والضمير المبتدأ يعود على الكتب المأخوذ من اكتب ﴿والمعنى﴾ وان تجد أيها الناسخ بالاصل المنتسخ منه لحنا ظاهرا لا تشك أنه من غلط الناسخ والحالة انك متبحر فى العلوم بحيث تتحقق انه لحن قطعا لا وجه له فأصلح ذلك اللحن وان تجد بالاصل لفظا مشكلا فاكتب عليه لفظ كذا ومعناه كذا وجد فكتب ذلك أوبس * وينبغى أن يكتب أيضا بالحاشية لعل الصواب كذا ولا يصلح ما ألبس وانما ينبه عليه بالحاشية كما علمت فأفاد الناظم رحمه الله ان ما كان لحنا قطعا يصلح وما ألبس يكتب عليه كذا ولا يصلح الا بالتنبيه عليه فى الحاشية والذى ذكره الائمة هو انه لا يقدم على اصلاح لحن فى أصل الكتاب ولو تحقق انه لحن سدا للذريعة بل يكتب عليه كذا ويكتب بالحاشية صوابه كذا ونقل ابن الصلاح عن القاضى عياض أنه قال الاولى سد باب التغيير والاصلاح لئلا يجسر على ذلك من لا يحسن وهو أسلم مع التبيين اه‍ (وفى مفتاح الشفا للعلامة أبى زيد سيدى عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسى مانصه) وقد علم ان المختار الصحيح فيما يعرض فى الاصول مما يظن به السهو انه يقرأ كما هو ولا يغير وانما ينبه عليه فقط اه‍ (وقال العلامة الشيخ جسوس) الواجب أن لا يقع التصرف فى الاصول أصلا ولذا اذا وقع سهو فى تصنيف ولو من ألفاظ القرآن فانه لا يغير بل ينبه عليه فى حاشية الاصل اه‍ (وقال النفجروتى فى تنبيه الغافل) واذا وقع فى الكتابة خطأ وحققته كتب عليه كذا صغيرة وكتب فى الحاشية صوابه كذا ان تحققه اه‍ ولعل مقصود الناظم بقوله والتصلحن لحنه ما كان لحنا قطعا ولم تتوافق عليه النسخ بل وجد فى نسخة لحنا وفى غيرها صوابا فان هذا يظن به عدم الوقوع من المؤلف للكتاب وأما اذا توافقت النسخ عليه فيبقى على ما هو عليه ويكتب عليه كذا ويقال فى الحاشية صوابه كذا وبهذا يرجع كلام الناظم الى كلام الائمة والله أعلم ثم ان مراده بقوله والتصلحن لحنه أن الاصلاح يجعل فى الكتاب المنسوخ لا المنسوخ منه كما أشرنا اليه بدليل قوله أو اترك البياض الخ * وأما اصلاح اللحن فى الكتاب المنتسخ منه فلا يجوز الا أن يعلم رضى صاحبه وكان المصلح لبيبا لا يولى الكتاب فسادا (وقد وقع الرئيس أبو عثمان على كتاب استعاره فأصلح فيه خللا)

كتابك هذا لم يزل فى صيانة * كذلك بوجه الحق حق الامانة
نخذه كما أعطيته غير ما جرى * به قلم الاصلاح بعد استبانة

﴿قلت﴾ وقد وقع لى نظير هذا فكتبت على كتاب استعرته

منحت كتابا لخل الوفاء * وبلغته منه كل مراد
فدونكه مثل ما قد أتى * سوى ما جرى من يراع السداد

ثم ان مراد الناظم بقوله لحنا ما هو أعم من معناه اللغوى فيشمل اللحن والتصحيف والتحريف والى الفرق بينهما أشار بعضهم بقوله

متى أتى الخطأ فى الاعراب * فسم باللحن بلا ارتياب
وان بدا ذلك فى الحروف * فهو الذى لقب بالتصحيف
هذا اذا النقطت فى صاد بضاد * ونحوه فافهم هديت للمراد
وان أتى الخطأ فى الحروف * بالشكل سم ذاك بالتحريف

(ثم قال)

(٢٣) ﴿أو اترك البياض فهو أسلم * حتى ترى أصلا به تتمم﴾

او

أو حرف عطف للتخيير واترك فعل أمر والبياض مفعوله والجملة معطوفة على قوله اكتب كذا الخ وقوله
فهو أسلم جملة من مبتدإ وخبر والضمير المبتدأ يعود على الترك المأخوذ من اترك والفاء الداخلة عليه
زائدة لتزيين اللفظ وقوله حتى ترى الخ حتى ناصبة للمضارع بعدها وهى للغاية فى الزمان بمعنى الى وأصلا
مفعول ترى وهو على حذف صفة دل عليها المعنى أى أصلا آخر صحيحا وتم مضارع مبنى للفاعل
وفاعله مستتر فيه وبه متعلق بالفعل والضمير المجرور بالباء يعود على الأصل والجملة فى محل نصب
نعت لقوله أصلا ﴿والمعنى﴾ وان أردت أن لا تكتب على المشكل كذا فاترك موضعه أبيض حتى تنظر
نسخة أخرى صحيحة تتم منها ذلك اللفظ المشكل الذى تركت محله أبيض فذلك أسلم لاحتمال أن تكون
اشكالات ذلك اللفظ عندك وهو فى الواقع غير مشكل وعلى تقدير انه فى الواقع غير صواب فترك
البياض أسلم من بشر الورق فاذا وقفت بعد على أصل صحيح تصلح منه ذلك المشكل وينبغى حيث ترك
البياض أن يكتب بالحاشية المشكل الموجود فى المنسخ منه ويكتب عليه كذا ثم ان ما مشينا عليه من
عطف قوله أو اترك البياض على قوله اكتب كذا على المشكل واختصاص ترك البياض بالمشكل دون
اللحن هو الظاهر ويحتمل أن يرجع أيضا لقوله فلتصلح لحنه ويكون قوله أو اترك البياض معطوفا
عليه فيصير المعنى وان شئت أن لا تصلح اللحن الظاهر ولا تكتب على المشكل كذا فاترك البياض لذلك
الخ وفى قوله تتم من براعة الاختتام لهذا الباب ما لا يخفى ﴿تتميم﴾ بقى على الناظم آداب تتعلق
بالكتب واعارتها ونسخها فمنها ما فى المدخل أنه ينبغى للناسخ أن يحذر من النسخ فى غير العلوم الشرعية
لانه ان فعل ذلك فقد ناقض نيته التى تطلب منه وهى اعانة اخوانه المسلمين على العلم فليحذر أن ينسخ
ما فيه كذب كقصة البطال وعنترة وشبههما فان ذلك ممنوع أو الحكايات وشبهها فانه مما لا ينبغى وكذلك
لا ينسخ لظالم أو من يعينه على الظلم أو من فى كسبه شبهة فانه ان فعل ذلك دخل فى قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون الآية * ومنها انه يتعين عليه أن لا ينسخ فى المسجد كما فى المدخل قال
وان كان فى عبادة لانه فى سبب والاسباب ينزه المسجد عنها هذا ان لم يأت به فان توقع ذلك منع وان كان
قليلا اه ﴿وأقول﴾ وظاهر قوله لانه فى سبب أن ذلك ان كان ينسخ لغيره بأجرة فان كان لنفسه أو لغيره
احتسابا بلا أجرة فلا بأس به فى المسجد ما لم يتوقع التلويث والله أعلم * ومنها أنه يتأكد فى حقه اذا سمع
الاذان أن يترك ما هو فيه ويشتغل بحكاية المؤذن ويتهيأ لايقاع الصلاة فى أول وقتها المختار جماعة اللهم
الا أن يكون الاذان وهو يكتب فى أثناء الورقة فلا يترك الكتابة حتى يكملها لانه يختلف خط الورقة
بسبب قيامه عنها فيمهل حتى يتمها وكذلك لو كان يسطر فى أثناء الورقة فلا يرفع يده حتى يكملها
وليس هذا بمذموم لانه راجع الى حسن الصنعة ونفع اخوانه المسلمين وهذا ما لم يخش فوات الجماعة
والله أعلم قاله فى المدخل * ومنها انه اذا كان مستأجرا على نسخ كتاب لا ينسخ لغير مستأجره بدون علمه كما فى
المدخل لما فى ذلك من عدم النصح مع الحرص * ومنها أنه لا يجوز كتب الحواشى والطرر على الكتاب
المستعار الا أن يأذن صاحبه بالقول أو يعلم رضاه وفى آخر كتاب تنبيه الغافل ما نصه ومن المنهل
الراوى لا بأس بكتابة الحواشى والفوائد المهمة فى حواشى كتاب يملكه ويكتب عليه حاشية أو فائدة
ولا يكتب الحواشى بين الاسطر ولا فى كتاب لا يملكه الا باذن مالكه واذا وقع فى الكتاب ما ليس منه
نفى بالضرب أو الحك أو المحو وأولاها الضرب وقيل يخط فوقه خطا بينا مختلطا به ويتركه يمكن القراءة
ويسمى الشق وقيل لا يختلط بالكتابة بل يكون فوقه معكوفا على أوله وآخره وأما الكشط والحك
والمحو فكرهها أهل العلم لان الحك والكشط يحتمل التغيير وربما أفسد الورقة وما ينفذ اليه والمحو
مسود الكرطاس واذا أصلح شيأ فقال الخطيب ينشره بنخالة الساج ويتقى التتريب اه (وفى القانون)

ولا بأس بكتابة الحواشي والفوائد على كتاب علكه ولا يكتب عليه صح فرقا بينه وبين التخريج فان شاء كتب عليه حاشية أو فائدة أو طرة ولا ينبغي أن يكتب إلا الفائدة المناسبة للمتن الذي عليه الحاشية كبحث فيه أو تنبيه أو عزو ناقل أو منقول عنه أو تحليته أو ضبط بقلم اللسان أو حكاية توايد المحل ونحو ذلك وليحافظ على البيان اه ومثله في فتاوى ابن حجر وزاد انه لا يكثر من ذلك لئلا يظلم الكتاب (وفي القانون والفتاوى أيضا) انه لا يكتب بين السطور الا ان تباعدت وكان الشيء خفيفا فلا بأس (وفيها أيضا) ان ما كان في الكتاب مستغربا أو منكرا وهو صحيح فليكتب عليه صح وليجعلها صغيرة اه وقول الخطيب في نقل التعبير وفي عنه بنشره بنخالة الساج ويتقي التتريب يعني بالتتريب جعل التراب عليه لئلا يختلط ما أصلح أو كتب عند وقوع الورق بعضه على بعض قبل اليبس وكأن ذلك لصيانة الحروف من وقوع التراب عليها لكن قد ورد حديث فيه الامر بذلك فحمله بعضهم على حقيقته من جعل التراب فيه وحمله بعضهم على القائه الى الارض بعد كتبه وهو بعيد وحمله بعضهم على طلب التواضع في الخطاب المجعول في الكتاب وما ألطف ما قال ابن العربي المعافري وقد كتب كتابا فقال له بعض الحاضرين ذر عليه نشارة فأجابه في الحين

لا تشنه بما تذر عليه * فكفاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذي يذر عليه * جدري بوجنة حسناء

* ومنها أن يستعمل الحزم عند اشتراء الكتاب أو الاستنساخ منه أو استعارته بالاحتراز من أن يكون فيه فساد أو بتر أورداءة خط لا يحصل معها الغرض فلا بد أن يتفقده بالتقليب فان أمكنته المقابلة فهي أولى بنسخة موثوق بها أو أكثر وان ضاق الامر عن ذلك فليتصفحه أو يوكل به من يتصفحه حتى يظهر حاله ولو بالامارات كما قال الشافعي اذا رأيت الكتاب فيه الحاق أو اصلاح فاشهد له بالصحة أي في الجملة (وقيل) لا يضيء الكتاب حتى يظلم أي بالاصلاح قاله ابن حجر في الفتاوى ومثله لابي علي في القانون وزاد ونحن نقول اذا لم نر فيه الحاقا ولا اصلاحا فاشهد عليه بالفساد واذا ابيضت حواشيه فلا بياض عنده اللهم الا كتب القدماء الذين كانوا يأخذون الكتب رواية على الاشياخ ويعتمدون الضبط بلسان القلم أما اليوم فقد وقع في الكتب من الفساد ما لا يتدارك لولا حفظ الله تعالى لدينه وما أحوج الناس الى اقامة الحسبة على الناسخين وقد اعتنوا بشربة لبن أن لا يزاد فيها ماء وخبزة أن لا ينتقص منها قيراط وأهملوا الكتب التي هي قوام الدين ومرجع الامر كله اه * ومنها كما في المدخل والقانون والفتاوى أن يكون الناسخ على طهارة في بدنه وثوبه وأن يكون على وضوء فان شق ذلك عليه فليكن في أول جلوسه على وضوء ثم يغتفر له ما بعد ذلك الا أن يكون ينسخ كتاب الله فلا بد من الوضوء حين يباشره في كل حين طرأ عليه الحدث اللهم الا أن يكون ممن تجوز له الصلاة بذلك الحدث فيتوضأ في أول جلوسه ويغتفر له ما بعد ذلك * ومنها أن يكتب البسملة في أول الكتاب فان كان الكتاب مبدوأ بها أو بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليكتب ذلك بعد مع سائر الكتاب والا فليكتبه أولا ثم يشتغل بعد بالكتب وكلما انقضى جزء حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب تم كذا ويتلوه كذا حتى يتم كله فليكتب ذلك بيانا واعلاما وكلما كتب اسم الله فليتبعه بما ينبغي من التعظيم نحو سبحانه أو تعالى أو عز وجل وكلما كتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم صلى بلسانه وقلبه سواء كان في الاصل أو لا وكلما كتب اسم أحد من الصحابة أو علماء الدين وسائر الصحابة ترضى عليه أو ترحم ويكمل الصلاة والسلام بالكتابة ولو تكررت في السطر مرارا ولا يختصر كما يفعل بعض المحرومين يكتب صلعم ولا يصلي على غير الانبياء الا تبعا اه (قلت) وقد صدق والله في تسمية من يختصرها محروما لما يفوته

من الخير الكثير والبر الغزير كثواب كتابتها وثواب صلاته حين كتابتها وثواب ناظرها اليها مكتوبة وثواب سماعها من نفسه فلا يبعد أن يعطيه الله ثواب ذلك كله كما قاله بعض العلماء والاعمال بالنيات (وفى الحديث) من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام اسمى فى ذلك الكتاب ﴿وفى فهرسة الامام القصار رحمه الله ما نصه ﴿بشارة عظيمة﴾ قال محمد بن عبد العظيم المنذرى رأيته فى النوم دخلنا الجنة وقبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابشروا كل من كتب بيده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معه فى الجنة اه منها (وفى ألفية السير)

واجتنب الرمز لها والحذفا ﴿ منها صلاة أو سلاما تكفا

أى يكره الرمز لها بحرف أو حرفين كأن يكتب رمزا لها صلعم ويقال أول من رمز لها بذلك قطعت يده والعياذ بالله ﴿ومنها وهى أعمها المقابلة بعد النسخ فان المقصود من الكتب هو الاستفادة منها عند المراجعة فهى كخبر بخبر وشاهد يشهد فلا بد أن تكون صحيحة موثوقا بما فيها والا لم تفد فالمقابلة بعد النسخ من كماله يروى عن هشام بن عروة أنه قال قال لى أبى يا بنى كتبت قلت نعم قال عارضت أى قابلت قلت لا قال لم تكتب وقد قيل الذى يكتب ولا يقابل كالذى يدخل الخلاء ولا يستنجى (ومن كلام المناوى) اكتب وقابل والا اطرح فى المزابل ولا بد أن تكون المقابلة بأصل صحيح أو أكثر وأن تكون ممن هو أهل ولا يعتد بها ممن تكون عنده جهالة أو ندامة أو غفلة وكلما تكررت المقابلة وتعددت الاصول قويت الثقة بأن هذا هو ما قاله المؤلف وقد قالوا لو عورض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يبقى خطأ وهذا كما يقال ان الكتاب ما يرتفع عنه القلم كالمكلف (ولبعضهم فى هذا المعنى)

كم من كتاب لى قابلته ﴿ وقلت فى نفسى صححته

حتى اذا طالعته ثانيا ﴿ وجدت تصحيفا فأصلحته

ثم اذا اشتغل بالمقابلة ففى أى محل وقف يكتب عليه بلغت أى المقابلة ﴿ومنها أن يتقن تجليدها وتغشيتها من غير اسراف ويبادر الى تجديد الجلد لما اخلق جلده منها وتلاشى وما ألطف قول بعضهم يأمر بتجديد الجلد للكتاب وفيه تورية

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده ﴿ وما أحد فى دهره يتخلد

اذا عاينت كتبى الجديدة حاله ﴿ يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ففى تجليدها جمال الكتاب وترفيع له واحترامه وترفيعه متعين ﴿ومنها أن لا ينفض عنها الغبار بالضرب ولا بالنفخ بل بالمسح بشئ طاهر الى غير هذا من الآداب التى لا تخفى على أولى الالباب (ثم قال الناظم)

﴿باب آداب يوم الخميس﴾

ذكر فى هذا الباب ما يتعلق بيوم الخميس من الآداب كالاجتماع بالاصحاب والبروز الى أبدع الرحاب وترويح النفس بما لا يخرج عن الصواب فباب خبر مبتدا محذوف كما تقرر وهو مضاف الى آداب جمع أدب وآداب مضاف الى يوم وهو مضاف الى الخميس ويجمع الخميس على أخمسة وأخمساء كنصيب وأنصبة وأنصباء وسمى يوم الخميس لانه خامس الايام لان أول الايام هو يوم الاحد على خلاف فى ذلك وتسمية الباقى من الايام الى الجمعة ظاهر وسمى يوم الجمعة بذلك لانه تم فيه خلق العالم فاجتمعت أجزاؤه فى الوجود وسمى يوم السبت بذلك لان السبت القطع وفى ذلك اليوم انقطع الخلق لان الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وقول اليهود لعنهم الله ان الله استراح فيه تولى الله سبحانه وتعالى الرد عليهم بقوله وما مسنا من لغوب ومن ثم أجمعوا على انه لا أبلد من اليهود وكذا من تبعهم من الجهمية ﴿ثم ان هذه الاسماء أعلام

بالغلبة فتلزمها اللام وقد يجرد الاثنين من اللام دون اخواته كما قاله العلامة جسوس فى شرح الشمائل وفى التصريح أيضا ان الصحيح عند الجمهور أن أسماء الايام اعلام بالغلبة وقد بحث العلامة اللقانى فى كون الاثنين علما بالغلبة بما هو ظاهر جدا وصوب انه علم منقول انظر حاشية يس على التصريح فى مبحث أل الداخلة على العلم بالغلبة وعليه فأل الداخلة على الاثنين للمح الاصل والله أعلم والايام كلها مذكرة الا الجمعة يقال مضى السبت بما فيه ومضت الجمعة بما فيها كما نصوا عليه ﴿قلت﴾ وهو ظاهر لكن لا يخفى ان تأنيث الجمعة باعتبار اللفظ ولا مانع من أن يذكر ويراد به اليوم والله أعلم ﴿واعلم﴾ أن ليوم الخميس فضيلة وبركة جليلة ففيه خلق الله السموات كما خلق فى يوم الاحد الارضين وفى يوم الاثنين الجبال والشجر وفى يوم الثلاثاء الاقوات وفى يوم الاربعاء ذوات الاربع والطيور وفى يوم الجمعة فى ساعتين الليل والنهار وخلق آدم وحواء من آخر ما خلق فى آخر النهار رواه عكرمة * وفى تفسير رؤيا يوم الخميس قال العابر بن جابر

يوم الخميس يوم بشر وفرح * وحاجة تقضى ونيل وصرح

وهو أيضا اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس رواه الطبرانى عن نبيط بنون وموحدة مصغر ابن شريط بفتح المعجمة أوله باسناد ضعيف وفى حديث آخر بارك الله لامتى فى سبتها وخميسها * وفى صحيح البخارى عن كعب بن مالك أنه ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج اذا خرج فى سفر الا يوم الخميس قال الحافظ ابن حجر وكونه صلى الله عليه وسلم كان يحب الخروج يوم الخميس لا يستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه اه وقال فيه صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الايام فى رواية أنس فقال يوم السبت يوم مكر وخديعة لان قريشا مكرت فيه فى دار الندوة ويوم الاحد يوم غرس وعمارة لان الله ابتدأ فيه خلق الدنيا ويوم الاثنين يوم سفر وتجارة لان شعيبا عليه السلام سافر فيه واتجر فربح ويوم الثلاثاء يوم دم لان حواء حاضت فيه وأراق ابن آدم دم أخيه فيه ويوم الاربعاء يوم نحس مستمر لان الله أغرق فيه فرعون وأهلك عادا وثمود لكن ذكر بعض تلامذة القصار ما يدل على ان نحسه خاص بالكافرين ويوم الخميس يوم قضاء الحوائج والدخول على الملوك لان ابراهيم عليه السلام دخل فيه على الملك فأكرمه وقضى له حوائجه وأهدى له هاجر ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح لان الانكحة كانت تعقد فيه والى هذا يشير سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى النظم الذى نسبه له جماعة كالعلامة أبى القاسم بن سعيد العميرى فى فهرسته والعلامة سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدى فى تأليفه فى المدارسة والحافظ السيوطى فى تأليفه معترك الاقران فى وجوه اعجاز القرآن وغيرهم وهو

فنعم اليوم يوم السبت حقا * لصيد ان أردت بلا امتراء
وفى الاحد البناء لان فيه * تبدى الله فى خلق السماء
وفى الاثنين أسفار وربح * وأمن فى الطريق وفى العطاء
ومن يرد الحجامة فالثلاثا * ففى ساعاتها هرق الدماء
وان شرب امرؤ يوما دواء * فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفى يوم الخميس قضاء حاج * وفيه الله يأذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه * ولذات الرجال مع النساء
فهذا العلم لا يحويه الا * نبى أو وصى الانبياء

﴿فائدة﴾ قال المبرد فى كتاب الازمنة ما نصه وكانت العرب تسمى أيام الاسبوع بأسماء استعمل الناس

غيرها باسم احدثه الله بعد وسماه فقال عز وجل اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا وقال عز ذكره اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم باقى ذلك فجرت به السنة فأما أمرهم قبل فانهم كانوا فى الجاهلية يسمون الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس المؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وقد بين الشاعر أسماء هذه الايام بقوله

أرجى أن أعيش وان يومى ✱ بأول أو بأهون أو جبار
أو التالى دبار أو فيومى ✱ بمؤنس أو عروبة أو شيار

نقله العلامة ابن النقيب السلاوى فى شرح الشمقمقية وفى قص الاظفار يوم الخميس الغنى كما أشار له السيوطى فى الاسفار عن قلم الاظفار بقوله

فى قص الاظفار يوم السبت آكلة ✱ تبدو وفيما يليه تذهب البركة
وعالم فاضل يبدو بتلوهما ✱ وان يكن فى الثلاثا فاحذر الهلكة
ويورث السوء فى الاخلاق رابعها ✱ وفى الخميس الغنى يأتى لمن سلكه
والعلم والحلم زيدا فى عروبتها ✱ عن النبى روينا فاقتفوا نسكه

(قات) هكذا نسبه للسيوطى العلامة أبو القاسم العميرى فى فهرسته والذى للزرقانى فى شرح الموطا وغيره انها تنسب للحافظ ابن حجر وقال السيوطى والسخاوى ان ذلك مفترى على ابن حجر وقد وقفت على تأليف السيوطى فوجدته ذكر الابيات وأنكر نسبتها لابن حجر والله أعلم ولبعض شعراء العرب ملغزا فى أيام الاسبوع

سبعة كلهم اخوان ✱ ليس يموتون وهم شبان ✱ لم يرهم فى موضع انسان

(ثم قال الناظم)

(٧) يوم الخميس هو عيد الطلبة ✱ خذ فيه راحتك ياذا المرتبة

يوم الخميس مبتدأ ومضاف اليه وهو ضمير فصل لا محل له من الاعراب وهو مذهب البصريين ثم اختلفوا فقال أكثرهم انه حرف وتسميته ضميرا لكونه على صورته وقال الخليل انه اسم وعيد الطلبة خبر ومضاف اليه والطلبة جمع طالب ككملة جمع كامل ويجوز أن يكون لفظ هو ضميرا اسما عند من قال ان ضمير الفصل اسم له محل من الاعراب وهو مذهب الكوفيين فيكون مبتدأ ثانيا ومابعده خبره والجملة خبر الاول وكونه حرفا هو المشهور ثم يتعين كونه ضمير فصل لا محل له فى مواضع مخصوصة انظر الفريدة وشرحها للناظم وطرر شرح المحقق ابن زكرى عليها وأصل عيد عود أبدلت الواو ياء لوقوعها اثر كسرة وهو مشتق من العود أى الرجوع لانه يعود بالفرح والسرور (قال ابن الانبارى) معنى يوم العيد اليوم الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح أو الحزن ✱ وسأل رجل الجنيد لماذا سمى يوم العيد فقال لان آدم لما خرج من الجنة وأهبط الى الارض ثم تاب الله عليه فرده الى الجنة كان فى ذلك اليوم فقيل له يوم عيد لانه عاد الى الجنة فيه نقله الشريشى فى شرح المقامات (وقال القلشانى) سمى عيدا لان الفرح الشامل يعود للخلق فيه اهـ وقيل سمى عيدا لكثرة عوائد الله تعالى فيه على خلقه كما قيل فى ليلة العيد تفرغ حلل العتق على العبيد فمن ناله منهم فهو له عيد والا فهو وعيد ولله در من قال شعر أبو اسحاق الالبيرى الاندلسى كما فى ديوانه

ماعيدك الفخم الا يوم يغفر لك ✱ لا أن تجر به مستكبرا حللك
كم من جديد ثياب دينه خلق ✱ تكاد تلعنه الاقطار حيث سلك
وكم مرقع أثواب جديد تقى ✱ بكت عليه السما والارض حين هلك

لعل المعنى تاب عليه فالتوبة سبب الرجوع بعد والله أعلم اهـ مؤلفه

ما ضر ذلك أطمار ولا نذمت * هذا الشباب ولو أن الرقاب ملك

(ولآخر)

وما العيد باستعمال طيب وزينة * ولا أن يرى فيه عليك جديد

ولكن رضا الرحمن عندى هو الذى * يقال عليه فى الحقيقة عيد

فمن به على العبيد تفضلا * وأكرمه اذ يأتى اليك فريد

وبذكر العيد تذكرت والشىء بالشىء يذكر قول ابن سهل وقد أحسن كعادته فى الشعر

أشهل العين كحيل الحدقه * عنق الريم يضاهى عنقه

لاح يوم العيد فى زينته * قلت طوبى للذى قد رمقه

لم يزل ابليس فى خدعته * طاف بالجنة حتى سرقه

وقول العلامة الاديب سيدى مصباح اليالصوتى

حبا الزيارة يوم العيد لى رشأ * أغرتنا وبحسنه الظبا الغيد

ما كان يسمح لولا العيد زورته * ياليت عدة حول كله عيد

أخذ شطره الاخير من قول الشاعر

لكنه شاقه ان قيل ذا رجب * ياليت عدة حول كله رجب

(وقد ألغز الصلاح الصفدى فى لفظ عيد بقوله)

يا كاتبا بفضله * كل أديب يشهد ما اسم عليل قلبه * وفضله لا يجحد

ليس بذى جسم يرى * وفيه عين ويد

(ولبعضهم ملغزا فيه أيضا)

ألا ياذكيا فاق بالعزم والجد * وجل عن الامثال فى الحزم والجد

ترى ما اسم شىء كلما مر ذكره * يهيم به قلب المتيم ذى الوجد

يزور الملا فى كل عام مواعدا * وأنفسهم تشتاق دوما الى الوعد

به خلعوا ثوب المذلة وارتدوا * بجلباب عز أودعوه شذا الند

وقد تركوا ذكر الهوى وتغزلا * بليلى و وافوه على القرب والبعد

بتصحيفه يبدو من الغيد تارة * وطورا تراه حالك الوجه كالعبد

وليس بانسان ولا بمجسم * على انه للناس أحلى من الشهد

بعيد عن الاوطار ان زيد رابع * قريب اذا ما خص بالنقص فى العد

فحل رموز اللغز يا سيد الملا * ودم كل عام فى تهان وفى سعد

(وأجاب بعضهم عنه موريا بقوله)

فديتك مفضالا توقد ذهنه * بنور الذكا حتى ارتقى ذروة المجد

بزغت كشمس اللطف بامشر داسما * فخلناك عيد الاصفياء ولا سعد

فلا زلت ترقى سلم الفضل صاعدا * الى رتبة تسمو لها جبهة الاسد

وقول الناظم خذ فعل أمر وفيه متعلق به وراحتك مفعول له وياذا المرتبة حرف نداء ومنادى منصوب لانه مضاف الى المرتبة وأل فى المرتبة للكمال أى ياذا المرتبة الكاملة لان الخطاب لطالب العلم ومعنى كون أل للكمال انها للعهد والمعهود ذلك الفرد الكامل فلا يرد أن أل لم توضع للكمال ﴿والمعنى﴾ ان يوم الخميس هو عيد الطلبة يأخذون فيه راحتهم من جهد القراءة فى أيام الاسبوع أى لأن الدأب

على الطالب من عوائق العلم فان النفس تكل عند الاكثار عليها (قال بعض السلف) خذ العلم مع الايام والليالى ولا تكابده فمن رام أخذه جملة ذهب عنه جملة (وقال الامام اليوسى فى القانون) ولم يزل العلماء يوصون طالب العلم بالمواظبة عليه والدوام من غير اكثار ممل اه (وفى الحديث) ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (وفيه) عليكم من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا (واعلم) أن أصل البطالة يوم الخميس هو من أمر سيدنا عمر رضى الله عنه ففى أجوبة الولى الصالح سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه ما نصه وأما قولك ما الاصل فى ترك المتعلم من صبى وغيره قراءة الخميس والاربعاء من كل جمعة (فالجواب) أن لذلك أصلا كبيرا وذلك ان سيدنا عمر رضى الله عنه أمر باتخاذ المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم وكانوا يسردون القراءة فى الاسبوع كله فلما بعث أهل ايلياء لعمر رضى الله عنه فى القدوم اليهم ليفتحوا بيت المقدس وايلياء على يده وليتوثقوا منه فتعل بعدما شاور أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمنهم من أشار عليه بالذهاب ومنهم من أباه وكان سيدنا على رضى الله عنه ممن استحسن الذهاب فأطاعه عمر فلما رجع قافلا وكان أهل المدينة قد اشتاقوا اليه واستوحشوا الغيبة فلما بلغهم انه قد أظلهم تلقوه ومعهم الصبيان وكان اليوم الذى لاقوه فيه يوم الاربعاء فظلوا معه عشية يوم الاربعاء ويوم الخميس وصدرا من يوم الجمعة فجعل ذلك لصبيان المكاتب وأوجبه لهم وسنه للاستراحة ودعا على من عطل هذه السنة ثم اقتدى به بعد ذلك علماء السلف فى الاستراحات المشروعة الى يومنا هذا وقد ألف السيوطى رحمه الله فى هذا النمط كتابا يحض فيه على تفريح الصبيان وتسريحهم عند سور معروفة ويؤمر أهل الصبى باطعام الطعام عند ذلك تعظيما لكتاب الله تعالى واكراما للمعلم كما يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام أعطوهم ولا تواجروهم فتحرجوهم ويقال ان من أراد التحصيل فى أيام التعطيل جعل له التعطيل فى أيام التحصيل لانه قد جرب ذلك فصح لدعوة عمر رضى الله عنه وأما قولك هل يجوز العدول عن ذلك أم لا فالجواب أنه لا يجوز العدول عن هذه السنة لانه عليه الصلاة والسلام جعل سنة الخلفاء الراشدين من بعده سنته وأنت تعلم ما فى من أمات سنة من سنتى أمات الله قلبه يوم تحيا القلوب ومن أحيا سنة قد أميتت أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب وهذه سنة حسنة قد سنها عمر رضى الله عنه اه باختصار كثير (قلت) وقد وافق ذلك فعل العرب الاقدمين فانهم كانوا يسمون يوم الخميس مؤنسا كما فى الصحاح وشرح القاموس للشيخ مرتضى وزاد لانهم كانوا يميلون فيه الى الملاذ بل ورد فى الآثار عن على رضى الله عنه ان الله تبارك وتعالى خلق الفردوس يوم الخميس وسماها مؤنسا اه وانما كان يوم الخميس هو عيد الطلبة لان فيه يدرك الاريب من الاجتماع بالحبيب طلبه كما قيل

وعندى عيدى كل يوم أرى به * جميل محياها بعين قريرة

(ولآخر)

ان يوما جامعا شملى بهم * ذاك عيدى ليس لى عيد سواه

(وفى المعنى)

ما العيد فى حلة وطاق وشم طيب * وانما العيد فى التلاق مع الحبيب

ولهذا لم تزل تتوق اليه من الطلبة النفوس والارواح وتنبسط بقربه القلوب والاشباح وقد كثر المدح فيه على لسان كل أديب نبيه فلبعضهم

لازال يوم الخميس للقلوب هنا * يبقى به بكؤس الوصل كل عنا

فاخبر حبيبك يا من كله حسن * وكل فعل تعاطيه يجلى حسنا

(ولآخر)

اليوم يوم الاربعا * وبعده يوم الخميس
هيئ له ما تشتهي * واختر له نعم الانيس

قال العلامة الاديب البارع أبو عبد الله محمد اليفرني في شرح توشيح ابن سهل ولما أنشدت هذين البيتين صاحبنا الاديب الفقيه المشارك الناسك سيدي صالح بن معطي أنسأ الله في أجله ذيل عليهما فقال

وخير ما أعددته * لذاك ورد من حبيس

(فقلت أنا)

والكسكسون حبه * في خاطري حب رسيس

(وزاد صاحب لي)

وفي الزلال غنية * عن شرب كأس الخندريس
فاغنم نزاهة على * وادي الجواهر النفيس
أو الماء لي فاقصدن * من قبل أن يحمى الوطيس

وقد أنشد العلامة سيدي محمد بن سعيد المرغيثي في مجلس درسه وكان اليوم يوم الثلاثاء

ألا يا نسيم الاربعاء الذي سرى * عشيتنا أمهل يسائلك طالب

وقال للطلبة أجيزوا فقال ولده * لعلك عن يوم الخميس مخبر *

فقال سيدي سعيد العميري * تشوقني اليه حاضر وهو غائب *

(ولابي حفص الفاسي في يوم الاربعاء حيث كان مقدمة ليوم الخميس)

ما زال يوم الاربعاء يميل بي * نحو الصبا ويهيج لي أفراحا
بين الفتى المكدود في أشغاله * بالجد يدرس كتبا وألواحا
وعوامل الافكار منه نواصب * اذهب روح نسيمه فارتاحا
واهتز روض نشاطه لحبوبه * متماديا في ذاك ممسى صباحا

(وقال الشاعر)

يا للرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يحدث لي بعد النهى طربا

(وقلت)

وما زال يوم الاربعاء يلذ لي * وفيه اقصد النفس كل مرام
تتوق اليه النفس من كل طالب * كأنه عيد الفطر بعد صيام

وللعلامة سيدي عبد الواحد الفاسي يتشوق للعواشر

أخلاي هل هبت رياح عواشر * فتكسب روحا من عناء بنا ألم
أحن اليها كلما حان وقتها * حنين سقيم للشفاء من الالم
لاجمع في روض تفتح نوره * مع الاهل والاخوان قد عمتنا النعم ٣

(وقلت) والذي ينبغي الاشتغال به يوم الخميس مطالعة كتب الادب والتطلع على أشعار المحدثين وقدماء العرب اذ في ذلك ترويح للنفوس الكالة وترك لاصل البطالة ولله در بعض العلماء اذ قال

أحد الايام عندي * أنظر التفسير فيه
وفي الاثنين أصول * وفروع للفقيه
والثلاثاء لنحو * وعلوم نقتفيه

٣ (قوله قد عمتنا النعم) كذا بالاصل والصواب حذف قد لاستقامة الوزن وتكون مقدرة على القاعدة ان الجملة الماضوية اذا وقعت حالا تقترن بقد لفظا أو تقديرا اهـ مصححه

وجعلت

وجملات أربعائى * وقت مروى أعيه
وخميسى صرف نار * يخ وآداب نبيه
ثم فى الجمعة أجنى * روض صوفى وجيه
ثم فى السبت حساب * مع توريث بابيه

ويكفى فى الاستراحة المطلوبة يوم الخميس عدم الادمان على العلم فيه كسائر أيام الاسبوع فلا بأس بقراءة درس أو درسين من غير ما يقرأ فى بقية الايام كما هو الواقع عندنا فى هذه الازمان وقد ورد فى حديث أخرجه ابن حبان والديلمى فى مسند الفردوس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا العلم يوم الاثنين وفى رواية ويوم الخميس فانه ميسر لطالبه ذكره السيوطى فى جامعه قال الحفنى فينبغى الحرص على الطلب فى هذين اليومين لان الفتوح فيهما أكثر اهـ وسنة عمر السابقة كانت بعد زمنه صلى الله عليه وسلم لاتفاق خروج المتعرضين له فى يوم الاربعاء واستمرارهم معه يوم الخميس وصدرا من الجمعة كما مر فلا تدافع بين هذا الحديث مع السنة المذكورة (ثم قال)

(ص) ﴿واخرج به واللحظ سرح فى رياض * من تحته تجرى جداول حياض﴾

الواو للعطف واخرج فعل أمر فاعله ضمير المخاطب والجملة معطوفة على جملة خذ فى البيت قبله عطف منفصل على مجمل وبه متعلق بالفعل والباء بمعنى فى والضمير المجرور بها يعود على يوم الخميس وفى الكلام متعلق محذوف تقديره الى رياض يدل على ذلك آخر الكلام واللحظ مفعول مقدم بسرح ومراده باللحظ العين مجاز امرسلا من باب اطلاق الجزء وارادة الكل لان اللحظ فى اللغة كالحاظ بفتح اللام وكسرها وطرف العين مما يلى الصدغ وأطلق هنا على جميعها وفى رياض متعلق بسرح والرياض أصله رواض قلبت الواو ياء لسكان الكسرة قبلها وهو جمع روضة وهى الموضع المعجب بالزهر سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة اليها أى لسكونها يقال أراض الوادى اذا استنقع فيه الماء وقال الخليل الروضة كل مكان فيه نبات مجتمع قال الاصمعى ولا يقال لها روضة حتى يكون فيها ماء يشرب منه وتجمع الروضة أيضا على روضات بسكون الواو للتخفيف وهذيل تفتح على القياس * وعلى ذكر الرياض فما أحسن قول بعضهم

بخدك من روض المحاسن روضة * أقيم عليها من لحاظك حارس
ومن عجب أن اللواحظ قلدت * حراسة ذاك الروض وهى نواعس

ومن تحتها متعلق بتجرى والضمير يعود على الرياض وجداول فاعل تجرى وهو جمع جدول على وزن فعول وهو النهر الصغير وجداول مضاف الى حياض جمع حوض وأصل حياض حواض ثم تصرف فيه بنحو ما مر فى رياض ويجمع حوض أيضا على أحواض ونظيره ثوب وأثواب وثياب والحوض هو مجتمع الماء كالصهريج واضافة جداول الى حياض على معنى فى أى جداول فى حياض أى مصبوبة فيها وجملة من تحتها تجرى الخ صفة رياض ﴿والمعنى﴾ اخرج أيها الطالب فى يوم الخميس الى روض وريق تجرى فيه جداول من ماء ينصب فى صهريج أنيق وسرح لحظك فى أقطاره الحسان اتطرد بذلك شياطين الاحزان فقد جرت حكمة الحكيم البارى بأن مما يذهب الغم النظر الى الخضرة والماء الجارى كما قال أبو نواس

أربعة مذهبة * لكل غم وحزن
الماء والقهوة والبستان والوجه الحسن

﴿وقد قلت﴾ يوم الخميس وأنا فى روض نضير نفيس مع حبيب ملأ القلوب حبا ولم يدع لناسك لبا من غير عيب بيتنا بيتين ولا ريبة تشين

غنيمة العمر يوم قد جمعت به ✽ شملى مع الحب لا حزن ولا كدر
فى روضة قد كساها النبت خضرته ✽ كأنما اخذ ظبى حفه شعر

﴿وقلت يوما آخر﴾ وقد جمعنى الدهر مع جملة من الاخوان فى رياض بديع منمق بانواع الالوان

لله مقعد صدق ✽ قد حل بالقلب منى
لما حللت حماه ✽ تغيب الحزن عنى
بألطف الشكل أضحى ✽ من جنة الخلد يدنى

فلما ناولتها لبعض الحاضرين من الاصحاب الادباء ذيلها بقوله

وصرت شوقا وحبا ✽ عليه بالقلب أثنى
تخاله لبهاه ✽ رياض جنة عدن
أبقاه ربى حصينا ✽ فى حرز عز وأمن

﴿وقلت يوما آخر﴾ وأنا متنزه مع جمع من الاحباب فى بستان وريق فسيح الرحاب

ان الفؤاد قد سلا ✽ عن كل كرب وحزن ✽ بجمع فتية غدت ✽ للطرف أحلى من وسن
بها اجتمع المنى ✽ وكل مقصود حسن ✽ فى روضة كجنة ✽ بها السرور قد سكن
أدام ربى جمعنا ✽ جمعا كفيلا بالمنن ✽ ولا أرانا حادثا ✽ يسوقنا الى درن
بجاه خير مرسل ✽ لنا بأوضح سنن ✽ صلى عليه ربنا ✽ دأبا لآخر الزمن

وقد حضر بعض الادباء من أصحابنا يوم خميس فى روض زاهر مع اثنين من الاحباب الطفهم وأديبهم باهر فكتب لى يطلب حضورى ويرغب فى خطورى بقوله

يا أحمد ابن الفاضل الاتقى الذى ✽ يسعى بأمر ون أمنت الفاجعا
عم يا أخا العلياء صباحا ثم ان ✽ شئت اصطباحا بيننا كن رابعا
ها نحن فى ظل الغصون ثلاثة ✽ والروض أبرز للعيان بدائعا
والنهر بين مناخر براماؤه ✽ يحكى حساما قد تطى لامعا
والطير حيمل للتهانى داعيا ✽ والغصن من فرح تراه راكعا
حث المسير ولا تكن متخلفا ✽ عن جمعنا المحفوظ واعص القاطعا

فأسرعت فى الحين لربعهم وكنت رابع جمعهم وأجبت بقولى

لبيك جئتكمو مطيعا سامعا ✽ اذ طبعكم بالالطف يدنى الشاسعا
حاشا وكلا أن أصوف تجنبا ✽ عن مجلس أضحى لأنسى جامعا
كيف السلو عن الرياض وحسنه ✽ والغصن منه بدا رطيبا يانعا
مالى عن الاحباب يوما صارف ✽ فالعيش دونهمو أراه ضائعا
لاسيما يوم الخميس فأنسه ✽ يسرى الى قلب الاديب مسارعا
فاهنأ وطب بشراب كاسات الطلا ✽ واملأ بألحان السماع مسامعا
فالوقت راق أبا العلاء بجمعكم ✽ فلذا أتيتكمو لأضحى رابعا

﴿وقلت أيضا﴾ فى جمع يوم الخميس وغصن الانس بيننا يميس

ويوم خميس جمعت به ✽ مع الحب شملى بروض وريق
وعندليبه غاب كل عناء ✽ بكأس يدور ووجه شريق
على قضب البان قد غردت ✽ طيور تغنى بصوت رقيق

وقد

وقد كل الحسن فى شماس * بنلبى رقيق الطباع رفيق
فلست أميل الى ماسوى الاشارة منه بلحظ رشيق
(ثم قال الناظم)

٦٥ ﴿والطير تشدو والغصون فى مرح * والانس يجرى فى ميادين الفرح﴾

الواو للعطف والطير مبتدأ وهو جمع طائر كصحب وصاحب ويجمع طائر أيضا على طيور وقد يطلق الطير على الواحد والمراد هنا الجمع بدليل التاء المثناة فوق فى تشدو كما هو الواقع فى جميع النسخ وتشدو فعل مضارع فاعله ضمير يعود على الطير والجملة خبر المبتدا ومعنى تشدو تغنى وتترنم يقال شدا الشادى من باب عدا أى غنى وترنم والغصون مبتدأ وهو جمع غصن وفى مرح متعلق بمحذوف خبر المبتدا والمرح شدة الفرح والنشاط ومنه قوله تعالى بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ويطلق المرح أيضا على الاختيال والتبختر وهو المراد هنا وفعل الكل من باب فرح والانس بضم الهمزة وسكون النون مبتدأ وهو ضد الوحشة والانس بفتحتين لغة فيه ويجرى فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على الانس وميادين جمع ميدان بفتح الميم وتكسر وهو محل المسابقة بالخيل والجار والمجرور متعلق بيجرى وميادين مضاف الى الفرح والجمل الثلاث معطوفة على جملة قوله * من تحتها تجرى جداول حياض * التى هى نعت بعد نعت لرياض والرابط فيها محذوف تقديره والطير تشدو فيها وكذا ما بعده ويجوز جعل الجمل الثلاث فى محل نصب على الحال لتخصيص رياض بالجملة الاولى وفى قوله والانس يجرى الخ استعارة بالكناية وتخييل شبه الانس بفرس بجامع النفاسة فى كل وحذف اسم المشبه به وميادين تخييل وهو القرينة ويحتمل أن يكون فى قوله يجرى استعارة تبعية وتقريرها فى المصدر أن يقال شبه تردد الانس فى النفس بجرى الفرس بجامع السرعة فى كل واستعار جرى الفرس لتردد الانس ثم اشتق من الجرى الذى هو المستعار يجرى بمعنى يتردد فكانت أصلية فى المصدر تبعية فى الفعل والقرينة هنا هى فاعل يجرى لان الانس لا يمكن منه الجرى الحقيقى على حد ما قالوا ان القرينة فى قولك نطقت الحال بكذا هى الفاعل لان النطق الحقيقى لا يسند الى الحال ويحتمل أن يكون فى قوله ميادين استعارة تصريحية شبه النفوس بالميادين بجامع ان كلا محل الجولان غيره فيه واضافة الميادين للفرح قرينة ويحتمل أن يكون فى قوله فرح استعارة بالكناية وتخييل شبه الفرح بالمسابقة بجامع الحسن فى كل وحصول النشاط مع كل ثم اقتصر على المشبه وميادين تخييل بقى احتمال آخر وهو أن يكون فى الكلام استعارة تمثيلية بان شبه حالة تردد الانس فى النفوس بحالة جرى الفرس فى الميدان وقد تقرر أن من لطائف الاستعارة ما احتمل وجهين أو أكثر ﴿والمعنى﴾ أن الروض الذى أمرتك بالخروج اليه وتسريح الطرف فيما استقر لديه يكون موصوفا بكونه تجرى فيه الانهار وتغنى فوق أشجاره الاطيار وغصونه تتمايل تمايل من سقى من يد حبيبه كأس الراح والانس يتسابق فى مضمار الافراح (ثم قال الناظم)

٦٦ ﴿والزهر أكمامه شق من طرب * وابتسمت ثغوره من ذا العجب﴾

الواو عاطفة والزهر مبتدأ واحده زهرة بسكون الهاء وتفتح وهو النبات ونوره أو الاصفر منه كما فى القاموس وتخصيص الزهر فى عرفنا بالنوع المخصوص المعروف وهو زهر الاترج والنارنج والليمون ليس لغويا بل عرفى فالتخصيص من باب تخصيص اللفظ بأشرف أنواع مسماه وأكمامه مفعول مقدم بشق أى فتح وهو جمع كم بكسر الكاف غطاء الزهر وعلى كسر الكاف فى المفرد اقتصر صاحب المصباح

والقاموس وذكر الجوهري وابن منظور في لسان العرب والقسطلاني في شرح البخاري الضم أيضا والضمير المضاف اليها تام يعود على الزهر وقوله من طرب متعلق بشق ومن للتعليل على حد قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والطرب خفة تصيب الانسان لشدة فرح أو حزن والعامة تخصه بالسرور كما في المصباح والسرور هو المراد هنا وابتسمت عطف على شق من عطف الجمل والابتسام ابتداء الضحك وثغوره فاعل ابتسمت وهو جمع ثغر بفتح المثلثة وهو الفم والثغر أيضا موضع المخافة وهو بالفتح أيضا لاغير ٭ ذكر العلامة الاديب سيدي حمدون بن الحاج في شرحه لقصيدته في أمير المؤمنين أبي الربيع مولانا سليمان قدس الله روحه ونور ضريحه الذي سماه النوافح الغالية في المدائح السليمانية أن بعض الادباء حدث أنه كان في حلقة الامام عالم الائمة الاعلام محمد البناني فقرؤا قول الشاعر وهم يقرؤن تلخيص المفتاح

صدغ الحبيب وحالى ٭ كلاهما كالليالى وثغره في صفاء ٭ وأدمعي كاللآلي

فتكلم الشيخ في البيتين كثيرا ثم قال المعروف عند علماء العربية في لفظة الثغر الفتح خاصة سواء في ذلك موضع المخافة أو الفم وقد اجتمعا معا في قول عبد الله بن طاهر الخزاعي

وانى للثغر المخوف لكالئ ٭ وللثغر يجري ظلمه لرشوف

خلافا لما يجري على ألسنة من لامعرفة له من الكسر فيهما أو الكسر في الثغر بمعنى الموضع المخوف والفتح في الثغر بمعنى الفم اهـ ثم قوى صاحب الشرح المذكور كلام الشيخ البناني واستدل على ذلك بشواهد من كلام الشعراء فانظره ولعله والله أعلم يعني ببعض الادباء العلامة الاديب سيدي علي مصباح اليالصوتي فقد قال في كتابه سنا المهتدي واقد كنا يوما في حلقة الامام عالم الائمة الاعلام الجهبذ النقاد شيخنا أبي عبد الله محمد بن أحمد البناني قدس سره فقرأنا قول الشاعر ونحن نقرأ تلخيص المفتاح صدغ الى آخر القضية وقال قبل هذا وصنيع القاموس وغيره حاكم بأنهما بالفتح معا ونص في تهذيب الاسماء واللغات على أن الثغر بمعنى موضع المخافة فقط ونقله مسلما له بعض حواشي الرسالة وقال بعض شراحها في باب الجهاد ان الثغر بالفتح في الموضعين لا بالكسر ولقد كنا أفدنا بعض أصحابنا ما عندنا في المسئلة فشدد يده عليه ثم انه حضر مجالس بعض الجهلة من القراء حين كان يقرئهم حرز الاماني لابي القاسم الشاطبي فلما وصل الى قوله فيها

وأبدت سنا ثغر صفت زرق ظلمه ٭ جمعن ورودا بارداعطر الطلا

قال لهم فائدة الثغر ان كان المراد به الفم كما هنا فهو بالفتح والكسر والفتح أفصح وان كان المراد به موضع المخافة من العدو فهو بالكسر ليس الا فجاء الى البعض المذكور وذكر لي ما سمعه من شيخه فقلت له يا أخي أخطأت أنت وشيخك في المسئلة وقلت له ليس شيخك من أرباب هذا الشان ولا من فرسان هذا الميدان فادخل البيوت من أبوابها وأهل مكة أدرى بشعابها ثم أوقفته على نصوص العلماء في المسئلة حسبما قدمنا ولقد كنا الخ ما قدمنا وقول الناظم من ذا العجب من للتعليل نظير ما مر وذا اسم اشارة مجرور بها والاشارة عائدة على ما سبق من جري الجداول في الرياض وشدو الطير وتمايل الاغصان الخ والعجب بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه والجملتان معطوفتان أيضا على قوله من تحته تجري جداول حيلص والرابط محذوف نظير ما مر والمراد بشق الزهر اكمامه وابتسام ثغوره انفتاح غطائه وظهور ما في داخله فاسناد الشق الى الزهر مجازي من باب اسناد ما للفاعل الى المفعول لان الاصل شق الله الزهر ثم أسند الشق الى الزهر لكون الفعل ملابسا لكل من الفاعل والمفعول على حد عيشة راضية وسيل مفعم وفي قوله وابتسمت ثغوره الخ استعارة تصريحية شبه رؤس الازهار بالثغور

بجامع الحسن وتشوق النظار لكل ثم اقتصر على المشبه به واضافة الزهور لضمير الثغر قرينة والابتسام ترشيح ويحتمل أن يكون فى قوله ابتسمت استعارة تبعية بأن يقال شبه انفتاح الزهر عن غطائه بتبسم الثغر واستعار تبسم الثغر له ثم اشتق من التبسم المستعار قوله ابتسمت والقرينة هو الفاعل الذى هو ثغوره لان الابتسام الحقيقى لا يتصور من الثغور المضافة للزهر ﴿والمعنى﴾ ان الروض الذى أمرتك بالخروج اليه فى يوم الخميس يكون موصوفا بالاوصاف السابقة ويكون الازهار فيه مشقوقة الاكمام وثغورها فى ابتسام ٭ وعلى ذكر هذه الاوصاف للرياض تتنزل مساجلة كانت صدرت بينى وبين بعض خواص الاصحاب من أدباء الوقت وذلك أنى اجتمعت معه فى مجلس أنس مع جمع من الاحباب بروض بديع الشكل عالى القباب فكتبت له مستجيزا

لقد طاب الزمان بذا التلاقى ٭ مع الاحباب فى حسن اتفاق

فقال
بروض قد حوى زهرا ونهرا ٭ وأشجارا تخللها السواقى

فقلت
وفى أغصانها الاطيار تشدو ٭ وتشكو حر لوعات الفراق

فقال
اذا ناحت يميل الغصن شجوا ٭ وجيب النور يبدو فى انشقاق

فقلت
فقام الماء ملتفا الساق ٭ من الاشجار يرغب فى العناق

فقال
وظل الزهر مبتسما ينادى ٭ ذوى الاشواق حى على انتشاق

فقلت
فلبينا الدعاء بحسن جمع ٭ وجئنا الروض فى لطف انتساق

فقال
نقبل بالسرور خدود ورد ٭ ونطرب فى اصطباح واغتباق

فقلت
بألحان من الاوتار تنفى ٭ صروف الحزن عن جمع الرفاق

فقال
وعود قد أعاد الدهر غضا ٭ وأنسى ما تقضى من شقاق

فقلت
فمن نغماته يبدى حديثا ٭ الى تلك الاحاديث الرقاق

فقال
يحركه أخو لطف وظرف ٭ كاسحق المغنى بالعراق

فقلت
يجس عروقه بلطيف صنع ٭ فيصلح منه داء بارتفاق

فقال
وساق كله حسن وأنس ٭ فدته النفس من خل وساق

فقلت
يدير الكاس طورا بعد طور ٭ يغازلها بألحاظ عتاق

فقال
وظل يروق الكاسات حتى ٭ رأينا الليل منتشر الرواق

فقلت
فبتنا فى مؤانسة تنسى ٭ همو ما ضيقت رحب النطاق

فقال
ونخطب بنت دن ليس ترضى ٭ بغير العقل منا فى الصداق

فقلت
نعاطيها مساجلة فأضحت ٭ لنا تبدو بحليات السباق

فقال
الى أن طاب روح الفجر نشرا ٭ وروح الليل صارت فى التراق

فقلت
فلا عدمت ليالى الوصل فينا ٭ ولا حرم الشجى من التلاقى

فقال
ولا برح الزمان يدير خمرا ٭ على أهل الهوى عذب المذاق

٭ ويحسن هنا ذكر مقامة لطيفة للعلامة الاديب سيدى عبد القادر بن شقرون المكناسى عصرى الناظم فى وصف الرياض وبنت الرماد المعروفة بالطنجية وهى حدثنا نسيم بن رياض عن جدول بن حياض قال لما دعانى داعى الشوق القاهر الى النظر فى محاسن الازاهر أجبت داعيه مفتخرا ولطاعته وامتثال أمره مظهرا فيممت روضا تأنقت الانوار فى حال أزهاره وتدفقت الانهار فى ظلال أشجاره وارتفعت طرف الطرف فى زرابى الخمائل وبطاح رصعتها يد الشمائل وتبسم بها ثغر الاقحوان على

الشقيق وانتظم نظم الدر والعقيق وبكى الحمام بالدموع الغزار عند تغيبه الشحرور والهزار وخضع القضيب المتطاول عند انسلال سيوف الجداول وانتثر الاقاح عن ثغوره وفاح الروض بمنظوم زهره ومنثوره لم لا يتواضع البنفسج تواضع الذليل وقد نفر عليه النيلوفر بالاكاليل فبينا أنا طائف تحت سماء الازهار في حدائق أذكرتني جنات تجرى تحتها الانهار وقد وقع بصرى على فتية أحدقوا حداق السوار في خميلة من النوار يتسابقون جواهر الاشعار والعيون على ضفة نهر يزرى بسيحون وجيحون فدنوت مختفيا عن أبصارهم لالتقاط ما تساقط من أشعارهم وأخبارهم زاعما أني مطلع عليهم من حيث لا يبصرون ومشرف من حيث لا يشعرون فاذا بأحدهم قد أشرف على فأيقنت انهم رأوني فبعثوا الى فقلت المرء على الاطلاع مجبول والعذر عند كرام الناس مقبول انما جئت لأستمع مطربات الاشعار لا لأهتك خفيات الاسرار فأقسم بمن يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور لا ترسلنك أو لتحضرن مجالس البدور فتقاعست تقاعس الشبل مخافة أن أزن بالتطفيل على المجلس الحفيل حتى استيأسوا من الرسول وخافوا أن لا يظفروا بالسول انطلقوا الى انطلاق الغزلان وكلهم يقول مرحبا بالشيخ فلان فانتهيت الى المجلس الباهر المحفوف بالازاهر فتذاكرنا الادب وخضنا في مجاله وذكرنا جماعة من فحول رجاله حتى اذا مد ثوب الاصفرار على وشى البنفسج والعذار ورد علينا فتى تأبط شيأ تحت ثيابه فقال الكل ما أبطأك وما أخطأك فقال ان من يحاول اخراج الدفينة كمن يحاول وسق السفينة فكشف عن عروس ذات نقاب تخضع لشعاعها الرقاب وقال اغتنموا فرصة الضحية قبل أن يضع الليل ثيابه الزنجية فقال لى بعضهم هل استخرجت فيها من درر بحورك شيأ من منظومك ومنثورك تجيئ في ميدان الادب وجات ثم أنشدتهم وقلت بنت الرماد يحيا بشعاعها الجماد ولا تباع بارم ذات العماد بالها من صديقة تأوى الى ربوة وحديقة ولا تحط نقابها الا اذا جمعت أحبابها ولا تخرج ما في بطنها الا في أشرف موطنها لو استنشق رائحتها هشام لأتاها من بلاد الشام دون احتشام ولو علم خبرها مروان لترك الجنود والاعوان وحضر مجالس الاخوان قد جمعت الاحبة عليها جمع سلامة دون عتاب ولا ملامة وجمع الخبز عليها جمع تكسير وجليت الفواكه لها جلب تيسير فما أشبهها الا أنرغت بالذهب السائل ولله در القائل

ألقت الى القوم ما أخفت بباطنها * وفاح منها شذا يبرى من العلل

اذ قال كل من الاقوام زرجها * ومزقوا الجوهامن غير مازلل

فأصبحوا ولسان الخبز ينشدهم * أنا الغريق فما خوفى من البلل اهـ

وقد وقفت لهذه المقامة على شرح لطيف جدا لم أعرف صاحبه لعدم الوقوف على أوله (ثم قال الناظم)

(٧٨) ﴿أو اخرجن لفسيح متسع * أو موضع عالى الفجاج مرتفع﴾

أو حرف عطف للتنويع ويجوز كونها للتخيير والاول أقرب وألطف وبأتى بيان المعنى على كل واخرجن فعل أمر مبنى على فتح آخره لاتصاله بنون التوكيد الشديدة ولفسيح متعلق بفعل الامر وهو على حذف الموصوف أى لمكان فسيح وقوله متسع وصف كاشف لفسيح لان معنى فسيح متسع يقال فسح المكان بالضم أى اتسع فهو فسيح وأفسح بالمنزلة فيه وقوله أو موضع أو للعطف والتخيير أيضا وموضع معطوف على فسيح وقوله عالى أى مرتفع نعت لموضع وهو مضاف الى الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح وفى بعض النسخ عالى النواحى جمع ناحية وهى الجهة ومرتفع وصف كاشف لقوله عالى وجملة اخرجن لفسيح الى آخر البيت معطوفة على قوله سابقا واخرج به من عطف الجمل ﴿والمعنى﴾ ان لم تخرج يوم الخميس للروض الموصوف بالاوصاف السابقة بان كان الفصل فصل الربيع مثلا فاخرج

المكان متسع أو سوق مرتفع عالى النواحى مرتفع اهـ ذا على ان أوقاته ربيع فيكون للخروج للرياض وقت خاص والخروج للمكان المتسع زمان خاص وعلى أنها للتخيير يكون المعنى اخرج الى أى المواضع شئت فى أى زمان (وفى مختصر الافادة) وحرم أن الخروج للنزهة بعطار أوطنه بشتوة وبشدة حر ولا طائل وكل يخرج لما اعتاده والعلاقة المدرسى فاس بواديها اهـ ولا مفهوم لمدرسى بل مثله وهو أحروى

﴿وكنت﴾ يوما متنزها مع جمع من الطلبة فى وادى الجواهر والقلب من بواعث الانس زاه وزاهر فأقبل عند العشى شاب مليح ذو طرف كحيل ووجه صبيح فجلس قبالتنا لذلك يسرح ناظره فى خضرة النبات فكاد القلب أن يخرج من حسنه عن حد الثبات فطلب منى بعض الحاضرين حين ظهر أن أقول شعرا فى حسنه الذى بهر فقلت لرتجالا

وشادن قد سبى يوما المتنزه * يسرح اللحظ فى نجم وفى شجر

ياليته أخذ المرآة ينظرها * فيكتفى عنهما بطلعة القمر

﴿وخرجت﴾ يوما آخر للنزهة بالوادى المذكور فى جملة من الاصحاب سعيهم مشكور وذلك زمن الربيع وقت نزهة الطلبة بفسيح رحابه فمررت على بعض الادباء من أصحابنا فى جماعة من أصحابه فتعرضوا لى راغبين فى الدخول عندهم والجلوس معهم فأسعفتهم حيث استحسنت جمعهم فلما استقربنا المجلس وطاب وصفرت من الهم الوطاب أنشأ الاديب المذكور مستجيزا

انظر الى شمس الاصيل * سارت لمغربها تميل

فقلت   يومى اليناطرفها * بالعود من بعد الرحيل

فقال   يا حسنها اذا أدبرت * تصفر كالصب العليل

فقلت   قد راعها ألم الفرا * ق عن الخليلة والخليل

فقال   فاغنم علها ساعة * ان كنت ذا عقل نبيل

فقلت   واشرب على لحن السما * ع ونغمة العود الزجيل

فقال   كأسا بها تكسى البها * أحسن بها من زنجبيل

فقلت   من كف أهيف جادلى * بالسكر من طرف كحيل

فقال   فى شط نهر قد جرى * فوق الفضا كالسلسبيل

فقلت   فتخاله اصفائه * ورقا جرى فى ذا السبيل

فقال   أطرافه كخمائل * خضر على سيف صقيل

فقلت   أو صدغ ظبى قد بدا * بجوانب الخد الاسيل

فقال   نهر تعطى وانثنى * نهزبه يشفى الغليل

فقلت   نهر به يشفى الاسا * من صدر مصدور عليل

فقال   نهر به طاب الصبا * ح كابه طاب المقيل

فقلت   ما أحسن الشمس المنيـ * ـرة اذ تضىء بذا المسيل

فقال   يزداد حسنا بالعشى * فلا يراد به بديل

فقلت   مازال يبسط بذله * وبكل ما يسلى كفيل

فقال   فى أى وقت جئته * يلقاك بالوجه الجميل

فقلت   أنعم به وبمائه * ما ان ترى له من مثيل

فقال   فكأنه لجماله * من جنة المأوى بديل

فقلت أو جدول من كوثر * قد ساقه رب جليل
فقال يجري بتسكين ولا * يؤذي المدينة والنزيل
فقلت فأقم به متمايلا * واحذر معاجلة الرحيل
فقال تالله ما يجفوه ذو * عقل سوى المرء البخيل
فقلت فعدول ذي الآداب عن * سلواه أمر مستحيل
فقال أنفق بضفته أخي * ما كان من مال جزيل
فقلت واجلس اليه وانتخب * رفقاءه من أعلى قبيل
فقال أوماست في زمن الربيـ * ـع وطرف ما تخشى كليل
فقلت والارض طرزها النبا * ت بكل نور مستميل
فقال والزهر مبتسم على * برد النبات المستطيل
فقلت ياما ألذ بياضه * في خضرة تسبي العقيل
فقال يحكي جواهر ألقيت * من فوق ديباج بليل
فقلت تمم لحاظك في بها * ه وسع المولى الجليل

ثم ارتحلت عنه قاصدا محلنا الذي هيأناه وخباءنا الذي أعددناه، وواعدته بارسال ما حضرني من النظام الفائق من الغد فوجهته له مع رسول غير أنه لم يهتد لمحلنا لكثرة مطر جاوزت الحد فكتب لي مستنجز الوعد الصادر في أمس عند اجتماعنا غروب الشمس بقوله

عم صباحا وطب أبا العباس * طيب الاصل من سما في الناس
أين ما كان سابقا من كلام * حيث كنا ما بين عود وكاس
وجلسنا بضفة النهر لهوا * في عشي معطر الانفاس
ووعدتم بأن تجيزوا الشعر * أي عذر أباح هذا التناسي
عله حال بيننا الموج حتى * قد شغلنا عن مدحنا برفاس

(فأجبته بقولي)

وعليك السلام يا بدر ناس * من حبيب لوعدكم غير ناسي
قد بعثنا اليكم النظم فورا * مع رسول من ألطف الجلاس
عله ما اهتدى لربعكم العا * لي البديع معطر الانفاس
فلو أني استطعت جئت اليكم * غير أن السيول بلت لباسي
فتفضل بزورة منك نزها * انرى منك طلعة الايناس
وتفطن للنظم منك نقدا * د عن النهج دون ما الباس

وأشرت بالبيت الاخير الى خلل وقع له في بيت من أبياته ولما وصله الجواب أصلحه (وكتب لي أيضا) وقد سمع أني أردت الانتقال عن وادي الجواهر الى محل آخر يسمى قنطارة مع جمع من الاخوان ببساط أنسهم زاهر بقوله

ظفرت بما أردت فطبت نفسا * وتهت بغربتي معنى وحسا
ولولا والربيع زمان بسط * فقيد تكسب الارواح أنسا
كأنك في الجنان لدى التهاني * فلا تخشى لكسف النجم مسا
على زهر وتمر قد تثنى * يفاخر في السنا بدرا وشمسا

فلا

فـلا نهـر يعـالله بهـاء * فكيف على عز الدهر ينسى
فدع قمارة لسنا راها * تساوى ان ذكرت النهر فاسا

﴿فراجعته بقولى﴾

أيا من فى الهنا أضحى وأمسى * وفاق بنظمه قيسا وقسا
أتى منك النظام فهاج شوقى * وأكسبنى مسرات وأنسا
تحض على المقام بنهر فاس * فقصد الانس منه عيس ميسا
صدقت أخى ولكن حسن عهد * من الايمان قد قلناه درسا
وكنت وعدت اخوانا دعونى * الى جمع لطيف ليس ينسى
فقد باحر بآداب علينا * فقدمك السعيد نراه عرسا

(ثم قال الناظم)

٧٧) ﴿واجعل خروجك على أكمل حال * مع رفقة ذات جمال وكمال﴾

الواو للعطف واجعل فعل أمر وخروجك مفعوله وعلى أكمل حال متعلق بالفعل وهو من اضافة الصفة للموصوف أى على حال أكمل ومع بالبناء على السكون لغة قليلة فى مع بالفتح والسكون لغة تميم وربيعة خلافا لسيبويه فى قوله ان تسكين العين ضرورة وهو ظرف زمان معمول لخروجك ومع مضاف الى رفقة بضم الراء فى لغة بنى تميم وجمعها رفاق كبرمة وبرام وبكسرها فى لغة قيس وجمعها رفق كسدرة وسدر وهى لغة الجماعة ترافقهم فى السفر والمراد هنا الجماعة لا بهذا القيد من باب استعمال المقيد فى المطلق فهو مجاز مرسل وذات بمعنى صاحبة نعت لرفقة وهى مضافة لجمال أى حسن وكمال معطوف على جمال ﴿والمعنى﴾ واجعل أيها الطالب خروجك يوم الجمعة لرياض أو مكان فسيح على أكمل حال أى من الاستعداد للنزهة حيث أمكن مع جماعة ذات جمال وكمال أى ممن اتصف بحسن الآداب وتخلق باللطافة وحسن الاحوال فان الانس لا يتم فى الغالب للانسان فى توحده بنفسه بل كمال المسرة فى موافقته لأبناء جنسه

وما سمى الانسان الا لانسه * ولا القلب الا أنه يتقلب

وقد تقدم ما فى اتخاذ الخلان والاصحاب من كلام النبوة وأهل العلم والآداب (ولبعضهم ملغزا فى لفظ جمال نثرا بقوله) ما قول ساداتى ذوى الالباب وأهل الفضل والآداب فى اسم رباعى الحروف عند العرب والعجم معروف حار فى تعريفه العلماء واختلفت فيه آراء الادباء ومن العجيب أن لا وجود له ويوجد فى كل مكان وكأن لا يزول ما دام على الارض انسان ان قطع رأسه هجر الفقراء وواصل الاغنياء أو حذف ثالثه فهو حيوان ذو صوف بالصبر والطاعة موصوف وان خفض رأسه تغير مبناه وانقلب معناه نصفه الاول جسم بلا قلب وعكس الثانى لا يرى فى الشرق ولا فى الغرب وكله تتباهى به النساء ولولاه ما كان لمن مدح ولا ثناء فهل من فاضل أديب يحل لنا هذا المعمى العجيب ويكشف لنا الحجاب وينضو لنا عن وجهه ذلك النقاب (وأجاب بعضهم عنه نظما بقوله مورّيا)

لقد أبديت يا ذا الفضل لغزا * رأينا فى حقيقته الجمالا
بكسر الرأس مال فى البوادى * ويبقى بعد قطع الرأس مالا

﴿تنبيه﴾ ينبغى أن لا تكون الرفقة كثيرة والا كانت غالبا لاهرج مثيرة ولقد أحسن من قال

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة ومن الكثير ثمانيه
فاذا تعدّى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه

فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * واذا أتيت به فأمك زانيه

(ولآخر) وقد أعجب وأطرب وهو للصواب أقرب

شرب الاناء يقرّ منه الواحد * واثنان شربهما لعمرك بارد

وثلاثة سمو وطيب شرابه * ومسرّة ومصادر وموارد

فاذا قدرتم فكونوا أربعا * واطردوا لو أن الخامس والد

(ولابي بكر الخوارزمي)

سأقضي قضاء في الاشربة عادلا * يسير به في حكمه الشعر والادب

ألا خير أعمار الملوك ذوو النهى * وخير ندامى الكأس أربعة تصب

وكان بعض العوام من أصحابنا يقول خير الجماعة ما لم يعطش معها البراد يعني البراد المتوسط الذي يملأ سبع كؤس (ثم قال الناظم)

(٤٨) ﴿وروّحوا الخاطر بالمباح * فما عليكم فيه من جناح﴾

الواو للعطف وروّحوا فعل أمر والواو ضمير المخاطبين عائد على الجماعة الخارجين يوم الخميس ومعنى روّحوا أدخلوا على أنفسكم الروح بفتح الراء قال في التهذيب عن الاصمعي الروح الاستراحة من غم القلب نقله في شرح القاموس والخاطر مفعول بروّحوا وهو في اللغة الهاجس الذي يقع في القلب والمراد به هنا القلب نفسه فهو مجاز مرسل من باب اطلاق الحال وارادة المحل وبالمباح متعلق بروّحوا وهو نعت لمحذوف أي بالقول أو الفعل المباح وحقيقة المباح ما لم يقم دليل على طلب فعله أو تركه واختلف هل هو من أحكام الشرع وعليه الاكثر أم لا وانما هي الواجب والمندوب والمكروه والممنوع ومنشأ الخلاف هو تفسير المباح فمن فسره بنفي الحرج لا يكون عنده من الشرع لانه كان منفيا قبل الشرع ومن فسره بالاعلام بنفي الحرج فهو عنده من الشرع لانه انما علم منه ﴿تنبيه﴾ هكذا قال الاصوليون وفيه تسامح لان التعريفين المذكورين للاباحة لا للمباح كما لا يخفى ثم ان مشينا على مذهب الاكثر من الاصوليين من أن المباح من أحكام الشرع يشكل بان الاحكام الخمسة الشرعية تكليفية أي وقع التكليف بها ولا تكليف في المباح وأجاب العلامة الامير في حواشي الجوهرة بان ذلك اما من باب التغليب واما ان تسميته تكليفا لانه لا يتعلق الا بالمكلف لان أفعال الصبي والبهائم يقال فيها مهملة ولا يقال فيها مباحة والله تعالى أعلم ﴿واعلم﴾ أنه اختلف في المباح فقيل هو مكتوب على المكلف وهو رأي عكرمة لقوله تعالى ما يلفظ من قول الآية وقال ابن عباس لا يكتب اذ لا يجازى عليه ذكره الابي في شرح مسلم عن عياض على حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وعلى الاول فالمباح من قسم ما يطلب السكوت عنه وعلى الثاني لا ويبنى على الاول أيضا أن المباح شر لكونه لا يثاب عليه كما قالوا جزاؤه الحرمان وعلى الآخر يكون المباح خيرا لعدم العقاب عليه كما قالوا السلامة غنيمة كما قال بعض المحققين من شيوخ بعض أشياخنا والظاهر ان ذلك يختلف باختلاف الناس فالعامة المناسب لهم الثاني لان المباحات من ضرورياتهم وأما الخاصة أهل المراقبة والغالب عليهم العزلة فالمناسب لهم الاول كما لا يخفى والله أعلم وجملة وروّحوا الخ معطوفة على جملة واجعل خروجك الخ أو جملة واخرج به الخ وقوله فما عليكم الفاء زائدة لتزيين اللفظ وما نافية وعليكم خبر مقدم وجناح أي اثم مجرور بمن الزائدة مبتدأ مؤخر وزيدت من في الخبر لتأكيد العموم وما مهملة لا عمل لها لفقد شرط من شروط عملها وهو الترتيب بين الاسم والخبر الا على مذهب من لا يشترط الترتيب اذا كان الخبر ظرفا أو مجرورا وهو اختيار ابن عصفور فتكون عاملة عمل ليس ﴿والمعنى﴾ أدخلوا أيها

المطلبة على أنفسكم الراحة يوم الجيس بالامور والمباحة فليس عليكم في ذلك اثم أصلا ومن المباح الذي يروح الخاطر قوله بعد ولتنشدوا الاشعار الخ وقوله ولعب الشطرنج الخ أي حيث سلم ذلك من العوارض التي تخرجه عن حد الاباحة على كلام يأتي ان شاء الله في الشطرنج وترويح الخاطر بالمباحات لم يزل بالمطر وقالا الافاضل والسادات قال ابن اسحق قد طرب الصالحون وضحكوا ومزحوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا مللتم فاحمضوا أي اذا مللتم من الجد فخذوا في شئ من الهزل وقال ابن مسعود رضي الله عنه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه اني لاستجم نفسي من الباطل ليكون أقوى لها على الحق * وقيل للثوري المزاح هجنة قال بل سنة وقال الخليل بن أحمد الناس في سجن ما لم يتمازحوا * وفي ترجمة أبي عبد الله بن حزم من رحلة الامام البلوي أن محمد بن سيرين رضي الله عنه كان يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه فاذا أريد منه شئ من دينه كان أبعد من الثريا * وقد علم في كتب الحديث والسير ما كان عليه خير البشر من مزاحه مع أصحابه من غير أن يخرج الى ما يشين شريف جنابه وقد قيل له يا رسول الله انك تمازح فقال صلى الله عليه وسلم نعم ولا أقول الا حقا (وقال صلى الله عليه وسلم) ان الله لا يؤاخذ المازح الصادق في مزاحه (وقال صلى الله عليه وسلم) دخل نعيمان الجنة ضاحكا لانه كان يضحكني (وروى) أن نعيمان هذا أصابه رمد في احدى عينيه فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يأكل تمرا فقال له أتأكل التمر وأنت أرمد فقال له نعيمان انما أنا آكل من الجهة الاخرى فضحك صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر جماعة القضية مع نعيمان وذكرها الامام الماوردي في كتابه آداب الدين والدنيا مع صهيب بن سنان وزادفهم صهيب من الاستخبار المزح فأجاب بنحوه والا لما كان له أن يجيب بمثل ذلك لاسيما مع تقدمه وفضله * ولقي نعيمان يوما ابن نوفل الضرير وهو في المسجد فقال له أريد أن أبول فأخذ بيده وحمله الى موضع في المسجد وقال له اجلس ومضى وتركه فبال فصاح الناس به يا أبا المغيرة انك في المسجد فقال نعيمان أجلسني ههنا لله علي أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغه الخبر فجاءه بعد ذلك وهو لا يعرفه فقال له هل أدلك على نعيمان قال نعم قال هو ذا يصلي وجاء به الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال هذا نعيمان فعلاه بالعصا فصاح به الناس ويحك هو عثمان فقال من قادني اليه قيل نعيمان قال والله لا تعرضت له بسوء بعد هذا أبدا * ولقي يوما اعرابيا ومعه عكة عسل فاشتراها منه وجاء بها الى عائشة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فقرع الباب وقال خذوا هذه فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أهداها له وفر نعيمان وترك الاعرابي جالسا فلما طال جلوسه صاح يا هؤلاء ردوا علي عسلي ان لم يحضر الثمن فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فأعطاه ثمنه فلما جاء نعيمان قال له صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما فعلت يا نعيمان فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحب العسل ولم يكن عندي ثمنه فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وو قائعه كثيرة رضي الله عنه فانه كان من أخيار الصحابة (وكانت) سويداء لبعض الانصار تختلف الى عائشة رضي الله عنها تلعب بين يديها وتضحكها وربما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم فقدها فقال يا عائشة ما فعلت السويداء فقالت انها مريضة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودها فوجدها في الموت فقال لاهلها اذا توفيت فآذنوني فلما توفيت أعلموه فشهدها وصلى عليها وقال اللهم انها كانت حريصة أن تضحكني فأضحكها فرحا فالمزاح الذي لا يوحش نفوسا ولا يؤلم قلبا هو من المباح قال العز بن عبد السلام وأما ما يفعله الناس من تخبئة المتاع فمحظور لما فيه من ترويع صاحب المتاع اه ومن مباسطته صلى الله عليه وسلم لعجوز من الانصار فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال لها أما قرأت قول الله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وأتته صلى الله عليه وسلم أخرى في حاجة لزوجها فقال لها ومن زوجك قالت فلان فقال صلى الله عليه وسلم الذي في عينه بياض فقالت لا قال بلى فانصرفت عجلى الى زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال لها ما شأنك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعينيك بياضا فقال أما ترين ان بياض عيني أكثر ومثل هذا كثير من أحاديث مزاحه صلى الله عليه وسلم كقضية زهير وغيرها (وقال) رجل لعلي رضي الله عنه اني احتلمت على أمي فقال أقيموه في الشمس واضربوا ظله الحد وهذا مزح منه رضي الله عنه (وقال مالك) كان عمر بن الخطاب اذا صلى الظهر قعد يحدث الناس بما يأتيه من أخبار الاجناد ويحدثونه قال مالك وقوم اذا رأوا الناس يتحدثون يقولون اذكروا الله ولم يكن ذلك شأن الاخيار كانوا يتحدثون ✽ وبوب القاضي عياض في مداركه فقال باب ملح أخبار مالك (من ذلك) أن امرأة أتته مع زوجها كل منهما يشكو صاحبه فقال مالك للرجل ما نقمت منها قال تضحك اذا خرج مني ريح قال مالك فتباعد عنها اذا كان ذلك منك قالت المرأة هو بعد كرعد الخريف فقال لها مالك احشي في أذنيك قطنا فقالت والله لو جعلت في أذني تشندار حداد الذي خذه فقال مالك اذهبي فاضحكي حيث شئت وقال لرجل عليك بأكل السعتر فداوم عليه فانقطع عنه (وقال ابن مهدي) فات مالك أرقته على فقد طال مقامي وما أدري ما حدث على أهلي بعدي فتبسم وقال يا ابن أخي أهلي بالقرب مني ولا أدري ما حدث عليهم بعدي (وعن أبي أويس) قال أخبرني مالك قال وجدت ابن شهاب بطريق المسجد ومعه غلامه وكان قد زوجه فقال له ابن شهاب كيف وجدت أهلك قال وجدتها يا مولاي جنة قال ابن شهاب فالحمد لله قال مالك ففطنت وضحكت فسألني ابن شهاب فقلت له انه يقول انه لم يوافقه ان في الجنة سعة وبردا فقال الغلام كذلك هو وقال اي والله يا مولاي فما زال يضحك ويرددها الى أن فاتته الجماعة قال مالك فصلى في منزله (ومن لطائف المزح) ما حكى الزبير بن بكار أن القشيري رفع اليه شيخ من الاعراب فقال له القشيري ممن أنت قال من بني عقيل قال من أي عقيل قال من بني خفاجة فقال القشيري رأيت شيخا من بني خفاجة فقال الاعرابي وما شأنه قال له اذا جن الظلام حاجة فقال الاعرابي وما هي قال كحاجة الديك الى الدجاجة فاستغرب الاعرابي وقال قاتلك الله ما أعرفك بسرائر القوم (وعن ابن مالك صاحب الخلاصة) أنه كان في بيت في الحمام يحلق عانته فدخل عليه رجل وقال ماذا تصنع يا سيدي فقال له أنظف لك محلا تجلس فيه (ووقعت لطيفة تقرب من هذه) وذلك أن رجلا كان في بيت في الحمام يحلق عانته فضرط فضحك منه رجل كان بجنبه وقال ما هذا فقال انها تولول على أخيها وهو يحلق واللطائف الواقعة من الاعلام والاخيار من أشباه هذا كثيرة غزيرة مذكورة في كتب النوادر كحدائق ابن عاصم وغيرها وكلها من المباح الذي يبسط النفوس ويطرد الكدر والبؤس وقد ورد من كلام الخضر عليه السلام البسط مع الاخوان عبادة ✽ ومن كلام بعض العارفين باسطونا وتوجروا (وقال بعضهم) الانبساط مع أهل المروءة يسقط الحشمة ويؤكد الحرمة ويفتق البديهة ويشحذ الطبيعة (وقال آخر) من كمال المرء مفاكهة اخوانه اذ ممازحة الكريم تزيد في وده وتديم اخاءه وقال الشاعر في ذلك

ممازحة الكريم تزيد ودا ✽ اذا كانت تضاف الى الملاحه

فلا تمزح من تحب وتصطفيه ✽ فمزحك مع صديقك فيه راحه

(وقال أبو علي اليوسي في محاضرة) واعلم أن هذا النوع يعني نوع المضحكات والملح هو للعقل فاكهة كما أن الحكم والامثال غذاؤه فلابد من كل منهما في استصلاح العقول وازالة قساوتها وتنمية ذكائها لغيران الملح تكون بقدر الحاجة كالملح للطعام والى ذلك أشار القائل بقوله

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * يجم وعلله بشيء من المـــزح
ولكن اذا أعطيته ذاك فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح اهـ
وهذان البيتان لأبي الفتح البستي (ولبعضهم)
ولله مني جانب لا أضيـــعه * وللهو مني والخلاعة جانب
(ولآخر)
أخو الجد ان جد الرجال وشمروا * وذو باطل ان شئت ألهاك باطله
(ولأبي فراس الحمداني)
أروح القلب ببعض الهزل * تجاهلا مني بغـــير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل * والمزح أحيانا جلاء العقل
(وقيل) نحن قوم اذا خلونا صبونا وفي المقامات الحريرية بالنهار خطيب وبالليل أطيب (وقد كتب) يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل خراسان كتابا الى الرشيد انه مشتغل بالصيد وادمان اللذات فرمى به الى يحيى وقال اكتب اليه بما يردعه فكتب على ظهر الكتاب حفظك الله يا بني وأمتع بك قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وادمان اللذات فعاوده ماهو أليق بك وأزين لك فانه من عاد الى ما يزينه وترك ما يشينه لم يعرفه أهل دهره الا به وقد قلت أبياتا فالتزمها وان يا وزتها عزلتك عن سخط ولم أكاتك حولا وكتب اليه
انصب نهارا في طلاب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليـــل أتى مقبلا * واستأثرت فيه عيون الرقيب
فباشر الليـــل بما تشتهي * فانما الليـــل نهار الاريب
كم من فتى تحســـبه ناسكا * قد اتقى الليـــل بأمر عجيب
ألقى عليـــه الليل أثوابه * فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مشـــهورة * يرصدها كل حسود رقيب
(ويحكى) عن أبي حفص الفاسي رحمه الله أنه كان اذا خرج متنزها مع تلامذته يقول لهم قبل أن يخرجوا اتركوا هنا التلمذة وأنا أترك هنا الشيخة حتى ترجعوا وسيأتي لهذا المنزع تتمة عند قول الناظم في آداب الاقراء ولن ترى القلوب حينا فاترة الخ لكن محل هذا حيث كان الجليس قابلا لذلك غير منكر له بجفاوة طبعه أو انقباضه أو اعتقاده ان البسط والممازحة مناقضان لمنصب العلم فالواجب مع من هذا حاله الانقباض وترك المباسطة والا أسقطت مرتبتك عنده (ولله در محمد بن كناسة اذ قال)
في انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم
زاد مالك بن المرحل عليهما قوله
وان أجالس من ليس ذا كرم * أكرمت نفسي لديه بالبكم
كما ان محل ذلك أيضا ما لم يكثر كما مرت الاشارة الى ذلك فان كثر أو كان مع غير أهله كان سفاها مجلبة لكل سوء وعليه يحمل قول عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه استخف به وذهبت بهاؤه وقول سعيد بن العاصي لا تمازح الشريف فيحقد ولا الدنيء فيجترئ وقول جعفر بن محمد اياكم والمزاح فانه يذهب بنور الوجه وقول الشاعر
الكبر ذل والتواضع رفعة * والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة عزة * واليأس من صنع الاله قنوط

(وقول آخر)

واياك اياك المـــــزاح فانه * يجرّى عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورثه من بعـــد عزته ذلا

الى غير هذا مما هو كثير في النهي عن المزاح فعله مع الافراط أو مع ممازحة الانذال أو مفاتحة النذل من فوقه من الاشراف بالمزاح فانه انما يحسن بين الاكفاء والله الموفق (ثم قال الناظم)

---

(٤٤) ﴿ولتنشدوا الأشعار فيه بالنغم * فانه صـــفو لذائذ النعم﴾

الواو للعطف واللام لام الامر وتنشدوا بضم أول الفعل فعل مضارع مجزوم بلام الامر وهو من أنشد الشعر ينشده اذا قرأه والواو فاعل وهو ضمير الجماعة المخاطبين بالخروج يوم الجيس والاشعار جمع شعر وهو النظم وتقدم تعريفه والكلام عليه مستوفى في شرح الخطبة وسمي شعرا لان العرب شعرت به أي فطنت له وسمي الشاعر شاعرا لفطنته له وعلمه به وقوله فيه متعلق بالفعل والضمير المجرور بالحرف يعود على يوم الجيس وبالنغم جمع نغمة بكسر النون فيهما ٢ متعلق بالفعل أيضا والنغمة هي حسن الصوت بالكلام والجملة معطوفة على الجملة قبلها وقوله فانه الفاء زائدة لتزيين اللفظ أو تعليلية بمعنى اللام والضمير اسم ان وهو عائد على الانشاد المأخوذ من مادة الفعل على حد قوله عز وجل اعدلوا هو أقرب للتقوى وصفو بفتح الصاد أي خالص خبر ان وهو مضاف الى لذائذ جمع لذيذة ولذائذ مضاف الى النعم من اضافة الصفة للموصوف أي النعم اللذيذة ﴿والمعنى﴾ وأنشدوا في يوم الجيس الاشعار بأحسن الاصوات فان ذلك من النعم الجليلة عن الفؤاد صدأ الاكدار والنكبات وقد جعل الله سبحانه الطبع السليم ميلا عظيما لاستماع الاسماع فكما ان أنواع الطيب من طيب الآناف كذلك كان الصوت الحسن طيب الاسماع كما قيل

رأيت العود مشتقا * من العود باتقان فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

وللعلامة أبي اسحق ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي من قصيدته في مدح السماع وفوائده المسماة بروضة السلوان

ومن لم يحركه الربيع وزهره * ولا العود حين تعتريه الاصابع

ولم يستفزه الظباء ولا المها * اذا اعترضت أو الجأته المضاجع

ولا اهتز اذ رأى الحبارى بدت له * تميس وفوقها البزاة طوالع

ولم يتأثر بالسماع ونحـــوه * ولم يستملهِ الصقر اذ هو واقع

فترقص طورا ثم تبدي ذوائبها * وتومي بكميها وطورا تبايع

ولم يدر قط ما الغرام وما الهوى * ولا موجعات القلب اذ تتواجع

فذلك مختل المزاج حقيقة * ولا شك فيـــه للحمار طبائع

﴿وقلت﴾ قريبا من هذا المعنى

من لم يمل للحســن اذا بدا * فطبعه لا شك طبع الحمار

ليس له في عيشـــه لذة * ولو حوى الملك وحوى الذمار ٣

وقال ابن العربي في العارضة للصوت الحسن أثر عظيم في النفس اه (وقال الاطباء) ان الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات ومن أجل ذلك كره للطفل أن ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب ولم يخلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال

٢ قوله بكسر النون فيهما الذي في القاموس أنهما بفتح النون فيهما وبفتح الغين وسكونها فيهما أيضا اه كتبه المصحح وسرالقرا. كما اشترت في المؤلف كذا تصحيحه ٩ - اول الكتا

٣ الذمار بالذال المعجمة ككتاب ما يلزمك حفظه وحمايته كما في القاموس اه مؤلفه

لا أسمع السماع الا من قوم تشتهي أن تقبله (وقال الشاعر)

رب سماع حسن * سمعته من حسن مقرب من فرح * مبعد من حزن
لا زال وقتي أبدا * في حسنه من بدني

وذلك لما جبلت عليه النفوس من الميل والاصغاء للصوت الحسن حتى من غير العقلاء فأنت ترى الصبيان في المهود يسكتها الصوت ويصرفها عما يبكيها ويشغلها عن الامهات والابل مع بلادة طبعها تتأثر أسماع الحداء من الصوت الحسن (قال كشاجم)

ان كنت تنكر أن في الالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التي * لا شك أغلظ منك طبعا
تصغي الى صوت الحدا * ة فتقطع الفلوات قطعا

بل الحنين الى الصوت الحسن والاستلذاذ به يقع من الطيور والبهائم بل ومن الاشجار (قال الراجز)

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وقد ذكروا في ذلك حكايات صحيحة انظر شرح الاديب العلامة سيدي محمد بن الفقيه السلاوي على الشمقمقية عند قول ناظمها أولها

مهلا على رسلك حادي الأينق * ولا تكلفها بما لم تطق

وقد نقل عن جمع من الاخيار والعلماء الابرار الاستماع للسماع والنغم من غير حضور ما يكره أو يحرم ففي حديث عبد الله بن أويس ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهري قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع وهي تغني

هل علي ويحكم * ان لهوت من حرج

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حرج ان شاء الله * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لا قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم

ولولا الذهب الاحمر * لم تحلل بواديكم
ولولا الحنطة السمرا * ء ما سمنت عذاريكم

(وعن سليمان بن يسار) قال رأيت سعد بن أبي وقاص في منزل بين مكة والمدينة قد أتي له مصلى فاستلقى عليه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يتغنى فقلت سبحان الله أبا اسحق أتفعل مثل هذا وأنت محرم فقال يا ابن أخي وهل تسمعني أقول هجرا (وعن خالد بن عبد الله بن يحيى) قال قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدي أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك فأسمعه كلمة له قال وانك لقائلها قال نعم قال لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب (ويحكى) عن الجنيد أنه حضر مجلس سماع فاهتز الحاضرون كلهم وهو ساكن فقيل له ألا تهتز طربا فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب * وسئل أيضا عن السماع فقال كل ما يجمع العبد على مولاه فهو مباح * وسئل عنه أبو علي الدقاق رضي الله عنه فقال مثل ذلك ما حكاه عن المشايخ كما يأتي * وسئل الجنيد رضي الله عنه ما بال الانسان يكون هادئا فاذا سمع السماع طرب فقال ان الله سبحانه لما خاطب الذر في الميثاق الاول ألست بربكم قالوا بلى استفرغت عذوبة كلامه في الارواح فاذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك اه وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه الروح ألا ترى ان أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على

أبدانهم ترغوا بالالحان فاستراحت لها أنفسهم وليس من أحد كانا من كان الا ويطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه (وقال أبو طالب فى القوت) ان أنكرنا السماع أنكرنا على سبعين صديقا من خيار هذه الامة قال وانا نعلم أن الانكار أقرب الى قلوب القراء الا انا لا نفعل لانا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا من السلف والاصحاب ما لا يسمعون وقال السهروردى قول أبى طالب هذا معتبر لوفور علمه وكمال حاله ومعرفته بأحوال السلف ومكان تقواه وورعه وتحريه الاصوب والاولى اهـ (وفى العلم) وقد أجاز الصحابة وغيرهم غناء العرب المسمى بالنصب ٣ وهو انشاد بصوت رقيق فيه تمطيط وأجاز والحداء وفعلوه بحضرته صلى الله عليه وسلم وهذا ومثله لا يقدح فى العدالة اهـ (وقال ابن عرفة) والمعروف الخطيب الامام أبو بكر بن ثابت فى تاريخ بغداد بابراهيم بن سعدون بن ابراهيم المزنى قال قدم العراق فأكرمه الرشيد فسئل عن الغناء فأفتى باباحته فأتاه بعض المحدثين يسمع منه أحاديث الزهرى فسمعه يتغنى فقال كنت حريصا على السماع منك فأما الآن فلا سمعت منك حرفا واحدا أبدا فقال اذا لا أفقد الا شخصك على وعلى ان حدثت ببغداد ما أقمت حديثا حتى أغنى قبله فبلغ ذلك الرشيد فدعاه فسأله عن حديث المخزومية التى قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرقة الحلى فدعا بعود فقال الرشيد أعود المجمر قال لا ولكن عود الطرب فتبسم ففهمها ابراهيم بن سعدون فقال لعله بلغك يا أمير المؤمنين حديث الذى ألجانى الى ان حلفت قال ثم فدعا الرشيد بعود فغناه بيت شعر فقال الرشيد من كان من فقهائكم يكره السماع قال من ربطه الله ٤ فقال هل بلغك عن مالك بن أنس فى ذلك شئ قال لا والله الا انى أخبرنى انهم اجتمعوا فى مدعاة كانت فى بنى يربوع وهم يومئذ جلة ومالك أقلهم من فقهه وقدره ومعهم دفوف ومعازف وعيدان يغنون ويلعبون ومع مالك دف وهو يغنيهم

سليمى أزمعت بينا * فأين تظنها أينا

وقد قالت لأتراب * لها زهر تلاقينا

تعالين فقد طاب * لنا العيش تعالينا

فضحك الرشيد ووصله بمال عظيم (ابن عرفة) وامامة أبى بكر وعدالته ثابتة ونقل ابن الصلاح وعياض وغير واحد عنه معلوم وابراهيم بن سعدون هذا قال المزنى خرج له أهل الكتب الستة الصحيحان وأبو داود والنسائى وابن ماجه وجامع الترمذى اهـ نقله فى جامع المعيار وفيه أيضا مانصه وفى رحلة الخطيب أبى عبد الله بن رشيد مانصه حكى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى المحدث الصوفى قال وأخبرنى أبو محمد التميمى ببغداد قال سألت الشريف أبا على محمد بن أحمد بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال ما ادرى ما أقول فيه غير أنى حضرت بدار شيخنا أبى الحسن عبد العزيز بن الحرث التميمى شيخ الحنابلة سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها الاصحابه حضرها الشيخ أبو بكر الابهرى شيخ المالكية وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعية والقاضى أبو بكر الباقلانى شيخ الطوائف وامام وقته وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين فقال أبو على لو سقط السقف على هؤلاء لم يبق أحد فى العراق يفتى فى نازلة يشبه واحدا منهم وحضر معهم أبو عبد الله غلام باباو كان يقرأ القرآن بصوت حسن وربما قال شيأ فقيل له قل لنا شيأ فقال وهم يسمعون

خطت أناملها فى بطن قرطاس * رسالة بعبير لا بأنقاس

أن زر وقيتك لى من غير محتشم * فان حبك لى قد شاع فى الناس

فكان قولى لمن أدى رسالتها * قف لا مشى على العينين والراس

قال أبو على فبعد ما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسئلة لا بحظر ولا باباحة اهـ وقال ابن العربى

٣ فى العقد الفريد عن أبى المنذر هشام بن الكلبى الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الركبان والقينات وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يثير القلوب ويهيج الحليم

٤ من أمتعه الله بخزيته كذا فى العقد لما ذكر القضية مختصرة اهـ مؤلفه

في المعارضة الغناء ليس بحرام لان النبي صلى الله عليه وسلم سمعه قال وان زاد فيه أحد على ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عودا بصوت عليه نغمة فقد دخل في قوله مزمار الشيطان ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما فانه يوم عيد وان اتصل نقر طنبور به فلا يؤثر أيضا في تحريمه فانها كلها آلات تتعلق بها قلوب الضعفاء وللناس عليها استراحة وطرح لثقل الجوى الذي لا تحمله كل النفوس ولا يتعلق به كل قلب فقد سمع الشرع لهانيه اهـ (وقال عياض) عن محمد بن الحكم كان أبي والشافعي وابن بكير وجماعة من أصحابهم في منزل يوسف بن عمر في صنيع عرس لهم وكان ثم لهو ودف فما أنكره واحد منهم (وعن عكرمة) قال الختن ابن عباس بنيه أرسلت فدعوت له اللعابين فلعبوا فأعطاهم ابن عباس أربعة دراهم (وقال عز الدين في قواعده) من غلب عليه هوى مباح كمن يعشق زوجته وسريته فهذا يجيء السماع ويؤثر فيه آثار الشوق وخوف الفراق ورجاء التلاق وسماع هذا لا بأس به (وقال القشيري) سألت أبا علي الدقاق غير مرة عن السماع شبه طالب رخصة فيه وكان يجيبني الى ما يوجب الامساك عنه ثم بعد طول المعاودة قال ان المشايخ قالوا ما جمع قلبك على الله فلا بأس به (وقيل لابي سالم) كيف تنكر السماع وكان الجنيد وسري وذو النون يسمعون قال كيف أنكره وقد أجازه وسمعه من هو خير مني (وقال عياض) كان ابن معتب ثقة عالما بالحديث شيخ اليقين بالله وكان فيه رقة مر في طريقه الى مسجد السبت بدار فسمع فيها غناء فقرع الباب فخرج اليه صاحب الدار فاستأذنه في الدخول فاستحيا صاحب الدار واعتذر فقال لا بد فدخل صاحب الدار قبله وغيب ما كان بين أيديهم ثم أذن له فدخل وسلم وقال من المتكلم قالوا هذا قال سألتك بالله الا ما أعدت ما سمعت منك فقال مغنيهم

العفو أولى ان كانت له القدر ❊ لا سيما عن مسي ليس ينتصر
أقر بالذنب اجلالا لسيده ❊ فقام بين يديه وهو يعتذر

فبكى ابن معتب وخر وأن وردد مرارا وانتحب وقام وقال تاب الله عليكم فتاب صاحب الدار وسار أحمد الى مسجد السبت اهـ بنقل المعيار ❊ وشبه هذه القصة ما حكاه عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال كان عبد الله الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة وانه مر يوما بسلامة وهي تغني فقام يستمع فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل فتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فقال له أوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك فغنته فأعجبته فقال له مولاها هل لك في أن أحولها اليك فأبى ذلك عليه فلم يزل به حتى أجابه فلم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها ولما شعرت للحظه اياها غنته

رب رسول لنا لها ❊ رسالة من قبل أن يبرحا
لم يعمل لا خفا ولا حافرا ❊ ولا لسانا بالهوى مفصحا
حتى استقلا بجوابيهما ❊ بالطائر الميمون قد أنجحا
الطرف والطرف بشأنهما ❊ فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد أن يهلك فقالت له يوما والله اني أحبك فقال لها وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت الله تعالى يقول الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها ❊ فاعجب لما تأتي به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما ❊ سبل الضلالة والهدى أقسام

(وله فيها)

ان سلامة التى * أفقدتنى تجلدى لو تراها وعودها * حين تبدو وتبتدى
البحر بين والغريض والقرم معبد خلتهم بين عودها * والدساتين واليد

وعلى ذكر التغزل فى سلامة تذكرت قولى فى جارية لى اسمها كذلك

بالاغى فى هوى سلامه * ولست أصغى الى ملامه
فهل ترى عاقلا أجبنى * لام على الحب فى سلامه

(وروى) أن عبد الله بن جعفر دعا معاوية فأحضر له طعاما فلما وضع يده فيه حرك مغن أوتاره وغنى فأعجب غناؤه معاوية وقبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الارض طربا وقال لا بأس بحكمة الالحان قال ذلك ثلاثا وسمع أيضا غناء فطرب طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له عبد الله بن جعفر انك تحرك رجلك فقال معاوية كل كريم طروب ا (وروى) أن الشعبى دخل يوما على بشر بن مروان فوجد عنده جارية فى حجرها عود وهى تغنيه فاستحيا منه وأمرها أن تضع العود اجلالا للشعبى فقال له لا ينبغى للامير أن يستحيى من عبده فقال بشر صدقت فقال للجارية هات ما عندك فأخذت عودها وغنت بقول الجامى

نقل له فى سنا المهتدى ومثله فى العقد الفريد بزيادة اه مؤلفه

ومما شجانى أنها يوم ودعت * تولت وماء العين فى الجفن حائر
فلما أعادت من بعيد بنظرة * الى التفاتا أسلمته المحاجر اه

(وقيل) ان السماع راح تشربه الارواح بكؤس الآذان على نغمة الالحان ولكل امرئ ما نوى هذا مذهب المبيحين له وعليه ذهب الناظم رحمه الله فى قوله واستشهدوا الاشعار فيه بالنغم الخ وذهب جماعة الى تحريمه وعليه أبو حنيفة وآخرون الى كراهته وعليه مالك والشافعى وكان غالب علماء المدينة يبيحونه وأهل العراق يمنعونه (قال ابراهيم بن سعد الزهرى) قال لى أبو يوسف القاضى ما أعجب أمركم يا أهل المدينة فى هذه الاغانى ما منكم شريف ولا دنىء يتحاشى عنها قال فغضبت وقلت قاتلكم الله يا أهل العراق ما أوضح جهلكم وأبعد من السداد رأيكم متى رأيت أحدا سمع الغناء فظهر منه ما يظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر فيترك أحدهم صلاته ويطلق امرأته ويقذف المحصنة من جرائه ويكفر بربه فأين هذا ممن اختار شعرا جيدا ثم اختار جرما حسنا رددته عليه فأطربه وأبهجه فمنا من الجرائم وأعطى الرغائب فقال أبو يوسف قطعتنى ولم أجد جوابا (قال ابن عبد ربه) وهل على الارض رعديد ٢ مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير بن الخطفى

٢ أى جبان

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاثاب اليه روعه وقوى قلبه أم على الارض بخيل قد تقفعت أطرافه لؤما ثم غنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه أو على الارض غريب نازح الدار بعيد المحل يغنى بشعر على بن الجهم

ياوحشة للغريب فى البلد النا * زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول فى نأيه وغربته * عدل من الله كل ما صنعا ٣

٣ فيه ايطاء وهو من عيوب القافية وبعضهم يجيزه اه مؤلفه

الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه اه والقول الفصل فى المسئلة وهو التحقيق انه لا يمنع منه الا ما نشأ عنه مفسدة من اختلاط الرجال بالنساء ودنو بعضهم من بعض أو نظر محرم أو تحريك لعب محرم أو التشوق بذلك الى الزنا أو الاستمتاع بالمحرم الى غير هذا من الآفات التى ذكرها العلماء رضى الله عنهم والا فلا ملامة حيث تحققت السلامة بل هو حينئذ مندوب

فنى

(في جامع المعيار من جواب للعز بن عبد السلام ما نصه وأما سماع الانشاد المحرك للاحوال السنية المذكر بما يتعلق بالآخرة فلا بأس به بل يندب اليه عند الفتور وسآمة القلوب لان الوسائل الى المندوب مندوب والسعادة كلها في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء الصحابة الذين شهد لهم بأنهم خير القرون ولا يحضر السماع من في قلبه هوى خبيث فان السماع يحرك ما في القلوب من هوى محبوب أو مكروه والله تعالى أعلم اه وكان أبو يوسف القاضي ربما حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل محل السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقال أحمد بن أبي دواد ان كنت لأسمع الغناء من مخارق عند المعتصم فيقع على البكاء وقال ابن عبد ربه وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرق القلب من قسوته و يتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره اه (قال مقيده عفا الله عنه) والله ما جلست مجلس سماع إلا وتذكرت عند الطرب به ما في الجنة من النعيم وخصوصا من ذلك النوع فيحصل عزم على الطاعة والتقوى لبلوغ ذلك الطرب الدائم (فائدة) تقدم لنا ذكر العود أعني عود الغناء وأول من اتخذه لامك بن خنوخ بن برد بن قابيل بن شيث بن آدم قاله ابن عبد ربه في العقد الفريد والعلامة سيدي على مصباح اليالصوتي في سنا المهتدي ثم نقل أن المعتمد العباسي قال لبعض الاعلام علماء أخبرني عن أول من اتخذ العود فقال يا أمير المؤمنين قد قيل في ذلك أقاويل منها أن لامك بن خنوخ الخ كان له ابن يحبه غاية فمات ذلك الابن فعلقه في شجرة فبقي ينظر اليه أبدا تأسفا عليه فتقطعت أوصاله حتى بقي فخذه مع الساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا ورققه وألصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق والسمك كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب وناح عليه فنطق العود قال الحمدوني

ونا طق بلسان لا ضمير له * كأنه فخذ نيطت الى قدم
يبدي ضمير سواه في الحديث كما * يبدي ضمير سواه الخط بالقلم اه

(ومن ألطف ما قيل في العود) قول بعض أدباء العصر رحمه الله وأسكنه من الفردوس أعلاه ملتزما ما لا يلزم

وعود بديع حكى لطفه * جميلا تزيا بزي الملوك
يكاد يسيل لرقته * فتمسكه من نضار سلوك
لنغمة أوتاره مسلك * يضيق به نفس عن سلوك

(وقوله أيضا)

انظر الى حسني ولطف بدائعي * واشكر فذيتك نعمة للصانع
واطرب بما أبديه من لحن ومل * للتقضي شرط الهوى عن مانع
طبعي رقيق لا يميل سوى لمن * يحكي برقته لأصلي اليانع

(وقوله أيضا)

طال يا أهل الهوى مني الحنين * لحبيب هو بالقرب ضنين
ها أنا من حبه في صفد * تحت أوتار الهوى منتسنين
جس نبضي وتلطف واستمع * شجو اذا رقة يبدي الانين

(وقوله أيضا)

يا ساعة الانس والسعود * بجمع شمل السرور عودي
وانشر على مجلس التصابي * غمام زهر وسحب عود

أما تراني حضرت اذلا * يتم أنس بغير عود

والله أعلم (ثم قال الناظم)

82) ﴿ولعب الكرة ليس مذهبي * إذ فيه للقتال أقوى سبب﴾

الواو للاستئناف ولعب مبتدا والكرة بضم الكاف وفتح الراء مخففة مضاف اليه وفي القاموس الكرة كثبة ما أدرت من شيء الجمع كرين وكرين وكرى وكرات بضمهما وكرى بها كرو وبكرى لعب اه وفي الصحاح والكرة التي تضرب بالصولجان وأصلها كرو والهاء عوض ثم قال تقول منه كروت بالكرة أكروبها كروا اذا ضربت ولعبت بها اه ومثله في المصباح وقد أخطأ من قال انها محذوفة العين وبيان خطائه من وجوه ين انظر المقدمة الثانية من أول حاشية ابن الطيب على القاموس والاكرة بهمزة مضمومة أوله لغية فيها كما في باب الراء وفصل الهمزة من القاموس وعرفها في (مختصر الافادة) قوله الكرة جلد مستدير على كصوف خرز وقول الناظم ليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على لعب ومذهبي خبرها منصوب بفتحة مقدرة منع ظهورها الحكاية أو لياء المتكلم والمذهب الطريقة والرأي وجملة ليس مذهبي في محل رفع خبر المبتدا وقوله اذ تعليل لقوله ليس مذهبي وتقدم نقل الخلاف عن المغني في اذهل هي حرف أو اسم وفيه متعلق بمحذوف خبره مقدم والضمير عائد لعب الكرة وللقتال مصدر قاتل متعلق بسبب لانه في معنى المشتق لتأويله بباعث أو حامل ويحتمل تعلقه بأقوى وفي نسخة المنار بدل للقتال والعثار بالثاء المثلثة الكبو والسقوط يقال عثر من باب ضرب ونصر وعلم وكرم وقال المطرزي يكون بالرجل وباللسان وأقوى مبتدا مؤخر مضاف لسبب ﴿والمعنى﴾ أن لعب الكرة ليس رأيا لي لان فيه أقوى أسباب القتال أي الذي هو المدافعة والمخاصمة والمضاربة (ثم قال)

83) ﴿يدنس المروءة الحصينة * ويطرد الوقار والسكينة﴾

يدنس فعل مضارع أي يوسخ وفاعله ضمير يعود على لعب الكرة والمروءة مفعوله وهي لغة الانسانية فعلها مرؤ بالضم فهو مريء ككرم فهو كريم وعرفت بالتلبس بالخصال التي تليق بمحاسن العادات واجتناب مالا يليق وعرفت أيضا بتخلق الشخص بخلق أمثاله في زمانه ومكانه وسئل عنها الحسن البصري فقال هي ترك ما يعاب به عند الله وعند خلقه وسئل عنها عمرو بن العاص فقال هي عرفان الحق وتعاهد الاخوان بالبر وسئل عنها محمد بن عراق فقال هي أن لا تفعل فعلا تستحيي من ظهوره في الدنيا والآخرة وسئل عنها الاصمعي فقال هي طعام موضوع ولسان حلو ومال مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف وقال سري السقطي هي صيانة النفس عن الادناس وعن كل شيء يشين العبد بين الناس وانصاف الناس في جميع المعاملات فمن زاد على ذلك فهو متفضل وعرفها الامام الماوردي بأنها مراعاة الاحوال التي يكون الانسان على أفضلها ثم ذكر حديث من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته اه من كتابه آداب الدين والدنيا ثم فرق بين العقل والمروءة بأن العقل يأمر بالانفع والمروءة تأمر بالاجمل (وورد مرفوعا) المروءة في الاسلام استحياء المرء من الله أولا ثم من نفسه آخرا (وذكر) الشيخ سيدي المختار الكنتي رضي الله عنه في كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة أن سيدنا عليا رضي الله عنه لما رأى ما فشا في الناس من الفتن بعد موت أعيان الصحابة قال

مررت على المروءة وهي تبكي * فقلت علام تنتحب الفتاة

فقالت كيف لا أبكي وأهلي * جميعا دون خلق الله ماتوا

وقول الناظم الحصينة أى المنيعة نعت للمروءة أى التى شأنها أن تمنع وتحصن ويدنس الخ جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية على حذف حرف العطف وهى مشتركة معها فى التعليل وحذف العاطف لغة نظيره قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت أى وقلت لان جواب اذا هو قوله تولوا الخ ويطرد بضم الراء أى يزيل ويذهب معطوف على يدنس والضمير عائد على لعب الكرة أيضا والوقار بفتح الواو مفعول يطرد وهو الحلم والرزانة والسكينة معطوف على الوقار وهى المهابة والرزانة والوقار فالعطف تفسيرى وحكى فى النوادر تشديد كافها قال ولا يعرف فى كلام العرب فعيلة الا هذا الحرف شاذا نقله فى المصباح وفى قوله يدنس المروءة استعارة بالكناية وتخييل شبه المروءة بثوب نظيف بجامع الحسن فى كل ووجوب المحافظة على كل ثم اقتصر على المشبه ويدنس تخييل ويحتمل أن يكون فى قوله يدنس استعارة تبعية بان يكون شبه التدنيس بالاخلال بجامع التدنس فى كل واستعار التدنيس للاخلال ثم اشتق من التدنيس الذى هو المستعار يدنس بمعنى يخل والقرينة هى الضمير العائد من يدنس على لعب الكرة اذ التدنيس الحقيقى وهو التلطخ بالوسخ للمروءة لا يمكن فى لعب الكرة ﴿والمعنى﴾ ان لعب الكرة يخل بالمروءة التى يجب تحصينها ويزيل السكينة التى ينبغى تحصيلها وذلك لان اللاعب بها يكون كثير الوثوب والجرى والطيش والهرج وهذا ليس من أخلاق ذوى المروآت (ثم قال)

(٤٤) ﴿فما رأيت فيه شيأ يحمد * فتركه فعله لدى أحمد﴾

الفاء زائدة أو واقعة فى جواب شرط محذوف تقديره اذا علمت ما فى لعب الكرة فما الخ وما نافية ورأيت فعل وفاعل وفيه متعلق بالفعل والضمير المجرور بفى يعود على لعب الكرة وشيأ مفعول الفعل ويحمد مضارع مبنى للمجهول وضميره نائب الفاعل يعود على شيأ والجملة فى محل نصب نعت لشيأ هذا على ان رأى بصرية ويحتمل كونها علمية فتكون جملة قوله يحمد فى محل نصب هو المفعول الثانى وقوله فتركه الفاء تفريعية وما بعدها متفرع على قوله فما رأيت فيه الخ وترك مبتدأ وفعله مضاف اليه ترك والضمير المضاف اليه فعل عائد على لعب الكرة أيضا وأحمد اسم تفضيل خبر ترك ولدى بمعنى عندى ظرف متعلق باسم التفضيل ﴿والمعنى﴾ ما رأيت فى لعب الكرة شيأ حميدا فلذلك كان ترك فعله عندى رأيا سديدا وفى قوله فتركه فعله لدى أحمد مع قوله سابقا ليس مذهبى اشعار بأنه مخالف فى ذلك لغيره وهو كذلك فقد أباحها بعضهم كصاحب مختصر الافادة وذكر كيفيات لعبها فانظره وهى من لعب العرب الاقدمين كما يؤخذ من القاموس والصحاح والمصباح وغيرها من كتب اللغة وبها فسر واما فى الحديث كنا نعطى الصبيان يوم عاشوراء اللعبة من العهن نلهيهم بها عن الطعام وكأن من أباحها نظر لما فيها من التدرب على القتال والشجاعة وخفة الحركة والرياضة قال صاحب كتاب آثار الاول فى ترتيب الدول اللعب بالكرة رياضة حسنة تامة وصفها الحكماء والفضلاء من الملوك لرياضة الجسد ثم قال وأما نفع الرياضة بالجملة فظاهر معلوم لما جعله الله فى الابدان من الاخلاط المتغايرة المتغالبة التى موادها من الاغذية المختلفة وجعل لكل خلط مقرا يأوى اليه فضلاته وهيأ له من المنافذ والمجارى ليخرج من الجسد ما لا حاجة به اليه ثم ذكر أن السكون يناقض ذلك كله ثم قال ويجب أن لا يفرط فيها ولا يطاول فى اشتغال بها بل يكون عند ابتداء بواكر النهار والعشيات عند خلو المعدة من الاكل وتنقطع عند ابتداء العرق والنفس المتتابع وان أمكن الدخول بعدها الحمام لاخراج ما تحلل من الفضلات واخراج ما خرج من العرق بتلك الحركة فحسن ثم بعد الحمام يتناول من الشراب الموافق لمزاجه ثم التغذى بعد ذلك وذكر أيضا ما يخشى فى لعبها من السقوط والعثار والمصادمة وغير ذلك مما راعاه الناظم فاستحسن الترك لاجله والحق ان ذلك يختلف باختلاف الاعراف والعادات فرب قوم لا وصم عليهم فى لعبها كأهل

مراكش ونواحيها ورب آخرين لا يلعبها منهم الا الصبيان أو من ليس من ذوى المروءة كأهل فاس ونواحيها ومنهم أهل الجبال كالناظم رحمه الله والله أعلم وأما حكم لعبها شرعا بقطع النظر عن العرف فيها فهى جائزة بشرطين الاول أن يكون بغير قمار الثانى أن يقصد به التدرب على الجهاد والرياضة لا المغالبة كما هو شأن أهل الفسوق ويدخل حكمها فى قول خليل فى باب المسابقة وجاز بغير مجانا ٢ وقد مثل الشراح للغير برمى الحجارة والصراع وشرط واذنية التدرب لا المغالبة فالكرة كذلك بلاشك والله أعلم (ومن اللطائف الادبية) ان المعتصم قسم أصحابه للعب الكرة يوما فجعل رجلا فى جهة وهو فى جهة فقال يعفينى أمير المؤمنين من هذا فقال ولم قال لانى ما أرى أن أكون على أمير المؤمنين فى جد ولا هزل فاستحسن ذلك منه وجعله فى حزبه (وقد قلت ملغزا فيها)

ماسم ثلاثى بدا * مدورا مثل الهلال قد صح ثلثا لفظه * وأصل ثالث ذو اعتلال
تراه يعلو أمره * من يضرب بالنعال لا يصطلح أبدا * إلا لضرب وابتذال
وذنبه فى بطنه * فان خلا فيستقال

ثم وقفت على لغز فيها للأديب البارع سيدى على مصباح اليصوتى ومن خطه نقلت فى ديوانه

ومظلومة والناس طبعا تحبها * ويلقون فى تحصيلها أعظم الكد
ولكنهم مهما تناهوا وصالها * يجاز ونهـا بالبعد عنهم وبالطرد

(ثم قال الناظم)

٥٤) ﴿والضام دعها للعوام تبرز * ولعب الشطرنج قد يجوز﴾

الواو للعطف والضام مفعول بفعل محذوف يفسره المذكور والمعروف فيها الجارى على الالسنة الضامة بالتاء وقد تصرف فيها الناظم بحذف التاء للوزن وهى لعب معروف بين الناس لم أجده فى كتب اللغة بهذا المعنى نعم فى شرح القاموس للشيخ مرتضى ما نصه ومما يستدرك عليه الضامة مخففة الحاجة زنة ومعنى ومنه المثل تأتى بك الضامة عريس الاسد فسروها بالحاجة وبالمرأة وقالوا هى من الضيم كما فى أمثال الميدانى نقله شيخنا اه ويعنى بشيخه العلامة ابن الطيب محشى القاموس وقد راجعته فوجدته كما نقل عنه وفيه نظر فان الذى فى الميدانى بعد ذكره المثل المذكور هو ما نصه الضامة تثقل وتخفف من الضم والضيم فاذا ثقلت فالمعنى الحاجة الضامة التى تضمك وتجلبك والضامة من الضيم جمع ضائم يعنى ٣ الظلمة أى ظلم الظلمة يحوجك الى أن توقع نفسك فى المهلكة اه فأنت تراه جعل الضامة بمعنى الحاجة مشددة الميم وأما التى بالتخفيف فهى جمع ضائم لان أصله ضيمة ككامل وكملة فان صح ما قاله شارح القاموس تبعا لشيخه من أن الضامة بالتخفيف الحاجة تقول ان اللعبة المعروفة سميت بذلك لانها حاجة لاربابها وقول الناظم دعها أى اتركها فعل وفاعل ومفعول والضمير عائد على الضامة وهو الشاغل للفعل عن العمل فى الاسم السابق وللعوام متعلق بتبرز أى تظهر وهو فعل مضارع ضميره عائد على الضامة والعوام جمع عامة كدواب جمع دابة ويقرأ فى النظم بتخفيف الميم للوزن والعامة خلاف الخاصة والمراد بهم هنا من ليس من أهل العلم وجملة والضام دعها الخ معطوفة على جملة قوله ولعب الكرة الخ وقوله ولعب الشطرنج بكسر الشين على المختار وتفتح قال الجواليقى فى كتاب ما تلحن فيه العامة ومما يكسر والعامة تفتحه أو تضمه وهو الشطرنج بكسر الشين قالوا وانما كسر ليكون نظير الاوزان العربية مثل جردحل اذ ليس فى الابنية العربية فعلل بالفتح حتى تحمل عليه نقله فى المصباح ونقل الخفاجى فى شفاء الغليل عن الحريرى ان المعروف فيه الفتح وقال الواحدى الكسر أحسن ليكون كجردحل وقرطعب وعلى الفتح اقتصر أبو الحسن فى شرح الرسالة والصحيح أنه معرب صدرنك

قوله وجاز بغير مجانا) ٢ خليل فى كثير من ... وجاز فيما عداه مجانا ... تنبه المصحح

... الكرة

٣ أى بالضامة

أى مائة حيلة والمقصود التكثير لا خصوص هذا العدد وقيل معرب شدرنج أى من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا وقيل معرب شش رنك ومعناه ستة ألوان لأن شش عندهم ستة ورنك لون وكأنهم قالوا ستة ألوان الخ فالشاه لون والفرزان لون والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيذق لون فعلى هذا من انه معرب فلا اشتقاق فيه أصلا وقيل هو عربى مشتق من المشاطرة لان لكل لاعب شطرا من القطع ﴿قلت﴾ و يصح اشتقاقه من الشطارة لانه مبنى عليها ويقال بالسين المهملة بدل المعجمة من التسطير عند التعبية لكن تعقب ابن برى الاشتقاق من أصله بأن شطرنج لفظ خماسى واشتقاقها من الشطر مثلا يوجب انها ثلاثية فتكون النون والجيم زائدتين وهذا بين الفساد اه وعليه فالصواب أنه معرب لا اشتقاق فيه أصلا والله أعلم وقول الناظم قد يجوز الظاهر ان قد للتقليل لقلة من قال بجوازه بالنسبة لمن قال بمنعه كما يأتى ويجوز مضارع مبنى للمفعول والضمير نائب الفاعل عائد على لعب الشطرنج ﴿والمعنى﴾ ان لعب الضامة يترك للعوام ولعب الشطرنج قد يباح لاهل العلم والاعلام وهذا التخصيص فى الطبع السليم سارى بمقتضى العرف الجارى فقد عهد فى الضامة أنها من لعب السوقة والارذال وفى الشطرنج انه من لعب أهل الادب والجمال وليس فى كلام الناظم تنصيص على حكم لعب الضامة غير انه مشعر باباحته للخصوص العامة والذى جزم به سيدى عبد العزيز الدباغ نفعنا الله به كما فى الابريز انها حرام قال لما فيها من الانقطاع عن الله مع أنها لا غرض فيها للشارع ويؤخذ من كلام الشيخ الرهونى رحمه الله اعتماده نعم يبقى التوقف فى انها هل تلحق بالنرد فى التجريح بلعبها ولو من غير ادمان أو انما يجرح بلعبها مع الادمان كالشطرنج توقف الرهونى فى ذلك ﴿قلت﴾ وفى نوازل العلامة القاضى سيدى عيسى بن عبد الرحمن السكتانى مانصه وسئل عن شاهد يلعب تداس وهو نوع من الشطرنج يلهى عن الصلاة فى أوقاتها وتقع كثرة الايمان على لعبها هل تصح شهادة من هذه حالته ولعب تداس هل هو جرحة أم لا فأجاب شهادة من هذه حاله لا تقبل والادمان على لعب تداس جرحة والسلام اه منها وتداس لعب معروف يلعبه العوام وهو قريب من الضامة فحكم على من حاله الادمان بالجرحة فافهم عدم التجريح بعدم الادمان وهو الظاهر ما لم يحصل بالمرة الواحدة عليها أيمان أو اخراج الصلاة عن وقتها فتكون جرحة بمجردها كما هو حال الشاهد المسؤل عنه وعليه يتنزل

الكلام فى الشطرنج

صدر الجواب والله تعالى أعلم ﴿وأما الشطرنج﴾ فلابد من بسط الكلام فيه لتكون على بصيرة فيما تقتفيه فاعلم ان فيه خلافا بين الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فروى جوازه عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وأبى هريرة وأبى اليسر والحسن البصرى والقاسم بن محمد وأبى قلابة وأبى مجلز وعطاء والزهرى وربيعة بن عبد الرحمن وأبى الزناد ومحمد بن سيرين وهشام بن عروة و بهز بن حكيم والشعبى وسعيد بن جبير وزين العابدين على بن الحسين وسعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر والاعمش وناجية وعكرمة وأبى اسحق السبيعى وابراهيم بن سعد وابراهيم بن طلحة قال الدميرى فى حياة الحيوان وقد ذكرت الاسانيد عن هؤلاء وتكلمت على أدلة المخالفين بكلام يشفى النفس ويذهب اللبس فى جزء أفردته فى الشطرنج والنرد نحو عشرين كراسة اه وكذلك أفرد جوازه بجزء أبو بكر الصولى قال الشافعى كان سعيد بن جبير يلعب بالشطرنج استدبارا من وراء ظهره وقال فيه سعيد بن جبير ما وضع هذا الشطرنج الا لامر عظيم لكن قال بعضهم من نقل عن أحد من الصحابة انه رخص فيه فهو غالط ونحوه لابن عرفة وحكى البيهقى اجماع الصحابة على التحريم قال الزرقانى فى شرح الموطأ وهو من علماء الحديث أعلم بأقوال الصحابة اه وقال على بن أبى طالب النرد والشطرنج من الميسر وكان ابن عمر يكسرها ويضرب اللاعب بها من أهله لان بقاءها داع الى اللعب بها وعلى التحريم مالك وأبو حنيفة

واحمد ووافقهم من الشافعية الحليمي والروياني ففي الموطأ قال يحيى سمعت مالكا يقول لاخير في الشطرنج وكرهها وسمعته يكره اللعب بها وبغيرها من الباطل ويتلو هذه الآية فماذا بعد الحق الا الضلال اه فقوله كرهها أي على التحريم لا على التنزيه خلافا لابن رشد وقال المازري في المعلم على حديث من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه ﴿وأما حكم اللعب بالنرد والشطرنج﴾ فمالك ينهى عنه قل أو كثر قمارا أو غيره لان القليل يوقع في الكثير واللعب بغير قمار يوقع في القمار فالشطرنج عنده أشد أي من النرد لانه ألهى منه والحديث حجة له لانه وان ورد في النرد فالشطرنج مقيس عليه لاشتراكهما في انهما اشغلا لان موقعان في القمار والتشاجر عند التغالب اه نقله الابي ومذهب الليث كمذهب مالك في ان الشطرنج أشد على ما قال المازري وقال ابن وهب اذا وجد الوصي في التركة شطرنجا فلا يبيعها حتى يصيرها ليبيعها احطبا ان أمن السلطان ٣ فان خاف فلا يفعل الا باذنه اه (وفي الرسالة) ولا يجوز اللعب بالنرد ولا بالشطرنج ولا بأس أن يسلم على من يلعب بها ويكره الجلوس الى من يلعب بها والنظر اليهم اه وقوله ولا بأس أن يسلم الخ أي في غير حال اللعب وأما في حاله فلا يجوز وقوله فيكره الجلوس أي يحرم ولهذا كان الادمان عليه من مجرحات الشهادة خليل عاطفا على المجرحات وادامة شطرنج وقال الابهري تجوز شهادة من لابد من على لعب الشطرنج اذ لا يخلو الانسان من لهو وفرح يسير وقد روينا عن جماعة من التابعين انهم كانوا يلعبون بالشطرنج اه (قال بهرام) وانما اشترط الادمان في الشطرنج دون ما عداه أي كالنرد لاختلاف الناس في اباحته اذ قد روي عن جماعة من التابعين انهم كانوا يلعبون بها اه وفسر أحمد بن نصر الادامة بأن يلعب بها في السنة أكثر من مرة وفسرها بعض الاشياخ بمرة في السنة أي ومرة أخرى في سنة أخرى حتى يقال له ادامة قال الابي نقلا عن المازري ويبعد من لفظ مالك وقيل انه يجرح ولو من غير ادامة فتسقط الشهادة بلعبه ولو مرة في العمر رواه الداودي عن مالك وحكاه ابن عرفة أيضا وقيل لا يجرح ولو مع الادمان الا اذا شغل عن صلاة الجماعة حكاه ابن عرفة أيضا وقال الابي في شرح مسلم ورأى بعضهم الحالة التي يقع اللعب عليها فان آذنت بسقوط المروءة كلعب المحظوظ بالجلالة مع سفلة الناس معلنا بذلك سقطت شهادته وان كان مستترا او يلاعب أمثاله بعض الاحيان لم ترد شهادته ورأى بعض الاصوليين القصد باللعب فان كان لتسلية النفس عن الهموم التي لزمتها واشحذ القريحة وحدة الذهن الكال لم ترد شهادته بل يميل الى الجواز على هذه الحالة اه والمشهور الاول ﴿فان قلت﴾ لو كان الشطرنج حراما عند الامام ما شرط الادمان في التجريح به ﴿قلت﴾ قد أورد هذا الاشكال الشيخ خليل في توضيحه وأجاب عنه ابن مرزوق بان الملازمة ممنوعة لان ارتكاب بعض الصغائر المرة ونحوها وان كان حراما لا يوجب رد الشهادة بخلاف ما لو تكرر فلعل الشطرنج عند الامام من هذا الباب قال الشيخ الرهوني وما قاله ابن مرزوق ظاهر فسلم ان كون الادمان شرطا في التجريح لا يدل على عدم التحريم عند الامام مالك وقد أخذ أبو عمر بن عبد البر من جعل الادمان شرطا في التجريح عدم الحرمة قال الامام المواق في سنن المهتدين قال ابن عرفة علق مالك رد الشهادة بها على الادمان لا المرة بعد المرة لانه لا يسلم الانسان من يسير لهو قال أبو عمر وهذا يدلك على ان اللعب بها ليس بمحرم لنفسه وعينه اذا لم يقامر بها أو تستر لانه لو كان حراما لاستوى قليله وكثيره في التحريم اذ ليس بمضطر اليه ولا مما لا ينفك عنه فيعفى عن اليسير منه قال يعني أبا عمر وممن أجاز اللعب بالشطرنج سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين ومحمد بن المنكدر وعروة بن الزبير وابنه هشام وسليمان بن يسار والشعبي والحسن البصري وأبو وائل وعلي بن الحسين بن علي وابن شهاب وجعفر بن محمد وعطاء على غير قمار اه كلام ابن عبد البر وبه انتهى

٣ بان كان السلطان على مذهب من يقول بجوازه أو يلعب به أو غير هذا من أوجه الخوف اه مؤلفه

كلام

كلام المواق وذهب الشافعي الى ان لعب الشطرنج مكروه كراهة تنزيه وصححه القرافي من أهل مذهبنا وهو ظاهر خليل في المختصر حيث جعله من أفراد ما لا يليق وقد سئل محمد المزني عن المتلاعبين بالشطرنج فقال اذا سلمت أيديهما من الضرب والخسران وألسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كان أدبا بين الاخوان والخلان اه وفي الباب الموفي ستين وخمسمائة من كتاب الفتوحات المكية للعارف ابن عربي قدس سره عن شيخه أحمد بن مسعود ابن شداد المقري الموصلي أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما تقول في الشطرنج يعني في اللعب به فقال له حلال لو كان الرائي حنفي المذهب قال فقلت والنرد قال حرام قال قلت يا رسول الله ما تقول في الغناء قال حلال قلت والشبابة قال حرام قال قلت يا رسول الله ادع لي فقد مستني الحاجة أو كما قال مما هذا معناه قال صلى الله عليه وسلم رزقك الله ألف دينار وكل دينار أربعة دراهم واستيقظت فدعاني الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف بن أيوب رحمه الله في شغل فلما انصرفت من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم فثبتت الالوف والدراهم عندي كاملة التي عينها الي في دعائه صلى الله عليه وسلم قال فاعتقدت من تلك الساعة تحليل الشطرنج الذي كنت أعتقد تحريمه وتحريم الشبابة وكنت أعتقد النقيض في هذين الشيئين اه ﴿وأما حديث﴾ ملعون من لعب بالشطرنج أخرجه السيوطي في الجامع الصغير فقال العزيزي انه حديث منكر فلا حجة فيه ونص على انكاره أيضا السمهودي في كتابه الغماز على اللماز فالاقوال فيه ثلاثة كما علمت * وأما النرد فالاجماع على منعه لكن نوزع في الاجماع كما قاله الزرقاني في شرح الموطا وفي السمهودي نقلا عن الحافظ المنذري وجمهور العلماء ذهبوا الى أن اللعب بالنرد حرام ونقل بعض مشايخنا الاجماع على تحريمه واختلفوا في اللعب بالشطرنج فذهب جماعة من العلماء الى تحريمه كالنرد وكرهه الشافعي كراهة تنزيه وأباحه سعيد بن جبير والشعبي بشروط اه ويأتي قريبا ذكر الشروط وفي صحيح مسلم مرفوعا من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده بلحم خنزير (وروى) مالك وأبو داود والحاكم والبيهقي وابن ماجه من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله * ثم قال في السمهودي قلت ويلحق بالنرد الطاب والمنقلة وغيرهما من سائر الامور التي لا تجلب خيرا لفاعلها اه * قلت ومن هذا القبيل اللعبة المعروفة بين الناس بالكارطة ويظهر ان لاعبها مجرح ولو من غير ادمان الخ والله أعلم ﴿تنبيهان * الاول﴾ محل الكراهة أو الاباحة عند من قال بهما ما لم يواظب عليه وتعتبر المواظبة بالعرف وما لم يلعب مع معتقد تحريمه أو يكن على شكل الحيوان أو يمنى عليها بعدم حفظ اللسان عن الخنا والفحش والسفه وما لم يقترن به قمار ابن رشد متى لعب على القمار حرم اجماعا وما لم يلعبه على الطريق ولم يؤخر به صلاة والا حرم في الجميع اجماعا زاد بعض الشافعية وما لم يلعبه مع الارذال وما لم يؤثر غيظا وحقدا أو ضغينة أو يؤدي الى اشارة لفظ لا يرضى وللتحرز من هذه الاوصاف أشار ابن بكري بقوله

الا العب بالشطرنج يا صاح رياضه

فاهجر الهجر لديها * لا تردي وما حياضه

وتجنب صاحب الجهل ومن فيه غضاضه

لا تجالس غير ندب * زانه العقل وراضه

﴿الثاني﴾ من أجاز الشطرنج نظر الى ما فيه من تعلم كيفية الحرب وتشحيذ الذهن الفاتر وغير هذا مما يصح أن يكون مقصود الشارع ومن منعه نظر الى أن مقصود الشارع من تعلم كيفية الحرب وغيره لا يتوقف على تلك الطريق بالخصوص بل يحصل بطريق آخر أوضح منه وأسهل فلهذا كان الشطرنج أخف من النرد والضامة ونحوهما ﴿فوائد * الاولى﴾ قال الابي في شرح مسلم قال بعض

الحكماء ان الاوائل لما نظروا فى أمور الدنيا وجدوها تجرى على أسلوبين أحدهما يجرى بحكم الاتفاق والثانى ما يجرى بحكم السعى والتحيل لتشعر النفس بذلك وتهتش الخواطر الى عمل مثله من المطلوبات ويقال ان الذى وضع النرد من الفلاسفة وضعه على رأى أصحاب الجبر وعدم القدرة والذى وضع الشطرنج وضعه على رأى أهل الكسب والقدرة وانما ذكرناهذا ليعلم منه حقيقة اللعبين على الجملة حتى يعلم من علم حكمهما حقيقتهما على الجملة ان لم يكن يعرفهما تفصيلا اهـ كلام الابى بتغيير يسير وذلك لان النرد يجرى على حكم الاتفاق فلا تنفع فيه الفطنة والفكرة بل يلعب به اللاعب ويحسب فيخرج له المقدر من غير كسبه بخلاف الشطرنج فانه مبنى على الفكر وحساب التنقلات وقبل التنقل فهو موكول الى فطنة اللاعب وحذقه ولهذا قال الصلاح الصفدى أخبرنى من أثق به ان الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله كان يقول اللاعب بالنرد خير من اللاعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفى ذلك فهو أقرب الى الاعتزال اهـ ﴿الثانية﴾ واضع الشطرنج هو صصة بكسر الصاد الاولى وفتح الثانية مشددة ابن داهر الهندى وذلك انه لما رأى أن اردشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخير وضع النرد وافتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ ابهيت فوضع له صصة المذكور الشطرنج فقضت حكماء العصر بتفضيله ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله أن يتمنى عليه فتمنى عليه عددا ضعفه تضعافا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل فى ذلك المقام فقال ما أريد غير ذلك فأمر له به فلما حسبه أرباب الدواوين قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القريب منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فأعجبه الامر الثانى أكثر من الاول وذلك بأن يوضع فى البيت الاول حبة وفى الثانى اثنتان وفى الثالث أربعة وفى الرابع ثمانية وهكذا الى آخر بيوته الاربعة والستين قال القاضى ابن خلكان ولقد كان فى نفسى من هذه المبالغة شئ حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا تبين صحة ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عبرتها فكان الامر كما ذكره ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الارادب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة ألف أردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنين وستين أردبا وثلثى أردب وهذا القدر شونة ثم انه ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعة وعشرين شونة وهذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال تعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد اهـ (وقيل) سبب وضعها ان بعض ملوك الهند كان له ولد يسمى شاه أخرجه الى بعض الحروب فقتل فيها فهاب الناس الملك أن يعلموه بموته فوضع لهم بعض حكمائهم الشطرنج وبين لهم فيها ما خفى عنهم من مكايد الحروب وكيفية ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبين فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس فى التعبية والنجدة والقوة والجلد والشجاعة والبأس فمن علم شيأ من ذلك علم موضع تقصيره ومن أين أتى بسوء تدبيره لان خطأها الاستقلال والعجز فيها اتلاف المهج والاموال وعلم أن فى ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأى جالب للعطب والهلك والتقصير بسبب الهزيمة والتلاف وعدم المعرفة بالتعبية داع الى الانكشاف وأمرهم أن يلعبوا بها بين يدى الملك فلما لعب بها قال الغالب للمغلوب شاه مات ففطن الملك للمراد وأمر أن يعزى بولده ثمرة الفؤاد على هذين القولين فى سبب وضع الشطرنج اقتصر جماعة (وقال فى ربيع الابرار) ان سبب وضعه أن ملوك الهند كانوا يكرهون القتال

واذا تنازع فريقان فى كورة أو علكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال اهـ المراد منه وقد غلط من قال ان واضعه هو أبو بكر الصولى الكاتب المشهور وانما كان أوحد أهل زمانه فى لعبه والناس الى الآن يضربون المثل به فى ذلك كما فى ترجمته من تاريخ ابن خلكان ﴿الثالثة﴾ أشار فى مختصر الافادة الى تعريف الشطرنج وبيان كيفية لعبه بقوله باب الشطرنج جدول مثمن بجاد ذلك بيوته يلونين كالجيشين كل ستة عشر الرخان فى زاوية الجدول يليهما الفرسان ثم الفيلان ثم الشاه والفرز ٣ والبياذق الثمانية بالضلع الثانى عرضا فسير الرخ بالاضلاع لاربع جهات ثم الفيل فى الاقطار كذلك ثم الفرز فيهما وكل يجاوز ديار ان خلت والشاه كالفرزة وله تفرد داربها مطلقا فى الرحلة الاولى ان لم تكن محصورة كالبيذق ان خلت ولم تكن دار كل مثله والا استأذنه فى الجواز والا فلا والفرس يقفز دارا مطلقا وينزل بالثالثة المخالفة لم تحل عنها وسير البيذق ضلعا أو كلا قطرا ولا يتقهقر وان وصل لآخر الاضلاع فرز وأكل كل ما ينزل بموضعه ولا يجب ولا يكشف بزوال ما درقت به الشاه عن مقابلها ولا تدريق من فرس وأمر نبار رضى به الآخر ولا يباشر ومن مس عوده لغير اصلاح لزمه نقل كلفظه بتشويش ممكن لا دار النزول أو المأكول ان لم يشمه منه ﴿فصـــل﴾ الفرز قطعة أعظم ثم رخ ثم فرس ثم فيل وحمى كل من مثله بغيره مطلقا ولا يحمى الاعظم من أدناه لغير مصلحة واضطرار ورعى جوابه ونزوله وليحذر من أكل بلا عوض عن مثله أو مع تشويش كخلاء قطر الرخ قبل ضامه وحصر أول بفرز فى حمى الفيل ويجعل قطعة والشاه فى دارى لون قرب فرسه ولا يأكل بيذق بقى وحده بين رخيهما أو ينقل غيره ان لم يحم رخه والغالب حصر الشاه كأن بقيت وحدها وندب خزن الخانت دوثر الزمان وجعل كل من الشديدين الشاه للأعين وخروج العارف أولا وبازمان انقضت بياذقه وفرزه وأكثر قطعه حساب الازواج فقط من ستة عشر لتمام بيوته مع ارتحاله فقط فان لم يحصر فمانع اهـ ومن كان له المام بالشطرنج علم هذه النصوص اللطيفة وفهم معانيها الرقيقة المتينة ﴿فائدة﴾ أشار رشيد الدين الفارقى ببيت مفرد الى كيفية لعب الشطرنج قال فى آثار الاول فى ترتيب الدول ان من حفظه وعمل به لم يغلب وهو

حقق مقاصد كل نقل وانتهى ۞ عنه ولا حظ ما على الشاه

﴿فائدة أخرى﴾ قال صاحب الكتاب المذكور والذى ينبغى لمن يلعب الشطرنج أن لا يحلف عليها بصدق ولا كذب ويترك المراء ويجتنب المكابرة فانه لعب لا ينبغى أن يوصل به الى الحسد والغضب ولا يراهن عليه لانه حرام وفيه مواد الحقود فان كان لا بد من ذلك فيتوصل اليه بطريق الهبة أو النذر وليكن على المأكول والمشروب والاشياء اليسيرة دون الاموال فانه قمار وهو ردىء غير محمود لا شرعا ولا عقلا ومن لعب مع الملك أو مع من هو من العظماء فليصبر حتى يبتدئ هو باختياره أحد الصنفين ثم يصبر حتى يبتدئ باللعب ويحترز أن يمثل عليها بالامثال القبيحة والاشعار السخيفة فكثيرا ما يجرى مثل ذلك من الالعاب ولا يقال للملك غلبت ولا قهرت ولا شاه مات وانما يقال شاه بلا بيت أو شاه ويسكت واذا فرغ من اللعب فلا يطرح الشطرنج فى وسط الرقعة بل يبقى مكانه حتى يشرع فى صفه واذا حضرت بحضرة من يلعب فلا تدبدب أى لا تنبر لاحدهما على الآخر ولا تشر عليه فتشغل صاحبه ويشنؤك الخصم ﴿ويحكى﴾ أن أميرين جلسا بحضرة عضد الدولة يلعبان بالشطرنج فأشار الى أحدهما يعلمه على الآخر وهما متراهنان فقال لصاحبه غلبتنى يا فلان قال وكيف ذلك قال لان الملك عضد الدولة يدبدب لك على ومن كان عليه فانه مغلوب لا محالة فدعنى أزع التعب فأعجب بأدبه وسكت عنه فاتفق انه غاب كما قال فوفى عنه عضد الدولة اهـ ﴿حكايات تتعلق بلعب الشطرنج * منها﴾ ما قاله ابن العربى

٣ جمع بيذق وهو بالذال المعجمة وأصله صنف من الصقور ثم شبه به بيذق الشطرنج ويشبه به فى الدناءة قال الشاعر

ألا يا بيذق الشطرنـ
ـج فى القيمة والقامه
لقد صغر منك الكل
لغير الدبر والهامه

(آخر)

يا من حكى البيذق فى شكله
أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه
ورأسه أصغر ما فيه

اهـ مؤلفه

فى كتابه قانون التأويل بعد أن ذكر ركوبه البحر فى رحلته من افريقية ونصه وقد سبق فى علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله ١ ويغرقنا فى هوله فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بنى كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب ومن العرى فى أقبح زى قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة هيئتها ودمست الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمناها ازارا واشتملناها لفافا تمجنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا وأطعمنا الله على يده وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا بأمر حقير ضعيف وفن من العلم ظريف وشرحه أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه فعل السامد اللاه فدنوت منه فى تلك الاطمار وسمح لى بياذقته اذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه بالاغمار ووقفت بازائهم أنظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض القرابة فى خلس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعظم من صاحبه فلمحونى شزرا وعظمت فى أعينهم بعد ان كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدنانى فدنوت منهم وسألنى هل لى بما هم فيه بصر فقلت لى فيه بعض نظر سيبدو لك وينظهر حرك تلك القطعة ففعل وعارضه صاحبه فأمرته أن يحرك أخرى ومازالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا ما أنت بصغير وكان فى أثناء الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدا

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه * وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

فقال لعن الله أبا الطيب أو يشك الرب فقلت له فى الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما أراد بالرب هنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب فهو فى وقته كله بين رجاء لما يؤمله وتقاة لما يقطع به كما قيل

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض ما حرك منهم الى جهتى داعى الانتهاض وأقبلوا يعجبون منى ويسألونى عن سنى ويستكشفونى عنى فبقرت لهم حديثى وذكرت لهم نجيثى ٢ وأعلمت الامير بأن أبى معى فاستدعاه وقمنا الثلاثة الى مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا دمعه وجاء كل خوان بافنان الالوان ثم قال بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من الكرامة فانظر الى هذا العلم الذى هو الى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذ من العطب اه بنقل العلامة الرهونى فى حواشى المختصر فى باب الشهادة وذكر القلشانى فى شرح الرسالة هذه القضية مختصرة وزاد أن القاضى أبا بكر رحمه الله تعالى تعلم لعب الشطرنج وهو صغير السن من مشاهدة خدام والده يلعبونه عند فراغ والده من الحكم بين الناس وانه كان يشكر رأيه فى تعلمه اذ جعله الله له ولوالده سببا للنجاة فى هذه القضية ويقول علم كل شئ خير من جهله والله أعلم اه ﴿ومنها﴾ أن بعض الملوك كان فى الشطرنج حاذقا محير الافكار يجلب اليه كل من سمع بمهارته فيه ولو من بعيد الاقطار فيظهر غلبه على جميع الوافدين عليه ويقهر فكره أفكار الواردين اليه فتقدم عليه فى يوم من الايام رجل فى أطمار بالية يمشى فى نعل مخرقة بانت منها بادية فقال استأذنوا لى على الامير بقصد الحضور على الرقعة ٣ لأريه من شطارتى فيها مقدارا معة فاحتقروه لدمامته واستصغروه لبشاعته لكن رفعوا الى الامير أمره وانتظروا فيه نهيه وأمره فأمر بادخاله عليه واختصاصه لديه فلما قارب الى حضرته أخذ نعله وأودعه فى جيبه فقال له الملك ألم تأمن أعتابنا على نعل لا يساوى درهاما ٤ ولا تستر من خلقها الابهاما فقال أيد الله الامير وبلغه كل مرام ما جئتك حتى طلقت المرأة وبعت الغلام وليس لى

شاغل

(حاشية) ...ول العجب اه مؤلفه

(حاشية) نجيث ما ظهر من الخبر ...ؤلفه

(حاشية) ...قعة بالضم بمعنى ...طرنج كذا فى كتب الادب وهو دخيل اه ...لخفاجى فى شفاء ...ل اه مؤلفه

(حاشية) وبالالف لغة فى درهم ...مع على دراهيم بالياء كتاب ألف با للبلوى نصدت استعمال هذه لغرابتها اه مؤلفه

شاغل الآن غير هذا الذى جعلتها فى حرز الحفظ حتى أتفرغ من كل شغل (فامتنع الامير من ملاعبته وخشى من مغالبته لاستفراغ باله وتبديد أشغاله) (ومنها) أن بعضهم كان حلف بالطلاق أن لا يلعبه مدة عمره ولا يرى له ولا عليه فيه غلبة لغيره لعارض عرض أوجب ذلك الغرض فاتفق أن دخل يوما من الايام على ولده وهو يلعبه وقد كاد صاحبه يغلبه والولد يفكر ويتشكر اذ لم يكن فيه تبصر وقد بان لابيه أن الغالب له لاعليه لكنه لم يهتد اليه فبقى الاب حيران فى الحيلة لم يجد اليها وسيلة فحملته نشوة اللعب على تجرع كاس التحنيث وأقبل على الرقعة يسير القطع السير الحثيث وقال للولد ضع هذه القطعة هنا ثم هذه هنا وقل له شاه مات وقم عند أمك وقل لها هى على من المحرمات (ومنها) ان المأمون السبب ملك أخيه الامين وقتله مر يوما على زبيدة أم الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا أماه أتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه فقالت لا والله يا أمير المؤمنين قال فما الذى قلته قالت يعفينى أمير المؤمنين فألح عليها وقال لا بد أن تقوليه قالت قلت قبح الله الملاححة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فأمرنى أن أتجرد من أثوابى وأطوف القصر عريانة فاستعفيته فلم يعفنى فتجردت من أثوابى وطفت القصر عريانة وأنا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فأمرته أن يذهب الى المطبخ فيطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فيه فاستعفانى من ذلك فلم أعفه فبذل لى خراج مصر والعراق فأبيت وقلت والله لتفعلن ذلك فأبى فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل فأمرته أن يطأها فوطئها فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدى وسلب ملكه فولى المأمون وهو يقول لعن الله الملاححة أى التى ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر اه (وقالت) حيث كان الشطرنج مبنيا لاجاده حتى ساعده ساعد الملك وعضده بأعد اسعاده فما كان ينبغى له أن يجهل لعبه ولا يتجمل به أن يهمل سببه اذ حكى عنه انه كان لا يجيد اللعب به ويقول عجبا منى كيف أدبر ملك الارض ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين فى ذراعين اه هذا مع انه لا ينبغى للملك أن يجهله ويتأكد عليه أن يتقن عمله اذ فيه حسن التدبير وتأمل العواقب فى التسيير بل هو من علامة اللطافة ودوال الادب والظرافة فقد قال ذو الرياستين الادب عشرة أجزاء لعب الشطرنج والضرب بالعود وضرب الصوالج والهندسة والطب والنجوم والنحو والشعر وأيام العرب والسمر اه (ولابن المعتز فى مدحه)

يا عائب الشطرنج من جهله * وليس فى الشطرنج من باس
فى فهمها علم وفى لعبها * شغل عن الغيبة للناس
وتذهل العاشق عن عشقه * وصاحب الكاس عن الكاس
وصاحب الحرب بتدبيرها * يزداد فى الشدة والباس
وأهلها فى حسن آدابهم * من خير أصحاب وجلاس

(ولابن الرومى يمدحه أيضا)

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * عواقب لا تسمو بها عين جاهل
وأجدى على السلطان فى ذاك انه * يريه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل بعينيه فى دقائق هزله * تجده جليا فى الخطوب الجلائل

(ولابن نباتة ملغزا فى الشطرنج)

وماصامت عنى و يرجع مفكرا * و يقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الفتى آلى عليه ألية * فما فيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس ولكن شطره * ثلاثة أخماس الحروف التى تبدو

(ولبعضهم ملغزا فيه أيضا)

وما اسم ثلاثة أخماسه * هو الشطر منه ومن غيره
و باقيه ان رمت معكوسه * قطعت رجاءك من خيره

(ولابى الحسين الجزار ملغزا فيه أيضا)

وماشئ له نفس ونفس * ويؤكل عظمه ويحك جلده
يوتبه الفتى ادراك سؤل * ويفدى باقى به مالا يوده
يؤكل منه أكثره بحق * ولكن عند آخره يرده

(ولعلى بن جهم فى وصفه)

أرض مربعة حمراء من ادم * ما بين حرين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على ذاك وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى بهم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

(وللسرى فى وصفه أيضا)

وكتيبتى زنج وروم أذكيا * حربا يسيل بها الذكاء مناصلا
فى منزل قسما النزال بقاعة * بين الكماة العاملين منازلا
لم يسفكا فيه دما وكأنما * رشح الدماء أعاليا وأسافلا
تبدى لعينك كلما عاينتها * قرنين جالا مفسدا ومخاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوما * وكأن ذا نشوان يخطر مائلا
فاعجب لها حربا تثير اذا انقضت * فضل الرجال ولا تثير قساطلا

(ولبعضهم فى وصفه أيضا)

وخيل قد رأيت ازاء خيل * يساق بها كأكياس الرياح
بميمنة وميسرة وقلب * كتعبية الكتائب للبطاح
اذا ما اقتتلوا تثمر واوعادوا * صحاحا لم يصابوا بالجراح
بغير عداوة كانت قديما * ولكن للتلذذ والمزاح

(ولآخر فى وصفه أيضا)

وحرب غدت نزهة للنظر * تتوق اليها نفوس البشر
وتلهى عن اللهو ولذاتها * اذا واجهت أوجه الظفر
تقابل جيشان صفاها * بجد يضم بهزل يسر
سلاحهم من رصين الحجا * وأذرعهم من حصين الحذر
ترى للحرب بينهم تلتظى * اذا أسعرتها كماة الفكر
بخيل ورجل سموا للقتال * فلا فاتهم النصر لما استمر
فيقتل ضد بها ضده * وليس ينالهم من ضرر

ويحيا الذي مات منا أننا * فيقتل قاتله في الأثر

(ولنور الاسعردي مضمنا)

أعييت إذ لاعبت بالشطرنج من * أهوى فأبدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب أرضه * بقطاعه لما انثنى مجهودا
فطفقت أنشده هناك معرضا * وجوانحي فيه تذوب صدودا
رفقا بهن فما خلقن حدائدا * أو ما تراها أعظما وجلودا

(وقلت أنا)

لاعبت بالشطرنج من حبه * في القلب لم يزل بطول المدا
يجهد أن يقتل شاهي عسى * يأخذ ثار القلب ممن عدا
فقلت له أما كفى قتلة * من لحظك الذي أثار الردى
والله ليس قصدنا غلبكم * حاشا ولكن قربكم لي هدى
فاسمح به يا بدر تم فلا * زلت بنفسي دائما مفتدى

(وقد كررت بعض هذا المعنى مرة أخرى لعارض حادث بقولي)

ومليح علمته لعب الشطـ * ـرنج حتى اهتدى وهام بلطفه
فغدا جاهدا يروم اغتيالي * حيث ذاب الفؤاد من حسن وصفه
فغزا الشاه من جيوشي بحزم * ما كفاه قتلي بصارم طرفه
كيف أقوى القتلتين فرفقا * بقتيل وراع حالة ضعفه

(ولأبي العلاء المعري يصف بعض الشطرنجيين)

أيها اللاعب الذي فرس الشطـ * ـرنج عمت في كفه بالتسهيل
من بيماريك والبياذق في كفـ * ـك يغلبن كل رخ وفيل
تصرع الشاه في المجال ولو جا * ء مرديا بالتاج والإكليل
لطف رأي يستعبد الملك الأعـ * ـظم بالواحد الحقير الذليل
أنت فوق الصولي في هذه الخلة مزر في غيرها بالخليل

(واعلم) أن اللعب بالشطرنج أحد المواضع التي ينصف الرجل ولو كان ملكا فيها صاحبه (قال في ربيع الأبرار) قالوا على الملك أن ينصف صاحبه باللعب بالشطرنج والصوالج والصيد والرمي في الغرض ولا يتفضل عليه وعلى صاحبه المشاحة وترك الإغضاء (حكي) عن سابور أنه لاعب تربا له بالشطرنج على إمرة مطاعة فقمره تربه فقال له سابور ما إمرتك قال أركبك حتى أخرج بك إلى باب العامة فدعا ببرذون وحلى لتربه اهـ ومن هذا المعنى قصة هرون الرشيد مع زوجه زبيدة وقد تقدمت والله سبحانه وتعالى أعلم

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله باب آداب المدارس الخ)

﴿بيان الخطأ والصواب الواقعين فى طبع الجزء الاول من شرح الابتهاج﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	٣١	ترج	ترج	٨٧	٣٠	فالعلم	فالعلم
٥	٥	عليها	عليهما	٨٧	٣٠	فى	بى
٥	٢٢	الجنوباب	المدوبأب	٩٣	١	باب	بابا
٦	١٧	الذكى	الزكى	٩٩	٦٠	الحكام	الحطام
٧	٦	مما	من ما	١١٠	٤	صدقتك	صدقتك
٧	١٦	ثمة	ثمت	١١٣	١٧	الجبان	الجباب
٩	٢٨	يعنى	يغنى	١١٥	٢٧	فالتمس	فالتمس
٠	٥	وجدرانها	وجدراتها	١١٦	٢٤	بعدفاء	بعدهافاء
١٠	٨	عليه ينتاش من	عباعكنه من	١٢٠	٣٥	وقال	ومال
١٠	١٨	طرائف	طرائق	١٢٣	٢٣	وتكونوابعده	وتكونوامن بعده
١٢	٢	يسئل	يسألا	١٢٦	١	عدل	عادل
١٢	٢٢	وهذه	وهى	١٣٢	١٨	ودعوة	ودعوى
١٦	١١	للتكاليف	للتكاف	١٣٢	٣٥	فكيبه	فكن به
١٦	٣١	عنهما اصا	عنها اصا	١٣٧	٣٤	تله	تلومه
١٦	٣٤	حسن	حسنى	١٣٨	٦	من صديقه	عن صديقه
٢٠	٢٣	من كل بضيق	من كل ما يضيق	١٣٩	٣٣	الواوالمعطوف	الواووالمعطوف
٢٣	٣٠	سليمان	سلمان	١٤٣	٢٠	أيضاح	إيضاح
٢٦	١٩	فذلك	فكذلك	١٥٠	١٦	خليلا	جليلا
٣٢	٣٠	وجبت	رحبت	١٥١		شتا	شتى
٣٥	١٢	فيما	فيما	١٥٣		ذالفلق	اذالفلق
٣٦	بالهامش	أى جماعة	جماعه	١٥٦	٢	تنزع	ينزع
٤١	١٣	فتشر	نشر	١٥٨	٦	يقبل	ينبل
٤٢	٣٤	أول قالها	أول من قالها	١٥٨		تنحى عنك	تنحى عنك
٤٣		وتسكنه	وتسكنه	١٦١		يفتنى	يغتنى
٤٥	٣١	السطور	السطور*	١٦٣	٢٦	إيرى	أيرى
٤٨	٣٤	موزن	موزون	١٧٧	٣٤	بطرائف بيض	بطرائق بيض
٥٠	١٣	قرابة	قرابته			وسودلفنت	وسودافقت
٥٠	١٦	راكضا	راكدا	١٨٠	٢٠	فكذلك لا ينبغى	فكذلك ينبغى
٥٥	٢٧	فرزق	فرزن	١٨٤	١٤	معرفة	معرفه
٧١	بالهامش	رطه	أصله	١٨٤	١٧	تصريحا	تصريحها
٧٢	٨	للمرأة	للمرآة	١٨٩	٥	الجبار	الجبان
٧٨		الشأن	الشأنين	١٩٠	١١	تقصير	تقطير
٧٨	٣٥	الدهر	الذهن	١٩٧	٢٩	المحدثين	المحدثين

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٣	٢٦	فدسو	فدس
٢٠٥	٢٠	يتقصع	يتوقع
٢٠٦	١٩	والكفلات	واكفلات
٢١٨	١٣	اليه	الله
٢١٨	٣٤	لفظا	لفظك
٢٢٢	٣٥	جرالمالك فقط	جرالمال فقط
٢٢٣	٢٠	تقرفى	تقرأفى
٢٣١	٤	يتصدع	ينصدع
٢٣٧	٢٥	وع	دع
٢٣٨	٢٢	الحافظ	الجاحظ
٢٤٨	٢٣	العقر	الفقر
٢٥٤	٢٢	استعارة	استعاره
٢٥٤	٢٩	بينهما	بينها
٢٥٧	١٣	المرابل	المزابل
٢٦٢	٣١	المحدثين	المحدثين
٢٧٠	٢٠	تجيزوا الشعر	تجيزو الشعر

(قال مؤلفه عفا الله عنه) بعد الطبع تبين لي سبق قلم في الكلام على التذييل عند قول الناظم أولا حمد الميسر أنواع العلوم لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم القوافي نبه عليه المصحح وهو صواب وغلط أيضا الغوى عند قول الناظم ولتنشدوا الاشعار فيه بالنغم نبه عليه المصحح أيضا وهو صواب جزاه الله خيرا وغفلة ظاهرة حتى للمبتدئين في فن النحو في الاعراب لقول الناظم وان يكن للنسخ منه اخذا والكمال لله وحده

رتب الحفظ عند المحدثين

للدكتور
عبد الله بن الصديق

نقل المناوى فى اوائل شرح الشمائل ، عن المطرزى قال لاهل الحديث مراتب

اولها الطالب ، وهو المبتدى . ثم المحدث ، وهو من تحمل روايته ، واعتنى بدرايته ، ثم الحافظ ، وهو من حفظ مائة الف حديث متنا واسنادا ثم الحجة ، وهو من احاط بثلاثمائة الف حديث ثم الحاكم ، وهو من احاط بجميع الاحاديث المروية اهـ

واهل الحديث ، لا يعرفون هذه المراتب ، ولا يعترفون بها لانها تخالف ما اصطلحوا عليه

فالطالب ، هو المبتدىء فى كل علم ، وليس خاصا باهل الحديث وفى حديث رواه الطبرانى باسناد ضعيف عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبع طالبهما طالب علم ، وطالب الدنيا »

والحجة ، من مراتب التعديل ، لا الحفظ وهى فوق الثقة ، كما نص عليه الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ ، وستأتى عبارته بحول الله .

اما الحاكم ، فلا علاقة له بالحفظ ولا التعديل. وانما هو لقب عائلى لبعض الحفاظ والمحدثين

منهم ابو احمد محمد بن محمد بن احمد بن اسحق النيسابورى الكرابيسى الحافظ ، صاحب كتاب الكنى وغيره من المؤلفات توفى سنة 378 قال الذهبى وهذا هو الحاكم الكبير

ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى النيسابورى الحافظ صاحب كتاب المستدرك وغيره ، يعرف بابن البيع ، توفى سنة 405 ، وهو تلميذ الحاكم الكبير

ومنهم ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن احمد بن محمد بن حسكان القرشى العامرى النيسابورى الحنفى الحافظ ، يعرف بابن الحذاء ، وبالحسكانى أخذ عن الحاكم صاحب المستدرك ، وتوفى بعد سبعين واربعمائة

ومنهم ابو الحسن على بن احمد بن محمد ابن الحسن الاسترابادى المحدث حدث سنة 432

ترجم له التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ، ولم يذكر تاريخ وفاته

والعجيب ان المتاخرين ، تمالئوا على نقل كلام المطرزي ، تقليدا بدون تمحيص والواقع ان مراتب الحفظ عند اهل الحديث ، على الوجه الآتي مسند ، ثم محدث ، ثم مفيد ثم حافظ ، ثم امير المومنين في الحديث فالمسند ــ بكسر النون ــ من يعنى بالاسناد من حيث اتصاله ، او انقطاعه او تسلسله بصفة معينة ، وان لم يكن له خبرة بالمتون

وكان شيخنا العلامة المرحوم السيد احمد رافع الحسيني الطهطاوي الحنفي ، مسند هذا العصر بدون منازع ، له كتاب « المسمى الحميد الى بيان وتحرير الاسانيد » حرر الكلام فيه على الاسانيد الموجودة في نحو اربعمائة ثبت ونبه على اوهام كثيرة ، وقعت في كتاب فهرس الفهارس ، وكان لا يعرف في المتون كثيرا ولا قليلا

والمحدث من سمع الكتب الستة والموطا وسنن الدارمي والدارقطني والبيهقي ومستدرك الحاكم ومسند احمد ، وسمع الى جانب هذه الكتب ، الف جزء حديثي ، وحفظ جملة مستكثرة من المتون

ويكفي عن الحفظ في هذا الوقت ان يراجع الجامع الصغير مرات ، حتى تعلق احاديثه بذهنه ، بحيث يستحضر حديثا منها ، اذا احتاج اليه ويشتمل الجامع الصغير على نحو عشرة آلاف حديث، فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع

فمن احاط بها ، واستحضر معانيها ، وعرف مظانها ، مع بقية الشروط السابقة ، كان محدثا.

والمفيد ، رتبة استحدثت في القرن الثالث الهجري

قال الحافظ الخطيب حدثني محمد بن عبد الله من ابي بكر محمد بن احمد بن محمد بن يعقوب ، قال : موسى بن هرون ، سماني المفيد

قال الذهبي فهذه العبارة ، اول ما استعملت لقبا ، في هذا الوقت ، قبل الثلاثمائة . والحافظ اعلى من المفيد ، في العرف ، كما ان الحجة ، فوق الثقة اه

ومن لقب بالمفيد ، سوى ابي بكر المذكور

ابو بكر وابو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي المؤرخ روى عن الطبراني وغيره ، توفي سنة 382 ، اتهمه الخطيب بوضع حديث ، في فضل اهل الحديث

قلت لفظ الحديث المشار اليه اذا كان يوم القيامة جاء اصحاب الحديث بايديهم المحابر فيامر الله جبريل ان ياتيهم فيسالهم وهو اعلم بهم فيقول من انتم ؟ فيقولون : نحن اصحاب الحديث ، فيقول الله عز وجل : ادخلوا الجنة على ما كان منكم ، طالما كنتم تصلون على النبي في دار الدنيا

رواه الخطيب في التاريخ من طريق محمد بن يوسف الرقي حدثنا الطبراني ثنا الدبري ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس رفعه به

ورواه ابو المحاسن الروياني في فوائده عن عبد الله بن جعفر الجباتري عن محمد بن يوسف الرقي به ، لكن قال عن معمر عن قتادة عن انس

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الخطيب ، وقال الحمل فيه على الرقي ، وقال الذهبي وضع على الطبراني هذا الحديث

ورواه الديلمي في مسند الفردوس ، والنميري في الاعلام من طريق آخر ، فيه محمد بن احمد بن ملاك الاسكندراني ، وهو مجهول واقتصر الحافظ السخاوي في القول البديع ، على تضعيفه من الطريقين وهو تساهل منه ، رحمه الله ، فالحديث موضوع ، كما قال الخطيب وابن الجوزي والذهبي.

ومما يؤكد وضعه نكارة معناه ، وروايته من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس

ومن لقب بالمفيد ابو سليمان حمد بن محمد ابن ابراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب معالم السنن وغيره من المصنفات ، وهو احد شيوخ الحاكم ، صاحب المستدرك ، توفي سنة 388 ببلده بست ، في افغانستان .

وابو سعيد محمد بن على بن محمد النيسابورى الخشاب المتوفى سنة 456، وابو منصور عبدالمحسن ابن محمد بن على الشيحى السفار المتوفى سنة 489 ، وابو الفرج عبد الخالق بن احمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف اليوسفى البغدادى المتوفى سنة 548

وابو على صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد بن محمد التيمى البكرى الصوفى المتوفى سنة 656

وشمس الدين على بن المظفر بن القاسم الربعى الدمشقى المتوفى سنة 656

ثم المفيد من جمع شروط المحدث ، وتاهل لان يفيد الطلبة الذين يحضرون مجالس املاء الحافظ ، فيبلغهم ما لم يسمعوه ، ويفهمهم ما لم يفهموه ، وذلك بان يعرف العالى والنازل ، والبدل والمصافحة والموافقة مع مشاركة فى معرفة العلل ، والاصل فيه ما رواه ابو داود والنسائى عن رافع بن عمرو قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء ، وعلى يعبر عنه

وفى الصحيح عن ابى جمرة قال كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس

والحافظ . اختلف فى تعريفه ، بين مشدد ومخفف.

واعدل التعريفات فيه انه من جمع ثلاثة شروط

1 — حفظ المتون ولا يقل محفوظه عن عشرين الف حديث

2 — حفظ اسانيدها ، وتمييز صحيحها من سقيمها

3 — معرفة طبقات الرواة واحوالهم ، طبقة بعد طبقة ، بحيث يكون من يعرفه اقل ممن لا يعرفه، حتى اذا قال فى راو لا اعرفه اعتبر ذلك الراوى من المجهولين

ويتفاوت الحفاظ بتفاوت كثرة محفوظاتهم وقلتها

وهذه امثلة من ذلك

قال يعقوب الدورقى كان عند هشيم عشرون الف حديث

وقال يحيى بن معين كانت كتب ابن المبارك التى حدث بها نحو عشرين الف حديث

وقال يزيد بن هرون احفظ اربعة وعشرين الف حديث بالاسناد ، ولا فخر ، واحفظ للشاميين عشرين الفا ، لا اسال عنها

وقال ايضا سمعت حديث الفتون ، مرة واحدة فحفظته واحفظ عشرين الفا ، فمن شاء فليدخل فيها حرفا

وحديث الفتون طويل ، يقع فى نحو كراسة

رواه النسائى فى السنن الكبرى وابن ابى حاتم والطبرى فى تفسيريهما ، وابو يعلى فى معجمه كلهم من طريق يزيد بن هرون عن اصبغ بن زيد عن القاسم بن ابى ايوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به

قال ابن كثير وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع الا قليل منه ، وكانه تلقاه ابن عباس ، مما ابيح له نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار او غيره

وسمعت شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزى ، يقول ذلك اهـ

وقال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد — بعد ان عزاه لابى يعلى — رجاله رجال الصحيح غير اصبغ بن زيد والقاسم بن ابى ايوب ، وهما ثقتان اهـ

قلت وقع فى ترجمة اصبغ من الميزان راوى حديث القنوت ، وكذلك وقع فى ترجمة القاسم ، من تهذيب التهذيب ، وهو تصحيف

وقال داود بن عمرو الضبى كان اسمعيل ابن عياش يحدثنا من حفظه ، ما رايت معه كتابا قط فقال له عبد الله بن احمد بن حنبل : اكان يحفظ عشرة الاف حديث ؟ قال وعشرة الاف ، وعشرة الاف فقال له ابى احمد : هذا مثل وكيع

وقال حرب الكرماني أملى علينا سعيد بن منصور ، نحوا من عشرة آلاف حديث من حفظه

وقال الحافظ ابو بكر بن ابي داود صاحب السنن حدثت من حفظي باصبهان ، بستة وثلاثين الفا الزموني الوهم في سبعة احاديث منها فلما انصرفت ، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به

وقال الحافظ ابو حفص بن شاهين أملى علينا ابن ابي داود ، وما رايت في يده كتابا قط ، انما كان يملي حفظا وكان يقعد على المنبر ، بعد ما عمي ، ويقعد دونه بدرجة ، ابنه ابو معمر ، بيده كتاب ، فيقول له حديث كذا فيسرده من حفظه ، حتى ياتي على المجلس

قرا علينا يوما حديث الفتون ، من حفظه ، فقام ابو تمام الزينبي وقال لله درك ! ما رايت احفظ منك ، الا ان يكون ابراهيم الحربي فقال كل ما يحفظه ابراهيم ، فأنا احفظه وأنا اعرف بالنجوم ، وما كان يعرفها

وقال البخاري احفظ مائة الف حديث صحيح، ومائتي الف حديث غير صحيح

وسال رجل ابا زرعة الرازي انه حلف بالطلاق انك تحفظ مائة الف حديث ؟ فقال تمسك بامراتك

وقال ابو زرعة ايضا احفظ القراءات عشرة آلاف حديث

وقال الحافظ ابو العباس ابن عقدة احفظ مائة الف حديث باسانيدها

وقال الحافظ ابو بكر بن الجعابي احفظ اربعمائة الف حديث ، واذاكر بستمائة الف حديث

وقال ايضا دخلت الرقة ، وكان لي ثم قمطر من كتب ، فجاء غلامي مغموما وقال ضاعت الكتب فقلت : يابني لا تغتم ، فان فيها مائتي الف حديث ، لا يشكل علي حديث منها ، لا اسناده ، ولا متنه

ثم الحافظ نوعان

1 — حافظ على طريقة الفقهاء ، كالطحاوي والبيهقي والباجي وابن العربي المعافري والقاضي عياض والنووي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير

2 — حافظ على طريقة المحدثين ، وهم معظم الحفاظ

والحافظ على طريقة المحدثين ، اكثر حفظا ، واوسع رواية ، واعرف باحوال الرجال وطبقاتهم ، وادرى بقواعد التصحيح والتضعيف ، لتمكنه في معرفة العلل وغرائب الاحاديث

وامير المؤمنين في الحديث ، هي الرتبة العليا في الحفظ ، لا رتبة فوقها واستحدثت هذه الرتبة في المائة الثانية للهجرة

قال الحافظ السيوطي في التدريب كان هذا اللقب ماخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم ارحم خلفائي » قيل ومن خلفاؤك ؟ قال « الذين يأتون من بعدي يروون احاديثي وسنتي » رواه الطبراني وغيره قلت هذا الحديث رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ، والطبراني في المعجم الاوسط ، وابو نعيم في تاريخ اصبهان والخطيب في شرف اصحاب الحديث ، كلهم من طريق احمد بن عيسى العلوي اخبرنا ابن ابي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس قال سمعت علي بن ابي طالب يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم ارحم خلفائي » قلنا يا رسول الله ومن هم ؟ قال : « الذين يأتون من بعدي يروون احاديثي ويعلمونها الناس » احمد بن عيسى الهاشمي العلوي ، نقل الذهبي في ترجمته من الميزان عن الدارقطني ، انه قال فيه : كذاب وحكم الذهبي ببطلان هذا الحديث ، بعد ان ساقه باسناد الرامهرمزي

وقال الحافظ الزيلعي في نصب الراية وقد روى الحافظ ابو محمد الرامهرمزي ، في اول كتاب المحدث الفاصل : حديثا موضوعا لاحمد بن عيسى ، هو المتهم به ، وذكر هذا الحديث

ورواه الخطيب في شرف اصحاب الحديث من طريق عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن ابي فديك عن هشام بن سعد به

عبد السلام بن عبيد ، قال ابن حبان يسرق الحديث ، ويروى الموضوعات وسرقة الحديث : ان يعمد الراوى الى حديث معروف من طريق معين فيرويه من طريق آخر

مثاله روى الليث ويونس عن الزهرى عن انس حديث « من كذب على متعمدا » الحديث رواه عبد السلام هذا عن سفيان بن عيينة عن الزهرى ، نحوله من رواية الليث ويونس الى رواية ابن عيينة، وهذه سرقة

وروى ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة حديث « لا يلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين »

سرقه عبد السلام مرواه عن ابن عيينة عن الزهرى عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة

وعبد السلام هذا روى عنه ابو عوانة في صحيحه ، كانه لم يعرف حاله ولحديث الخلفاء طريق آخر اخرجه الخطيب في شرف اصحاب الحديث ، من طريق ابى الصباح عبد الغفور عن ابى هاشم الرمانى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الا ادلكم على آية الخلفاء منى ومن اصحابى ومن الانبياء قبلى ؟ هم حملة القرآن والاحاديث عنى وعنهم في الله ولله عز وجل »

عبد الغفور ، قال ابن حبان كان ممن يضع الحديث وقال ابن عدى ضعيف منكر الحديث

ولا شك ان اهل الحديث ، نواب من النبى صلى الله عليه وسلم ، في تبليغ احاديثه ، ونشر سنته فهم خلفاؤه

ولهذا سمى بعضهم ، امير المومنين في الحديث

كما ان الخلفاء الحكام ، سموا امراء المومنين لنيابتهم عنه في تنفيذ الاحكام ، واقامة الحدود وحماية بيضة الاسلام

وليس كل عالم ، او فاضل ، او صاحب راى ، يصلح لخلافة الحكم بل يشترط فيمن يتولى هذا المنصب الخطير ، شروط مفصلة في كتب الفقه الاسلامى كذلك ليس كل حافظ يستحق لقب امير المومنين في الحديث وانما يستحقه من توفرت فيه الشروط الآتية

1 — شدة الاتقان والضبط بنوعيه ضبط صدر ، وضبط كتاب

2 — التبريز في العلل ، او الرجال

3 — ان يؤلف كتابا له قيمته العلمية ، كبير الاثر في موضوعه ، او يتخرج به حفاظ مهرة

ولعزة اجتماع هذه الشروط في شخص ، لم ينل هذا اللقب من الحفاظ على كثرتهم الا نفر قليل منهم، لا يتجاوز عددهم عشرين نفسا منهم الامام مالك ابن انس

قال يحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن معين: مالك امير المؤمنين في الحديث على انه لم يكن واسع الحفظ ؛ لانه لم يرحل الى البلدان والاقطار ، كما رحل غيره من الحفاظ ولم يبارح المدينة المنورة، الا للحج ثم رجع وبسبب ذلك فاته حديث كثير.

لكنه كان شديد الاتقان ، بالغ التحرى ، مبرزا في نقد الرجال قال الترمذى في العلل سمعت اسحق بن موسى الانصارى قال سمعت معن بن عيسى يقول كان مالك بن انس يشدد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الباء والتاء ونحو هذا

وروى ايضا عن على بن المدينى قال قال يحيى ابن سعيد القطان ما في القوم اصح حديثا من مالك ابن انس ، كان مالك اماما في الحديث وقال على ابن المدينى عن سفيان بن عيينة ما كان اشد انتقاد مالك للرجال ، واعلمه بشأنهم

وقال يحيى بن معين كل من روى عنه مالك فهو ثقة الا عبد الكريم قلت عبد الكريم هذا هو ابن ابى المخارق — بضم الميم — ابو امية البصرى المعلم .

قال ابن عبد البر لا يختلفون في ضعفه ، غير مالكا منه سمعته ، ولم يكن من اهل بلده فيعرفه ولم يخرج عنه حكما ، بل ترغيبا وفضلا اهـ وقال الحافظ ابن سيد الناس في شرح الترمذي لكن لم يخرج عنه مالك الا الثابت من غير طريقه : اذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة وقد اعتذر لما تبين له امره ، وقال غرني بكثرة بكائه في المسجد اهـ

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل قلت لابي من اثبت اصحاب الزهري . قال مالك اثبت في كل شيء

وقال ابن حبان كان مالك اول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، واعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يكن يروي الا ما صح ، ولا يحدث الا عن ثقة اهـ

وكتابه الموطا ، من كتب السنة الناصعة ، مدحه الامام الشافعي بكلمته المعروفة ما على ظهر الارض بعد كتاب الله اكثر صوابا من موطا مالك واثنى عليه غيره من العلماء ثناء كبيرا لا حاجة الى الاطالة بذكره ، لشهرته وانتشاره في شروح الموطا وغيرها من كتب السنة ، ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات ما تقدم عليه الصحيحان ولا غيرهما

ولم يقدره المالكية حق قدره حيث قدموا عليه المدونة عند التعارض ، مع ان القواعد الاصولية والحديثية توجب تقديمه لامور :

1 — ان الموطا كتبه الامام بيده ونقحه في مدى اربعين سنة والمدونة ليست كذلك ، لانه لم يكتبها ولم ينقحها

2 — ان الموطا رواه عن الامام عدة مئات من العلماء فهو منقول بالتواتر ، والمدونة ليست كذلك ، بل تفرد بها ابن القاسم

3 — ان من جملة رواة الموطا اصحاب مالك المدنيين ، وهم الذين لازموه الى وفاته وابن القاسم الذي بنيت المدونة على رواياته فارق مالكا قبل مماته بعشرين سنة والملازم للشيخ مقدم على المفارق له

4 — ان اقوال الامام في الموطا مصحوبة بدليلها من اية او حديث او اثر والاقوال المنسوبة اليه في المدونة ، عارية عن الدليل

ولتفصيل هذا البحث موضع غير هذا

ومنهم امام الحفاظ ، وجبل العلم ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الصحيح قال عنه شيخه علي بن المديني : ما رأى مثل نفسه. وقال ابن خزيمة ما تحت اديم السماء اعلم بالحديث من البخاري كان واسع الحفظ والرواية ، شديد الاتقان ، مبرزا في علم العلل

قال محمد بن حاتم وراق البخاري سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان كان البخاري يختلف معنا الى السماع وهو غلام ، فلا يكتب ، حتى اتى على ذلك اياما ، فكنا نقول له فقال انكما قد اكثرتما علي فاعرضا علي ما كتبتما فاخرجنا اليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر الف حديث فقراها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم ما كتبنا ، من حفظه ، فعرفنا انه لا يتقدمه احد

وقال الحافظ احمد بن نصر الخفاف محمد بن اسماعيل اعلم في الحديث من احمد بن حنبل واسحق ابن راهويه ، بعشرين درجة

وقال الترمذي : لم ار احدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد ، اعلم من محمد بن اسماعيل

وكتابه الجامع الصحيح ، اجل كتب الاسلام ، واصحها بعد القرآن اجمعت الامة على تلقيه بالقبول ، واجله العلماء الفحول له عند الحفاظ هيبة ، وفي قلوبهم رهبة . ذكر الحافظ الذهبي في الميزان حديثا في الجامع الصحيح ، تكلم في راويه ، وقال لولا هيبة الجامع الصحيح ، لعددته من منكرات خالد

وقال الحافظ ابو الحسن بن المفضل المالكي شيخ المنذري الراوي اذا احتج به الشيخان او احدهما ، فقد قفز القنطرة

على ان مسلما تلميذ البخاري وخريجه، يعترف بفضله ، ويغترف من فيض علمه ، حتى قال

الدارقطني اولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء

وروى الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابى حامد احمد بن حمدون قال سمعت مسلم بن الحجاج ، وجاء الى البخاري ، فقبل ما بين عينيه ، وقال دعني اقبل رجليك يا استاذ الاستاذين ، وسيد المحدثين ، ويا طبيب الحديث في علله ثم ساله عن حديث رواه عنه في كفارة المجلس ، فاجابه البخاري عنه ، وبين علته

وكتابه التاريخ الكبير ، يقول عنه ابو احمد الحاكم كتاب لم يسبق اليه ، ومن الف بعده شيئا من التاريخ او الاسماء او الكنى ، لم يستغن عنه فمنهم من نسبه الى نفسه ، ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه ، فانه الذى اصل الاصول

ومنهم الامام الحافظ المتقن ابو الحسن على ابن عمر الدارقطني

قال الحاكم صار الدارقطني اوحد عصره في الحفظ والفهم والورع ، واماما في القراء والنحويين. اقمت ببغداد اربعة اشهر ، وكثر اجتماعنا فصادفته فوق ما وصف لي ، وسالته عن العلل والشيوخ وله مؤلفات يطول ذكرها فاشهد انه لم يخلف على اديم الارض مثله

وقال الخطيب كان الدارقطني فريد عصره ، وقريع دهره ونسيج وحده ، وامام وقته انتهى اليه علم الاثر والمعرفة بعلل الحديث واسماء الرجال ، واحوال الرواة مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد ، وسلامة المذهب

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد الازدي احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على بن المديني في وقته ، وموسى بن هرون في وقته ، وعلى بن عمر الدارقطني في وقته

وقال الحافظ البرقاني كان الدارقطني يملي على العلل من حفظه ، وانا الذى جمعتها ، وقراها الناس من نسختي .

قال الذهبي واذا شئت ان تبين براعة هذا الامام الفرد ، فطالع كتاب العلل له ، فانك تندهش ويطول تعجبك

ومنهم شعبة ، ومحمد بن اسحق وعبد الله ابن المبارك ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، واسحق بن راهويه ، والحافظ ابن حجر ، وهو ختامهم لم يات بعده من نال هذه الرتبة ، وان كان في تلامذته حفاظ، كالسخاوي والديمي ، والسيوطي لكنه لم يدركه ، وانما تتلمذ على كتبه ، وانتفع بها كثيرا وهو يعتبر خاتمة الحفاظ ، بالمعنى المصطلح عليه عند اهل الحديث ، ومن وصف بعده بالحافظ كالسيد مرتضى الزبيدي شارح الاحياء ، فذلك على سبيل التوسع في العبارة

وكان صديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي يصف ابن طولون الحنفي بالحافظ ، وناقشته في ذلك فقال ان مروياته كثيرة، وهذه مغالطة ، لان كثرة المرويات انما تعتبر في الحافظ بشرط ان تكون مسموعة له ومرويات المتاخرين كابن طولون ، انما هي بالاجازة والغرض منها بقاء سلسلة الاسناد والتبرك برجال السلسلة كما قال الحافظ السخاوي انه لبس الخرقة الصوفية تجاه الكعبة المشرفة تبركا برجالها الصالحين وان كان يعتقد ان سندها منقطع

ولما كنت ادرس العلم بجامعة القرويين اعاد الله مجدها علمت ان رجلا عاميا يروى بالاجازة عن ابيه عن جده عن السيد مرتضى ، فذهبت اليه واستجزته فاجاز لي مع ان لي رواية عن السيد مرتضى بواسطة شيوخ كثيرين منهم بالمغرب شقيقي ابو الفيض والشيخ عبد الحفيظ الفاسي والشيخ المكي البطاوري والشيخ فتح الله البناني رحمهم الله واكرم مثواهم

طنجة — عبد الله بن الصديق